

التقارب والتماثل
في
القرآن الكريم

الدكتور

فايز عارف القرعان
جامعة اليرموك

دراسة أسلوبية



جدارا للكتاب العالمي

عالم الكتب الحديث

التقابل والتماثل

في القرآن الكريم



دراسة أسلوبية

د. محمد عارف القرعاني

مركز البحوث - الأردن

٢٠٠٦

التقابل والتماثل

في القرآن الكريم

مركز البحوث - الأردن

٢٠٠٦

التقابل والتماثل

في القرآن الكريم

"دراسة أسلوبية"



د. فايز عارف القرعان

جامعة اليرموك - إربد - الأردن

٢٠٠٦

عالم الكتب الحديث
إربد - الأردن

جدارا للكتاب العالمي
عمان - الأردن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

مكتبة شمس الطالبات

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٥/٩/٢١٠٩)

٢٢٥،٣

القرعان، فايز عارف

التقابل والتماثل في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية/ فايز عارف القرعان. - إريد:

عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦.*

ص. (٥١٢)



000944023

ر.ب.: ٢٠٠٥/٩/٢١٠٩

الواصفات: /إعجاز القرآن//القرآن//الإعجاز البلاغي//اللغة العربية/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو ترجمته إلا بعد أخذ الإذن

الخطي المسبق من الناشر والمؤلف.

٢٢٥

ق ر ع

Copyright ©
All rights reserved



عالم الكتب الحديث

للتوزيع والنشر

إريد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي

تلفاكس: ٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٢ + خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٧٩

صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)

الموقع على الإنترنت

www.almalkatob.com

جدارا للكتاب العالمي

للتوزيع والنشر

عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس

تلفاكس: ٥٦٦٧٢١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿ لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا
وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى مروحك الطاهرة يا أمي

إلى والدي الذي تعلمت منه الصبر والجهد في العمل

إلى رفيقه المدرب نروجتي العزيزة

وطفلي المحبين عدي ودانة

إلى أختي الكريمة

إليكم جميعاً يا من هياتر لي كل شيء حتى أخرج هذا العمل

إهداء محبة وعرفان ووفاء

فايز القرعان

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٧	الفصل الأول: مفهوم التقابل والتماثل
٩	التقابل والتماثل عند اللغويين والنحاة المتقدمين
٢٥	التقابل عند الفلاسفة
٣٥	مفهوم التضاد عند أصحاب الدراسات البلاغية
٣٧	التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية
١١٣	الفصل الثاني: أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم
١١٦	النمط البسيط
١١٦	أولاً: تقابل التضاد اللفظي
١٣٣	ثانياً: التقابل المعنوي
١٤٩	ثالثاً: تقابل التحالف
١٥٤	رابعاً: التماثل
١٥٩	النمط المركب
١٥٩	أولاً: تقابل التضاد المعنوي
١٦٨	ثانياً: التماثل
١٧٥	النمط المعقد

٢٢٣ الفصل الثالث: التقابل والتماثل في محاور القرآن الكريم

٢٢٥ أولاً: محور الإيمان

٢٧٥ ثانياً: محور الكفر

٣١٧ تقابلات بين محوري الكفر والإيمان

٣٢١ ثالثاً: محور النفاق

٣٢٩ تقابلات بين محوري الإيمان والنفاق

٣٧٥ الفصل الرابع: دور التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة

٣٧٩ - التقابل

٤٣٢ - التخالف

٤٦٠ - التماثل

٤٦٧ الخاتمة

٤٨١ المصادر والمراجع

مقدمة الطبعة الأولى:

فقد تعددت الدراسات البديعية في المصادر العربية وتنوعت طرق البحث فيها. ولكن أغلبها ظل محصوراً في الطابع المدرسي الذي يتمثل في تعداد المفاهيم والمصطلحات البلاغية أو البديعية وشرحها والتمثيل عليها من القرآن الكريم والشعر والنثر. وقد بالغ العلماء في تقسيم البديع وتفريعه وإحصاء أنواعه. وكانت النظرة إليه أنه مجرد محسنات لفظية أو معنوية تأتي لمناسبة لفظية مرغوبة أو حلوية حسية مطلوبة لا علاقة بها ولا مكانة لها على مستوى المعنى أو السياق.

وإزاء تلك الطرق في البحث والدرس رأيت أن أقوم بدراسة التقابل والتماثل في صورة جديدة في القرآن الكريم على غير ما قدمه الدارسون عن هذا الكتاب العظيم.

فدراستي للتقابل والتماثل في القرآن الكريم نابعة من إيماني بأهمية هذا الموضوع في الدراسات، وذلك من جانبين: أولهما أن القرآن الكريم مصدر مهم يشكل حقلاً مناسباً للكشف عن أهمية الجوانب البديعية في البلاغة العربية، وهي دراسة تقوم على خدمة هذا الكتاب الشريف.

وثانيهما أن تناولي للتقابل والتماثلات لا يقوم على حصرها، وبيان أنماطها الشكلية، وإنما تقوم على الكشف عن علاقاتها التجاورية الخاصة والعامة في السياق؛ وذلك لإظهار قيمها الجمالية والتعبيرية، وإظهار مدى إسهامها في تشكيل المعنى ضمن الصياغة الكلية للجملة والنص. ولم تكن الدراسات البديعية للقرآن الكريم قد أخذت هذه الجوانب في الكشف عن حقيقة الموضوع وعن دوره في إنتاج الدلالة.

لقد قرأت القرآن الكريم قراءات متعددة قبل أن أسجل هذه الدراسة لنيل درجة الدكتوراه، وتابعت فيه موضوع التقابل والتماثل على وجه

الخصوص فوجدت أنه يشكل دراسة متكاملة يمكن أن تكون كاشفة عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؛ ولهذا وجدتي أهتم بهذا الجانب اهتماماً كبيراً أوصلني إلى نقطة الاقتناع بضرورة دراسته دراسة علمية تقوم على تبني وجهة نظر جديدة مستمدة أصولها من الدراسات الأسلوبية البنائية. وبعد هذه النظرة التحليلية للقرآن الكريم، وبعد أن أحطت بموضوع التقابل والتماثل معرفة عند اللغويين والبلاغيين، وألمت بأهم جوانبه شرعت أضع خطة تناسب معه، وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول متكاملة تشكل الهيكل العام للموضوع.

حددت في الفصل الأول مفهوم التقابل والتماثل، وقد جاء هذا الفصل في أربع نقاط هي: الأولى المعنى اللغوي للتقابل والتماثل في المعاجم، إذ إن هذا المعنى يشكل طريقاً لفهم التقابل والتماثل اصطلاحياً. والثانية مفهومهما الاصطلاحى عند اللغويين والنحاة المتقدمين. والثالثة مفهوم التقابل عند الفلاسفة من فترة متقدمة إلى فترة متأخرة؛ وذلك لأنهم يشكلون في وجهات نظرهم رافداً من روافد أصحاب الدراسات البلاغية. والرابعة مفهومهما عند أصحاب الدراسات البلاغية المتقدمين والمتأخرين.

وقد تبعت أهم الآراء التي تكشف عن حقيقة المفهوم متجاوزاً بعض الآراء التي لا تشكل إضافة جديدة لآراء سابقة من البلاغيين إلى أن استقر هذا المفهوم، واتضح معالمه، وحاولت هنا أن أحلل الطبيعة التركيبية التي اعتمدها هؤلاء البلاغيون في نظرهم للتقابل والتماثل متخذاً وجهة النظر الخاصة طريقاً لي في فهم ما أرادوه من الموضوع. ومن ثم ارتأيت مفهوماً خاصاً للموضوع مستمداً من مفهوم البلاغيين.

وتناولت في الفصل الثاني أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم، وقسمتها حسب مفهومي لها فكانت ثلاثة أنماط هي: النمط البسيط، والنمط المركب، والنمط المعقد. وقد تحدثت في هذا الفصل عن الطبيعة التركيبية

للتقابلات والتماثلات في كل نمط، كما تناولت الأبنية الأسلوبية التي تشكلت فيها، وتبعت في كل نمط التقابلات والتماثلات إحصائياً لعلني أجد التفسيرات والنائج المترتبة على أعدادها ونسبها.

وتناولت في الفصل الثالث التقابل والتمائل في محاور القرآن الكريم، وقد قسمت هذه المحاور ثلاثة أقسام كان الأول محور الإيمان، تناولت فيه عدداً من المواضيع هي: العقيدة، والمعاملات، والعبادات، والآداب، والأخلاق، والمؤمنون والإيمان. ومن ثم رصدت لهذا المحور معجماً لفظياً بينت فيه الألفاظ وانتماءاتها إلى معاني هذا المحور، والمحور الثاني هو محور الكفر، تناولت فيه عناصر الكفر، ووسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، والكفار والكفر، وقد رصدت له معجماً لفظياً بينت فيه الألفاظ وانتماءاتها إلى المعاني الواردة في هذا المحور. والمحور الثالث هو محور النفاق، تحدثت فيه عن المنافقين والعقيدة، والمنافقين ومواقفهم من المؤمنين، والمنافقين وموقفهم من الجهاد في سبيل الله، وحال المنافقين في الحياة الدنيا، والمنافقين والعذاب، والمنافقين بين الترغيب والترهيب. ومن ثم رصدت الألفاظ التي تنتمي إلى هذا المحور في تقابلاته وتماثلاته.

وقد اعتمدت العملية الإحصائية في هذا الفصل لجميع المحاور وفروعها ومعجمها اللفظية لتكون كاشفة لنقاط جوهرية توصلنا إلى حقيقة التقابل والتمائل في هذه المحاور. ومن ثم وضعت معجماً إحصائياً لألفاظ التقابل والتمائل يعتمد على تقسيم القرآن الكريم إلى السور المكية والسور المدنية وتبعت في هذين القسمين الألفاظ المشتركة. وتحدثت عن إسهامها في كشف حركة المعنى. ونظرت نظرة كلية إلى كل لفظة وما يقابلها من الألفاظ الأخرى في تقابلات القرآن الكريم وتماثلاته.

وعالجت في الفصل الرابع الدور الذي يقوم به التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة في النص القرآني. وقد تناولت في هذا الفصل الدلالات من جانبين: الجانب الأول الدلالة الاستدعائية التي تثيرها مفردات التقابل والتماثل في طرفيهما ومدى انتشار هذه الدلالة في السياق. والجانب الثاني الدلالة السياقية التي تنتجها البنية النحوية وتعكسها بالتالي على التقابل والتماثل وقد قسمت هذا الفصل إلى التقابل والتخالف والتماثل.

ووضعت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وألحقت بها قائمة بالمصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية. إن الاهتمام بالتقابل والتماثل في القرآن الكريم اهتمام قديم، ولعل المطلع على الدراسات البلاغية على مر العصور يدرك أن محور التطبيقات والشواهد البلاغية آيات الكتاب العظيم علاوة على الشعر والنثر العربيين. وقد خصصت كتب تعالج مثل هذه القضايا في القرآن الكريم في بعض فصولها أو كلها مثل: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، وإعجاز القرآن للباقلاني، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي، والبرهان في علوم القرآن للزركشي.

ومن ثم نجد دراسات حديثة تناولت بعض المواضيع البلاغية في القرآن الكريم. مثل: الصورة الفنية في المثل القرآني، للدكتور محمد حسين علي الصغير، والبديع في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ولطائف المعاني في ضوء النظم القرآني للدكتور عبد الله محمد سليمان هندأوي، ودراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، للدكتور المحمدي عبد العزيز الحناوي.

ولا شك في أن هذه الدراسات وغيرها قد أسهمت في البحث عن كثير من الجوانب البلاغية التي تتعلق بالإعجاز القرآني، والواقع أنني أفدت

بالاطلاع عليها، ولكنني حاولت أن تكون لي آرائي الخاصة المستقلة، إذ تناولت موضوع التقابل والتماثل من منطلق آخر غير منطلقات أصحاب تلك الدراسات. وقد أخذت في هذا تناول من كثير من المصادر والمعاجم التي لجأت إليها في مناقشاتي لمفهوم التقابل والتماثل، فحددت المفهوم الذي أسير عليه في البحث في إطاره العام، من مثل: الطراز، للعلوي، والمثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير، والبرهان في علوم القرآن، للزرکشي، وجواهر الكثر، لنجم الدين بن الأثير.

لعلني أزعم أنني نظرت إلى موضوع الدراسة نظرة تختلف عن نظرة أصحاب الدراسات السابقة التي تناولت التقابل والتماثل في القرآن الكريم. وذلك أنني جعلت اهتمامي بهما من خلال العلاقات البنائية بين الأطراف نفسها من جهة، وبين الأطراف والسياق من جهة أخرى. فجاءت نظرة تكاملية، إذ بدأت من دراسة الأنماط السائدة للتقابل والتماثل في القرآن إلى دراسة تحركها داخل الموضوعات القرآنية، ومن ثم رصدت حركة المعنى لهما في هذا الإطار، ومن ثم إلى علاقتهما الخاصة بين أطرافهما وبين السياق، لأصل في النهاية إلى الدور الدلالي الذي أخذته في النص القرآني فجاءت دراستي دراسة بنائية وأسلوبية للقرآن الكريم، إذ إن اعتمادي كان على دراسة بنية الصياغة القرآنية من حيث تركيبها من الدالات ومن حيث دلالات تلك الدالات.

إن ثمة دراستين نقديتين كان لهما الفضل الكبير في بناء منهجي. الأولى دراسة للدكتور محمد عبد المطلب "بناء الأسلوب في شعر الخدائة" (التكوين البديعي) والثانية دراسة للدكتور صلاح فضل "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته". أما الدراسة الأولى، فهي من الدراسات القيمة التي تشكل منهجاً جديداً في طرح موضوع التقابل والتماثل في دراسة الشعر من خلال النص

الشعري، وقد استأنست في غير موضع من فصول دراستي بخطى هذه الدراسة التي التقيت فيها بكثير من آرائها الصائبة.

وأما دراسة الدكتور صلاح فضل. فهي من الدراسات المهمة أيضاً في علم الأسلوب، وأخص بالاهتمام ما يتعلق بموقع التضاد في السياق ومدى ترابط الاثنين معاً.

وقد كان لهاتين الدراستين فضل في تطوير مفهومي للتقابل والتماثل، ومدى إسهامهما في الترابط بالسياق وفي إنتاج الدلالة فوصلت من خلالهما إلى نتائج جوهرية في النص القرآني.

وبعد:

فقد كان لإشراف أستاذي الدكتور محمد عبد المطلب أثر عميق في تقويم منهجي الدراسي الذي خططته لنفسي في تناول هذا الموضوع، وقد وجدت في توجيهاته المستمرة طوال مدة الإشراف على هذه الرسالة آراء عميقة وقيمة؛ لذا فإن كلمة شكر لا تكفي بحق أستاذي على ما قدمه لي. وإن ما تركه لدي من فكر عميق لهو أكبر من كلمة الشكر، فإني أدعو الله عز وجل أن يجزيه عني وعن العلم كل الخير. وأعترف أنني مدين بالفضل والشكر للأستاذين الكريمين الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد والأستاذ عبد الحميد إبراهيم لما أبدياه من آراء قيمة وعميقة على هذه الدراسة عند مناقشتها لها وقد أفدت منها فائدة كبيرة.

والله من وراء القصد

فايز عارف القرعان

الفصل الأول

مفهوم التقابل والتمائل

التقابل والتماثل عند اللغويين والنحاة المتقدمين:

قبل أن أتحدث عن التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية لا بد لي أن أتحدث عنهما عند اللغويين في معاجمهم وعند النحويين المتقدمين، وذلك من جهتي المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فأبدأ بالمعنى اللغوي.

التقابل: اسم أُخذ من الأصل الثلاثي (ق ب ل) وقد تنوعت المعاني التي اشتقت من هذا الأصل. يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ): "والقَبَل: الطاقة، تقول: لا قِبَل لهم. وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قِبلاً أي مواجهة"^(١)، ويقول البطلوسي (ت ٥٢١هـ): "والقَبَل بالكسر: الطاقة، والقَبَل: المواجهة"^(٢). نفهم مما تقدم أن المعنى من هذا الأصل مرتكز على معنى الطاقة المقابلة لطاقة أخرى، وذلك من خلال معنى المواجهة، فلعل الخليل يشير في قوله (لقيته قبلاً أي مواجهة) إلى التقاء طاقتين متواجهتين. ولا يخرج البطلوسي عن هذا المعنى، كما نرى. ولا ينتهي المعنى إلى هذا الحد عند اللغويين، وإنما يمتد إلى غيره ليصبح بمعنى المواجهة بشكل عام، يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدلّ كلمة كلّها على مواجهة الشيء للشيء"^(٣)، ويقول ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): "وقابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه... وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً"^(٤). فليست المقابلة عند ابن فارس وابن سيده مقتصرة على الطاقة المواجهة، وإنما هي مواجهة عامة فكل شيء يواجه شيئاً آخر فهو يقابله ويعارضه، ويزيد الليث على هذا المعنى في قوله: "إذا ضمنت شيئاً إلى شيء قلت قابله به"^(٥) فضم الشيء إلى الشيء مقابل له. والمقابلة والتقابل في اللغة واحد، يقول الجوهري (ت ٣٩٣هـ): "المقابلة: المواجهة والتقابل مثله"^(٦). ويقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): "المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك"^(٧).

نفهم مما تقدم أن معنى التقابل في اللغة المواجهة التي تتم بين شيئين يكون الأول منهما يواجه الثاني ويتقابل معه، سواء أكان تقابل طاقتين أم تقابل قوتين وغير ذلك من المتقابلات التي تتم بين الشيئين، ويعني أيضاً ضم الشيء إلى شيء آخر أي قابله.

لاشك في أن معنى التقابل هنا يتيح لنا أن نضع تحته عدداً من المفردات اللغوية التي تشير في معناها إلى المواجهة وهي بالتحديد: المطابقة، والتكافؤ، والتضاد، والتناقض، والمخالفة؛ وذلك لأن هذه المفردات تتضمن معنى المقابلة بين طرفي التقابل سواء بالتضاد أو المخالفة أو المماثلة، كما سنعرفه من معناها اللغوي.

أما المطابقة فقد أخذت من الأصل (ط ب ق) وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية لها معنيين مهمين؛ الأول منهما يشير إلى التقابل بالمثل، يقول الخليل بن أحمد: "وطابقت بين الشيئين: جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما فيسمى هذا المطابق"^(٨). ويقول ابن فارس: "وطابق بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد. ولذلك سمينا نحن ما تضاعف من الكلام مرتين مطابقاً. وذلك مثل جرجر، وصلصل، وضعصع"^(٩). ويقول ابن سيده: "وتطابق الشيطان: تساويا"^(١٠). ويقول الجوهري: "المطابقة الموافقة، والتطابق: الاتفاق"^(١١). ويقول ابن منظور: "هذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقه وطباقه وطبيقه ومطباقه وقاله وقاله بمعنى واحد"^(١٢).

نلاحظ مما تقدم من النصوص أن المطابقة تعني تقابل الشيئين على وجه الاتفاق والموافقة، وذلك أن المثل يقابل المثل ويساويه. فإذا جمعت بين شيئين يكونان على حذو واحد، حتى إن ابن فارس ذهب إلى استخدام هذا المعنى عندما جعل الأفعال الرباعية مثل جرجر وصلصل وضعصع من المطابق فكل حرف من الحرفين الأولين من كل فعل يقابل الحرف في الحرفين الأخيرين.

والمعنى الثاني للمطابقة هو التقابل بالخلاف، وفهم هذا المعنى متأ من التدقيق في النصوص التي نقلها من أصحاب اللغة، يقول ابن سيده: "والمطابق من الخيل والإبل: الذي يضع رجله موضع يده"^(١٣)، وقد أشار إلى هذا المعنى الجوهري في قوله: "ومطابقة الفرس في جريه: وضع رجله موضع يديه"^(١٤) ولعل في هذين النصين معنى الخلاف؛ وذلك أن موضع الرجل عند الإبل أو الخيل لا يتماثل تماماً مع مواضع أيديها، فالرجل خلاف لليد من حيث المعنى، وبالتالي فإن الجمع بينهما في موضع واحد هو تقابل بالخلاف وليس بالمثل. وثمة نصوص أخرى تشير إلى هذا المعنى، يقول الخليل: "والمطابقة في المشي كمشي المقيد، قال عددي: وطابق في الحملتين مشي المقيد"^(١٥). ويقول ابن فارس: "فأما المطابقة فمشي المقيد، وذلك أن رجله تقعان متقاربتين كأههما متطابقتين"^(١٦). ويقول ابن منظور: والمطابقة المشي في القيد وهو الرّسف"^(١٧). ويقول الأصمعي: "التطبيق أن يثب البعير فتقع قوائمه بالأرض معاً"^(١٨)، لعلنا نلاحظ من معنى "مشي المقيد" أن اليمين تتماثلان في التنقل من مكان إلى مكان أثناء مشي الحيوان، وهذا المعنى يشير إلى التقابل بالمثل، ولكن ثمة معنى آخر يشير إلى التقابل بالخلاف يفهم من المعنى الملازم للمشي المقيد، وهو أن المشي المقيد خلاف للمشي الحر الذي تعتاد الحيوان عليه، ومن هنا جاء معنى المخالفة، فهذا المعنى ليس كالسابق وذلك بظهور المتقابلين، وإنما جاء بحذف الأول وإيراد الثاني.

وثمة نصوص أخرى تشير إلى معنى التقابل بالخلاف. يقول ابن فارس: "الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه. من ذلك الطبق"^(١٩). ويقول الزمخشري: (ت ٥٣٨ هـ) "أطبقت الرحي إذا وضعت الطبق الأعلى على الأسفل. وطبق الغطاء الإناء.

وانطبقت عليه وتطبق ... والسماوات طباق: طبقة فوق طبق أو طبق فوق طبق" (٢٠). لا شك في أن معنى المخالفة يأتي من جهة الطبقة الأعلى والطبق الأسفل فكل منهما يأتي من جهة مغايرة للجهة التي وضع فيها الآخر، علاوة على أن الطبقة ليس من الواجب أن يكون مماثلاً للجزء الثاني تماماً كما في طبق الإناء. فأعلاه قد يختلف عن أسفله مع مراعاة التساوي والتماثل في موافقة الأول للثاني من حيث الانطباق.

وأما التكافؤ فهو مشتق من الأصل (ك ف ء) وقد جاء يشير إلى معنيين، الأول منهما التماثل، يقول ابن فارس: "والكفاء: المثل. والتكافؤ: التساوي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تكافؤاً دماؤهم" أي تساوي" (٢١)، ويقول ابن سيده: "وتكافؤ الشيئان: تماثلاً" (٢٢)، ويقول الجوهري كذلك: "التكافؤ: الاستواء.. وكل شيء ساوى شيئاً حتى يكون مثله فهو مكافئ له" (٢٣). ويقول ابن منظور: "والتكافؤ: الاستواء.. يقال: كافأه يكافئه فهو مكافئه أي مساويه" (٢٤). فكما نلاحظ فإن معنى التماثل والتساوي مشترك بين مشتقات هذا الجذر، فالشيء يقابل الآخر بالتساوي والتماثل.

والمعنى الثاني منهما التقابل بالخلاف، يقول الخليل: "وفلان كفاء لك، أي: مُطابق في المضادة والمناوأة" (٢٥) ويقول ابن سيده: "وكفأ الشيء يكفؤه كفأ، وكفأه فتكفأ: قلبه.. وأكفأ الشيء: أماله" (٢٦) ويقول الجوهري: "كفأت القوم كفأ، إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم إلى غيره، فانكفؤوا أي رجعوا" (٢٧). ندرك مما سبق من النصوص أن معنى التكافؤ يتضمن معنى الخلاف، فالكفاء يدخل في المضادة والمناوأة، ويدخل في قلب الشيء إلى غير وجهه وإمالاته أو الرجوع عن الوجهة، كما أشار الجوهري، وقد توضح معنى التقابل بالخلاف والمخالفة في قول ابن جني (ت ٣٩٢هـ): "إذا كان الإكفاء في الشعر محمولاً

على الإكفاء في غيره وكان وضع الإكفاء إنما هو للخلاف^(٢٨) كما ظهر هذا المعنى في قول الأخفش (ت ٣٥١هـ): "فإن الإكفاء المخالفة"^(٢٩). وقد فسر القول: "مكفأ غير ساجع" بأن المكفأ ها هنا: "الذي ليس بموافق"^(٣٠). ومن هنا نلاحظ أن التكافؤ يحمل معنى الخلاف كما حمل معنى المثل، وهذا المعنى يلتقي معنى المطابقة كما رأينا.

وأما التضاد فهو مشتق من الأصل الثلاثي (ض د د) وهو من مفردات التقابل الذي يجري بين الشئين، يقول ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ): "الضد: خلاف الشيء"^(٣١). ويقول ابن فارس: "المتضادان: الشيطان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار"^(٣٢). ويقول الليث: "الضد كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك"^(٣٣). وقال ابن منظور: "ابن سيده: ضد الشيء وضديده وضديته خلافة؛ الأخيرة عن ثعلب"^(٣٤). فالضد إذن هو كل شيء تضاد مع الآخر بحيث لا يجتمع الضدان معاً في وقت واحد كما أشار ابن فارس، ولا يجتمعان في مكان واحد أيضاً كالسواد لا يقع موقع البياض إلا إذا ذهب البياض وهكذا كل المتضادات.

وأما التناقض فهو مشتق من الأصل الثلاثي (ن ق ض) وهو يلتقي التضاد من حيث معنى الخلاف وإن كان يختلف في طبيعة معناه وتركيبه، يقول ابن فارس: "النون والقاف والضاد أصل صحيح يدل على نكث الشيء... ونقضت الحبل والبناء والقيض: المنقوض"^(٣٥)، ويقول ابن سيده: "النقض ضد الإبرام... وناقضه، ونقاضا: خالفه... ونقيضك: الذي يخالفك"^(٣٦)، ويقول ابن منظور: "والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه"^(٣٧). فالنقض أصلاً هو جعل الشيء على خلاف ما كان كأن تنقض حبلاً بعد إبرامه، وأن

تنقض عهداً بعد إبرامه، وكما يشير ابن منظور قد يقع في الكلام فيناقض الكلام معناه. من هنا ندرك أن أصل التناقض الخلاف بين حالتين في الشيء الواحد، بحيث يكون لهذا الشيء وجهان الأول خلاف للثاني.

وأما المخالفة، فقد اشتقت من الأصل الثلاثي (خ ل ف). وقد جاءت تشير إلى معنى التقابل بالخلاف، وهي تلتقي في هذا المعنى المطابق والتكافؤ والتضاد. يقول ابن فارس: "الحاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير"^(٣٨). لا شك في أننا نلاحظ أن هذه الأصول الثلاثة تشير إلى معنى التقابل، فالأول منها يشير إلى أن الشيء الأول يتقابل مع الشيء الثاني الذي جاء بعده وحل مكانه، والثاني منها أن يقابل الشيء بخلافه مثل خَلْفٌ وقدام، والثالث أن يتغير الشيء من حال ليصير إلى حال أخرى. ولذلك قيل خَلَفَ اللبن إذا تغير طعمه وريحه"^(٣٩). ويقول ابن سيده: "والخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً... وتخالف الأمران، واختلفا لم يتفقا، وكل ما لم يساو فقد تخالف واختلف"^(٤٠). ويقول الجوهري: "والخلاف: المخالفة، وقوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾"^(٤١) "أي مخالفة رسول الله". ويقول الصنعاني (ت ٦٥٠هـ): "الاختلاف: خلاف الاتفاق"^(٤٢). وقال اللحياني: "سررت بمقعدتي خلاف أصحابي أي مخالفتهم"^(٤٣). فالمخالفة، إذن، تشير إلى معنى تقابل الشيء للشيء على وجه الاختلاف لا على وجه الاتفاق والمساواة.

وأما التماثل، فقد أخذ من الجذر الثلاثي (م ث ل). وقد تركز معنى التماثل على الشبه. يقول البطلوسي: "المثل بالكسر: الشبه"^(٤٤). فالشبه هو الأساس في معنى التماثل، ولا شك في أن الشبه يقوم بين شيئين أو أكثر إذ

يحدث معنى المماثلة بين الأشياء. والواقع أن هذا التماثل قد اتصل بمعنى المساواة، وقد ذكر ابن بري الفرق بينهما في قوله: "الفرق بين المماثلة والمساواة: أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين نقول: نحوه كـنحوه وفقهه كفقعه ولونه كلونه وطعمه كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسدُّ مسده، وإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة"^(٤٥). فالتماثل يتصل بالمساواة من حيث اجتماعهما على المتفقين. ولكن المساواة تزيد عن المماثلة بأنها تكون بين المختلفين في الجنس. بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر في المقدار ولا ينقص عنه. ويبدو أن المماثلة تتجه نحو معينين الأول هو المماثلة التامة إذ يكون الشيء مائلاً تماماً للآخر فيسده مسده. والثاني هو المماثلة الجزئية إذ يكون الجزء من الشيء مائلاً لجزء آخر من الشيء الآخر. ولا شك في أن التماثل في هذا المعنى يتصل بمعنى التكافؤ الذي أدركناه فيما تقدم عند ابن فارس والجوهري وابن منظور.

والواقع أن ثمة كلمة أخرى تدخل في معنى المماثلة وهي المشاكلة التي أخذت من الجذر الثلاثي (ش ك ل) وذلك أن هذا الجذر يشير إلى معنى المثل، يقول الخليل ابن أحمد: "الشكل: المثل، يقال: هذا على شكل هذا، أي: على مثل هذا... وشاكل هذا ذاك من الأمور، أي: وافقه وشابهه، وهذا يُشكل به، أي: يُشبهه"^(٤٦). ويقول البطليوسي: "الشكل بالفتح: المثل والجمع أشكال وشكول"^(٤٧). ويقول ابن منظور: "وقد تشاكل الشيطان وشاكل كل واحد منهما صاحبه. أبو عمرو: في فلان شبه من أبيه وشكلٌ وأشكَلٌ وشاكلٌ ومشاكلة.. والمشاكلة الموافقة. والتشاكل مثله"^(٤٨). فالشكل إذن يشير بمعناه إلى التماثل من حيث المشاهدة والموافقة والمصاحبة. ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى التماثل بأنه المشاكلة التي تعني الموافقة والمشاهدة والمصاحبة.

000944023



ولا شك في أنه أصبح في مقدورنا الآن أن نفهم معنى التقابل اللغوي الذي يمكن أن نلخصه بالتضاد والتخالف. ومعنى التماثل الذي يغلب عليه معنى المشاكلة والمائلة والمساواة.

بعد أن تعرفنا إلى معنى التقابل والتماثل لغة عند اللغويين نأتي لتتعرف إلى معناهما الاصطلاحي لدى اللغويين والنحاة المتقدمين.

لاشك في أن التقابل هو أول المصطلحات التي يجدر بنا أن نتناوله وتتعرف إليه. ويبدو أن اللغوي أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) قد شغل نفسه به على ما وجدنا من الروايات بحيث عرض معناه وضرب الأمثلة له، وقد نقل لنا علي بن خلف الكاتب (توفي في منتصف القرن الخامس الهجري) تعريف أبي علي للمقابلة يقول: "وأما أبو علي الفارسي فقال: إن المقابلة تطبيق لفظي، لأن الكلمة تقابل فيه أختها على ترتيب... ومثله بقول الشاعر - المثال في البيت الثاني:

وظبية من ظباء الأنس درية الثغر كافورية النفس
تبكي وتضحك إن صدت وإن وصلت فنحن في مأتم منها وفي عرس

فاستدأ البكاء وأتبعه بالضحك، وقابل البكاء بالصد والمأتم والضحك بالوصل والعرس على ترتيب من غير تقديم وتأخير" (٤٩).

نفهم مما تقدم أن المقابلة عند أبي علي تقوم أساساً على التطبيق اللفظي أي التطابق القائم بين الألفاظ إذ طابق الشاعر بين الفعل تبكي والفعل تضحك، وقد تمت المقابلة عندما قابل البكاء بالصد والمأتم، وقابل الضحك بالوصل والعرس، وذلك أن المعاني بين البكاء والصد والمأتم متقاربة ومشتركة والأمر مشابه في الضحك والوصل والعرس، وكأننا نلاحظ أن التقابل لديه يقتضي

الترتيب علاوة على التطبيق، وكما يبدو لي بأن أبا علي لم يجعل التعدد في المتطابقات شرطاً للمقابلة وذلك من قوله الذي نقله لنا السيوطي (ت ٩١١هـ) معلقاً على قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^(٥٠)، يقول: "قال أبو علي الفارسي: لما كان البناء رفعاً للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء"^(٥١). فالمقابلة إذن عند الفارسي قد تكون بين اثنين، وقد تكون بين أكثر. ولعله يشير في قوله التطبيق اللفظي إلى ما كان ضدّاً بين الألفاظ كالضحك والبكاء وما كان في معنى الألفاظ كالبناء والفراش، وعلى ما يبدو أن شرطه هو أن تكون اللفظة تطابق الأخرى كما رأينا في الأمثلة.

فالتقابل عند أصحاب اللغة والنحو في الاصطلاح قائم على التطبيق. فكيف فهم هؤلاء التطبيق؟ يبدو أن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) كان من أوائل الذين أشاروا إلى هذه القضية، والواقع أنه لم يخرج عن نطاق المعنى اللغوي الذي يشير إلى التقابل بالمثل، كما أدركنا في المعنى اللغوي للطباق. ولكن ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) نقل لنا عن الخليل والأصمعي (ت ٢١٦هـ) نصاً يقول فيه: "قال الخليل رحمه الله يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد وكذلك قال أبو سعيد فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب"^(٥٢)، لا شك في أننا نفهم من هذا النص أن ابن المعتز قد فهم التطابق عند الخليل بأنه التضاد كما جاء عند الأصمعي وهو أبو سعيد، ولكني أستبعد أن يكون الخليل قد عني بالتطابق ما عناه الأصمعي، فالأصمعي قد وضع معنى التطابق من خلال كلمتي: السعة والضيق وهما كلمتان متضادتان لا لتلقيان. وأنا أذهب مع ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) في تفسيره كما ورد عن الخليل، وذلك في قول له يعلق فيه على فهم قدامة (ت ٣٣٧هـ) للطباق، يقول: "وأما

قدامة في المطابق... فإنه أيضاً مساواة لفظ للفظ. وهي - أعني المساواة - على رأي الخليل والأصمعي معنى لمعنى. وقد يكون أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى، أي، موافقته، ألا ترى أنهم يقولون: "فلان يطابق فلاناً على كذا" إذا وافقه عليه وساعده فيه، فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى، ثم وافقت بعينها معنى آخر، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق... فيكون الشيطان للمعنيين، والجذر الواحد: اللفظة^(٥٣). فلعل الخليل قد عني بمعنى التوافق التماثل اللفظي مع اختلاف المعنى من غير تضاد. ويشترك الرماني (ت ٣٨٤هـ) في هذا الفهم للمطابقة، يقول ابن رشيقي: "وقال الرماني: المطابقة: مساواة المقدار في غير زيادة ولا نقصان"^(٥٤). ولكن ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ينظر إلى الطباق من مفهوم يختلف عن مفهوم الخليل للتطبيق ويشابه مفهوم الأصمعي، وذلك في قوله: "ومن المقلوب: أن يوصف الشيء بصد صفة للتطير والتفأول، كقولهم: للديغ: سليم، تطيراً من السُّقم، وتفأولاً بالسلامة"^(٥٥) نلاحظ من قوله أنه أدرك معنى التضاد الذي يقع بين الكلمتين اللديغ والسليم، وإن كان لا يشير إلى التطبيق بالمعنى الذي نفهمه من كلمتين متضادتين في جملة أو عبارة، فهو يعتمد على اللفظة الواحدة التي أطلقت لتشير إلى ضدها، وهو المعنى الذهني المرافق لها. ولاشك في أننا نلاحظ الاختلاف بين الأصمعي وابن قتيبة فالأول يعتمد على لفظتين مكتوبتين، والآخر على لفظة قصد مقلوبها الذهني.

ويأتي المبرد النحوي (ت ٢٨٥هـ) بعد ذلك ليشارك مع الأصمعي في فهمه للطباق على أساس التضاد في قول له يعلق فيه على بيتين لأبي عينية هما:

ما راح يوم على حمى ولا ابتكرا
إلا رأى غيره فيه أن اعتبراً

ولا أتت ساعة في الدهر فانصرفت حتى تؤثر في قوم لها أثرا^(٥٦)

يقول: "فانصرفت أشبه للمطابقة والمشهور انصرفت"^(٥٧). فهو يشير إلى أن الطباق يتم بين أتت وانصرفت. وهذا طباق لفظي كما نلاحظ، وكأنه قد فهم المطابقة فهم النحويين الآخرين له.

ويأتي ثعلب (ت ٢٩١هـ) أيضاً ليكشف عن معنى هذا المصطلح في صورة واضحة فنتعه بمجاورة الأضداد حيناً، وبالمطابق حيناً آخر، يقول في مجاورة الأضداد: "وهو ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده، كقوله تبارك وتعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾، وقال زهير:

هنيئاً لنعم السيدان وجدتماً على كل حال من سحيل ومبرم
السحيل ضد المبرم"^(٥٨). فالفعل (يموت) يجاور الفعل (يحيى) وهما لا يجتمعان على الحقيقة في شيء: وكذلك السحيل والمبرم فهما لا يجتمعان كذلك في الشيء الواحد. وقد أشار إلى المطابق في قوله: "وهو تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين، نحو قوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾، ﴿وترى الناس سكارى وما بسكارى﴾.

وقال طرفة:

"كريم يروى نفسه في حياته ستعلم إن متنا صدى أيننا الصدى"^(٥٩)
يبدو من النص أن المطابق لدى ثعلب هو أن تأتي بالشيء موجباً ثم تسلبه بالنفي أو ما يفيد النفي، كما في الآية الأولى (الموت/ وما هو بميت) والآية الثانية (سكارى وما هم بسكارى) وهذا نفي بما، وأما في بيت طرفة فإن كلمة صدى الأولى نفاها بالاستفهام (أيننا الصدى) فالشاعر أراد أن يقول: إن

أحدهما عطشان والآخر غير عطشان عندما يموتان. وهذا هو نفي اللفظ بعد إيجابه. ويبدو أن الدكتور عبد القادر حسين قد فهم هذا الباب عند ثعلب على غير ما فهمته، فهو يقول: "ويذكر المطابق وهو تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين، وثعلب في هذا الباب مضطرب أشد الاضطراب. إذ نراه يخلط فيه بين طباق السلب والجناس وملحق الجناس، ويعدها جميعاً من المطابق"^(٦٠). ولعل كلمتي الصدي هما اللتان جعلتهما يحكم هذا الحكم ولكني كما قلت سابقاً أرى أنهما من باب الإيجاب والسلب لا غير؛ لأن السياق يعطينا هذا المعنى.

ويروي ابن رشيقي أبياتاً اختارها الأخفش (ت ٣٥١هـ) للمطابقة، يقول: "وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الأسيدي:

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضاً ورد وجوههن البيض سودا
واختار قول طفيل:

بساهم الوجه لم تقطع أباجله يُصان وهو ليوم الروح مبذول"^(٦١)

نلاحظ مما تقدم أن اللغويين والنحويين المتقدمين قد استوت لديهم معاني التقابل والتطبيق إذ وصلوا إلى درجة استخدام البلاغيين لهذين المصطلحين كما سنرى في الصفحات القادمة من هذا الفصل.

وقد أشار أبو علي الفارس إلى التطبيق بمصطلح التكافؤ، نقله لنا علي ابن خلف الكاتب، يقول: "وقال أبو علي الفارسي: التكافؤ تطبيق معنوي ومثله بقول النبي صلى الله عليه وسلم "إذا أتى أحدكم شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى، فمن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد"^(٦٢) فكما نلاحظ

أن أبا علي قد قصد التطبيق بين (فليستتر) وبين (أبدى) ولكنه تطبيق بين الكلمة وما يضافها في المعنى، وذلك أن الاستتار ضدها في اللفظ الانكشاف. ويتحدث الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) أيضاً عن مفهوم الطباق، من خلال تعليقه على قول المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنتني وبياض الصبح يغري بي (٦٣)

يقول: "ولعله أمير شعره... وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد، وما أراه سبق إلى مثلها" (٦٤) فكما نلاحظ أن الطباق لديه هو الجمع بين المتضادين، وهذا يكشف عن اكتمال معنى المصطلح عند النحويين.

أما المصطلح الثاني الذي نتناوله عند اللغويين والنحاة المتقدمين، فهو مصطلح التماثل الذي ينتهي مفهومه لدينا إلى المشاكلة. ويبدو أن اللغويين قد تناولوا مفهوم التماثل من خلال مصطلحات مختلفة إلى أن استقروا على معنى المشاكلة، ولعل الفراء (ت ٢٠٧هـ) من أوائل اللغويين الذين تناولوا هذا المفهوم، يقول: "فإن قال قائل: رأيت قوله: "فلا عدوان إلا على الظالمين" أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله؛ ألا ترى أنه قال: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى، والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص. فلا يكون القصاص ظلماً. وإن كان لفظه واحداً. ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وليست من الله على مثل معناها من المسيء؛ لأنها جزء" (٦٥). إن الفراء هنا يفرق تماماً في المعنى بين الألفاظ المتجاورة الواردة في آيات القرآن العظيم، ويدرك أيضاً أن ما وقع بين هذه الألفاظ من التماثل في شكلها المكتوب لا ينسحب على

مضمونها، فمضمون كل لفظة يختلف عن الآخر، فمثلاً العدوان في الحقيقة هو ظلم، وأما ما جاء في الآية الكريمة، إنما هو مباح من الله سبحانه وتعالى ويعدّه قصاصاً. ويعلل ورود مثل هذا التماثل اللفظي بين مفردات الآيات الكريمة بأنه لفظ على مثل ما سبق قبله، فالتماثل لديه إذن هو اشتراك الكلمات الواردة في السياق باللفظ مع الاختلاف في المعنى، وشرط هذا الاشتراك هو المجاورة والمثلية البنائية.

ويستخدم ابن قتيبة بعد الفراء مصطلحاً آخر يعبر عن المفهوم الاصطلاحي للتماثل بطريقة مشابهة، يقول: "ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان: نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي يجازيهم جزاء الاستهزاء. وكذلك: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾. وهي من المبتدئ سيئة، ومن الله جل وعز، جزاء، وقوله: ﴿فَمَنْ أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاَعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: فالعدوان الأول: ظلم، والثاني: جزاء، والجزاء لا يكون ظملاً، وإن كان لفظه كلفظ الأول"^(٦٦). إن ابن قتيبة هنا يشترط معنى الجزاء في التماثل بين الكلمات المتماثلة بألفاظها، ولعل هذا الشرط يحدد بدقة تامة المراد بالتماثل، فالتماثل اللفظي في الأساس هو علاقة متبادلة بين طرفي التماثل يترتب على هذه المبادلة معنى الجزاء، ويتبع أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ابن قتيبة في هذا المفهوم في حديثه عن باب (المحاذاة)، يقول: "ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه، نحو "إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ"^(٦٧).

ويلتفت أبو علي الفارسي إلى مفهوم الجزاء للتماثل، كما روى علي ابن خلف الكاتب، يقول: "وقد حكى عن أبي علي الفارسي أيضاً أنه يرى أن التجنيس صنفان: لفظي، ومعنوي... والمعنوي أن يأتي في الأول كلام ويأتي في الثاني كلام يدل على أنه جواب له، وهذا يقع في الجزاء، كقوله تعالى:

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ أي جازوه بما يستحق على سبيل العدل^(٦٨). لا شك في أننا نفهم من هذه الزاوية أن أبا علي الفارسي قد اتخذ مصطلح الجزاء للتماثل، وإن كان قد أدخله في معنى التجنيس كما أشار علي بن خلف الكاتب، ولكن أبا علي الفارسي يستخدم في موضع آخر مصطلح المشاكلة للآية الكريمة التي ذكرت سابقاً، وهذا نجد في قوله: "فكذلك قوله: ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾ يكون على لفظ فاعل وإنه لم يكن الفعل إلا من واحد كما كان الأول كذلك. وإذا كانوا قد استجازوا لتشاكل الألفاظ وتشابهها أن يجروا على الثاني طلباً للتشاكل ما لا يصح في المعنى على الحقيقة فإن يلزم ذلك ويحافظ عليه فيما يصبح في المعنى أجدر وأولى: وذلك نحو قوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وفي الترتيل: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾.

والثاني قصاص وليس بعدوان، وكذلك ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾، وقوله:

﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ ونحو ذلك فإن يلزم التشاكل في اللفظ مع

صحة المعنى أولى^(٦٩). فالمشاكلة والتشابه لديه هما الأصل في التماثل الذي يتم

بين الكلمتين في اللفظ مع وجود اختلاف المعنى. ويرى الدكتور عبد القادر

حسين أن أبا علي الفارس هو من أوائل الذين استخدموا هذا المصطلح، يقول:
"وربما كان أول من أطلق عليه اسم المشاكلة أبو علي الفارسي العالم
النحوي"^(٧٠) ولا أحوال أن الدكتور عبد القادر جانب الصواب، وذلك أننا لم
نجد أحداً من اللغويين والنحاة قد سبقه إلى مثل هذا المصطلح.

نلاحظ مما تقدم أن اللغويين والنحويين قد أسهموا إسهاماً كبيراً في
الجانب البلاغي وقد أطلقوا مصطلحات مختلفة فهموا من خلالها التقابل
والتماثل. وقد أشار الدكتور عبد القادر حسين إلى أهمية النحاة في البحث
البلاغي، يقول: "ومن ثم يمكن القول بأن النحاة كان لهم أثر كبير في وضع
البنود الأولى لنشأة البديع، وذكر كثير من ألوانه... كما يمكن القول أيضاً إن
هذه الألوان البديعية التي ذكرت في كتب النحاة لم تكن مقصودة لذاتها في كثير
من الأحيان وإنما ذكرت استطراداً في مسائل نحوية أو تفسيرية"^(٧١). ولا شك
في أن إسهاماتهم قد جعلت للبلاغيين قاعدة ينطلقون منها في آرائهم وأفكارهم.
ويبدو لي أن الاستمرار في الحديث عن التقابل والتماثل عند النحاة
واللغويين بعد الثعالي سيكون بلا أهمية؛ لأن أصحاب الدراسات البلاغية قد
شاركوا اللغويين والنحاة وزادوا في معارفهم وفصلوا لدرجة أن النحويين قد
أفادوا من معارف البلاغيين، لهذا فإنني أرى أنه ليس من المناسب أن أستمر
بالحديث عن التقابل والتماثل عند اللغويين والنحاة حديثاً منفصلاً عن مفهومهما
عند أصحاب الدراسات البلاغية.

التقابل عند الفلاسفة:

لاشك في أن دائرة البحث عن مفهوم التقابل قد لا تكتمل إلا إذا تعرفنا إلى هذا المفهوم عند الفلاسفة، وذلك لما لهم من أثر في العقلية العربية لا سيما في العقلية الأدبية والنقدية^(٧٢). ولذلك آثرت أن أتحدث عن هذا المفهوم في هذه الدراسة.

إن التقابل عند الفلاسفة يشمل أربعة أنماط هي:

أولاً: تقابل السلب والإيجاب؛ كقولنا: زيد فرس، زيد ليس بفرس.

ثانياً: تقابل الضدين، كما في السواد والبياض.

ثالثاً: تقابل المتضايين؛ كقولنا: زيد أب لعمرو، وزيد ابن لعمرو.

رابعاً: تقابل العدم والملكة؛ كالعمى مع البصر^(٧٣).

نلاحظ أن القضايا التي طرحت في التقابل، عند الفلاسفة، تعتمد على الثنائيات التي لا تجتمع معاً في شيء واحد، فالسلب مقابل للإيجاب والضد يقابل الضد، والمتضايان يتقابلان والعمى يقابل البصر، وقد عرف ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) المتقابلين في قوله: "هما اللذان لا يجتمعان في موضوع واحد من جهة واحدة في زمان واحد معاً"^(٧٤). فالمتقابلان إذن لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد ولا شك في أن جعل ابن سينا الزمن الواحد شرطاً للتقابل شيء في غاية الأهمية؛ وذلك لأن العمى والبصر مثلاً قد يجتمعان في شيء واحد في زمنين مختلفين، وكذلك الشيء الأبيض قد يتحول من البياض في زمان ما إلى السواد في زمن آخر بفعل الظروف والأحوال، ولذلك فإن قضية الزمن مهمة في هذا التقابل. وقد أشار إليه كذلك عمر بن سهلان (ت ٤٥٠هـ) في قوله: "المتقابلان هما اللذان لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد"^(٧٥).

وحتى تكون المسائل المطروحة في التقابل مفهومة لدينا لا بد من الحديث عن كل طرف منها على حدة، فأبدأ بالسلب والإيجاب.

يقول ابن سينا: "فأول القضايا الحملي، وأوله الإيجاب لأنه مؤلف من منسوب إليه يسمى موضوعاً ومنسوب يسمى محمولاً على نسبة وجود، وأما السلب فإنه يحصل من منسوب إليه ومنسوب ورفع وجود النسبة"^(٧٦) ويقول ابن سهلان: "فالمراد به التقابل في القول بين الأمر الإثباتي والسلب كان ذلك إثباته في نفسه أو إثباته لشيء أو سلبه في نفسه أو سلبه عن غيره"^(٧٧) فالسلب إذن مقابل للإيجاب، ويتم التفريق بينهما بالنفي والإيجاب، فمثلاً قولنا: زيد فرس، زيد ليس بفرس هو من قبيل الإيجاب والسلب وذلك أن الموضوع واحد، وهو زيد، والمحمول واحد كذلك هو فرس، ولكن نسبة الفرسية في المثال الأول مثبتة لزيد (الموضوع) بينما الفرسية في المثال الثاني منفية عن الموضوع (زيد)، وقد اشترط ابن سينا تماثل الموضوع والمحمول في السلب والإيجاب. يقول: "والقضيتان المتقابلتان بالسلب والإيجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد في المعنى..."^(٧٨). فالأساس في الإيجاب إذن هو إثبات نسبة المحمول إلى الموضوع. وأما السلب فهو انتزاع نسبة المحمول عن الموضوع.

وقد تناول ابن سينا السلب والإيجاب من جانب آخر هو مدى الصلة بينهما، يقول: "فالسلب لا يتصور إلا أن يكون عارضاً على الإيجاب رافعاً له؛ لأنه عدمه، وأما الإيجاب فهو وجودي مستغن عن أن يعرف بالسلب فيكون السالب بعد الموجب، ولست أعني بهذا أن الإيجاب موجود في السلب، كما قال بعض المفسرين، فإن الإيجاب يستحيل أن يوجد مع السلب؛ بل الشيء الذي لو انفرد كان إيجاباً هو موجود في حد السلب، كما لو قال قائل إن البصر موجود في حد العمى، ليس معناه أن البصر موجود في العمى، بل معنى

هذا أن العمى لا يجد إلا بأن يذكر أنه عدم البصر، فيقرن البصر بالعدم، فيكون البصر أحد جزأي البيان، وإن كان ليس جزءاً من نفس العمى. كذلك نسبة الإيجاب المذكورة في نسبة السلب على أنها مرفوعة لا على أنها جزء من السلب أو داخل في السلب وجوداً، بل داخل في حد السلب... وإذا جعل الإيجاب موجوداً في السلب فإنما هو من حيث إن السلب إنما يرفعه فيوجد في السلب من حيث تركيب بينه وبين حرف السلب، كقولك: زيد ليس هو حياً، فإنه هو حي "هو الذي لولا حرف النفي كان إيجاباً على زيد، فجاء السلب فرفع هذه النسبة"^(٧٩). نفهم من هذا النص أن السلب تال للإيجاب، فالإيجاب يأتي أولاً بعد ذلك يأتي السلب، فالسلب طارئ على الإيجاب رافع له، وليس الإيجاب داخل في السلب أو جزءاً منه، وأن الإيجاب داخل في حد السلب وليس داخل في السلب نفسه، فإن كان داخل فيه، كما رأى بعض المفسرين على ما أورده ابن سينا، فإنما يكون من حيث إنه لو رفع حرف النفي لكان إيجاباً ويمثل بقوله: زيد ليس هو حياً، فإنه هو حي، فلو رفعنا ليس من الجملة الأولى لأصبحت جملة إيجاب، وهذا ما يعني به أن الإيجاب قد يدخل في السلب.

ويعرف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) الإيجاب والسلب في قوله: "هما أمران أحدهما عدم الآخر مطلقاً كالفرسية واللافرسية"^(٨٠). وهذا يعني أن الإيجاب سلبه عدم الذي لا يمكن أن يجتمع معه أو يتداخل فيه، فالإيجاب في المثال المطروح هو الفرسية، والسلب هو اللافرسية وهو عدم الإيجاب. وقد أدخل ابن سينا كذلك عدم والملكة في السلب والإيجاب، فقال: "والعدم والملكة هما الإيجاب والسلب مخصصين في الموضوع فإن الإنسان يكون أعمى أو يكون بصيراً، ومعناه أن الإنسان إما بصير وإما ليس بصيراً"^(٨١)، فالمملكة هي الإيجاب والعدم هو السلب، فقوله: إن الإنسان إما بصير يكون من جانب الإيجاب وقوله: وإما ليس بصيراً من جانب السلب؛ لأنه رفع للبصر أي الإيجاب.

وأما تقابل الضدين، فهو من المواضيع التي طرحها الفلاسفة. وقد تعددت آراؤهم فيها. وثمة جوانب ظهر فيها التضاد. منها قضية السلب والإيجاب في القول الكلي، يشير إلى هذا التقابل الفارابي (ت ٣٣٩هـ) في قوله: "وأعني بالمتضادين ها هنا، إما قولين يسلب أحدهما بالكل ما يوجه الآخر بالكل في موضوع واحد بعينه، وإما قولين يوجبان أمرين متضادين إيجاباً كلياً في موضوع واحد بعينه"^(٨٢). فالمتضادان يحدثن بين سالب وموجب لموضوع واحد أو بين موجبين لموضوع واحد، مثال الأول قولنا: محمد ليس مجتهداً في السلب. ففي المثال الأول إيجاب بالاجتهاد. والمثال الثاني هو سلب الاجتهاد، وهذا يقع في الكل من القول، وأما مثال الموجبين لموضوع واحد، فكقولنا: الثوب أبيض، والثوب أسود. الموضوع واحد هو الثوب، ولكن المحمول (المنسوب) في المثال الأول أبيض، وهو على ضد من المحمول في المثال الثاني وهو أسود، والقولان موجبان ليس فيهما سلب.

ويضيف ابن سينا لقضية السلب والإيجاب، من حيث التضاد، جانباً آخر هو الصدق والكذب. وينفذ من خلاهما إلى تقابل التضاد، يقول: "... ومثاله كقولك كل إنسان كاتب أي بالفعل ولا واحد من الناس بكاتب، فإن كليهما كاذبان، ولو كان قولنا كل إنسان كاتب سلبه الذي يبقى صدقاً عند كونه كاذباً هو ولا واحد من الناس بكاتب ليس يجب أن لا يكون قولنا: ولا واحد من الناس بكاتب، فإذاً ليس هذا مقابلة التناقض، بل هو مقابل له من حيث هو سالب لمحموله مقابلة أخرى. فلنسم هذه المقابلة تضاداً إذا كان المتقابلان بما لا يجتمعان البتة في الصدق ولكن قد يجتمعان في الكذب كالأضداد في أعيان الأمور. فإن الأضداد لا تجتمع معاً ولكن قد ترتفع معاً. على ما علمت"^(٨٣). فابن سينا يرى أن التضاد محكوم بالكذب فمثاله في هذا النص

كالإنسان كاتب فهذا يحتمل الكذب؛ لأننا لا نجد كل الناس يكتبون بالفعل، وهذا هو الإيجاب كطرف أول. وقوله (ولا واحد من الناس بكاتب) هو سلب للإيجاب إلا أنه يبقى في دائرة الكذب؛ لأننا نجد من الناس من هو كاتب بالفعل، ولذلك صار الكذب الأساس في التضاد القائم على الإيجاب والسلب. وقد أشار ابن سينا أيضاً إلى نقطة مهمة في التضاد وهي أن المتضادات لا تجتمع معاً كالأبيض والأسود، ولكنها قد ترفع معاً، كقولنا الثوب لا أسود ولا أبيض. ويضيف ابن سينا أيضاً إلى التضاد قضية أخرى هي التضايف، يقول: "المتضادان يلزمهما التضايف بسبب التنازع ويكون كل واحد منهما معقول الماهية بالقياس إلى الآخر بسبب التنازع، وصحيح أن يقال إنهما حيث هما متضادان متضايفان، وليس صحيحاً أن يقال من حيث هما متضايفان متضادان"^(٨٤). ويقول أيضاً: "لكل واحد من المضايف معنى في نفسه، ولكنه بالقياس إلى الآخر، وليس هو ذلك المعنى الذي للآخر، وهو بذلك المعنى الذي للآخر، وهو بذلك المعنى مضاف كالأب مثلاً فإن إضافته للأبوة التي فيه، والابن فإن إضافته للبنوة التي فيه، وليس هناك شيء واحد هو في كليهما ولا حالة موضوعة للمعنيين اللذين هما بمهما مضافان.. قولهم: إن الإضافة لا تتناهى فإن كل واحد من الإضافة إضافة أخرى كالأبوة مثلاً فلها علاقة مع الأب دون العلاقة التي لها بالقياس إلى الابن. هذا الشك ينحل بتجريد معنى الإضافة: كل واحد من المضايف معقول بالقياس إلى الآخر بسبب شيء غير نفسه بل هو مضاف لذاته. فليس هناك ذات ويبقى هو الإضافة، بل هناك مضاف لذاته لا بإضافة أخرى"^(٨٥). فالتضاد إذن يتبين ويتوضح إذا ما دخله التضايف، وذلك كالأبوة والبنوة فهما ضدان من جهة التضايف، ولا يعقل أحدهما إلا بإدراك الثاني، ويأتي هذا الإدراك بسبب معنى الإضافة التي فيه، فهو لا يقاس إلى غيره حتى يدرك أو يعقل بل يقاس لذاته.

ثمة جانب آخر يتصل بالتضاد هو الضدية التامة والضدية من جنس واحد. يقول ابن رشد (ت ٥٩٥هـ): "فأما الأضداد التي هي واحدة بالجنس وهي غير بالصورة، فهي الضدية التامة ولذلك لم يمكن فيهما أن يجتمعا في موضوع واحد. وكان كون أحدهما فساداً للآخر فهما متباعدان في الوجود غاية البعد، ولذلك ما قيل في حد الأضداد إنهما اللذان الموضوع لهما موضوع واحد، وهما متباعدان في الوجود غاية البعد؛ ومن هذا الذي أخذ في حدهما يظهر أنه ليس للضد إلا ضد واحد، وذلك أنه إن كان التام في جنسه هو الذي ليس يوجد شيء أبعد منه، لأنه متى وجد شيء آخر مضاد له فإما أن يكون أشد مضادة له في الوجود من الأول أو أنقص؛ فإن كان أنقص فحالته حال المتوسط بين الضدين وليس بطرف، وإن كان أشد فما فرض في نهاية التضاد ليس هو في نهايته بل هو متوسط، ولا يمكن أن يوجد شيئان في مرتبة واحدة من المضادة لشيء آخر، فإن غاية التباعد إنما توجد بين نهايتين اثنتين فقط هما في غاية البعد؛ ولهذا لا يمكن أن يقع بين نهايتين أكثر من خط واحد مستقيم" (٨٦).

يشير ابن رشد في هذا النص إلى قضية مهمة في التضاد، وهي أن الأضداد تنحدر من جنس واحد وتكون تامة، فمثلاً الأبيض والأسود يأتيان من جنس اللون، وهما من الأضداد التامة إذ لا توسط بينهما، ووجود أحدهما في الشيء فساد للآخر، فالضد التام في جنسه لا يوجد ما هو خارج عنه ولا فوقه بل هو واحد إذ ليس هنالك ما يوازيه بالمرتبة والمساواة في الضدية. ويضيف ابن رشد إلى ذلك الجانب من التضاد جانباً آخر يقع من جهة الاستعارة والتشبيه، يقول: "إن الأضداد بالحقيقة هي التي في جنس واحد. وقد يقال أضداد على جهة التشبيه هذه التي لا تجتمع معاً في موضوع واحد وإن كانت مختلفة بالجنس. وقد يقال أيضاً: أضداد على جهة الاستعارة لما كان من هذه لسبب. أو كان

بينهما نسبة مثل أنها فاعلة لها أو منفعلة عنها، وبالجمللة منسوبة إليها^(٨٧). فابن رشد هنا يرى أن التضاد قد يأتي على غير الحقيقة، وقد سماه بهذه التسمية على جهتي التشبيه والاستعارة.

وثمة جانب آخر للتضاد وهو من جهة الوجود والسلب. يقول محمد ابن علي الجرجاني: "الضدان صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضوع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض"^(٨٨). ويقول عمر بن سهلان: "هما الذاتان الوجوديان المتعاقبان على موضوع أو محل واحد وبينهما غاية الخلاف وذلك كالسواد والبياض والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة..."^(٨٩). فالتضاد على الحقيقة إذن هو الذي يقوم على الوجوديات، فالسواد والبياض والحرارة والبرودة هي موجودات، فكل منها موجود في الكون على حدة، فلا يجتمع الواحد منها مع ضده، وقد أشار ابن سهلان إلى أن الجمهور قد أدخل في التضاد مثل النور والظلمة وغيرهما والتي هي أعدام وليست وجوديات، وذلك أن الظلمة هي عدم النور فبذهاب النور تحل الظلمة. وقد جعلها الجمهور من الأضداد عندهم كل شيئين لا يجتمعان في موضوع واحد^(٩٠). وقد أشار إلى هذا الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) في قوله "والضدان في اصطلاح المتكلم عبارة عما لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة، وقد يكونان وجوديين كما في السواد والبياض، وقد يكون أحدهما سلباً وعدمياً كما في الوجود والعدم"^(٩١). فالضدان، إذن، قد يكونان وجوديين أو عدمياً ووجودياً.

وأما تقابل المتضايقين فقد أدركنا معناه عندما تحدثنا عن التضاييف في التضاد، كالأبوة والبنوة فإنهما من المتضايقين اللذين لا يدرك أحدهما إلا بالآخر، كما أشار إليه ابن سينا وقد سماه الآمدي بتقابل المتسابقين^(٩٢).

وأما تقابل العدم والملكة، فقد أشار إليه ابن سينا في قوله: "فأما العدم والملكة، فالحقيقي من العدم أن يكون الشيء معدوماً في الموضوع القابل لوجوده بطباعه من حيث هو كذلك، سواء كان المعدوم ما سميته ههنا ملكة أو شيئاً آخر، وسواء عاد أو لم يعد، وسواء كان قبل الموت أو بعده، أو فيه. ومنه ما هو أهم من ذلك، وهو عدم الشيء عما في طبيعة من طبائع الموضوع أن يقارنه؛ شخصية كانت تلك الطبيعة، أو نوعية؛ كالخرس الأصلي، أو جنسية كالأنوثة"^(٩٣). ويشير ابن سهلان إلى هذا المعنى، في قوله: "تقابل العدم والملكة فمنه مشهور ومنه حقيقي فأما المشهور من الملكة فليس مثل الإبصار بالفعل مثل القوة الأولى التي تقوى على أن يكون لها بصر بل أن تكون لها بصر بل أن تكون القوة على الإبصار متى شاء صاحبها موجودة والمشهور من العدم هو ارتفاع هذا المعنى عن المادة المتهيئة لقبوله في الوقت الذي من شأنها أن يكون لها من ارتفاع هذا التهيؤ مثل العمى للبصر والدرد^(*) للأسنان والصلع للشعر فإن العمى ليس عدم البصر فحسب فإن الجرو الذي لم يفتح عادم للبصر ولا يقال أعمى بل العمى عدم البصر في وقت إمكانه وهيئ الموضوع له مع ارتفاع التهيؤ فلا يعود البصر البتة فالملكة تستحيل إلى العدم أما العدم فلا يستحيل إلى الملكة وأما العدم الحقيقي فهو عدم كل معنى وجودي يكون ممكناً للشيء إما بحق جنسه أو نوعه أو شخصية قبل الوقت أو فيه أما الذي بحق جنسه فكل الأنوثة التي هي عدم الذكورة الممكنة لجنس الحيوان والفرديّة التي هي عدم الانقسام بمتساويين الممكن بجنس العدد وأما الذي بحق النوع فعدم اللحية للمرأة الممكنة لنوع الإنسان وأما الذي بحق الشخص فكالمرء وهو عدم في الوقت وكان انتشار الشعر بداء الثعلب وهو عدم في الوقت والعدم في الوقت

(*) الدرد: ذهاب الأسنان.

منه ما يزول كهذا ومنه ما لا يزول كالعمى، والسكون والظلمة والجهل والشر والفردية كلها أعدام حقيقية^(٩٤). نلاحظ من النصين أن ابن سهلان وابن سينا يتفقان على تعريف العدم الحقيقي، فهما يريان بأنه عدم كل معنى وجودي سواء أكان هذا العدم زائلاً بحيث يعود إلى الوجود أم غير زائل بحيث لا يعود إلى الوجود، فمثال الأول السكون، فهو يزول بالحركة ومثاله الشر والجهل وغير ذلك. ومثال الثاني العمى فهو لا يزول، إذ يأتي بعد الإبصار وهو الملكة. وينفرد ابن سهلان بالحديث عن المشهور من الملكة والعدم. فالمشهور من الملكة مثل القدرة على الإبصار متى شاء صاحبها. بحيث يكون الإبصار موجوداً عند الحاجة إليه. أما المشهور من العدم فهو على العكس من القدرة على الإبصار؛ ذلك أن الشخص لا يستطيع الإبصار إذا ما احتاج إليه عند العمى، فهو عدم دائم لا يزول.

بعد أن تحدثنا عن الأنماط الأربعة للتقابل لا بد من الحديث عن ثنائيات أخرى لها صلة بتلك الأنماط التقابلية، وأعني التناقض والتخالف. أما التناقض، فقد تحدث عنه الفلاسفة من جهتين: الأولى: تقابل الإيجاب والسلب في الحقيقة. والثانية: تقابلها في الصدق والكذب. أما الحقيقة، فإن الفارابي أشار إليها في قوله: "وأعني بالمتناقضين القولين اللذين هما في الحقيقة متناقضان"^(٩٥). ويقول ابن سينا: "ولما كان كل ما يوجبه موجب فغير متعذر أن يسلبه سالب، وما سلبه سالب فغير متعذر أن يوجبه موجب، سواء كان زمانياً أو غير زمانياً تبين أن لكل إيجاب سلباً يقابله، ولكل سلب إيجاباً يقابله. وهذا هو التناقض، وأعني أن يكون إيجاب وسلب متقابلين بالحقيقة، وإنما يكون هذا التقابل متقراً إذا كان المعنى في الإيجاب محصلاً من كل جهة، فيكون السلب قد تناول كل ذلك بعينه، أعني أن يكون الموضوع معنى واحداً، وكذلك المحمول، وأن يكون

الجزء الذي يتوجه إليه القصد في الموضوع أو المحمول محفوظاً بعينه^(٩٦)، فتقابل القولين يجب أن يكون في الحقيقة إذ يكون أحدهما موجباً والآخر سالباً مثل: زيد إنسان، وزيد ليس بإنسان. فالقول الأول إيجاب والثاني سلب، ويشترط ابن سينا أن يكون الموضوع في المعنى واحداً والمحمول كذلك سواء في الإيجاب أم في السلب كالمثالين فزيد في المثالين، وهو إنسان في المثالين أيضاً. ولكن المثال الثاني قد رفع المنسوب أو المحمول فأصبح القولان متناقضين من جهة الحقيقة.

وأما الصدق والكذب في التناقض، فقد أشار إليهما ابن سينا في قوله: "والقضيتان المتقابلتان بالتناقض هما اللتان تتقابلان بالإيجاب والسلب تقابلاً يجب عنه لذاته أن تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة، وإنما كذلك إذا تمت فيهما شرائط التقابل التي في المخصوصات وفي المحصورات زيادة أن تكون إحداها كلية والأخرى جزئية"^(٩٧).

ويقول ابن سهلان: "والتناقض نوع من التقابل الذي ذكرناه في الفن الثاني من المقالة الأولى وهو اختلاف قضيتين بالسلب والإيجاب بحيث يلزم عنه لذاته أن تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة وإنما تكونان كذلك إذا اتفقت القضيتان في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنى، واتفقتا في الكل والجزء والقوة والفعل والشرط والإضافة والزمان والمكان"^(٩٨). ويقول الآمدي: "وأما التناقض: فهو اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب على وجه يلزم من صدق إحداها لذاته كذب الأخرى، كقولنا زيد إنسان، وزيد ليس بإنسان. ولا بد في ذلك من اتحاد جهة الإيجاب والسلب، بأن يكون السلب من جهة ما لا يكون الإيجاب، وبالعكس"^(٩٩). فالتناقض، إذن، قائم على الصدق والكذب مع وجوب اتفاق الطرفين في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنى، كما في قوله: زيد إنسان، وزيد ليس بإنسان وهذا التوحد يجب أن يكون في كل جوانب الطرفين، سواء أكان في الكل أم في الجزء أم في الزمان أم في المكان وغير ذلك مما عدده الفلاسفة في هذه النصوص.

وأما الاختلاف فإن طبيعته تختلف عن التضاد والتناقض، يقول ابن سينا: "المخالف يخالف بشيء خارجه، والغير يغاير بالذات" (١٠٠). ويقول ابن رشد: "والخلاف يخالف الغير في أن الشيء يغاير بذاته ويخالف بشيء فيه، ولذلك يلزم أن يكون المخالف يخالف بشيء ويوافق بشيء" (١٠١). فكما نلاحظ أن المخالف إنما يخالف بشيء خارج عن ذاته، لا كما هو المغاير الذي يغاير بالذات. ولذلك يرى ابن رشد أن المتخالفات قد تختلف في بعض أجزائها، وتوافق في أجزائها الأخرى، ومن هنا نرى أن التخالف بطبيعته يختلف عن التضاد والتناقض القائمين على السلب والإيجاب حيناً، وعلى الكلية والتمام حيناً آخر كما رأينا فيما سبق.

مفهوم التضاد:

لقد أدر كنا مما تقدم في معاني التقابل في اللغة وعند الفلاسفة أن معنى التضاد في الأصل هو عدم اجتماع الضدين معاً في شيء واحد في زمان واحد، والواقع أن أصحاب الدراسات البلاغية لم يخرجوا كثيراً عن فهمهم للتضاد عن هذا المعنى (١٠٢)، ولعل من أبرز الذين تناولوا معنى التضاد في كتاباتهم أبا هلال العسكري، يقول: "المتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض" (١٠٣). ويأتي حديث أبي هلال عن التضاد في حديثه عن الفرق بين المختلف والمتضاد. ويتحدث السبكي (ت ٧٧٣هـ) عن معنى التضاد في شرحه للتلخيص، يقول: "والمراد بالمتضادين في الجملة أي سواء أكان التقابل من وجه ما أم من كل وجه سواء أكان التقابل حقيقياً أم اعتبارياً وسواء أكان بين وجودين كما هي حقيقة

التضاد أم بين وجودي وعدمي أو عديمين^(١٠٤). ويتحدث أيضاً السعد التفتازاني (ت ٧٩٣هـ) عن الطباق والتضاد، يقول: "أي يكون بينهما تقابل وتناف ولو في بعض الصور سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب أو تقابل العدم والملكة أو تقابل التضاد أو ما يشبه شيئاً من ذلك"^(١٠٥). ويقسم السجلماسي (توفي في القرن الثامن الهجري) أجناس الطباق حسب تقابلات الفلاسفة التي تتضمن تقابل التضاد، يقول: "إذ كان ينبغي أن ينقسم جنس المطابقة في البلاغة بحسب انقسام التقابل في النظريات إلى الأنواع الأربعة والتي هي: السلب والإيجاب والعدم والملكة، والمضاد، والأضداد"^(١٠٦). ويتحدث ابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠هـ) عن التضاد والتقابل في شرحه للتلخيص، يقول: "فالمراد بالتضاد والتقابل هنا أن يكون بين الشئين تناف وتقابل ولو في بعض الصور ومن المعلوم أن المتقابلين في بعض الصور إنما يكون التنافي بينهما باعتبار ذلك البعض عن الصور فلهذا نقول لبيان عموم التقابل سواء كان التقابل حقيقياً كتقابل القدم والحدوث أو اعتبارياً كتقابل الأحياء والإماتة فإنهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الصور وهو أن يتعلق الأحياء بحياة جرم في وقت الإماتة بإماتته في ذلك الوقت، وإلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما ولا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت وسواء كان التقابل الحقيقي تقابل التضاد كتقابل الحركة والسكون على الجرم الموجود بناء على أنهما وجوديان أو تقابل الإيجاب والسلب كتقابل مطلق الوجود وسلبه أو العدم والملكة كتقابل العمى والبصر والقدرة والعجز بناء على أن العجز نفي القدرة عن شأنه الاتصاف بالقدرة أو تقابل التضاد كتقابل الأبوة والبنوة"^(١٠٧).

لا شك في أن أولى الملاحظات على جميع هؤلاء المتقدمين أنهم قد تأثروا في تعريفهم للتضاد بالفلاسفة مع اختلاف عمق هذا التأثير من واحد لآخر، فالتضاد لديهم في الأساس هو عدم اجتماع الضدين في شيء واحد، فالانتفاء لأحدهما عند وجود الآخر شرط في معنى التضاد، وقد توسعوا في معنى التضاد بحيث استغرقوا معظم الجوانب التي جاء بها الفلاسفة. فالتضاد لديهم قد يكون من وجه واحد بين المتضادين أو من كل الوجوه، وقد يكون اعتبارياً كالقدم والحدوث وقد يكون حقيقياً كالحياة والموت، وقد يكون بين وجوديين كالحركة والسكون أو بين الإيجاب والسلب كتنقيب الوجود وسلبه، وقد يكون بين العدم والملكة، فالتضاد، إذن، عند هؤلاء قد استغرق جميع الجوانب التي يمكن النظر إليها بين الأشياء.

التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية:

أتحدث فيما يأتي عن مفهومي التقابل والتماثل عند البلاغيين وأبدأ حديثي عن مفهوم التقابل.

التقابل:

لقد قسم أصحاب الدراسات البلاغية التقابل أقساماً متعددة، وذلك من فترة متقدمة من تاريخ البلاغة العربية ابتداء من قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، وانتهاءً بالمتأخرين من مثل ابن عباس (ت ٩٦٣هـ)، وابن معصوم (ت ١١٢٠هـ). وقبل أن أتحدث عن طبيعة التقابل في مفهوم الطباق بشكل عام لدى البلاغيين، لابد من الكشف عن بعض المصطلحات المهمة التي حددها في دراساتهم حتى تكون طريقاً لنا للحديث عن الطباق ومفهومه لديهم.

إن أول هذه الأقسام كان طباق السلب والإيجاب وقد ذكره قدامة بن جعفر، في قوله: "والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضوع أي متقابلين إما من جهة المصادرة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل" (١٠٨)، ويشير الأمدي (ت ٣٧٠هـ) إلى قسم آخر وهو ما يقارب الضد في تعريفه للطباق في قوله: "وهو: مقابلة الحرف بضده أو ما يقارب الضد" (١٠٩) ولعله يعني بما يقارب الضد هو ما لا يقع بالتضاد في اللفظ وإنما في المعنى، وقد ذكر أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) هذا القسم وهو طباق المعنى (١١٠) الذي تحدثنا عنه في التقابل عند اللغويين والنحاة، ويشير أيضاً أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) من البلاغيين إلى هذا القسم، في قوله: "وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة، وذلك... كقول الخطيئة:

وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع
 والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب" (١١١). فكما نلاحظ من المثال أن التضاد قد وقع في المعنى لا في اللفظ، وذلك كما ذكر المديح ضد الهجاء لا الشتم، وثمة قسم آخر للطباق وهو المخالف. وقد ذكره ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) في قوله: "وقال زهير، وزعموا أنه لأوس بن حجر:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل
 لما وجدته خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد، وإن كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المبالغة والناس متفقون، أن جميع المخلوقات: مخالف وموافق، ومضاد، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة

وطرح الكلفة والمشقة^(١١٢). ويذكر هذا القسم أيضاً ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) بقوله: "فأما المخالف وهو الذي يقرب من التضاد، فكقول أبي تمام:

تردّي ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فإن الحمرة والخضر من المخالف، وبعض الناس يجعل هذا من المطابق^(١١٣)، وما أن يأتي ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) حتى يضع لنا قسماً واضح التفصيل في الطباق، وهو الطباق اللفظي والطباق المعنوي، وقد صرح بهذا التقسيم عندما تحدث عن المقابلة التي تساوي لديه المطابقة، كما رأينا في حديثه عن العلاقة بين التقابل والمطابقة، يقول: "فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراها فإنه ينقسم قسمين: أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ"^(١١٤). ولا شك في أنه يشير هنا إلى الطباق اللفظي والطباق المعنوي، وعندما جاء ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) وضع قسمين آخرين للطباق سماهما الطباق الحقيقي والطباق المجازي، وأضاف مصطلحاً جديداً وهو طباق الإيجاب، يقول: "الطباق على ضربين: حقيقي، ومجازي، وكل من الضربين على قسمين: لفظي ومعنوي، فما كان منه بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه اسم الطباق، وما كان بألفاظ المجاز أو بعضه سموه تكافؤاً"^(١١٥). ويتحدث عن الطباق الذي يختص بألفاظ الحقيقة بأن قسمه ثلاثة أقسام هي: "طباق سلب، وطباق إيجاب، وطباق ترديد"^(١١٦). فكما نلاحظ من تقسيمه هذا أنه جعل فروعاً متعددة للطباق اللفظي والمعنوي.

ما تقدم من النصوص يضع لنا تصور أصحاب الدراسات البلاغية عن التقسيمات العامة للطباق، ويمكننا أن نضع هذه التقسيمات في النقاط الآتية:

أولاً: تقابل التضاد، ينقسم إلى:

- التضاد اللفظي: حقيقي ومجازي.

- التضاد المعنوي.

ثانياً: تقابل السلب والإيجاب.

ثالثاً: تقابل التخالف.

لذا أتحدث عن كل منها مبيناً أبعادها البنائية كما فهمها البلاغيون القدماء وأبين طبيعتها التركيبية.

تقابل التضاد:

ينقسم تقابل التضاد عند أصحاب الدراسات البلاغية إلى التضاد اللفظي والتضاد المعنوي، وأبدأ الحديث عن التضاد اللفظي.

التضاد اللفظي:

أولاً- التضاد الحقيقي:

ظهرت قضيتان بارزتان عند أصحاب الدراسات البلاغية المتعلقة بالتضاد الحقيقي. وأولى هاتين القضيتين، هي- أن بعض الدارسين لم يضعوا شروطاً على التقابل بين المتضادات، فتحدثوا عنه من غير تحديد. ولعل ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) من أوائل هؤلاء، يقول: "قال الخليل رحمه الله يقال طابقت بين الشئيين إذا جمعتهما على حذو واحد وكذلك قال أبو سعيد فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب، وقال الله تعالى: ﴿ولكم في القصص حياة يا أولي الأبصار﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار: "إنكم لتكثرُونَ عند

الفرع وتقلون عند الطمع وهذا مثل الأول"^(١١٧). إن المثالين الواردين في هذا النص يوضحان رؤية ابن المعتز للطباق، فهو يشير إلى أن الآية الكريمة قد طبقت بين (القصاص) الذي يعني الموت وبين (الحياة)، وهذا داخل في الطباق المعنوي، وسناقش هذا الجانب في مكانه. وأشار أيضاً إلى (تكثرون) و(تقلون) في الحديث الشريف. لاشك في أن الطباق لديه يعني التضاد بدليل ما جاء به في المثالين (فالقصاص) ضد (للحياة) و(تكثرون) ضد (لتقلون)، ولكنه لم يتحدث عن شروط تقابل الضدين كما نرى، ويفصح الآمدي (٣٧٠هـ) عن حقيقة الطباق في قوله: "ورأى الطائي الطباق في أشعار العرب؛ وهو أكثر وأوجد في كلامها من التحنيس، وهو مقابلة الحرف بضده... فهذا حقيقة الطباق، إنما هو مقابلة الشيء لمثله هو على قدره، فسموا المتضادين - إذا تقابلا - مطابقين؛ ومنه قول زهير:

ليثٌ بعثرٌ يصطاد الرجال إذا ما الليث كذبَ عن أقرانه صدقا
فطابق بين قوله "كذب" وبين قوله "صدقا" وقول طفيل الغنوي
يصف فرساً:

يُصان وهو ليوم الرّوع مبدول

فطابق بين قوله "يُصان" وبين قوله "مبدول"^(١١٨)، ويشير العسكري (ت٣٩٥هـ) إلى هذا المعنى في قوله: "وقد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد... والليل والنهار... والحر والبرد"^(١١٩) ويقول الباقلاني (ت٤٠٣هـ): "ويرون من البديع أيضاً ما يسمونه "المطابقة وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده: كالليل والنهار، والسواد والبياض"^(١٢٠)، والذي يتابع الدارسين القدماء والمتأخرين

للبديع سيجد أن هؤلاء قد اتفقوا بشكل عام على أن الطباق في الأصل يعتمد على التضاد اللفظي في الصورة التي رأيناها في النصوص السابقة، علاوة على أنهم لم يضعوا شروطاً لهذا التضاد^(١٢١).

لا شك في أن النصوص التي ذكرتها هنا تعد من النماذج التي يعبر فيها أصحابها عن رؤيتهم للتضاد الحقيقي في الطباق. فكما رأينا أن ابن المعتز قد رأى في (تكثرون) ضداً لـ (لتقلون) فلو نظرنا إلى هذا المثال مثلاً لوجدنا الملاحظتين الآتيتين:

أولاً- إن التضاد بين الكلمتين قائم على اللفظ والمعنى.

ثانياً- إن التضاد بينهما قائم بين فعلين.

ولو انتقلنا إلى أمثلة الآمدي لوجدنا الملاحظات الآتية:

أولاً- إن التضاد في قول زهير بين كذب وصدق قائم على اللفظ والمعنى.

ثانياً- إن التضاد بين كذب وصدق قائم بين فعلين.

ثالثاً- إن التضاد في قول الغنوي بين يسان ومبذول قائم على اللفظ والمعنى.

رابعاً- إن التضاد بين يسان ومبذول قائم بين فعل واسم.

فمن الملاحظات التي أمامنا على الأمثلة التي طرحها ابن المعتز والآمدي يتبين لنا بأنهما لم يضعوا شروطاً للمتضادين إذ أجازا أن يكون التقابل بين الفعل والفعل، وبين الاسم والفعل.

وأما القضية الثانية التي طرحها الدارسون الآخرون، فهي التضاد المشروط، وليس ثمة فرق كبير بين أصحاب هذا التصور وأصحاب التصور الأول، إلا أن هؤلاء قد وضعوا شرط مراعاة التقابل بين الأسماء أو الأفعال أو الحروف في التضاد اللفظي. ويدخل مع هؤلاء من تنبهوا إلى هذه الشروط ولكنهم أجازوا اختلاف نوع المتقابلين. فمن الذين شرطوا مراعاة التقابل علي ابن خلف الكاتب (توفي في منتصف القرن الخامس الهجري) يتحدث عن علماء

البديع في قوله: "متفقون على أن المطابقة ذكر الشيء وضده. وسبيل المطابقة أن يبنى على التطابق والتوازن، فلا يطابق اسم مع فعل ولا فعل مع اسم، وأن تطابق الأسماء بالأسماء والأفعال بالأفعال، فإن ذلك أذهب في الصنعة" (١٢٢).

ولا شك في أن هذا الإفصاح عن مراعاة التقابل أو عدم اشتراطها لا يضيف إلى طبيعة بناء تقابل التضاد شيئاً، وإنما هي محاولة لوضع قواعد أو تقنين له، وإذا ما رجعنا قليلاً إلى التضاد غير المشروط وأمثله عند المتقدمين، لرأينا أنهم لم يختلفوا عن هؤلاء في فهمهم للتضاد مع فارق اشتراط مراعاة التقابل، إذ أورد ابن المعتز أمثلة للتضاد كانت مراعاة التقابل متوفرة فيها دون أن يذكر الشروط، وأما الآمدي فلم يلتفت إلى هذا الجانب بحيث استشهد بالمثل الذي طابق به الغنوي بين الفعل (يضان) والاسم (مبذول) دون أن يذكر مراعاة التقابل بين الفعلين في قول زهير (كذب وصدق) وبين الفعل والاسم عند الغنوي.

وقبل أن نتجاوز هذه القضية يجدر بنا أن نكشف عن الطبيعة التركيبية لتقابل التضاد الحقيقي عند أصحاب الدراسات البلاغية، وذلك من خلال الأمثلة التي طرحها هؤلاء الدارسون في دراساتهم.

لنأخذ مثلاً المتضادين (تكثرون) و(تقلون) اللذين وردا في الحديث النبوي الشريف في مقولة ابن المعتز، حتى نرى كيف يجري التضاد والتقابل بينهما، لاشك في أن ذكر (تكثرون) يولد في الذاكرة معنى مضاداً وهو تقلون، فما أن يقرأ الإنسان (تكثرون) حتى ترد إلى ذهنه كلمة تقلون. وقد سمى الدكتور شوقي ضيف هذا النوع من التقابل طباق الذاكرة، وذلك عند حديثه عن الطباق عند البحتري، يقول: "فطباقه ليس فيه فلسفة وليس فيه عمق وليس فيه تفكير بعيد؛ هو طباق ساذج لا صعوبة فيه ولا تعقيد، هو طباق "الذاكرة"،

إن صح هذا التعبير، فهو يذكر الوصل فيأتي الهجر، وهو يذكر الذل فيأتي الكبر، وهو يذكر السهل فيأتي الوعر"^(١٢٣). ويناقش الدكتور محمد عبد المطلب الطباقي في "البديع والتكرار" من خلال حركة الذهن مشيراً إلى طبيعة التضاد وما يجري في الذاكرة، يقول: "والانتقال إلى الحركة الباطنية للطباقي والمقابلة يؤدي إلى الرصد الآتي:

	أبيض	أبيض	
غياب			حضور
	أسود	أسود	

فحضور النقيض يستعدي حضور نقيضه غياباً، مما يعطي للتقابل طبيعة تكرارية مزدوجة من خلال حركة الذهن بين المتناقضين"^(١٢٤).

ولكن كيف يحدث تقابل التضاد في الجملة على مستوى الذهن أو الذاكرة؟ يمكننا أن نستمر مع التمثيل بالحديث النبوي الشريف لتبيان هذا النمط الأسلوبي من البديع، فقوله صلى الله عليه وسلم (تكثرون عند الفزع) هذا الطرف يتقابل أفقياً مع الطرف الثاني وهو (تقلون عند الطمع)، ومن هنا يصبح تقابل التضاد على مستوى الجملة. كما هو مبين في الرسم التمثيلي الآتي:

(١) تكثرون ↔ (٢) تقلون

فتكثرون وتقلون ضدان يقعان في إطار الحضور الذهني كما هو في الحديث النبوي، ويمكننا أن نتقل بعد هذا لنبين كيفية حدوث التقابل الذهني الذي يتمثل في إطار الغياب الذهني للمتضادين، ويمكن أن نبين هذا في الرسم الآتي:



فقراءة تكثر تولد ضدًا ذهنيًا هو تقلون، كما في رقم ثلاثة، وقراءة تقلون تولد ضدًا ذهنيًا هو تكثر كما في رقم أربعة، هنا تنتقل صيغة التقابل من التقابل الظاهر إلى التقابل بين الظاهر وما في الذهن، وإلى العلاقة العمودية فتكثر في الرقم الأول تتقابل ضدًا مع تقلون في الرقم الثالث، كما في الرسم، وتقلون في الرقم الثاني تتقابل مع تكثر في الرقم الرابع، كما هو في الرسم أيضاً، وعندما ننظر إلى التقابلات الحاضرة في الجملة والغائبة في الذهن نلاحظ نشوء تقابل جديد وهو التقابل على المستوى الذهني بين تقلون وتكثر، وبإحداث التقابل الأفقي الجديد بين المتضادين الذهنيين تنتهي إحداثيات تقابلات جديدة فيصبح التقابل في المقروء وفي الذهن، بحيث يتكرر التقابل المقروء مرتين والتقابل الذهني مرتين، ولا مجال لزيادة هذا العدد من التقابل أو إنقاصه ما دام الأصل في الجملة يقوم على متضادين حقيقيين.

فالتضاد الحقيقي في الطباق، إذن، عند البلاغيين ينتهي بأربعة متقابلات ضدية ليس أكثر، ومن هنا يمكننا النظر في الطباق عندهم كتقابل ظاهر وذهني يجري بين المكتوب (العبرة) وبين الذهن أو الذاكرة. ولذلك لم يجد البلاغيون طرفاً ثالثاً لطرفي التضاد، فليس ثمة ما هو متوسط بين تكثر وتقلون، وبين أسود وأبيض، وبين ليل ونهار، وإنما هي أطراف متقابلة لا تتداخل بينها ولا توسط بكلمة أخرى، فالتضاد طرفان متقابلان لا يجتمعان إذا اتحدت الجهة، وأما إذا اختلفت الجهات، فإنه لا يجوز أن يجتمعا، ويمكننا أن نسمي هذا التضاد بالتضاد الانعكاسي لوجهي الظاهر (المكتوب) والذهن، حيث يخرج الذهن صورة تقابل التضاد اللفظي ماثلة للصورة المرسومة في العبارة المقروءة.

ثانياً_ التضاد المجازي:

بعد أن تحدثنا عن التضاد الحقيقي للألفاظ، نأتي للحديث عن التضاد المجازي، لنرى كيف فهم الدارسون البلاغيون هذا الجانب من التقابل؟ وما هي الطبيعة التركيبية له؟

حاول ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) أن يضع تعريفاً للتضاد المجازي، في قوله: "الطباق على ضربين: حقيقي، ومجازي... فما كان منه بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه اسم الطباق، وما كان كله بألفاظ المجاز أو بعضه سموه تكافؤاً، بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد، فإن كان الضدان أو الأضداد لموصوفين، والألفاظ حقيقية فهو الطباق، فمن أمثلة التكافؤ قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾^(١٢٥) ويقول في مكان آخر: "فلا بد أن يأتي الكلام المتضمن التكافؤ استعارة، فإن لم تكن فيه استعارة فلا تكافؤ"^(١٢٦). وقد نظر إلى التضاد المجازي من زاوية أخرى، يقول: "وقد جاء للطباق قسم غير ما تقدم ذكره، وهو ائتلاف الطباق والتكافؤ في كلام واحد، ليجيء أحد الضدين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً، كقوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾^(١٢٧) فالتضاد المجازي، إذن، لديه نوعان: الأول ما كان الطرفان فيه مجازين وقد سماه التكافؤ^(١٢٨)، والثاني ما كان أحد الطرفين مجازياً والآخر حقيقياً، وقد سماه ائتلاف الطباق والتكافؤ. وقد تابع شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) ابن أبي الإصبع في هذا النوع من التضاد، إلا أنه أنكر عليه جانباً منه، يقول: "وقال الزكي ابن أبي الإصبع المصري في الطباق: وهو على ضربين ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة وضرب يأتي بألفاظ المجاز.

فما كان بلفظ الحقيقة سمي طباقاً وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤاً
فمثال التكافؤ قول أبي الشغب العبسي من إنشادات قدامة:

حلو الشمائل وهو مرّ باسل يحمي الذمار صبيحة الإرهاق
وقد جمع بيت دعبل بين الطباق والتكافؤ وهو:

لا تعجي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
لأن ضحك المشيب مجاز وبكاء الشاعر حقيقة هكذا قال ابن أبي
الإصبع المصري وفيه نظر. لأنه إذا كان الطباق عنده هو التضاد من حقيقيين
والتكافؤ التضاد من مجازين فليس في البيت ما شرطه^(١٢٩) ولا شك في أن
شهاب الدين قد فاته ما سماه ابن أبي الإصبع بئاتلاف الطباق والتكافؤ، ويتابع
شهاب الدين التويري (ت ٧٣٣هـ) ابن أبي الإصبع في إطلاق مصطلح
التكافؤ على المجازين المتضادين^(١٣٠)، وأما جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ)
فيضع لنا مصطلحاً آخر لما أسماه ابن أبي الإصبع بئاتلاف الطباق والتكافؤ وهو
إيهام التضاد، يقول: "ويلحق به.. نحو: أشداء على الكفار رحماء بينهم، فإن
الرحمة مسببة من اللين، ونحو قوله:

لا تعجي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

ويسمي الثاني إيهام التضاد"^(١٣١). ولا شك في أنه يشير إلى البيت
الشعري في قوله إيهام التضاد. ويجري مع القزويني شارح التلخيص بهاء الدين
السبكي (ت ٧٧٣هـ) فيُقرّ المصطلح والمثال الشعري^(١٣٢).

يبدو أن أصحاب الدراسات البلاغية متفقون على أن التضاد المجازي
بين الألفاظ مختلف عن التضاد الحقيقي، ولا يهم هنا أي المصطلحين التكافؤ أم
إيهام التضاد أنسب.

لابد لنا هنا من متابعة مفهوم البلاغيين للطبيعة التركيبية للتضاد المجازي سواء أكان مركباً من طرفين مجازيين أم من طرف حقيقي وآخر مجازي، فلنبداً بالطرفين المجازيين، ولنأخذ قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾^(١٣٣). هذه الآية أتى بها ابن أبي الإصبع المصري شاهداً على التكافؤ الذي يعني لديه تضاد المجازين، ويعلق عليها في قوله: "فإن اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز، هذا إن كان أصل الضلالة إخطاء الطريق المحسوس الحقيقي خاصة، ولم يكن عاماً في إخطاء كل طريق مستقيم حقيقي أو مجازي، ويكون الهدى إصابة الطريق المحسوس الحقيقي"^(١٣٤). فالضلالة بمعناها هنا، الانحراف عن الطريق المستقيم، وهو طريق الإسلام، والهدى يعني، هنا، اتباع طريق الإسلام. ويأتي المجاز في الآية من رابط الضدين وهو (اشترؤا) (فالضلالة والهدى) يشتريان. فالمعنى المراد إذن هو ما تعنيه هاتان الكلمتان. ولا شك في أن قضية التذكر أو الخاطر الذهني في هذا النوع من التضاد تصبح هامشية أو لا أهمية لها؛ وذلك أن الجملة قد شغلت الذهن بالمعنى المجازي. فنحن عندما نقرأ الآية يشغلنا وضع الجملة (اشترؤا) حتى نتبين المعاني المرادة منها، فالجهاز يلغي قضية توارد الأضداد في الذهن وإن كانت واردة. ولكن كما قلت فهي هامشية لا تشكل بعداً بنائياً رئيساً في الجملة كما كان في تقابل التضاد الحقيقي.

وحتى تكون الطبيعة التركيبية واضحة لهذا التضاد، نبين كيفية التقابل في هذه الآية. إن الأساس الأول في التقابل هو بين الكلمتين (الضلالة) و(الهدى) ولا شك في أن ما دل على المجاز هنا مهم في تحديد نوعية التركيب، فـ (الضلالة) ترتبط بـ (الهدى) عن طريق القرينة (اشترؤا)، فالقاعدة الأساسية في التقابل هنا قائمة على التقابل المكتوب الذي ظهر على مستوى

الجملة. ولكن ما ترابطات هذين الضدين في المجاز؟ إن (الضلالة) في هذا المجاز مع ربطها بالفعل (اشترؤا) تشير إلى معنى الخسارة في التجارة، و(الهدى) في المستوى نفسه يشير إلى معنى الربح في التجارة، فتصبح (الضلالة) مقابلة للخسارة، و(الهدى) مقابلاً للربح، لا شك في أن هذا التقابل يعطينا نتائج جديدة في طبيعة التركيب، وذلك أن الخسارة (الضلالة) في معناها المجازي والربح (الهدى) في معناه المجازي تتقابلان في صورة المماثلة للتقابل المكتوب على مستوى الجملة (الضلالة/ الهدى)، فالعنى المراد من المجاز إذن يتشكل في المستوى نفسه لأصله في العبارة. ولا تتوقف سلسلة التقابل إلى هذا الحد بل تستمر بالتوالد وذلك أن (الضلالة) التي أصبحت تعني الخسارة تتقابل مع كلمة الربح التي تعني في الأصل الهدى وأن (الهدى) الذي يعني الربح يتقابل مع الخسارة التي تعني في الأصل الضلالة، فينتج لدينا نوع جديد من التقابل وهو التقابل بين المكتوب والمجاز، في هذه الصورة يصبح التضاد بين المجازين يتشكل تقابلاً متداخلاً بين (الضلالة/ الربح)، وبين (الهدى/ الخسارة).

وحتى تتضح الصورة في تقابل المجاز لا بد من الانتقال إلى الحديث عن الطبيعة التركيبية بين المتضادين الذي يكون أحدهما حقيقياً والآخر مجازياً، ولنأخذ بيت دعبل:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى^(١٣٥)

وهو بيت أتى به كثير من أصحاب الدراسات البلاغية، كما رأينا فيما سبق من النصوص.

إن التقابل على المستوى الظاهري للبيت بين ضحك المجازي وبكى الحقيقي، ولكن من الملاحظ هنا أن الرابط بين الضدين يتشكل في طرفين، هما:

المشيب والرجل، على خلاف ما كان في الضدين المجازين كما كان في الآية الكريمة، والمعنى الذي يتولد من الفعل ضحك يشي بالسرور؛ لأن الضحك حقيقة السرور. ولذلك يمكن أن نجعل السرور ممثلاً لبروز الشيب في رأس هذا الرجل. فالشيب كأنه الإنسان الذي يضحك كاشفاً عن أسنانه البيضاء اللامعة التي يشبهها الشيب تماماً، فالتعبير إذن ينتج دلالة السرور بالنسبة للشيب، ولكن بالمقابل فإن البكاء ينتج دلالة الحزن للرجل. من هنا تصبح كلمة (ضحك) مقابلة للسرور، وكلمة (بكى) مقابلة للحزن. ونلاحظ هنا أن ثمة تقابلاً آخر ينشأ بين السرور والحزن، على المستوى المجازي والمرادف للطرف الحقيقي، وذلك أن السرور (الضحك في معناه المجازي) يقابل الحزن (البكاء في مرادفه)، فمعطيات المجاز والحقيقة إذن تشكل تقابلاً مماثلاً للتقابل الأصلي في مستوى العبارة. وهذا الوضع في تركيب الجملة يعطينا تقابلاً آخر وهو التقابل التداخلي إذ يتضاد الضحك مع الحزن، ويتضاد البكاء مع السرور. ولا شك في أن الطبيعة التركيبية للضدين المجازي والحقيقي تماثل مع الطبيعة التركيبية للضدين المجازين كما نرى.

ولو حاولنا أن نقارن بين طبيعة التركيب البنائي للتقابل اللفظي الحقيقي والمجازي لوجدنا ثمة فرقاً رابعاً بينهما. إذ كان التركيب في التضاد الحقيقي قائماً على التقابل الظاهري على مستوى العبارة، والذهني على مستوى الذاكرة، كما رأينا، في حين إن التقابل في التضاد المجازي على العموم كان قائماً على التقابل الظاهري المتداخل. ولا شك في أن أصحاب الدراسات البلاغية كانوا على حق عندما جعلوا للتضاد الحقيقي مصطلحاً يختلف عن التضاد المجازي، ولعلمهم أدركوا الفارق الأساسي بين القسمين، وهو أن التضاد الحقيقي في الأصل قائم على الضدين قبل دخولهما الجملة في حين أن التضاد

المجازي قائم داخل الجملة بما يعطيه من معاني مرادفة أو مجازية فاعتمدوا السياق لتلمس الفارق الأساسي بين القسمين. ولعل ما بينته من طبيعة التركيب هنا يسهم في توضيح هذه الفوارق، ويجدر بنا هنا أن نسجل ملاحظة للدكتور عز الدين إسماعيل على شكلية التقابل عند البلاغيين، وذلك في تعليقه على بيت للمتنبى، يقول فيه:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأثنى وبياض الصبح يغري بي
وكان قد علق الثعالي على هذا البيت كما عرفنا في التقابل عند اللغويين، يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: "مع أن التطابق يلحظ ما بين معنى الكلمة ومعنى مقابلتها من تضاد فإن علاقة التضاد هنا كما رصدها الثعالي علاقة شكلية. مثلها يستدعي النقيض نقيضه في أي تداع حر"^(١٣٦). وذلك أن ما ينطبق على نظرة الثعالي ينطبق على نظرة الذين تناولوا التقابل اللفظي، فالشكل كان المطلب الأساسي لديهم.

التضاد المعنوي:

يبدو أن الذين اهتموا بالدراسات البلاغية من المتقدمين لم يكونوا يميزون التضاد اللفظي من التضاد المعنوي، وذلك أننا نجد ابن المعتز في حديثه عن الطباق يأتي بالنعين تحت المطابقة دون تقسيم^(١٣٧).

ولكننا نجد العسكري (ت ٣٩٥هـ) يميز بينهما في قوله: "وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك كقول الخطيئة:

وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب^(١٣٨). فقوله على وجه التقريب يشير به إلى الطباق الذي لا يقوم على التضاد اللفظي، ويوضح هذا بقول الخطيئة، إذ طابق بين الشتم والمديح، والشتم هو الهجاء إذ جاء به ليقابله بالمديح، ولاشك في أننا من هنا نستطيع أن نتلمس مفهوم التضاد المعنوي بوضوح، وإذا ما تابعت الدراسات البلاغية فإننا نجد أصحابها قد أشاروا إلى هذا المفهوم في مصطلحات متعددة، فابن سنان الخفاجي يشير إلى التضاد المعنوي بما يقارب الضد وبالمطابق غير المحض، يقول: "أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد... ومما يستحسن من المطابق... قول أبي الطيب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأثنى وبياض الصبح يغري بي
فهذا البيت مع بعده من التكلف كل لفظة من ألفاظه مقابلة بلفظة هي لها من طريق المعنى بمرتلة الضد: فأزورهم وأثنى، وسواد وبياض، والليل والصبح، ويشفع، ويغري، ولي وبى، وأصحاب صناعة الشعر لا يجعلون الليل والصبح ضدّين، بل يجعلون ضدّ الليل النهار لأهمّ يراعون في المضادة استعمال الألفاظ، وأكثر ما يقال الليل والنهار، ولا يقال الليل والصبح، وبعضهم يقول في مثل هذا- مطابق محض ومطابق غير محض- فالليل والصبح عنده من بيت المتنبي طباق غير محض"^(١٣٩). ويأتي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) ليشير إلى هذا المفهوم بما يقوم مقام الضد، يقول: "فالطباق: أن يأتي الشاعر بالمعنى وضده، أو ما يقوم مقام الضد.. وكقول أبي تمام:

مها الوحش، إلا أن هاتا أوانس قنا الخط، إلا أن تلك ذوابل

فطابق بـ "هاتا" و"تلك" وأحدهما للحاضر والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى، وبمثلة الضدين^(١٤٠). فالطابق بين هاتا وتلك متأت من معناهما المتضادين وهما الحاضر والغائب، ويتابع أبو طاهر البغدادي (ت ٥١٧ هـ) هذا المصطلح أيضاً^(١٤١). ويبدو أن أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) أدخل في هذا النوع من التضاد ما أشار إليه بأخفى تطبيق في القرآن، يقول: "وأخفى تطبيق في القرآن في قوله سبحانه: مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً"^(١٤٢)، وذلك أن (أغرقوا) متأتية من جهة الماء و(أدخلوا) ارتبطت بالنار فكان الطابق معنوياً بين الماء والنار، وعندما جاء ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) أشار إلى هذا المفهوم في باب المقابلة في شكل واضح، يقول: "وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فما جاء فيه قول المقنع الكغددي^{*} من شعراء الحماسة:

لهم جُلّ مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهم رفا
فقوله تتابع لي غنى بمعنى قوله كثر مالي، فهذا إذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد وقل وكثر، فإن القيام ضد القعود، والحل ضد العقد، والقليل ضد الكثير، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة معنوية لا لفظية، فاعرف ذلك"^(١٤٣). لا شك في أن قول ابن الأثير يختلف بعض الشيء عما تقدم من أقوال الدارسين إذ اعتمد هؤلاء التضاد بين المفردات لا التراكيب، في حين أن ابن الأثير رأى التضاد المعنوي بين التراكيب، إذ رأى التضاد المعنوي بين (تتابع لي غنى) وبين (قل مالي). ويتابع ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) ابن الأثير في هذا

* كذا في المثل السائر، ولعل الرواية الصحيحة الكندي، أنظر: الحماسة البصرية تصحيح

مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤، ج ٢، ص ٣١.

النهج، يقول: "وقد يقع في الطباق ما هو معنوي، كقوله تعالى: ﴿إِن أْتَمَّ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ﴿﴾. معناه يعلم إنا الصادقون، والله أعلم" (١٤٤). إلا أن الفرق بين ابن الأثير والمصري، أن الأول طابق بين تركيبين، والثاني طابق بين مفردة (تكذبون) وتركيب (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون). ويتابع يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٢٩هـ) على ما يبدو ابن الأثير في هذا المفهوم إذا رأى أن ثمة قسماً يقابل الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه (١٤٥). ويكاد لا يخرج أصحاب الدراسات البلاغية عن المصطلحات السابقة في المفهوم نفسه للتضاد المعنوي، فحازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) يطلق عليه المطابقة غير المحضة (١٤٦). أو المطابقة بغير اللفظ الصريح (١٤٧)، ويطلق عليها محمد بن علي الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) المطابقة الخفية (١٤٨)، ويسمئها القزويني بالطباق الظاهر، ويأتي بالمثال الذي أتى به القرطاجني وهو الآية الكريمة: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَاراً﴾ (١٤٩) ويأتي ابن قيم الجوزية، ليضع مصطلح الطباق المعنوي في مفهوم مشروط للتضاد المعنوي بوضوح وإن أدخل معه النفي، يقول: "وأما المعنوي فعلى قسمين الأول أن يزوج بين معنيين في الشرط والجزاء... والثاني في النفي" (١٥٠) وينعت الزركشي (ت ٧٩٤هـ) هذا المفهوم بالمعنوي (١٥١). والذي يتابع أصحاب الدراسات البلاغية للتضاد المعنوي يجدهم يدورون في فلك هذه المصطلحات (١٥٢).

لا شك في أن مفهوم تقابل التضاد المعنوي عند أصحاب الدراسات البلاغية يختلف اختلافاً بيناً عن تقابل التضاد اللفظي. ويبدو أن الأمثلة التي أتى بها هؤلاء الدارسون تسمح لنا بالملاحظات الآتية:

أولاً - إن التضاد المعنوي يتم بين المفردات، مثل: القصاص/ والحياة، وهاتان/ وتلك، والصبح/ والليل.

ثانياً - إن التضاد المعنوي يتم بين تركيبين، مثل: تتابع لي غنى/ وقل مالي، وأغرقوا/ وأدخلوا ناراً.

ولا بد لنا من تلمس الفوارق في الطبيعة التركيبية بين تقابل التضاد المعنوي، وتقابل التضاد اللفظي.

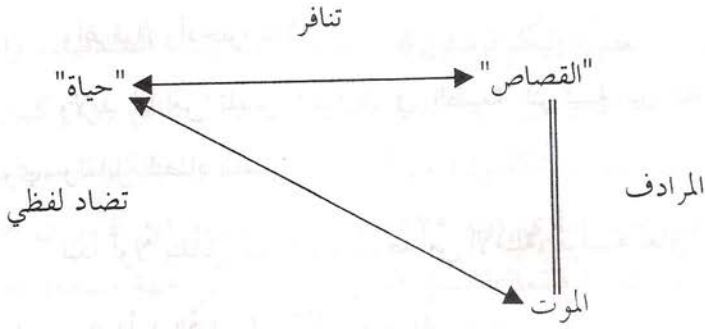
نبدأ أولاً بتقابل المفردات، ونأخذ من الأمثلة، قوله تعالى: ﴿ولكم في

القصاص حياة يا أولي الألباب﴾^(١٥٣)، وقول المتنبي:

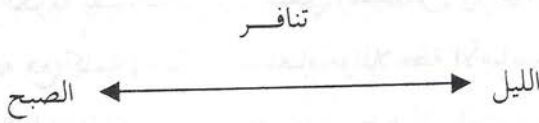
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي^(١٥٤)
وقول أبي تمام:

مها الوحش، إلا أن هاتا أوانس فنا الخط، إلا أن تلك ذوابل^(١٥٥)

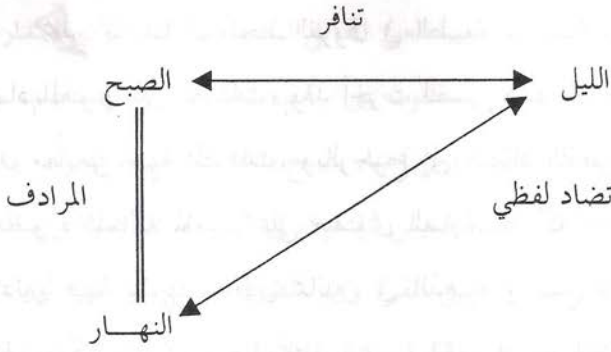
الآية الكريمة تقيم التقابل بين كلمتي (القصاص) و(حياة)، و(القصاص) لا يتضاد بلفظه مع كلمة (حياة) وإنما بمعناه. والملاحظة الأساسية هنا أن المضاد المعنوي قد جاء قبل المضاد اللفظي، إذ إننا نستطيع أن نقول إن هذا النوع من التضاد يجمع بين المعنوي واللفظي. فالكلمة الأولى معنوي والثانية لفظي، ويمكن أن ننتع العلاقة بينهما بعلاقة التنافر إذ لا تصل المقابلة إلى التضاد على مستوى العبارة، إلا أن المرادف (المعنى) لكلمة (القصاص) هو الموت يتضاد مع (حياة)، ومن هنا جاء نعت البلاغيين لهذا الأسلوب بالتضاد المعنوي، فيصبح إذن التضاد الفعلي بين الموت والحياة، لا بين (القصاص) و(حياة)، وعلى هذا الأسلوب يتشكل لدينا نمط من التقابل هو التقابل المرادف، ويمكن أن نضع هذا الأسلوب في الرسم الآتي:



وحتى تكتمل صورة التركيب التقابلي في المفردات نأخذ المثال الثاني. إذ إن التضاد المعنوي في البيت قائم بين الليل والصبح. ونلاحظ هنا أن المضاد اللفظي (الليل) قد جاء قبل المضاد المعنوي (الصبح)، وتتكون العلاقة بينهما على مستوى العبارة في صورة التنافر التي رأيناها بين (القصاص) و(حياة). ويمكننا أن نوضحها في الرسم الآتي:

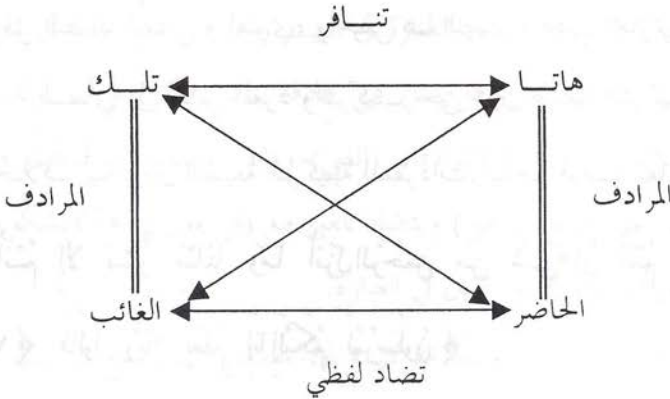


ولا شك في أن المرادف لكلمة الصبح (المضاد المعنوي) هو النهار، فهذا المرادف إذن يشكل علاقة التضاد اللفظي مع الليل. وليس بين الليل والصبح. ولكن الأسلوب التقابلي هنا يختلف في وضعه عن الأسلوب السابق، وحتى يتضح لنا هذا القول نمثل التقابل في الرسم الآتي:



فكما نلاحظ أن الصورة هنا معكوسة للتقابل السابق، وما جاء هذا العكس إلا بسبب تقديم المضاد اللفظي على المعنوي أو تأخيره.

أما المثال الثالث وهو قول أبي تمام، فالتقابل فيه يقوم بين (هاتا) و(تلك). ولا شك في أن التضاد لا يأتي من التقابل بين هاتين المفردتين، وإنما بين مرادفيهما، ولذلك فالعلاقة بينهما هي علاقة التنافر، وأن التضاد يقع بين معنييهما المتأتين من الحاضر والغائب، وتتم في الصورة الآتية:



فكما نلاحظ فإن التضاد يتم بين المعاني وليس بين مفرداتها، ولكن في الوقت نفسه نلاحظ أن التقابل بالتضاد لا يقوم بين الحاضر والغائب فحسب، وإنما يحدث تضاداً جديداً بين هاتا والغائب وبين تلك والحاضر، وهذا التقابل يشكل نوعاً من التداخل في التضاد المعنوي.

يجدر بنا هنا أن نلاحظ الفروق في الطبيعة التركيبية بين التضاد اللفظي والتضاد المعنوي بين المفردات، وقد أجزت لنفسى بهذه الملاحظة؛ لأن النوعين يلتقيان معاً من جهة المفردات، وبالرجوع إلى التضاد اللفظي نلاحظ أنه يقوم على صورة المماثلة لما يتم على مستوى العبارة، إذ كان اللفظ بين كلمتين متضادتين فيها يتقابل بلفظين مماثلين في الذهن، ويصنع تقابلاً مماثلاً لما في العبارة، ولكن التركيب هنا يختلف عن سابقه، إذ إن المثالين الأول والثاني يشكل الأسلوب فيهما نمطاً مختلفاً، فالمضاد المعنوي يولد المرادف، وهذا المرادف يتضاد مع المضاد اللفظي فلا يتشكل لدينا تضاد مماثل لما كان على مستوى العبارة، ونجد كذلك في المثال الثالث أن التضاد يتم بين المرادفين للفظين، فيتشكل تضاد واحد، وهو ليس مماثلاً لما كان في العبارة. فالعبارة تجعل التقابل بين الكلمتين يقوم على أساس التنافر لا التضاد إلا أنه يلتقي التضاد اللفظي من جهة التداخل بين الأطراف الأربعة، كما لاحظنا في الرسمين لكل نوع من التضاد اللفظي والمعنوي، وأخص هنا التضاد اللفظي المجازي.

لسأني إلى تقابل المفرد والتركيب حتى نتبين طبيعته التركيبية. إن كان

ثمة اختلاف بينه وبين الطبيعة التركيبية للمفردات، لنأخذ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذُوبُونَ﴾ (١٥٦) ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا إِيَّاكَ لِمُرْسَلُونَ﴾ (١٥٦).

إن مضمون هذه الآية يتحدث عن الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى. وإلى تصديق الرسل، ونجد فيها متقابلين: الأول مفرد يتمثل في (تكذبون). والثاني تركيب يتمثل في (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) ولا شك في أن التقابل على مستوى العبارة يقع في التقابل التنافري. إذ إن المرادف للحملة هو إنا

لصادقون، وذلك أن الآية عنت المعنى المقابل لـ (تكذبون)؛ لأن الكفار كانوا قد كذبوا الرسل، والرسل يرجعون إلى ربهم، ليدلوا على صدقهم، ولذلك كان المرادف هو الصدق. ومن هنا يصبح التضاد بين تكذبون ومرادف التركيب، فمن الملاحظ هنا أنه ليس ثمة فرق في الطبيعة التركيبية بين المفردات والتركيب فكل منها يعتمد على المفرد وهو المضاد اللفظي، والمفرد أو التركيب المضاد المعنوي، وأخص بهذا القول المثالين الأول والثاني اللذين يتماثلان مع التركيب في المفرد والتركيب وما زال الاختلاف قائماً بين التضاد المعنوي والتضاد اللفظي في شكله النهائي.

أما تقابل التراكيب، فلنأخذ له قول المقنع الكندي مثلاً:

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهم رفداً^(١٥٧)

إن التقابل في البيت يتم بين (تتابع لي غنى) و(قل مالي). ولاشك في أن التضاد لا يكون على مستوى العبارة في البيت وإنما هو على مستوى المرادف، فالعلاقة بين تتابع لي غنى وقل مالي هي علاقة تنافر، وكل طرف يولد مرادفاً يتضاد أحدهما مع الآخر، فالمرادفان (الغنى) و(الفقر) يتضادان لفظياً، ومن ثم يتضاد الفقر مع (تتابع لي غنى) ويتضاد الغنى مع (قل مالي) وهذا يشكل تقابلاً متداخلاً بين المرادفين والتركيبين في العبارة.

ونلاحظ هنا أن الطبيعة التركيبية لهذا التقابل تتماثل مع تركيب التقابل بين المفردين كما رأينا في المثال الثالث.

السلب والإيجاب:

إن الذي يتتبع الدراسات البلاغية يجد أن أصحابها قد اتفقوا على ثلاثة مفاهيم للسلب والإيجاب، هذه المفاهيم هي: اجتماع الكلمتين على النفي والإثبات، واجتماعهما على النهي والأمر، واجتماعهما على النفي. وحتى تكون هذه المفاهيم واضحة نتناول آراء الدارسين فيها.

أما المفهوم الأول النفي والإثبات، فلعل من أوائل الذين أشاروا إليه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، يقول: "وقال الفرزدق أيضاً:

لعمري لئن قل الحصى في رجالكم بني فئشل ما لؤمكم بقليل
فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب"^(١٥٨)، وهو يشير بالسلب إلى كلمة (قل) المثبتة، وتركيب جملة (ما لؤمكم بقليل) المنفية. ويشير إليه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) يقول: "وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء وإثباته من جهة أخرى"^(١٥٩). ومن ثم يتابعه الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، يقول: "ومن البديع: السلب والإيجاب، كقول القائل:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول"^(١٦٠)

ويمثل ابن سنان الحفاجي (ت ٤٦٦هـ) للسلب والإيجاب في قوله:
"وأما الإيجاب والسلب فكقول أبي عبادة:

يقبض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم"^(١٦١)

فالتقابل هنا بين (لا أعلم) و(أعلم). ويتابع هؤلاء الدارسين كثير من دارسي البلاغة في هذا الجانب"^(١٦٢).

ومن خلال استعراضنا للأمثلة التي يطرحها هؤلاء الدارسون نجد أن معظمهم قد أشار إلى أن النفي والإثبات يقعان على الكلمة الواحد، كما لاحظنا من تقابل (قل) و(ما لؤمكم بقليل)، الأولى مثبتة والثانية منفية، وتقابل (أعلم) المثبتة و(لا أعلم) المنفية، ولكن بعضهم أدخل الكلمتين المتضادتين قبل النفي في هذا المفهوم. وذلك كما فعل ابن أبي الإصبع المصري، وإن كان قد أشار إلى هذا المفهوم في باب سماه نفي الشيء من جهة وإيجابه من جهة أخرى... ومن شواهد السلب والإيجاب أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. فإنه عز وجل سلب عن هؤلاء الموصوفين العصيان وأوجب لهم الطاعة^(١٦٣).

ومن الملاحظ، إذن، أن أصحاب الدراسات البلاغية قد أجمعوا بصورة عامة على أن النفي والإثبات يقعان في الكلمتين من مصدر واحد، ولكن إشارة المصري للآية الكريمة لها قيمتها من حيث توسيع مفهوم السلب والخروج به عن الأثر الذي تركه الفلاسفة عند البلاغيين، إذ كنا قد أدركنا معنى السلب والإيجاب عندهم في حديثنا عن تقابل السلب والإيجاب، إذ كان الشرط الأساسي لديهم أن السلب والإيجاب إنما يقعان في الجملة الواحدة مرة مثبتة، وأخرى منفية، ولكن من أصل واحد بحيث يكون المنسوب واحداً.

وأما المفهوم الثاني النهي والأمر، فلعل من أوائل من أشار إليه كان أبو هلال العسكري في باب السلب والإيجاب، يقول: "وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى... أو الأمر به في جهة والنهي عنه في جهة وما يجري مجرى ذلك... كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهَا أَوْفٍ وَلَا تَنْهَرْهَا وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(١٦٤). فالنهي هنا يقع في كلمة (لا تقل) والأمر في كلمة

(وقل). وتابعه بعد ذلك ابن أبي الإصبع المصري، في قوله: "وهو بناء الكلام على نفي الشيء من جهة، وإيجابه من جهة أخرى، أو أمر بشيء من جهة ونهي عنه من غير تلك الجهة، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهَا وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفُضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ فإنه سبحانه نهي الولد عن أن يقول للوالدين أدنى قول مؤلم، أو ما فيه غضاضة، وأمره بالقول الكريم وخفض الجانب لهما ذلاً وتواضعاً، فأمره سبحانه بأمرين، ونهاه عن أمرين^(١٦٥). ويشير إليه العلوي (ت ٧٤٥هـ) في باب مقابلة الشيء بضده في قوله: "ومنه قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فقابل الأمر بالنهي وهما ضدان"^(١٦٦). ويتابع هؤلاء الدارسين عدد آخر من أصحاب الدراسات البلاغية^(١٦٧).

من خلال استعراضنا للأمثلة التي طرحها الدارسون هنا نلاحظ أن جلهم قد أجمع على أن النهي والأمر يقعان في كلمتين من مصدر واحد، إذ وقع الفعل (لا تخشوا) في النهي والفعل (اخشون) في الأمر، وقد ضربوا هذا المثال كثيراً في دراساتهم إلا أن العلوي كان قد طرح مثلاً يختلف عن سابقة ولاحقية في هذا المفهوم كما جاء في النص الذي أثبتناه قبل أسطر، وذلك أنه جعل من باب مقابلة الشيء بضده كلمة (اعبدوا) التي أمر بها الخالق عز وجل، وكلمة (ولا تشركوا) التي نهي عنها، ولاشك في أن العبادة والشرك أمران متضادان قبل صياغتهما في الآية، وقد دخلا من خلال مفهوم النهي والأمر، وقد اختلفا في أيهما من كلمتين من مصدرين مختلفين.

وأما المفهوم الثالث النفي والنفي، فقد أشار إليه ابن أبي الإصبع المصري في قوله: "وطباق السلب، وهو أن يأتي المتكلم بكلمتين أو كلمتين إحداهما موجبة والأخرى منفية، وقد تكون الكلمتان منفيتين وقد تقدم في شعر

الفرزدق" (١٦٨)، ويشير إلى هذا المفهوم الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في باب سماه نفي الشيء رأساً يقول فيه: "لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء ثمرته، كقوله تعالى في صفة أهل النار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ فنفي عنه الموت، لأنه ليس بموت صريح ونفي عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة، كقوله تعالى: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ أي ما هم بسكارى مشروب، ولكن سكارى فرع" (١٦٩). ويبدو أن أصحاب الدراسات البلاغية لم يتابعوا هذا الجانب من السلب؛ لأنهم رأوا فيه النفي دون الإيجاب، وقد أدخله المصري كما نلاحظ في مفهومه للسلب في الطباقي، وأما الزركشي فقد أدخله في باب قواعد في النفي وقد أدرجته هنا لالتقاء الزركشي بابن أبي الإصبع في المفهوم.

وقبل أن أنتقل إلى نقطة جديدة في تضاد السلب لا بد لنا من الكشف عن الطبيعة التركيبية لهذا التضاد، ولنتحدث عن كل مفهوم على حدة. أما المفهوم الأول، فلنأخذ له قول أبي عبادة البحراني مثلاً:

يقبض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلى الشوق من حيث أعلم (١٧٠)

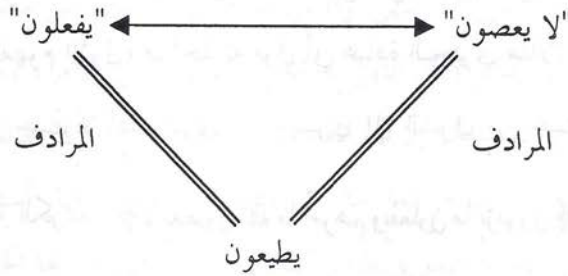
والآية الكريمة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١٧١). وهما

كما نلاحظ نفي وإيجاب لكلمتين من أصل واحد ولكلمتين من أصلين.

ففي المثال الأول مقابلة بين (لا أعلم) و(أعلم)، والعلاقة بينهما تضاد السلب إذ إن الكلمة الأولى قد سلبت مضمون العلم فيكون مرادفها الجهل، وأما الكلمة الثانية، فهي مثبتة ولا مرادف لها. وفي هذا الإطار تصبح حقيقة التقابل الضدي بين المرادف (الجهل) والكلمة المثبتة (أعلم) ولعلنا نلاحظ أن التقابل في هذا الأسلوب يرتبط بالتقابل في أسلوب التضاد المعنوي المبني على مفردة وتركيب الذي أشرنا إليه في الصفحات المتقدمة.

وإما في المثال الثاني، فكان التقابل بين (لا يعصون) و(يفعلون)، وهما كما نلاحظ منفي ومثبت ولكن في كلمتين مختلفتين، فالطرف الأول من التقابل (لا يعصون) مرادفه يطيعون. وأما الطرف الثاني (يفعلون) فهو يتقابل مع معنى الفعل يعصون. قبل النفي من جهة المعنى إذ إن يفعلون هنا بمعنى يطيعون التي تتضاد مع يعصون. ولا شك في أننا نلاحظ في هذا المثال تركيباً يختلف عنه في المثال السابق إذ إن كل كلمة تعطي مرادفاً يتماثل مع مرادف الآخر، ومن هنا أرى أن هذه الآية قد سعت إلى إثبات معنى الطاعة عند المؤمنين، ويظل التقابل السلبي على مستوى العبارة، وليس فيما وراء العبارة من معنى، ومن هنا نستطيع أن نعيد صياغة أسلوب التقابل والمرادف في شكل جديد من الطبيعة التركيبية وهو توحد الضدين في معنى واحد، كما في الرسم الآتي:

تقابل السلب



ولعل هذه النتيجة للمتقابلين هي التي جعلت معظم دارسي البلاغة يعزفون عن هذا التركيب للمتقابلين. لأن السلب والإيجاب هنا لا يحقق الثنائية التي كانوا يسعون إليها دائماً، وهي ثنائية التضاد التي نلاحظها في كل أمثلة تقابل التضاد.

وأما المفهوم الثاني، فلنأخذ له مثالين: الأول قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾^(١٧٢). والثاني قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾^(١٧٣).

الشاهد في المثال الأول قوله (لا تقل) وقوله (وقل)، وهما يقعان في النهي والأمر على الترتيب، ولاشك في أن كلمة (لا تقل) تعني الصمت والسكوت عن الكلام الذي يحتوي الإيلام، في حين إن الكلمة الثانية تفيد القول الكريم، فنحن نلاحظ أن تقابل السلب كان على مستوى العبارة في حين إن تقابل التضاد كان بين المرادف لـ (لا تقل) وبين (قل) فالتقابل هنا إذن على مستوى العبارة تقابل سلب، في حين على مستوى المرادف تقابل بين المعنى لـ (لا تقل) وبين اللفظ لـ (قل) وهذا التركيب يتمثل مع تركيب النفي والإثبات في الكلمتين من مصدر واحد.

والشاهد في المثال الثاني هو (اعبدوا) في الأمر و(لا تشركوا) في النهي. ولا شك في أننا نلاحظ أن الكلمتين في المثال قبل النهي والأمر تقعان في التضاد اللفظي، ولكنهما في التركيب دخلتا في إطار تقابل السلب بين الأمر والنهي. وبالبحث عن المرادف فإن الأمر بالعبادة يفيد ترك الشرك ونفيه والنهي أيضاً يفيد ترك الشرك ونفيه وإثبات معنى العبادة، فكل من المرادفين يفيد نفي الشرك وإثبات العبادة، ولا شك في أن في هذا التركيب تماثلاً في المرادف، وهذا التركيب يشترك مع تركيب تضاد السلب في المثال الثاني الذي اتصف بالكلمتين من مصدرين متضادين في المفهوم الأول، ولعل السبب الذي دفع معظم أصحاب الدراسات البلاغية إلى تجاوز هذا النمط من التقابل هو عدم قدرة هذا التقابل على إحداث الثنائية كما كانت الحال في المثال الثاني من المفهوم الأول.

وأما المفهوم الثالث، فلنأخذ له المثال الذي أتى به الزركشي وهو

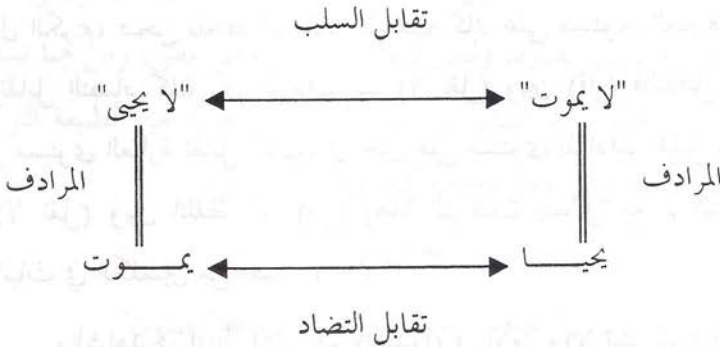
قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(١٧٤). لا شك في أن (يموت)

و(يحيى) قبل صياغتهما في الآية تعان في التضاد اللفظي، ولكن دخولهما في

الآية جعلهما من تقابل السلب، ولكنه نفي ونفي، ويبدو أن الطبيعة التركيبية

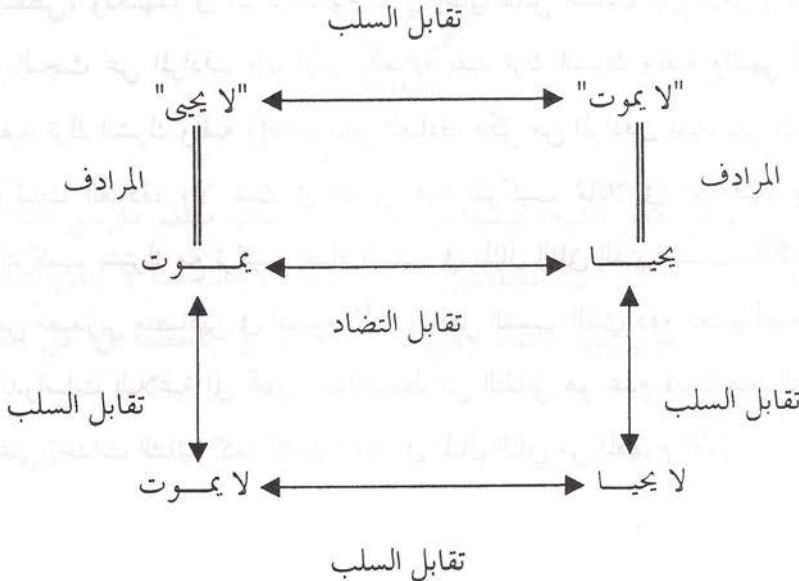
لهذا المفهوم تختلف عن المفهومين السابقين، وذلك أن مرادف (لا يموت) هو

يحياء، ومرادف (لا يحيى) هو يموت، فالمرادفان متضادان كما في الصورة الآتية:



ولكن مستوى العبارة هو الذي يوجه المعنى في هذا التقابل إذ إن تكرار

النفي مرتين مع يموت ويحيى الرديفين منفيان أيضاً، كما في الصورة الآتية:



وفي هذا الإطار يصبح الرديف لكلمة (لا يموت) متماثلاً مع مرادف كلمة (لا يجي)، ويمكن توليد مرادف آخر للمرادف، وهكذا بحيث تصبح المرادفات سلسلة لا تنتهي، وكأنما التقابل في الآية هنا يشير إلى الحياة والموت اللذين لا ينتهيان في الإحداث، ونمط هذا المفهوم هو نمط مختلف تمام الاختلاف عما سبق من الأمثلة.

تقابل التخالف:

إن تقابل التخالف من المتقابلات التي بحث فيها أصحاب الدراسات البلاغية، وتحدثوا عنها إلى جانب تقابل التضاد في اللفظ والمعنى، ولكن كيف نظر هؤلاء الدارسون إلى هذا التقابل؟ إن من أوائل الذين أشاروا إليه كان أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) فبعد أن تحدث عن الطباق وأنواعه قال: "وقد طبقت جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك كقول الحطيئة:

وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع
والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب... وهكذا قول الآخر:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة . ومن إساءة أهل سوء إحساناً
فجعل ضد الظلم المغفرة^(١٧٥).

ولا شك في أن أبا هلال لم يفرق بين المثال الأول والمثال الثاني، إذ كان المثال الأول يقع في التضاد المعنوي، كما أشرت سابقاً، في حين أن المثال

الثاني يقع في تقابل التخالف، وذلك أن حقيقة التقابل بين الظلم والمغفرة تختلف عن التقابل بين الشتم والمديح، إذ إن الشتم بمعناه (الهجاء) ضد للمدح، في حين أن الظلم الذي ضده (العدل) لا يتقابل مع المغفرة من زاوية المعنى، فالعدل في الأساس ضد للظلم، وليس بضد للمغفرة، من هنا أرى أن المثال الثاني يتعد في طبيعته عن المثال الأول، ويمكننا أن نفهم طبيعة التخالف من مقولة ابن رشيقي (ت ٤٥٦هـ) التي يشير فيها إلى المخالفة، يقول: "وقال زهير: وزعموا أنه لأوس بن حجر:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخبث أصبت حليماً أو أصابك جاهل

لما وجدته خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد، وإن كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة، والناس متفقون على أن جميع المخلوقات: مخالف، وموافق ومضاد، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة"^(١٧٦)، إن ابن رشيقي وضع لنا أساساً مهماً للتفريق بين المخالف والمضاد، وذلك أنه أشار إلى أن الخلاف مقصر عن رتبة الضد في المباعدة بين الكلمتين، إذ إننا فهما الضد بأنه لا يلتقي الضد الآخر، فمتى وجد أحدهما في الشيء انتفى الثاني بينما المخالف ليس له هذه المباعدة، فالحليم والجاهل كما في مثال ابن رشيقي لا يتعدان كما البعد في التضاد، ويوضح ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) هذا المفهوم في قوله: "وأما مقابلة الشيء بما ليس بضده فهي ضربان: أحدهما ألا يكون مثلاً والآخر أن يكون مثلاً، فالضرب الأول يتفرع إلى فرعين: الأول: ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب، كقول قريظ بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً

فقابل الظلم بالمغفرة، وليس ضدًّا لها، وإنما هو ضد العدل، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم... النوع الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل بعد. وذلك مما لا يحسن استعماله كقول أم التُّحيف وهو سعد بن قرط وقد تزوج امرأة كانت هُتته عنها فقالت من أبيات تدمها فيها:

فتربص بها الأيام على صروفها سترمي بها في جاحم متسر
فكم من كريم قد مناه إلهه بمذمومة الأخلاق واسعة الحر

فقولها بمذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة، بل الأولى أن كانت قالت بضيقة الأخلاق واسعة الحر. حتى تصح المقابلة^(١٧٧). فالقرب بين المتخالفين والمناسبة هي من صميم مفهوم تقابل التخالف كما في الظلم والمغفرة وفي الشدة والرحمة، وكما يرى ابن الأثير قد يكون تقابل المتخالفين في البعد كالمذمومة والواسعة، وهو يفضل المناسبة والمقاربة في هذا التقابل.

ولابد هنا من الكشف عن طبيعة التركيب لتقابل التخالف، ولنأخذ

قول الشاعر:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً

إن الطبيعة التركيبية لهذا التقابل تتضح من خلال تفسير طبيعة التخالف في قول الشاعر (الظلم والمغفرة)، إذ إن التقابل على مستوى العبارة كان التخالف، ولكون الظلم لا يتضاد مع المغفرة وجدنا الدارسين البلاغيين قد ذهبوا للبحث عما يتضاد مع الظلم، ويتناسب مع المغفرة في الوقت نفسه، فكان العدل هو المطلوب لديهم، والمصلحة النهائية لتقابل التخالف أن الطرف الأول من المتقابلين يتضاد مع ما يناسب الطرف الثاني وهو العدل، ولاشك في

أن هذا الأسلوب في التركيب يلتقي التضاد المعنوي، فإذا نظرنا إليه، فإننا نجد الإطارين الخارجيين للتركيبين متماثلين، إلا أن الفارق الأساسي بينهما هو المرادف والمناسب، فالمرادف هو معنى أحد طرفي التضاد المعنوي، في حين أن المناسب هو خارج عن المعنى، وإنما يلتقي مثيله بحيث يبقى كل منهما وحيداً من غير نيابة عن الآخر عند ذكره.

التمائل:

لاشك في أننا أدركنا سابقاً أن مفهوم مصطلح التماثل عند اللغويين والنحاة يتصل اتصالاً وثيقاً بمفهوم المشاكلة، وقد فهم البلاغيون المشاكلة على هذا الأساس أي على أساس التماثل. وكان مدار الحديث عندهم في العلاقة بين أطراف التماثل هو المصاحبة. بحيث إذا ما ذكر طرف، وأريد التعبير عن شيء آخر مصاحب له، جيء بكلام يماثل الطرف الأول في اللفظ مع اختلاف المعنى. وقد أشار السكاكي (ت ٦٢٦هـ) إلى المصاحبة في قوله: "ومنه المشاكلة وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقوله:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

وقوله: ﴿صبغة الله﴾ وقوله: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليهم

بمثل ما اعتدى عليكم﴾ وقوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ وقوله: ﴿تعلم ما في نفسي

ولا أعلم ما في نفسك﴾^(١٧٨). فقول الشاعر (اطبخوا) ينبع من سياق البيت

الشعري الذي جاء في صدره، حيث أورد كلمة (طبخه) فعندما أراد الشاعر أن يعبر بما يريد جاء بهذه الكلمة، وما ذلك إلا للمصاحبة مع اختلاف المعنيين.

وينطبق ذلك على كلمة (صبغة الله) وعلى كلمة (فاعتدوا عليه) وغير ذلك، فالمصاحبة أو المجاورة في المشاكلة هي الأساس الذي ينطلق منه البلاغيون في مفهوم التماثل.

وقد جعل محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) المشاكلة تنبع من استخدام لفظ ليس موضوعاً للمعنى أصلاً، يقول: "هي ذكر الشيء بغير لفظه، اعتماداً على معموله أو عامله: أما الأول، فكقول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه فقلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أقام: اطبخوا مقام خيطوا؛ لدلالة الممول عليه، لقصد المشاكلة بين

الكلامين... وأما الثاني، فكقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

نفسك﴾ "أقام: نفسك مقام ذاتك؛ لتشاكل نفسي... وقد تقدر المشاكلة،

لعدم التلفظ بالمشاكل، كما حكى أن بعض الولاة كان يغرس سيالاً في جامع

بغداد، فوقف عليه وأنشد:

إن الولاية لا تدوم لواحد وإن كنت تنكره فأين الأول؟

واغرس من الفعل الجميل غرائسا فإذا عزلت فإنها لا تعزل

أقام: اغرس مقام اصنع؛ ليشاكل فعل الوالي. ومنه قوله تعالى:

﴿صبغة الله﴾. أراد تطهير الله. فأقام: الصبغ مقام التطهير؛ ليشاكل صبغ

النصاري؛ فإنهم كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه بالمعمودية؛

تطهيراً لهم. يدل عليه سبب نزول الآية. والباب كله استعارة لقصد المشاكلة لا

للمبالغة، ولذلك ليست من مسائل علم البيان^(١٧٩). ندرك مما تقدم أن

الجرجاني ينظر إلى مفهوم المشاكلة من زاويتين: الأولى- أنه يرى المشاكلة تقع

في ما هو مكتوب في السياق بين الكلمات التي تقع في إطار التماثل. والثانية-

أنه يرى المشاكلة تقع في النص تقديراً للمشاكل المقدر. إن الزاوية الأولى تشكل

الأساس الذي يمكن أن نفهم منه طبيعة المشاكلة لديه، وذلك أنه توجه في هذه

الزاوية إلى فهم وقوع التماثل من جهتي المعمول والعامل، فأما المعمول فقد مثل له في قول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه فقلت اطبخوا لي جبة وقميصاً
الواقع أن اكتشاف المشاكلة في هذا البيت متأت من علاقة (اطبخوا) بمعمولها (جبة وقميصاً)، وذلك أن الاستخدام الحقيقي لهذا المعمول ليس هو (اطبخوا)، وإنما هو (خيطوا) ولذلك حدثت المشاكلة. ويبدو أن هذا الاستخدام اللفظي لكلمة (اطبخوا) يضعنا أمام معنيين: المعنى الأول- هو المصاحبة، حيث صاحبت الكلمة (اطبخوا) الكلمة الواردة في صدر البيت (طبخه)، إذ يصنع السياق بهذا نمطاً تكرارياً يزيد بنيته الإيقاعية تنغيماً وسلاسة. والمعنى الثاني- هو الذي يكشف عن حركة المعنى المتضمنة في البيت الشعري- بحيث تصنع هذه الحركة إجراء عدولياً عن المعنى الحقيقي لـ (اطبخوا)، وذلك في ربطها بمعمولها، فهذا التوجه في مفهوم المشاكلة يدخلنا في جانب المجاز الذي يعني الانحراف عن الاستخدام الحقيقي إلى غير الحقيقي.

وأما العامل فقد جاء بمثال له، وهو قوله تعالى: ﴿تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا

أَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ إن ملاحظة التماثل في هذه الآية تختلف عنها في البيت الشعري السابق، وذلك أن لفظ (نفسك) الذي يشاكل اللفظ الحقيقي (نفس) يختلف من حيث حركة المعنى عن سابقه. فالآية الكريمة أقامت (نفسك) مقام (ذاتك)، وهذا ما أشار إليه الجرجاني، وذلك أن حركة المعنى هنا نتجت من الاستخدام الحقيقي إلى استخدام آخر، في طرف المشاكلة، يمكن أن يتوسط بين المجاز والحقيقة لأن (النفس) لا تنطبق على التحالف عز وجل. وذلك لعدم انطباق الصفة الإنسانية على الذات الإلهية. ومن هنا يبقى طرف المشاكلة الثاني (نفسك) معلقاً بين الحقيقي والمجاز.

وأما الزاوية الثانية التي تقع في المشاكلة التقديرية، فقد أوضح الجرجاني طبيعتها البنائية القائمة على المجاز ولكنها تختلف في تركيبها عن الاستعارة التي تستخدم للمبالغة.

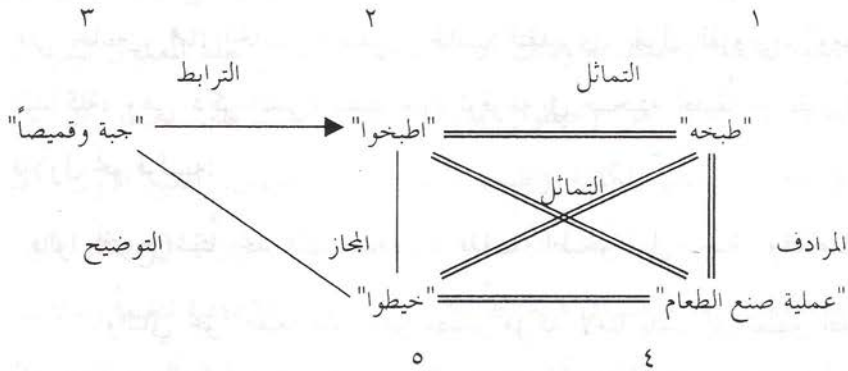
ويستقر مفهوم المشاكلة لدى البلاغيين بعد الجرجاني على أنها تتوزع على جانبين، هما: الجانب الحقيقي والجانب التقديري، يقول القزويني: "ومنه المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً، فالأول نحو قوله:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه فقلت اطبخوا لي جبة وقميصاً
والثاني نحو: صبغة الله، وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله، أي تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم، فعبر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاركة بهذه القرينة" (١٨٠).

وقبل أن ننتهي من الحديث عن التماثل عند البلاغيين لابد من أن نوضح الطبيعة التركيبية للتماثل التي فهمها هؤلاء، وحتى نحقق ذلك نأخذ المثالين الواردين سابقاً. المثال الأول قول الشاعر:

فقالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه فقلت اطبخوا لي جبة وقميصاً
أن الطبيعة التركيبية لهذا التماثل تعتمد على طرفين أساسيين هما (طبخه) و(اطبخوا). وعلى طرف ثالث هو (جبة وقميصاً) يكشف عن حقيقة الطرف الثاني. والطرف الأول يقوم بدور إظهار الجانب الحقيقي من التماثل الذي ترادف (عملية صنع الطعام) وأما الطرف الثاني، فهو يقوم بدور المجاز بحيث استخدم بدلاً من الطرف الحقيقي المخفي وهو (خيطوا). ولاشك في أن

الكشف عن هذا الطرف المخفي نابع من الطرف الثالث في البنية اللغوية وهو (حبة وقميصاً). ويبدو أن التماثل في هذه الطبيعة التركيبية ذو علاقات متعددة في البيت الشعري. ويمكن أن نبين هذه العلاقات في الرسم الآتي:



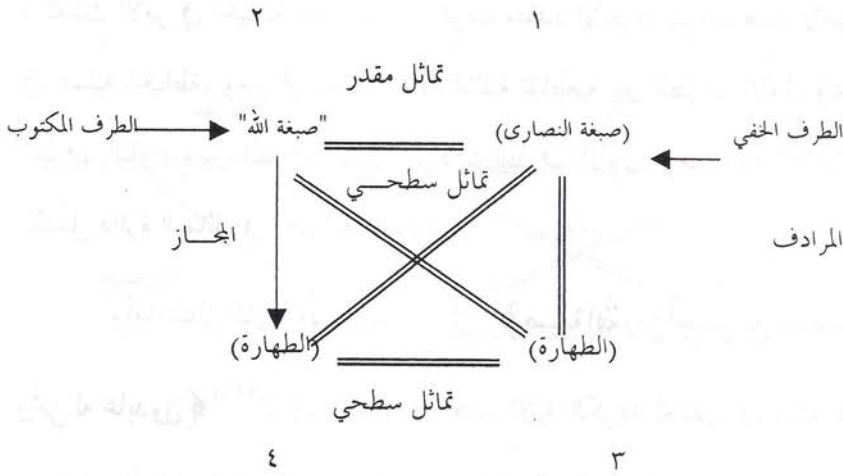
إن العلاقة البنائية التي تنتجها الطبيعة التركيبية في البيت الشعري تظهر من خلال هذا الرسم علاقات متداخلة تفرز أكثر من نوع، وذلك أن الطرف الأول (طبخه) يتصل بالطرف الثاني (اطبخوا) من خلال علاقة التماثل الأساسية التي بنيت عليها وحدة التماثل. ولكن كل طرف منهما يفرز علاقة جديدة، أي أن الطرف الأول مع (عملية صنع الطعام) تفرز علاقة المترادف، والطرف الثاني مع (خيطوا) يفرز علاقة المجاز، وتؤكد علاقة المجاز في الطرف الثاني من خلال علاقته مع (حبة وقميصاً)، وذلك بأنها في المستوى البنائي كانت تقوم بدور الترباط مع (اطبخوا) وهذا الترباط وجه الطرف الثاني إلى المجاز (خيطوا)، ولذلك تكون العلاقة بين (خيطوا) و(حبة وقميصاً) علاقة التوضيح. وعند الرجوع إلى الطرفين في وحدة التماثل والمترادف والمجاز نلاحظ

أن ثمة علاقة جديدة تجمع المرادف (عملية صنع الطعام) والمجاز (خيطوا)، وهذه العلاقة هي علاقة التواصل من حيث دخول الطرفين في صناعة شيء جديد من شيء آخر. وذلك أن الطعام مكون من مواد مختلفة تتوحد معاً في عملية الطبخ، وكذلك الأمر في الخياطة بحيث يكون الثوب متعدد الأجزاء تتوحد هذه الأجزاء في عملية الخياطة، ومن ثم نلاحظ علاقة تماثلية تقاطعية بين الطرف الأول ومجاز الطرف الثاني، وبين الطرف الثاني ومرادف الطرف الأول. ومن هذه العلاقات تكتمل دائرة التماثل في إحدائهما البنائية.

وأما المثال الثاني، فهو قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً

وَمَنْ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(١٨١). إن التماثل في هذه الآية الكريمة يختلف في بنيته عن طبيعة التماثل في البيت الشعري السابق، وذلك أنها كما ذكر سابقاً تقوم على التقدير. إن المحور الأساسي في اللفظ المرصود (صبغة الله). ولاشك في أن العلاقة المجازية في التماثل هنا ترتبط ارتباطاً كبيراً بما هو مقدر من المعاني التي تدور حول هذه الآية، وذلك "أن النصراني كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانياً حقاً، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم - قولوا آمنا بالله - وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون: صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتك"^(١٨٢). فالطرف الخفي إذن هو (صبغة النصراني) ومن هنا نستطيع أن نتبع الطبيعة التركيبية لمثل هذا التماثل، فالطرف على المستوى المكتوب هو (صبغة الله)،

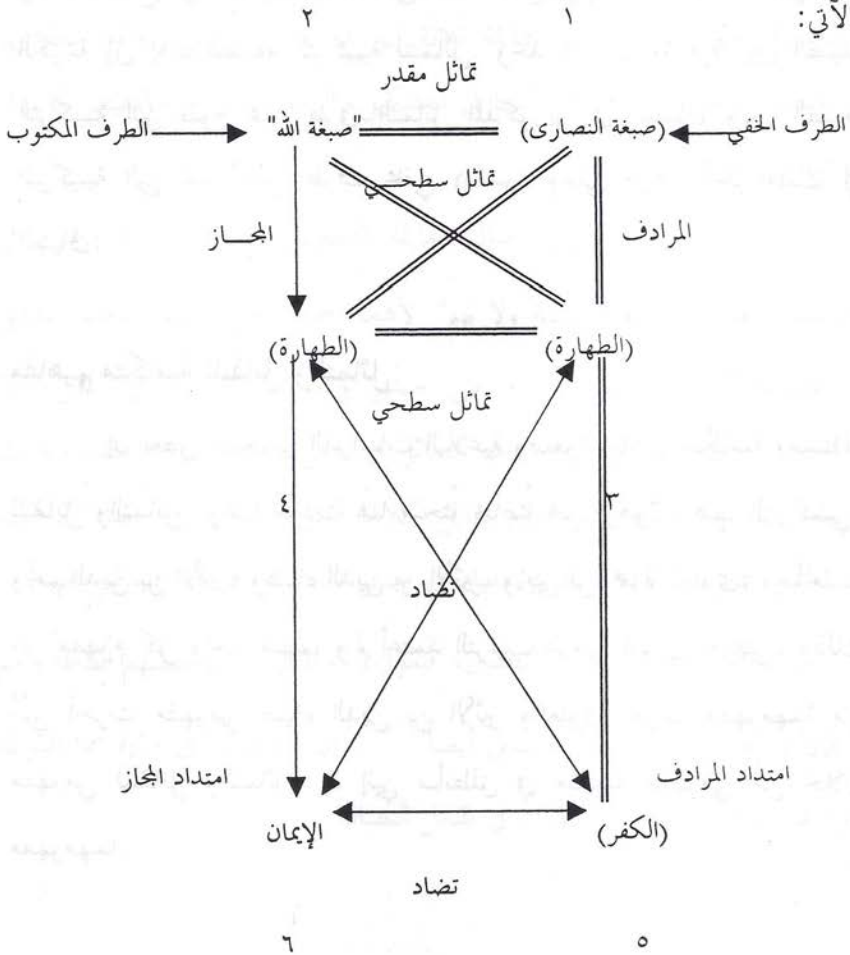
يقيم علاقة تماثلية مع الطرف المخفي، ولكن هذه العلاقة لا تتحدد على هذا المستوى فحسب، وإنما تتحدد على مستوى المرادف ومستوى المجاز لكلا الطرفين، ويمكن أن ندرك هذه العلاقة من الرسم التوضيحي الآتي:



إن الطرف المخفي الأول يقيم علاقة مقدره مع الطرف الثاني على المستوى المكتوب، وينتج الطرف الأول مرادفاً هو (الطهارة)، وأما الطرف الثاني، فهو ينتج مجازاً، يتمثل في مفردة (الطهارة)، والاختلاف بين هذين الناتجين (الطرف الثالث والرابع) يأتي من أن الطرف الثالث هو رديف للطرف الأول على (الحقيقة) إذ إن صنيع هؤلاء النصارى يؤدي بهم إلى (الطهارة) حسب ما يعتقدون. وأما الطرف الرابع، فهو ليس رديفاً؛ لأنه لا يقوم على الحقيقة في ممارسة (الصنع)، وذلك أن الله عز وجل لا يصنع المسلمين على الحقيقة كما يفعل النصارى، ومن هنا جاء الناتج وهو المجاز. ويمكننا أن ندرك العلاقات في الطبيعة التركيبية للتماثل على ما تقدم كما في الصورة الآتية: إن العلاقة بين الطرفين: الثالث والرابع هي علاقة تماثلية سطحية ليست حقيقية؛

لأن كل طرف منها يأتي من جهة خاصة تقوم على إنتاجين مختلفين هما المرادف والمجاز، وكذلك تنشأ علاقة تقاطعية بين الطرف المخفي ومجاز الطرف الثاني، وبين الطرف الثاني المثبت في المستوى المكتوب ومرادف الطرف المخفي، وتقوم هذه العلاقة على التماثل السطحي في المعنى وليس الحقيقي للسبب نفسه الذي توفر في العلاقة بين الطرفين الثالث والرابع. ولهذا نجد أن الطبيعة التركيبية لمثل هذا التماثل لم تنته، وإنما تنتج علاقات جديدة تنشأ بين الطرفين الثالث والرابع، والعلاقة هي علاقة التضاد، ويمكننا أن ندرك نهاية الطبيعة التركيبية في الرسم

الآتي:



إن الطرف الثالث (الطهارة) بارتباطه بالنصارى يمتد إلى مرادف آخر يرتبط به ارتباطاً وثيقاً وهو (الكفر). في حين إن الطرف الرابع (الطهارة) بارتباطه بالخالق عز وجل يمتد إلى مجاز آخر هو (الإيمان). وذلك أن هذين الطرفين الجديدين الخامس والسادس يكشفان عن حقيقة إنتاج المرادف والمجاز في الطرفين على الترتيب. ومن هنا نستطيع أن نتلمس العلاقة الجديدة التي ينتهي فيها التماثل، وهي علاقة التضاد التي تنشأ على المستوى الأفقي بين الطرفين الخامس والسادس من جهة وبين الرابع والخامس من جهة ثانية. وكذلك ناتج من سيطرة السياق على بنية التماثل، وفي هذه العلاقات تأتي الآية الكريمة إلى إهاء الطبيعة التركيبية للتماثل. ونجد هنا أن ثمة فرقاً بين الطبيعة التركيبية التي تقوم على طرفي التماثل المذكورين في السياق وبين الطبيعة التركيبية التي تقوم على طرف مخفي (مقدر) وعلى طرف آخر مثبت في السياق.

مفاهيم متكاملة للتقابل والتماثل:

إن بعض أصحاب الدراسات البلاغية وضعوا مفاهيم متكاملة ومستقلة للتقابل والتماثل، ولهذا أفردت هنا مبحثاً خاصاً بهم، وهؤلاء هم: الزركشي، ونجم الدين بن الأثير، وضياء الدين بن الأثير، ويحيى بن حمزة العلوي، وسأتحدث عن مفهوم كل واحد منهم، ولم أعتمد الترتيب الزمني لهم في حديثي، وذلك أنني أشرت مفهومي ضياء الدين بن الأثير والعلوي لقرب مفهوميهما من مفهومي للتقابل والتماثل، إذ إنني سأنتقل في مناقشة مفهومي من خلال مفهوميهما.

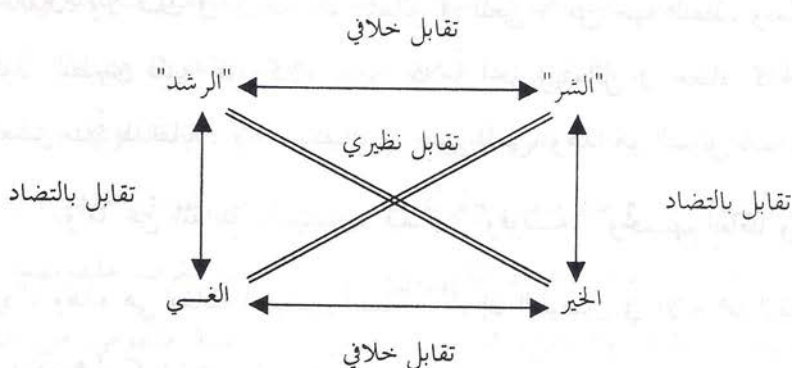
عند الزركشي (ت ٧٩٤هـ):

لقد تحدث الزركشي عن المقابلة في باب خاص بها منفصلة عن الطباق، وقد عرفها في قوله: "وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب "المفاعلة"، كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق" (١٨٣)، فالمقابلة لديه تشير إلى أن الكلمات المتوازية في بعض صفاتها من أساسيات المقابلة، ولا شك في أنها الكلمات التي تتماثل في صفاتها أو في بعضها، وكذلك يشير إلى أن الكلمات التي تتخالف في بعضها تابعة للمقابلة، ومن هنا جعل للمقابلة ثلاثة أنواع، يقول: "وهي ثلاثة: نظيري، ونقيضي، وخلافي، والخلافي أتمها في التشكيل، ألزمها بالتأويل والنقيض ثانيها، والنظيري ثالثها" (١٨٤).

ويقول في النظيري "مثال مقابلة النظيرين، مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى: "لا تأخذ سنة ولا نوم" لأنهما جميعاً من باب الرقاد المقابل باليقظة" (١٨٥)، فالسنة والنوم من جنس واحد ويتناظران في المعنى ولا يتخالفان، ولا شك في أن هذا هو التماثل في المعنى لا من جهة اللفظ، وبذلك يكون النظيري لديه كل كلام يقابل كلاماً آخر ويتمثل في معناه كالحب والعشق مثلاً إذا تقابلا، لأنهما يلتقيان في جنس المعنى، وهذا هو التماثل بعينه.

وأما عن المقابلة بالنقيضين، فيقول: "وقوله: "وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود"، وهذه هي مقابلة النقيضين أيضاً" (١٨٦). إن النقيضين في الآية هما اليقظة والرقود وهما، كما نرى، يقعان في تقابل التضاد.

وأما عن المقابلة الخلافية، فيقول: "ومثال مقابلة الخلافين، مقابلة الشر بالرشد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمُ رِشْدًا﴾ فقابل الشر بالرشد؛ وهما خلافيان، وضد الرشد الغي، وضد الشر الخير، والخير الذي يخرج لفظ الشر ضمناً نظير الرشد قطعاً، والغبي الذي يخرج لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً، فقد حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ: نطقان وضمنان، فكان بهما رباعيان"^(١٨٧). إن الزركشي في تحليله لهذه الآية وضع وصفاً دقيقاً للطبيعة التركيبية للتقابل الخلافي، إذ إن الشر يقابل الرشد وذلك على وجه المخالفة، وأشار إلى أن المقابلة الحقيقية بالتضاد لكل طرف هي كما يأتي: الشر يقابله ضده الخير، والرشد يقابله ضده الغي. وقد نظر إلى كل مقابل ضدي نظرة ثاقبة، بحيث أفرز تقابلاً نظيرياً علاوة على التقابل الخلافي وذلك كما في الصورة الآتية: الشر يقابل الرشد بالتخالف، والخير (ضد الرشد) يقابل الرشد بالتناظر، والغبي (ضد الشر) يقابل الشر بالتخالف، ويمكن أن نوضح هذه المتقابلات في الرسم الآتي:



ويمكننا أن نضيف إلى هذا التركيب تقابلاً خلافاً آخر ناتجاً عن مقابلات الشر والغبي على مستوى العبارة، وهما: الخير والغبي، بحيث يعيدان التقابل الخلافي مرة أخرى، كما نرى من الرسم.

إن هذه الأنواع الثلاثة من المقابلة هي التي جعلها الزركشي مفهوماً للتقابل والتماثل وإن كان قد عدد بعض أوجه للمقابلة عند بعض دراسي المقابلة بعد حديثه عن هذه الأقسام الثلاثة، فذكر أن بعض الدارسين قد قسموا المقابلة أربعة أقسام: الأول- أن يأتي الكاتب بكل واحد من المقدمات مع قرينه من الثواني. والثاني- أن يأتي بجميع الثواني مرتبة من أولها. والثالث- أن يأتي بجميع المقدمات، ثم تجمع الثواني مرتبة من آخرها، وهذا يسمى رد العجز على الصدر. والرابع- أن يأتي بجميع المقدمات، ثم بجميع الثواني مختلفة غير مرتبة. ويسمى هذا اللف^(١٨٨). وذكر كذلك أن بعضهم قسم التقابل إلى مقابلة الشيء بمثله، وهو ضربان: مقابلة في اللفظ دون المعنى، ومقابلة في المعنى دون اللفظ^(١٨٩).

عند نجم الدين بن الأثير (ت ٨٣٧هـ):

تحدث ابن الأثير عن المقابلة، فعرّفها في قوله: "فأما حد المقابلة: فهو أن تكون اللفظة مقابلة لأختها ومعناها مختلف"^(١٩٠). فالأساس في المقابلة عند ابن الأثير هو الاختلاف في المعنى بين المتقابلات. ويدخل ضمن هذا التعريف أقساماً ثلاثة، يقول: "والمقابلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مقابلة الشيء بضده أو بغيره، أو بمثله"^(١٩١) وقد أتى بأمثلة على كل قسم، فأما القسم الأول وهو مقابلة الشيء بضده، فقد ضرب أمثلة منها، قوله تعالى: ﴿مثل الفريقين

كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴿^(١٩٢)﴾. وقد علق عليها في قوله: "وهذه الآية الكريمة فيها بحث دقيق يتعلق بعلم البيان، وذلك أن القائل أن يقول: لم لا قيل مثل الفريقين كالأعمى والبصير والأصم والسميع، تكون المقابلة في لفظة الأعمى وضده البصير، والأصم وضده السميع. وقد أجيبت عن ذلك بأنه تعالى لما ذكر انسداد البصر اتبعه بانسداد السمع، وضد ذلك لما ذكر انفتاح البصر اتبعه بانفتاح السمع" ﴿^(١٩٣)﴾ فتقابل التضاد هنا يقع بين الأعمى والبصير، وبين الأصم والسميع.

أما عن مقابلة الشيء بغيره، فيقول: "وأما مقابلة الشيء بغيره فكقول القائل:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة وعن إساءة أهل السوء إحساناً
فقابل الظلم بالمغفرة وليست ضداً لها، وإنما ضد الظلم العدل، لكنها لما كانت المغفرة متضمنة معنى العدل من حيث استشعار عدم المؤاخذة، حسنت المقابلة بذلك" ﴿^(١٩٤)﴾، فالتقابل هنا، كما نرى، يقع بين الظلم والمغفرة، وهو تقابل التخالف بعينه الذي تحدثنا عنه في الطباق.

وأما عن القسم الثالث، فيقول: "وأما مقابلة الشيء بمثله، كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فأنسيهم﴾، وكقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ وقد تكون المقابلة في اللفظ والمعنى، وفي المعنى دون اللفظ؛ وأما مقابلة اللفظ والمعنى فكما قدمناه من الشواهد، وأما مقابلة المعنى دون اللفظ فكقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾ فإنه لم يراع التقابل اللفظي بين قوله: ﴿ليسكنوا فيه﴾ وقوله: ﴿مبصراً﴾ فإن القياس أن يكون قبالة السكون

الحركة، وقبالة الإبصار الظلمة^(١٩٥). يبدو لي أن ابن الأثير قد وقع في هذا القسم بما يخالف تحديده لمفهوم المقابلة، إذ كان قد أشار إلى اختلاف المعنى في المتقابلات، ولكنه أشار هنا إلى أن قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ يقع في تماثل اللفظ والمعنى، والحقيقة أن المعنى في الآية مختلف إذ إن مكر الإنسان يقع من جهة الذنب والخطيئة في حين إن مكر الله يقع من جهة الجزاء والعقاب، وما جاء التماثل في اللفظ إلا للمشكلة، بحيث يكون الجزاء من جنس العمل، فالمعنى إذن مختلف، وإن تماثل اللفظان في المتقابلين، وأما مثاله في الآية الكريمة لتقابل المعنى دون اللفظ، فقد حقق فيه ما ذهب إليه من التعريف.

عند ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ):

يبدو أن ابن الأثير قد تميز في فهمه للمقابلة من غيره من أصحاب المفاهيم المتكاملة للتقابل والتماثل وذلك أنه جمع إلى المقابلة أنواع المطابقة التي عرفناها في مكائها من هذا الفصل، علاوة على نوع آخر من أنواع البديع، فكيف نظر إلى مفهوم المقابلة؟

يعرف ابن الأثير المقابلة بعدما ناقش مصطلح المطابقة عند أرباب صناعة البديع، يقول: "الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة، لأنه لا يخلو الحال من وجهين، إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث"^(١٩٦). فهو ينظر إلى المقابلة من جهتين الأولى مقابلة الأضداد، والأخرى مقابلة غير الأضداد.

وقد تناول في الجهة الأولى ما تضمنه مفهوم المطابقة عند أصحاب الدراسات البلاغية، أي التضاد اللفظي والتضاد المعنوي، وهو يشير إلى هذا في

قوله: "فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراهما فإنه ينقسم قسمين: أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى: {فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً} فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير... وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فكما جاء منه قول المقنع الكغدني من شعراء الحماسة:

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهم رفا

فقوله: تتابع لي غنى بمعنى قوله كثر مالي، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد... فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته لفظ مركب كان ذلك مقابلة معنوية لا لفظية، فاعرف ذلك^(١٩٧)، فالضد اللفظي كما وقع بين ليضحكوا وليبكوا، وبين قليل وكثير، وأما التضاد المعنوي فهو الذي تم بين تتابع لي غنى الذي يعني كثر مالي وبين قل مالي.

أما الجهة الثانية، وهي مقابلة الشيء بما ليس بضده، فقد قسمها ضربين: الأول المقابلة بين شيئين لا يتماثلان، وقد قسم هذا الضرب قسمين، يقول: "فالضرب الأول يتفرع إلى فرعين: الأول: ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب، كقول قريظ بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً

فقابل الظلم بالمغفرة، وليس ضداً لها، وإنما هو ضد العدل، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل، حسنت المقابلة بينها وبين الظلم... النوع الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل به بعد، وذاك مما لا يحسن استعماله كقول أم

النحيف وهو سعد بن قرط وقد تزوج امرأة كانت هتته عنها فقالت من أبيات
تذمها فيها:

تربص بها الأيام علّ صروفها سترمي بها في جاحم مُستعمر
فكم من كريم قد مناه إلهه بمذمومة الأخلاق واسعة الحر
فقولها بمذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة، بل الأولى
أن كانت قالت بضيقة الأخلاق واسعة الحر، حتى تصح المقابلة^(١٩٨). لاشك في
أن النوع الأول هو تقابل التخالف الذي رأيناه في الطباق، وذلك أن الظلم لا
يقابل المغفرة على الحقيقة، وإنما يقابله العدل وهذا يقع في إطار التخالف،
ويجعل ابن الأثير المناسبة والتقارب علة لهذا التقابل، كما نرى. وأما النوع
الثاني، فهو الذي تتقابل فيه المتقابلات من غير مناسبة أو تقارب، وقد نعته
قدامة بفساد المقابلة، كما عرفنا فيما تقدم.

لقد أدخل ابن الأثير نوعاً آخر من التقابل في هذا الضرب، وهو
المؤاخاة بين المعاني وبين المباني، يقول: "ومما يتصل بهذا الضرب ضرب من
الكلام يسمى المؤاخاة بين المعاني والمؤاخاة بين المباني، وكان ينبغي أن نعقد له
باباً منفرداً، لكننا لما رأيناه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به.

أما المؤاخاة بين المعاني فهو أن تذكر المعنى مع أخيه، لا مع الأجنبي،
مثاله أن تذكر وصفاً من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به، فإن ذكرته
مع ما يبعد منه كان قدحاً من الصناعة، وإن كان جائزاً، فمن ذلك قول
الكميت:

أم هل طعائن بالعلياء رافعة وإن تكامل فيها الدل والشنب

فإن الدل يذكر مع الغنج، وما أشبهه، والشنب يذكر مع اللمس وما أشبهه... وأما المؤاخاة بين المباني فإنه يتعلق بمباني الألفاظ، فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح:

مثقفات سلبن العرب سمرتها والروم زرقتها والعاشق القصفا
وهذا البيت من أبيات أبي تمام الأفراد، غير أن فيه نظراً، وهو قوله العرب، والروم، ثم قال العاشق، ولو صح أن يقول العاشق لكان أحسن، إذ كانت الأوصاف تجري على (نهج) واحد، وكذلك قوله سمرتها وزرقتها، ثم قال القصفا، وكان ينبغي أن يقول قصفها أو دقتها^(١٩٩). ولا شك في أنه يعني بالمؤاخاة هنا الملازمة بين الكلمات المتقابلة، بحيث تكون في المعنى، كما هي الحال في الدل التي تلائم الشنب، وفي المبني بحيث لاءم أبو تمام بين العرب والروم، وسمرتها وزرقتها، إلا أنه لم يلائم بين العرب والروم من حيث الجمع، وبين العاشق المفرد، وبين سمرتها وزرقتها من حيث ارتباط الضمير بهما، وبين القصف لخلوه من الضمير، ويبدو لي أن ابن الأثير قد أقحم هذا النوع من البناء البديعي في المقابلة، فكان عليه أن لا يدخله فيها، وإن كان قد أشار في حديثه إلى اختلاف هذا البناء عن المقابلة.

وأما الضرب الثاني من مقابلة الشيء بما ليس بضده فهو مقابلة بين المتقابلات، وقد نظر إليه من زاوية الأفراد بين الكلمات، والتركيب بين الجمل، يقول: "الضرب الثاني في مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع إلى فرعين: أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد. والآخر مقابلة الجملة بالجملة النوع الأول كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ وكقوله: ﴿مكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ وقد روعي هذا الموضوع في القرآن الكريم كثيراً، فإذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى

جواب كان جوابه مماثلاً كقوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره﴾^(٢٠٠). لاشك في أن ما عناه بمقابلة المفرد للمفرد واضح هنا، إذ إن تقابل مكروا مكرأً بمكرنا مكرأً ظاهر، وهو تقابل المفرد بالمفرد من جهة المماثلة وكذلك الحال قابل في الآية الثانية الكفر بالكفر، وأما عن مقابلة الجملة بالجملة، فيقول: "اعلم أنه إذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة قوبلت بمستقبلة، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية، وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة، والمستقبلة بالماضية، إذ كانت إحداها في معنى الأخرى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قل إن ضللت فأنا أضل على نفسي، وإن اهتديت فيما يوحى إلي﴾ فإن هذا تقابل من جهة المعنى، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن اهتديت فأنا أهتدي لها.

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها، لأنها الأمانة بالسوء، وكل ما هو لها ما ينفعها، فبهداية ربها وتوفيقه إياها"^(٢٠١). إنه هنا يلتفت إلى موضوع الزمن في تقابل الجمل، وذلك أنه أشار إلى الزمن الماضي والزمن المستقبل بحيث يقابل الماضي بالماضي والمستقبل بالمستقبل، وقد يقابل الماضي بالمستقبل والمستقبل بالماضي، ولعل هذا الالتفات إلى الزمن يقع في إطار التماثل من جهة الزمن بين الجمل المتماثلة، ولو نظرنا إلى الآية الكريمة التي أتى بها، لأدركنا أنه ينظر إلى تقابل الجمل من زاويتين الأولى المماثلة في اللفظ، كما هو وارد في المقابلة بين قوله (إني ضللت) وقوله (فإنما أضل على نفسي)، ففي هذا التقابل باللفظ، وأما الزاوية الثانية فهي المماثلة في المعنى، كما هو وارد في المقابلة بين (وإن اهتديت) وقوله (فبما يوحى إلي ربي)، فالجملة الثانية تتقابل مع الجملة الأولى من جهة المعنى، وذلك أن الجملة الثانية تشير إلى الهداية ولكن الهداية هنا من جهة الخالق عز وجل.

هكذا إذن، ينظر ابن الأثير إلى المقابلة من منظار واسع أدخل فيه بعض أنواع الطباق وأضاف إليه التماثل بالمفردات والجمل، وأعني بأنواع الطباق اللفظي والمعنوي وطباق المخالفة.

عند يحيى بن حمزة العلوي اليميني (ت ٧٤٥هـ):

تناول العلوي موضوع مصطلح التطبيق وناقشه وخلص إلى أن المقابلة أجنود بمعناها من التطبيق وغيره لهذا الموضوع، يقول: "والأجنود تلقيه بالمقابلة، لأن الضدين يتقابلان، كالسواد والبياض، والحركة والسكون، وغير ذلك من الأضداد من غير حاجة إلى تلقيه بالطباق والمطابقة، لأنهما يشعران بالتماثل" (٢٠٢). وقد قسم المقابلة أربعة أضرب، يقول: "فذكر كيفية التقابل في الكلام، لأن الشيء ربما قوبل بضده لفظاً، وربما قوبل بضده من جهة المعنى، وتارة يقابل المخالفة، ومرة يقابل بما يماثله، فهذه ضروب أربعة لا بد من تقريرها وتفصيلها بمعونة الله تعالى" (٢٠٣). نلاحظ أن العلوي قد جعل للمقابلة أقساماً واضحة ومفصلة. فكيف فهم كل ضرب من هذه الأضرب الأربعة.

أما عن الضرب الأول وهو مقابلة الشيء بضده في اللفظ، فيقول: "الضرب الأول في مقابلة الشيء بضده: من جهة لفظه ومعناه ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ فانظر إلى هذا التقابل العجيب في هذه الآية ما أحسن تأليفه وأعجب تصريفه، فلقد جمع فيه بين مقابلات ثلاث، الأول منها مأمور بها والثلاث التواضع منهي عنها، ثم هي فيما بينها متقابلة أيضاً... ومنه قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ فقابل الأمر بالنهي وهما ضدان" (٢٠٤). لعلنا

ندرك أن العلوي في هذا الضرب يعتمد على تقابل التضاد اللفظي، فكلمة يأمر تتضاد مع كلمة ينهى، ويدخل فيه كذلك الأمر والنهي فالضرب الأول عند العلوي يجمع تقابل التضاد بين الألفاظ وتقابل السلب والإيجاب من جهة الأمر والنهي.

وأما عن الضرب الثاني وهو مقابلة الشيء بضده في المعنى، فيقول: "الضرب الثاني في مقابلة الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه، ومثاله قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ فقوله يهدي ويضل من باب الطباق اللفظي، وقوله يشرح صدره مع قوله يجعل صدره ضيقاً حرجاً من الطباق المعنوي، لأن المعنى بقوله يشرح يوسعه بالإيمان ويفسحه بالنور حتى يطابق قوله ضيقاً حرجاً... ومن ذلك ما قاله البحرني:

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إلى الشوق من حيث أعلم
فقوله: أعلم مطابق لقوله (لا أعلم) من جهة معناه، لأن معناه من حيث أجهل^(٢٠٥) إن العلوي هنا يشير إلى التضاد المعنوي بين المتقابلات، إذ أشار إلى أن كلمة (يشرح) تتضاد بمعناها مع كلمة (ضيقاً)، وهذا تضاد من جهة المعنى، ونلاحظ أنه أدخل تقابل السلب والإيجاب، وذلك من خلال كلمة (لا أعلم) التي تعني أجهل وكلمة (أعلم). هذا تقابل بين السلب والإيجاب كما عرفنا في هذا الفصل.

وأما عن الضرب الثالث، وهو مقابلة الشيء بمخالفه، فيقول: "الضرب الثالث في مقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة وذلك يأتي على وجهين، الأول منهما أن يكون أحدهما مخالفاً للآخر، خلا أن بينهما مناسبة، وهذا نحو

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَصَبَّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تَصَبَّكَ مُصِيبَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ فالمصيبة مخالفة للحسنة من غير مضادة، إلا أن المصيبة لا تقابل الحسنة، وإنما تقابل السيئة، لأن كل مصيبة سيئة، وليس كل سيئة مصيبة، فالتقارب بينهما من جهة العموم والخصوص... الوجه الثاني ما لا يكون بينهما مقارنة وبينهما بعد لا يتقاربان، ولا مناسبة بينهما، ومثاله ما قاله أبو الطيب المتني:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مجرم
فالمقابلة الصحيحة أن تكون بين محل ومبغض، لا بين محل ومجرم، فإن بين المحب والمجرم تباعداً كثيراً فإن ليس كل من أجرم إليك مبغض لك^(٢٠٦) إن التقابل هنا يتم بين نوعين من المتقابلات الأولى ما كان بينها مناسبة، والأخرى ما لم يكن بينها مناسبة. فمثال الأولى؛ المصيبة والحسنة، وهما ليسا متضادين، وإنما متخالفان، إذ إن الحسنة تتضاد مع السيئة وليست مع المصيبة ومثال الثاني: المحب والإساءة وهما ليسا متضادين، وإنما متخالفان، إذ إن المحب يتضاد مع المبغض وليس مع المجرم.

وأما عن الضرب الرابع، وهو مقابلة الشيء بمثله، فيقول: "الضرب الرابع المقابلة للشيء بما يماثله: وذلك يكون على وجهين؛ الوجه الأول منهما مقابلة المفرد بالمفرد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا﴾ وغير ذلك من الأمور المفردة وإنما أوردنا ما ذكرناه في أمثلة المفردات لأن كل ما ذكرناه في الأمثلة إما مبتدأ وخبر كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ وأما شرط ومشروط كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وكله معدود في حيز المفردات، فلهذا

عددناه في قسم المفرد، فضابط المماثلة أن كل كلام كان مفتقراً إلى الجواب، فإن جوابه يكون مماثلاً كما قررناه، وإن كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة لفظية... الوجه الثاني مقابلة الجملة بالجملة وهذا كقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ وقوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً﴾ وقوله تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ والجملة الشرطية متعددة بين عدها في باب المفرد والجملة، فإن عدت في المفردات فلائها وإن كانت جملاً لكنها قد نقصت عن الاستقلال بعقد حرف الشرط لها عقداً واحداً، وإن عدت في الجملة فلأن الظاهر من الشرط والجزاء جملتان، فلما كان الأمر كما قلنا، جاز فيها الوجهان، وقد تكون الجملتان ماضيتين، أو مضارعيتين، أو تكون الأولى مضارعة والثانية ماضية، وبالعكس من هذا^(٢٠٧). إن العلوي يحدد مقابلة المفرد بالمفرد من خلال إطار الجملة التي تتكون من مبتدأ وخبر متماثلين أو جملة شرطية فيها الشرط وجواب الشرط متماثلان ففي قوله تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ يتماثل المبتدأ جزاء سيئة مع الخبر بمثلها، وفي الآية: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ يتماثل الشرط (كفر) مع جواب الشرط (فعليه كفره) وأما مقابلة الجملة بالجملة، فهو يخرج عن هذا الإطار بحيث تكون الجملة مكتملة من حيث الإسناد، ومتقابلة بالتماثل كقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ إذ كانت الجملة الأولى (مكروا) والجملة الثانية (ومكر الله). ولكنه جعل جملة الشرط مترددة بين الأفراد والتركيب، فقد أجاز أن يكون مقابلة المفرد بالمفرد على أساس أنها جملة واحدة أو مقابلة الجملة بالجملة على أساس أن الشرط جملة والجواب جملة أخرى.

بعد أن عرضنا لمفهومى ابن الأثير والعلوي، لا بد أننا أدركنا مدى التشابه بين المفهومين وليس من شك في أن العلوي قد أفاد من ابن الأثير الذي تقدم عليه زمنياً في نظراته إلى المقابلة. وبالرجوع إلى مفهوم كل واحد منهما لأضرب المقابلة نستطيع أن نرصد الملاحظات الآتية:

أولاً - لم يتحدث ابن الأثير عن قضية النهي والأمر، التي تشكل جزءاً من مفهوم السلب والإيجاب في الطباق، في مفهومه للمقابلة. في حين أن العلوي أدخل هذه القضية في الضرب الأول، لأنه وجد أن هذا الأسلوب مناسب لهذا الضرب.

ثانياً - لم يتحدث ابن الأثير عن قضية السلب والإيجاب في مفهومه، بينما نجد العلوي يدخلها في الضرب الثاني وهو التقابل المعنوي.

ثالثاً - إن ابن الأثير كان قد ألحق المؤاخاة في المعاني والمؤاخاة في المباني في الضرب الأول من الجهة الثانية، وهي مقابلة الشيء بما ليس بضده في حين أن العلوي استبعدها من المقابلة في مفهومه.

رابعاً - إن ابن الأثير لم يحدد الفرق بين مقابلة المفرد بالمفرد والجملة بالجملة، في حين نجد العلوي قد حددها في قواعد واضحة تعتمد على المبتدأ والخبر والشرط والجزاء في المفرد، وعلى عطف الجمل المكتملة في الإسناد في تقابل الجملة بالجملة.

من هذه الملاحظات، نرى أن العلوي قد نظر في مفهوم ابن الأثير، وقد عدل عليه، ونقحه، بحيث أخرجنا لنا مفهوماً واضح الحدود في قواعد مضبوطة وخصوصاً للتماثل كما رأينا.

لاشك في أننا أدركنا بعد هذا الحديث أن الطباق والمقابلة يمكن لنا أن نجمعهما تحت مفهوم واحد هو التقابل: وذلك لما يتوفر في كل واحد منهما المعنى الضمني للتقابل، فالطباق يعتمد أصلاً على تقابل الألفاظ أو تقابل الألفاظ بالتركيب أو تقابل التركيبي بالتركيب، وأن المقابلة تستوعب هذه الأقسام التي تظهر في الطباق وتقوم عليها.

أستطيع أن أخلص إلى مفهوم التقابل والتماثل الذي أعتمد عليه في دراسي للقرآن الكريم، ولابد من الإشارة هنا إلى أن مفهومي ضياء الدين بن الأثير ويحيى ابن حمزة العلوي يشكلان الأساس الذي انطلق منه لمفهومي الخاص للتقابل والتماثل، وكما أرى، أنهما وضع لغوي يتركب من عناصر لغوية تقوم في الأصل على المواجهة فيما بينهما سواء مواجهة التقابلات أو التخالفات أو التماثلات، وقد تكون العناصر اللغوية بسيطة كتقابل الضدين أو المتخالفين أو التماثلين، وقد تكون مركبة كتقابل الجملة بالجملة أو مجموعة من الجمل بمجموعة أخرى من الجمل.

ويمكننا أن نضع هذا المفهوم في ثلاثة أنماط هي:

أولاً- النمط البسيط:

يتكون هذا النمط من:

أ- تقابل التضاد اللفظي:

وهو يتكون من كلمة تقابل أخرى من جهة التضاد في اللفظ والمعنى، ويدخل ضمن هذا التقابل ما كان من جهة النفي أو الأمر والنهي، على أن تكون الكلمتان متضادتين في الأصل قبل دخولهما سياق التركيبي.

ب- تقابل التضاد المعنوي:

وهو يتكون من كلمة تقابل أخرى من جهة التضاد في المعنى، ويدخل ضمنه ما كان من جهة النفي فقد تكون الكلمتان من أصل واحد قبل دخولهما سياق التركيب، أو من كلمتين متضادتين في الأصل قبل دخولهما السياق.

ج- تقابل التخالف:

وهو يتكون من كلمة تقابل أخرى من جهة التخالف لا التضاد.

د- التماثل:

وهو يتكون من مفرد يتمثل مع مفرد كالمبتدأ والخبر من جهة التماثل اللفظي أو المعنوي.

ثانياً- النمط المركب:

يتكون هذا النمط من:

أ- تقابل التضاد المعنوي:

وهو يتكون من كلمة تقابل تركيباً من جهة المعنى المضاد. أو من تركيب يقابل تركيباً من جهة المعنى المضاد.

ب- التماثل:

وهو يتكون من تركيب يجاور تركيباً من جهة التماثل، إما في اللفظ أو المعنى، كجملتي الشرط والجواب في الجمل الشرطية، أو جملتين مكتملتي الإسناد تتماثلان من جهة اللفظ أو المعنى.

ثالثاً- النمط المعقد:

وهو نمط يجمع أشكال التداخل بين التقابلات والتخالفات والتماثلات بحيث يجمع أكثر من نمط من النمطين السابقين في أقسامهما.

الهوامش

- ١- كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد (١٩٨٢) ج ٥، ص ١٦٦.
- ٢- المثلث، تحقيق: صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ج ٢، ص ٢٩٢.
- ٣- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي بمصر، ط ٢، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، مادة (ق ب ل).
- ٤- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مراد كامل، شركة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي بمصر، ط ٢ (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) ج ٦ ص ٢٦٣.
- ٥- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، دون تاريخ، مادة (ق ب ل).
- ٦- الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، الشركة اللبنانية للموسوعات العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) مادة (ق ب ل).
- ٧- لسان العرب، مادة (ق ب ل).
- ٨- كتاب العين، ج ٥، ص ١٠٩.
- ٩- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق).
- ١٠- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج ٦، ص ١٨٧.
- ١١- الصحاح، مادة (ط ب ق).
- ١٢- لسان العرب، مادة (ط ب ق).

- ١٣- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٦، ص١٧٩.
- ١٤- الصحاح، مادة (ط ب ق).
- ١٥- كتاب العين، ج٥، ص١٠٩.
- ١٦- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق)، كذا وردت كلمة (متطابقتين).
- ١٧- لسان العرب، مادة (ط ب ق).
- ١٨- المصدر السابق، مادة (ط ب ق).
- ١٩- معجم مقاييس اللغة، مادة (ط ب ق).
- ٢٠- أساس البلاغة، مطبعة دار الكتب- القاهرة، ط٢ (١٩٧٣م) ج٢، ص٦١.
- ٢١- معجم مقاييس اللغة، مادة (ك ف ع).
- ٢٢- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧٠.
- ٢٣- الصحاح، مادة (ك ف ع).
- ٢٤- لسان العرب، مادة (ك ف ع).
- ٢٥- كتاب العين، ج٥، ص٤١٤.
- ٢٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧٠.
- ٢٧- الصحاح، مادة (ك ف ع).
- ٢٨- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧١.
- ٢٩- لسان العرب، مادة (ك ف ع).
- ٣٠- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج٧، ص٧١.

- ٣١- إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، بمصر، ط ٤، (١٣٧٥هـ-١٩٥٦م)، ص ٢٨.
- ٣٢- معجم مقاييس اللغة، مادة (ض د د). .
- ٣٣- لسان العرب، مادة (ض د د). .
- ٣٤- المصدر السابق، مادة (ض د د). .
- ٣٥- معجم مقاييس اللغة، مادة (ض د د). .
- ٣٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ج ٦، ص ١١١.
- ٣٧- لسان العرب، مادة (ن ق ض). .
- ٣٨- معجم مقاييس اللغة، مادة (خ ل ف). .
- ٣٩- لسان العرب، مادة (خ ل ف). .
- ٤٠- المحكم والمحيط الأعظم، ج ٥، ص ١٢٣.
- ٤١- الصحاح، مادة (خ ل ف). .
- ٤٢- العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام (١٩٨١م)، مادة (خ ل ف). .
- ٤٣- لسان العرب، مادة (خ ل ف). .
- ٤٤- المثلث، ج ٢، ص ١٥٣.
- ٤٥- لسان العرب، مادة (م ث ل). .
- ٤٦- كتاب العين، ج ٥، ص ٢٩٥-٢٩٦.
- ٤٧- المثلث، ج ٢، ص ٤٤٤.

- ٤٨ - لسان العرب، مادة (ش ك ل).
- ٤٩ - مواد البيان، تحقيق: الدكتور حسين عبد اللطيف، طرابلس - جامعة الفاتح، سنة (١٩٨٢م)، ص ٢٧٩.
- ٥٠ - البقرة: ٢٢/٢.
- ٥١ - الإلتقان، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ٢٨٤.
- ٥٢ - كتاب البديع، اعتنى بنشره: كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط ٢ (١٤٠٢ هـ - ١٩٧٢م)، ص ٢٦.
- ٥٣ - العمدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، دون تاريخ، ج ٢، ص ٧.
- ٥٤ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٦.
- ٥٥ - تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢ (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م)، ص ١٥٨.
- ٥٦ - الكامل، المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر بالفجالة، دون تاريخ، ج ٢، ص ١٤.
- ٥٧ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤، هامش ١.
- ٥٨ - قواعد الشعر، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، دار المعرفة، القاهرة (١٩٦٦م)، ص ٦٢.
- كذا وردت (هنيئاً) في الكتاب وقد أشار المحقق إلى البيت في الهامش وطابقه برواية الديوان ولم يشر إلى اختلاف الرواية بين الديوان

والكتاب، ورواية الديوان هي (يميناً) ولعل السبب في ذلك راجع إلى خطأ طباعي، انظر لتصحيح الرواية شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة (١٢٦٣ هـ-١٩٤٤م)، الهيئة العامة للكتاب، والدار القومية للنشر، القاهرة، ص ١٤.

- ٥٩- قواعد الشعر، ص ٦٤-٦٥.
- ٦٠- أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دون تاريخ، ص ٢٢٦-٢٢٧.
- ٦١- العمدة، ج ٢، ص ٦.
- ٦٢- مواد البيان، ص ٣٠٨.
- ٦٣- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا وصاحبيه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ، ج ١، ص ١٦١.
- ٦٤- يتيمة الدهر، تحقيق: المرحوم محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط ٢، سنة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) ج ١، ص ١٣٧.
- ٦٥- معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط ٣ (١٤٠٢هـ-١٩٨٣م)، ج ١، ص ١١٦-١١٧.
- ٦٦- تأويل مشكل القرآن، ص ٢٧٧.
- ٦٧- الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دون تاريخ، ص ٣٨٥.
- ٦٨- مواد البيان، ص ٢٣٦-٢٣٧.

- ٦٩- الحجة، تحقيق: علي النجدي ناصف ورفيقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ج١، ص٢٣٦.
- ٧٠- أثر النحاة في البحث البلاغي، ص١٦٤.
- ٧١- المرجع السابق، ص٢٣٥-٢٣٦.
- ٧٢- انظر دراسات بلاغية ونقدية، الدكتور أحمد مطلوب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر (١٩٨٠م) ص١٥ وما بعدها.
- ٧٣- كتاب المقولات، ابن سينا، تحقيق الأب جورج قنوالي ورفاقه، القاهرة (١٩٥٩م) ص٥٥، وكتاب الميّن، الأمدي (ت ٦٣١هـ) تحقيق: عبد الأمير الأعمس، دار المناهل-بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧) ص١٢٠، وتلخيص ما وراء الطبيعة، ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) تحقيق: الدكتور عثمان أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة (١٩٥٨م) ص٢٣.
- ٧٤- كتاب المقولات، ص٢٤١.
- ٧٥- البصائر النصيرية، تحقيق المرحوم الشيخ محمد عبده، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بميدان الأزهر بمصر، مطبعة الصاوي بالقاهرة، دون تاريخ ص٦٥.
- ٧٦- العبارة، تحقيق محمود الخضيرى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ ص٣٤.
- ٧٧- البصائر النصيرية، ص٦٦.
- ٧٨- النحاة، نشره محيي الدين صبري الكردي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢ (١٣٥٧هـ-١٩٣٨م) ص٢٦.

- ٧٩- العبارة، ص ٢٤-٢٥.
- ٨٠- كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، طهران بالمطبعة الخيرية المنشأة
بجمالية مصر (١٣٠٦هـ) ص ٨٦.
- ٨١- كتاب التعليقات، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية
العامة للكتاب-القاهرة (١٣٩٢هـ-١٩٧٣م) ص ٤٤.
- ٨٢- كتاب الجدل، تحقيق وتقديم: الدكتور رفيق العجم، دار الشروق-
بيروت، (١٩٨٦م) ص ٢١.
- ٨٣- كتاب العبارة، ص ٤٦-٤٧.
- ٨٤- كتاب التعليقات، ص ٤٤.
- ٨٥- المصدر السابق، ص ٧٥.
- ٨٦- تلخيص ما وراء الطبيعة، ص ١١٠.
- ٨٧- المصدر السابق، ص ٢٣.
- ٨٨- كتاب التعريفات، ص ٥٩.
- ٨٩- البصائر النصيرية، ص ٦٦.
- ٩٠- المصدر السابق، ص ٦٦-٦٧.
- ٩١- الكليات، تحقيق الدكتور عدنان درويش، والدكتور محمد المصري،
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دمشق (١٩٨٢م)
ج ٣/ص ١٤٠.
- ٩٢- كتاب المبين، ص ١٢٠.
- ٩٣- كتاب المقولات، ص ٢٦٤-٢٦٥.

- ٩٤ - البصائر النصيرية، ص ٦٧-٦٦.
- ٩٥ - كتاب الجدل، ص ٢١.
- ٩٦ - كتاب العبارة، ص ٤٣.
- ٩٧ - النجاة، ص ٢٧.
- ٩٨ - البصائر النصيرية، ص ١٢٢.
- ٩٩ - كتاب المين، ص ٦٣.
- ١٠٠ - التعليقات، ص ٣٥.
- ١٠١ - تلخيص ما وراء الطبيعة، ص ٢٤.
- ١٠٢ - سنلحظ هذا في تناولنا للتضاد اللفظي والمعنوي والسلب والإيجاب في الصفحات القادمة من هذا الفصل.
- ١٠٣ - الفروق اللغوية، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية-بيروت، (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص ١٢٩.
- ١٠٤ - عروس الأفراح، ضمن كتاب شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٩٣٧م) ج ٤ ص ٢٨٦.
- ١٠٥ - المختصر، ضمن كتاب شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٩٣٧م) ج ٤ ص ٢٨٦-٢٨٧.
- ١٠٦ - المترع البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط-المغرب، ط ١ (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص ٣٣٥.
- ١٠٧ - مواهب الفتاح، ضمن كتاب شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر (١٩٣٧م) ج ٤/ص ٢٨٦-٢٨٧.

- ١٠٨- نقد الشعر، تحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، ط ١ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ص ١٤٧-١٤٨.
- ١٠٩- الموازنة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المسيرة (١٣٦٣هـ-١٩٤٤م) ص ٢٥٤.
- ١١٠- انظر مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، ص ٣٠٧.
- ١١١- كتاب الصناعتين، تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١ (١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص ٣٢٩.
- ١١٢- العمدة، ج ٢/ص ١٠.
- ١١٣- سر الفصاحة، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر- القاهرة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، ص ١٩٦.
- ١١٤- المثل السائر، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، دون تاريخ، ج ٣ ص ١٤٤.
- ١١٥- بديع القرآن، تحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ط ٢، دون تاريخ، ص ٣١، وانظر: كتابه تحرير التحرير، تحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٣٨٣هـ-)، ج ١، ص ١١١.
- ١١٦- المصدر السابق، ٣٣، وانظر كتابه تحرير التحرير: ج ١/ص ١١٣.
- ١١٧- كتاب البديع، ص ٣٦.
- ١١٨- الموازنة، ص ٢٥٤-٢٥٦.
- ١١٩- كتاب الصناعتين، ص ٣٣٩.

١٢٠- إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف-القاهرة، ط ٥،
دون تاريخ، ص ٨٠.

١٢١- انظر على سبيل المثال لا الحصر: العمدة، ابن رشيق، ج ٢/ص ٥، وسر
الفصاحة ابن سنان الخفاجي، ص ١٩١، والوافي، الخطيب التبريزي،
تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر-دمشق، سورية، ط ٤
(١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) ص ٢٣١-٢٣٢. وقانون البلاغة، لأبي طاهر
البغدادي، تحقيق: الدكتور محسن غياض عجيل، ص ٨٤، ومعالم
الكتابة، القرشي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب
العلمية-بيروت، ط ١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ص ١٠٣، وجوهر
الكر، نجم الدين بن الأثير الحلبي، تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام،
منشأة المعارف بالإسكندرية-مصر، دون تاريخ، ص ٨٤.

١٢٢- مواد البيان، ص ٢٣٩، وانظر أيضاً: نهاية الإنجاز في دراية الإعجاز،
فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور بكرى شيخ أمين، دار العلم
للملايين-بيروت، ط ١ (١٩٨٠م) ص ٢٨٥، وحسن التوسل، شهاب
الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والإعلام-
الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، (١٩٨٠م) ص ٢٠٠، ونهاية
الأرب في فنون الأدب، النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر- القاهرة، دون تاريخ،
ج ٧ ص ٩٩.

١٢٣- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف- مصر، ط ٧ (١٩٦٩م)
ص ١٩٥.

١٢٤- ساء الأسلوب في شعر الحدائث، التكوين البديعي، القاهرة، (١٩٨٨م)
ص ١١٠-١١١.

١٢٥- بديع القرآن، ص ٣١-٣٢، وانظر كتابه تحرير التحبير: ج ١/ص ١١١-

.١١٢

١٢٦- المصدر السابق، ص ٣٢.

١٢٧- المصدر السابق، ص ٣٤.

١٢٨- لقد أطلق بعض أصحاب الدراسات البلاغية على الطباقي القائم على

التضاد الحقيقي تكافؤاً، انظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص ١٤٧،

ومواد البيان، علي بن خلف الكاتب، ص ٣٠٦ وما بعدها، وإعجاز

القرآن، الباقلاني ص ٩٧، والوافي، الخطيب التبريزي، ص ٢٤٦، وقانون

البلاغة، أبو طاهر البغدادي، ص ٣٨، ٢٠٧.

١٢٩- حسن التوصل إلى صناعة التوصل، ص ٢٠١-٢٠٢.

١٣٠- نهاية الأرب في الأدب، ج ٧/ص ١٠٠.

١٣١- التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار

الكتاب العربي-بيروت، دون تاريخ، ص ٣٥١-٣٥٢، وانظر كتابه:

الإيضاح شرح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات

الأزهرية-القاهرة، دون تاريخ، ص ١٥.

١٣٢- عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص، ج ٤ ص ٢٩٥-٢٩٦. وانظر

في اختلافات أصحاب الدراسات البلاغية: الحلة السيرا، لابن جابر

الأندلسي، تحقيق: علي أبو زيد، عالم الكتب-بيروت، ط ٢ (١٤٠٥)

هـ- (١٩٨٥م) ص ٨٥. ومعتزك الأقران، السيوطي، تحقيق: علي محمد

البحاوي، دار الفكر العربي، دون تاريخ، ج ١/ص ٤١٤ وأنوار الربيع

في أنواع البديع، ابن معصوم، شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان-

النحف الأشرف، ط ١١ (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م) ج ٢/ص ٣٧، ٣٣.

- ١٣٣- البقرة، ١٦/٢.
- ١٣٤- بديع القرآن، ص ٣٢.
- ١٣٥- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق، الدكتور محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت-لبنان (١٩٦٢م) ص ١١٧.
- ١٣٦- حركة المعنى في شعر المتنبي بين السلب والإيجاب ضمن كتاب المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، (١٩٧٩م) ص ١٦٩.
- ١٣٧- كتاب البديع، ص ٣٦. وانظر: إعجاز القرآن، الباقلائي، ص ٨.
- ١٣٨- كتاب الصناعتين، ص ٣٤٧.
- ١٣٩- سر الفصاحة، ص ١٩١-١٩٣.
- ١٤٠- الوافي، ص ٢٣١-٢٣٢.
- ١٤١- قانون البلاغة، ص ٨٤-٨٦.
- ١٤٢- البديع، ص ٦٤.
- ١٤٣- المثل السائر، ج ٣/ص ١٥١.
- ١٤٤- تحرير التحبير، ج ١/ص ١١٥، وانظر بديع القرآن: ص ٣٣.
- ١٤٥- الطراز، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان (١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م) ج ٢/ص ٣٨٣.
- ١٤٦- منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط ٢ (١٩٨١م) ص ٤٩.
- ١٤٧- المصدر السابق، ص ٥٠.

- ١٤٨- الإشارات والتنبيهات، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، دار نهدضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، دون تاريخ، ص٢٦٢.
- ١٤٩- الإيضاح، ج٦/ص١٠.
- ١٥٠- الفوائد المشوق، بإشراف لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال-بيروت، دون تاريخ، ص٢٠٥.
- ١٥١- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث-القاهرة، ط٣ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ج٣/ص٤٥٦.
- ١٥٢- انظر على سبيل المثال لا الحصر: الحلة السيرا، ابن جابر الأندلسي، ص٨٣ وما بعدها، ومعتك الأقران، السيوطي، ج١/ص٤١٤-٤١٥. والإتقان، السيوطي، ج٣/ص٢٨٤ وما بعدها، وأنوار الربيع، ابن معصوم، ج٢/ص٣٩ وما بعدها.
- ١٥٣- البقرة، ١٧٩/٢.
- ١٥٤- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه مصطفى السقا ورفيقاه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دون تاريخ، ج١/ص١٦١.
- ١٥٥- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، ط٣، دون تاريخ، ج٣/ص١١٦.
- ١٥٦- يس، ١٥/٣٦-١٦.
- ١٥٧- الحماسة البصرية، ج٢/ص٣١.
- ١٥٨- نقد الشعر، ص١٤٩.
- ١٥٩- كتاب الصناعتين، ص٤٥٦.
- ١٦٠- إعجاز القرآن، ص٩٨.

- ١٦١- سر الفصاحة، ص١٩٦-١٩٧.
- ١٦٢- انظر على سبيل المثال لا الحصر، الوافي، الخطيب التريزي، ص٢٣٢،
٢٤٦ ، وقانون البلاغة، أبو طاهر البغدادي، ص١٠٨،٨٦، وبديع
القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، ص٣٢،٣٤،١١٦، وكتابه تحرير
التحبير، ج١/ص١١٤، ج٤/ص٥٩٣، ومنهاج البلاغ، حازم
القرطاجي، ص٥٠.
- ١٦٣- بديع القرآن، ص١١٦.
- ١٦٤- كتاب الصناعتين، ص٤٥٦.
- ١٦٥- بديع القرآن، ص١١٦.
- ١٦٦- الطراز، ج٢/ص٣٧٩.
- ١٦٧- انظر على سبيل المثال لا الحصر، المترع البديع، السجلماسي، ص٣٣٥
ومعترك الأقران، السيوطي، ج١/ص٤١٤، وكتابه الإتقان، ج٣/
ص٢٨٤.
- ١٦٨- تحرير التحبير، ج١/ص١١٤.
- ١٦٩- البرهان في علوم القرآن، ج٣/ص٣٩٥.
- ١٧٠- ديوان البحري، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، ط٢
دون تاريخ، ج٣/ص١٩٢٨، ويروى في الديوان، تقيض بدلاً من
يقيض.
- ١٧١- التحريم، ٦/٦٦.
- ١٧٢- الإسراء، ٢٣/١٧.
- ١٧٣- النساء، ٣٦/٤.

- ١٧٤- الأعلى، ١٣/٨٧.
- ١٧٥- كتاب الصناعتين، ص ٣٤٧.
- ١٧٦- العمدة، ج ٢/ص ١٠.
- ١٧٧- المثل السائر، ج ٣/ص ١٥١-١٥٣.
- ١٧٨- مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص ٤٢٤.
- ١٧٩- الإشارات والتنبيهات، تحقيق: د. عبد القادر حسين، ص ٢٦٧-٢٦٨.
- ١٨٠- التلخيص، ص ٣٥٦-٣٥٨، وانظر أيضاً الإيضاح: ج ٦/ص ٢٦-٢٩، والإتقان، السيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ج ٣/ص ٢٨١-٢٨٢.
- ١٨١- البقرة، ١٣٨/٢.
- ١٨٢- الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط ١)
١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) ج ١/ص ٣١٦.
- ١٨٣- البرهان في علوم القرآن، ج ٣/ص ٤٥٨.
- ١٨٤- المصدر السابق، ج ٣/ص ٤٥٨.
- ١٨٥- المصدر السابق، ج ٣/ص ٤٥٩.
- ١٨٦- المصدر السابق، ج ٣/ص ٤٥٩.
- ١٨٧- المصدر السابق، ج ٣/ص ٤٥٩.
- ١٨٨- المصدر السابق، ج ٣/ص ٤٦٠-٤٦١.
- ١٨٩- المصدر السابق، ج ٣/ص ٤٦٢-٤٦٣.
- ١٩٠- جوهر الكثر، ص ٨٥.
- ١٩١- المصدر السابق، ص ٨٧.

- ١٩٢ - هود، ١١/٢٤.
- ١٩٣ - جوهر الكثر، ص ٨٥.
- ١٩٤ - المصدر السابق، ص ٨٧.
- ١٩٥ - المصدر السابق، ص ٨٨.
- ١٩٦ - المثل السائر، ج ٣/ص ١٤٤.
- ١٩٧ - المصدر السابق، ج ٣/ص ١٤٤، ١٥١.
- ١٩٨ - المثل السائر، ج ٣/ص ١٥١-١٥٣.
- ١٩٩ - المثل السائر، ج ٣/ص ١٥٣-١٥٦.
- ٢٠٠ - المثل السائر، ج ٣/ص ١٥٩.
- ٢٠١ - المصدر السابق، ج ٣/ص ١٦٢.
- ٢٠٢ - الطراز، ج ٢/ص ٣٧٧-٣٧٨.
- ٢٠٣ - المصدر السابق، ج ٢/ص ٣٧٨.
- ٢٠٤ - المصدر السابق، ج ٢/ص ٣٧٨-٣٧٩.
- ٢٠٥ - المصدر السابق، ج ٢/ص ٣٨٣-٣٨٤.
- ٢٠٦ - المصدر السابق، ج ٢/ص ٣٨٤-٣٨٦.
- ٢٠٧ - المصدر السابق، ج ٢/ص ٣٨٦-٣٨٨.

الفصل الثاني

أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم

بعد أن انتهيت من الحديث عن مفهوم التقابل والتماثل وطبيعتهما التركيبية عند المتقدمين من لغويين وفلاسفة وأصحاب دراسات بلاغية، وحددت الإطار العام لمفهومي الخاص بهما في الفصل الأول، آتي لأتحدث عن تشكيل التقابلات والتماثلات في الآيات القرآنية الكريمة؛ وذلك لأوضح الأبنية الأسلوبية التي تشكلت فيها، حتى تكون مهاداً للحديث عن الوظائف والدلالات التي تحتزنها التقابلات والتماثلات في فصل آخر من هذه الدراسة. ولم أفصل بين وظائفها ودلالاتها عن أبنيتها التركيبية من إيماني بهذا الفصل، وإنما هو تسهيل للدرس والبحث، إذ "لا يمكن الوصول إلى المستوى الأول إلا بالتحرك داخل خيوط المستوى الثاني، حقيقة أن الفصل بين الأمرين أمر في غاية الصعوبة، إن لم نقل الإحالة، ولكنها عملية لا بد منها خاصة عندما نعود إلى النص الأدبي بالدراسة والتحليل والكشف عن خواصه الدلالية، ففي هذه الحالة لا بد من الإمساك بخيوط المستوى السطحي والتحرك بين جزئياته والكشف عن نظامها، ثم منها يمكن الكشف عن الدلالة في صورتها القرينية"⁽¹⁾. ولذلك فإني وضعت إطاراً عاماً لأنماط التقابل والتماثل اللذين يمكن أن تتحرك من خلالهما للكشف عن جوانب كثيرة تتصل ببنائهما، فيكون حديثي عنهما من خلال السياق الذي يظهران فيه؛ لأن حقيقة بنائهما، كما أرى، لا تنتهي بالكشف عن التركيب القائم بين المتقابلين أو المتماثلين حسب، إنما في الكشف عن العلاقات اللغوية على مستوى العبارة، وذلك من خلال الجملة وما يتصل بها. وهذه الأنماط، كما رأينا في الفصل الأول، هي: النمط البسيط، والنمط المركب، والنمط المعقد، فأبدأ حديثي عن النمط البسيط.

النمط البسيط:

لقد توزعت تقابلات القرآن الكريم وتمثالاته في هذا النمط على أنواع التقابل والتماثل البسيطين التي شملت تقابل التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي، والتقابل المعنوي، وتقابل التخالف، والتماثل، وقد بلغت التقابلات والتمثالات في هذا النمط سبع مائة وستة وستين تقابلاً وتمثالاً توزعت على أنواعه، فأبدأ حديثي عن النوع الأول.

أولاً - تقابل التضاد اللفظي:

إن تقابل التضاد اللفظي أول مبحث في هذا النمط، الذي يتكون من الكلمات المتقابلة بالتضاد من جهتي اللفظ والمعنى سواء كان اللفظ في الحقيقة أم في المجاز. وقد بلغت تقابلاته ثلاث مائة وأربعة عشر تقابلاً، توزعت على التضاد الحقيقي الذي تكرر مائتين واثنين وتسعين مرة، وعلى التضاد المجازي الذي تكرر اثنين وعشرين مرة.

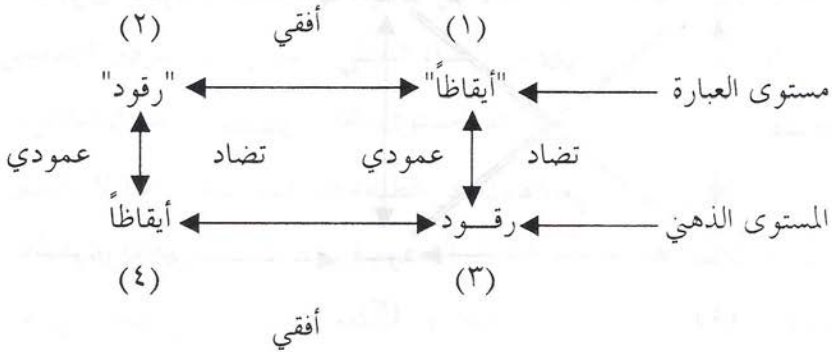
وللكشف عن الطبيعة التركيبية لهذا التقابل، وعن الأبنية الأسلوبية التي تشكل فيها، لابد من الحديث عن كل تقابل منهما لتلمس نقاط الالتقاء والافتراق التي تنشأ بين الطبيعتين.

إن الطبيعة التركيبية التي حددناها لتقابل الألفاظ في التضاد الحقيقي في الفصل السابق هي طبيعة ثابتة إذا ما حصرنا نظرنا في العلاقة القائمة بين المتقابلين حسب، وذلك أن المتقابلين في مستوى العبارة يشكلان نقطة الحضور بالنسبة للقارئ، وفي المقابل يتشكل تقابل جديد في الذهن يشكل نقطة الغياب، فقوله تعالى: ﴿ وَحَسْبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾^(١) يبين لنا الطبيعة التركيبية

التي أشرت إليها، فقوله (أيقاظاً) يتقابل بقوله (رقود) بحيث يشكلان تقابلاً أفقياً على مستوى العبارة في الصورة الآتية:

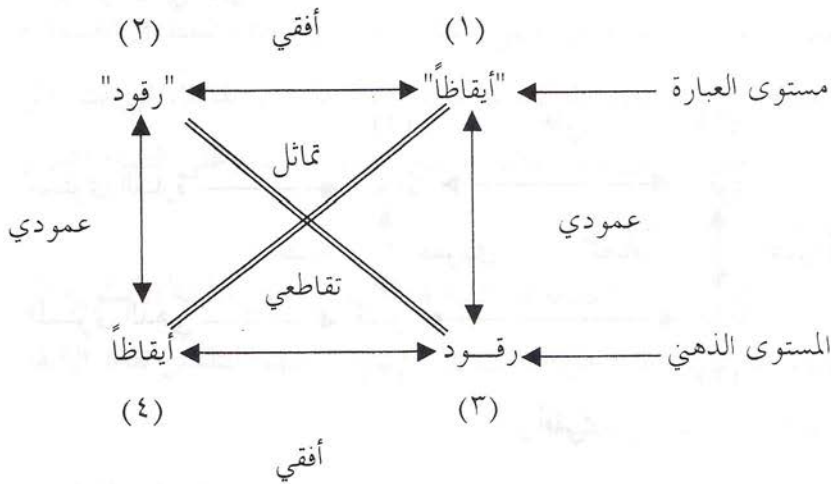


وعند إظهار التقابل الذهني لمستوى الغياب تظهر صورة أخرى لتقابل التضاد، بحيث يكون لكل طرف من المتقابلين ضد محتزن في الذاكرة، فيتشكل تقابل ذهني مماثل لما في العبارة، ويكون متضاداً باللفظ والمعنى، وذلك كما في الرسم التوضيحي الآتي:



إن ما أقصده بالتمائل هو نمط التركيب من حيث إحداث تقابل ضدي أفقي وفي الوقت نفسه إحداث عكس لصورة التقابل على مستوى العبارة، وما يحدث من جديد في هذا التركيب هو نشوء تقابل عمودي بين (أيقاظاً) و(رقود) في الرقمين (١، ٣) وتقابل عمودي آخر بين (رقود) و(أيقاظاً) في الرقمين (٢، ٤). إن هذه الطبيعة التركيبية، كما نلاحظ، كانت قد ظهرت في الفصل

الأول من هذه الدراسة ولم يكن بوسعنا، في ذلك الفصل، أن نتحرك في هذه الطبيعة أكثر من هذا، وذلك أن مفهوم أصحاب الدراسات البلاغية لم يكن يعطينا مجالاً أرحب للحديث عن هذه الطبيعة التركيبية، وبالنظر إلى الرسم التوضيحي السابق نلاحظ نشوء علاقات جديدة تقع بين المستويين الذهني والمكتوب وهي تماثل بين (أيقاظاً) في العبارة و(أيقاظاً) في الذهن، وتماثل آخر بين (رقود) في العبارة، و(رقود) في الذهن، إن هذا البناء يكشف عن طبيعة مميزة تجمع بين التضاد والتماثل بحيث تحمل صفة البناء الأفقي والعمودي في التضاد والتقاطعي في التماثل كما في الرسم الآتي:

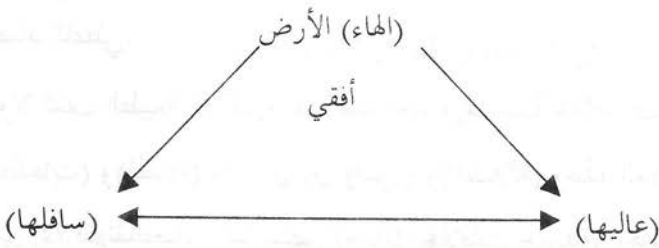


لا شك في أن هذا البناء يرصد لنا أربع زوايا متضادة، وفي الوقت نفسه، متماثلة في تقاطعها، وهذا يكشف عن إغلاق دائرة التضاد بين الألفاظ في سياق الآية الكريمة.

وأما الكشف عن الطبيعة التركيبية لتقابل الألفاظ في التضاد المجازي،
 فيظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
 شَكُورٍ﴾^{١٣}. إن التقابل المجازي في هذه الآية قائم بين (الظلمات) و(النور)، إذ
 إنهما جاءتا على سبيل الاستعارة أي المجاز، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أشار
 في الأولى إلى الضلالة وفي الثانية إلى الهداية، وفي هذا المجاز يحافظ التقابل على
 علاقة التضاد اللفظي.

ولا تقف الطبيعة التركيبية عند هذا الحد وإنما تنشأ علاقة تضاد أخرى
 بين (الظلمات) و(الهداية) وأخرى بين (النور) و(الضلالة) وهذه العلاقة، كما
 نلاحظ، هي علاقة تقاطعية، وهنا ينتهي إحداث علاقات جديدة، وهذه الطبيعة
 التركيبية تتميز من سابقتها من التضاد اللفظي الحقيقي بأن الطرفين الجديدين
 ليسا على مستوى الذاكرة وإنما على مستوى المجاز الذي يفرزه السياق البنائي.
 يبدو لي أن انتهاء الحديث عن الطبيعة التركيبية للتقابل هنا لا يكشف
 عن حقيقة هذا البناء، وذلك أن الاهتمام بالرباط الذي يجمع كل طرف من
 طرفي التقابل شيء في غاية الأهمية؛ لأن طبيعة تركيب التقابل تتحدد في هذا
 الرباط، علاوة على الأصل الذي يخرج منه المتقابلان. ومن استقرائي لتقابل
 الألفاظ الحقيقية والمجازية في الآيات الكريمة وجدت أن ثمة صورتين لهذا التقابل،
 الصورة الأولى هي اجتماع الضدين في رباط واحد، والصورة الثانية هي توزيع
 الضدين على رابطتين مختلفتين.

أما الصورة الأولى، فقد كان إحداث التقابل بين الطرفين يتخذ معنيي المواجهة والضم. أما معنى المواجهة، فكما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾^(٤). وذلك أن الخالق عندما ذكر الأرض، فإنما ذكره كان يتعلق بإيجاد المواجهة بين الضدين (عاليها) و(سافلها)، ونلاحظ من الآية الكريمة أن الرابط الذي يجمع الضدين هو واحد، فـ (عاليها) و(سافلها) يجتمعان في الضمير (الماء) العائد إلى الأرض كما في الصورة الآتية:



وكما أشرت سابقاً إلى الطبيعة التركيبية لمثل هذا التقابل فإنها تتصف بتقابل أفقي وعمودي بالتضاد وتمائل تقاطعي، وذلك على المستويين المكتوب والذهني. ولا شك في أن هذا الرسم لطبيعة تركيب المتقابلين يكشف لنا عن نقطة مهمة وهي مقولة كثير من أصحاب الدراسات البلاغية، وذلك في تعريفهم للتضاد، وهو أن الضدين هما اللذان لا يجتمعان في شيء واحد "ويبدو لي أن في تعريفهم هذا كثيراً في التعميم فالضدان في هذه الآية اجتمعا في شيء واحد وذلك على مستوى العبارة، وعلى المستوى البنائي للعبارة والذهن فقولـه (جعلنا عاليها سافلها) يقتضي منا الفهم بأن الصياغة القرآنية وضعت الأعلى مكان الأسفل، وبالتالي فإنها وحدت الطرفين معاً من خلال حركة عكسية بحيث اتصف الطرف الأعلى بالأسفل، والطرف الأسفل بالأعلى وهذه

الحركة نتيجة الفعل (جعلنا)، وبالتالي فإن التكوين الجديد لهذا التقابل يحدث تقابلاً جديداً في طبيعة تركيبية مشابهة للطبيعة التركيبية الأولى في الآية. وتمدنا طبيعة التركيب في الرسم بهذا المعنى أيضاً، وذلك من خلال إحداث التماثل التقاطعي الذي ظهر في تقابل التضاد فهو يشير إلى توحد الطرفين معاً، وبناء على هذا التركيب وعلى هذه النتيجة يصبح بالإمكان اجتماع الضدين في شيء واحد ولعل أصحاب الدراسات البلاغية بحكمهم هذا كانوا ينطلقون من منطلق منطقي، فحكموا على المتقابلين من خارج السياق إذ قاسوهما في المعيار العقلي حسب. وإن كان هذا المعيار مهماً في إعطاء الدلالة والوظائف. وهكذا إذن كان إحداث المواجهة بين الضدين في رابط واحد شيئاً مهماً.

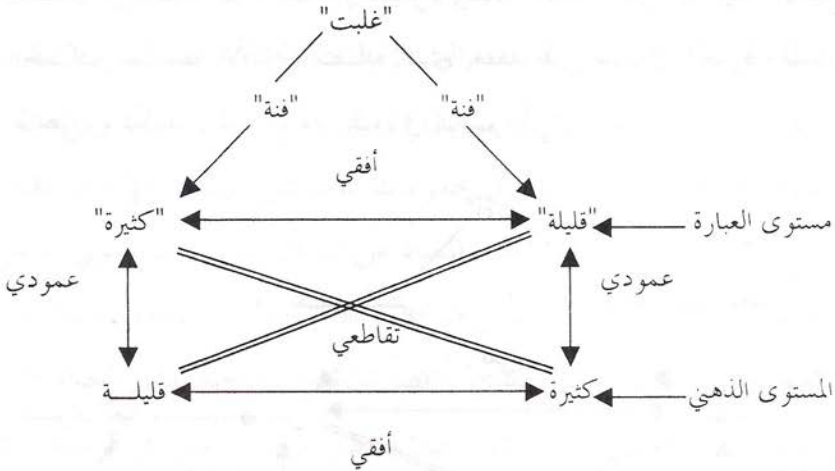
وأما معنى الضم في رابط واحد، فكقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾^(٥). إن هذه الآية الكريمة تشير إلى الأمر بتسبيح الله عز وجل، وقد ضمت طرفي التقابل الأول (بكرة) والثاني (أصيلاً). ونلاحظ أن هذا التقابل لا يقوم على المواجهة في التضاد، وذلك أن المواجهة تشير إلى طرفين متناوبين كما لاحظنا من الآية السابقة (عاليها) و(سافلها)، فالضم هنا يشير إلى جميع الطرفين معاً في سياق الجملة مع المحافظة على معنى التضاد القائم في الشيء الواحد وهو (اليوم)، وأما طبيعته التركيبية، فهي لا تختلف عن سابقتها في المواجهة، فالرابط واحد وهو الضمير (الواو) في كلمة (وسبحوه) وليس الأمر كما يحسب المرء من أن الرابط هو الزمن الذي نلاحظه من طرفي التقابل، إذ إن (بكرة) و(أصيلاً) تشيران إلى زمي اليوم (صباحاً ومساءً) وما أذهب إليه هنا معتمد على سياق الجملة فحسب. فالذي جمع الطرفين هو الضمير (الواو) وذلك أن فاعلية التسبيح تكون في إطار زمنين مختلفين مضمومين معاً. فالرابط هنا (الواو) يجمع

فعل التسييح على زمي (بكرة) و(أصيلاً) ويحدث هذا التقابل في المستوى الأفقي والعمودي في التضاد والمستوى التقاطعي في التماثل، ويشير في الوقت نفسه، إلى اجتماع الطرفين في الرابط، وهذا الاجتماع من جهة الضم لا المواجهة.

وأما الصورة الثانية وهي توزيع المتقابلين على رابطتين، فقد كان التقابل فيهما من جهتي المواجهة والضم. ومن الملاحظ على أن البناء التقابلي لهذه الصورة لا يختلف عن سابقه في الصورة الأولى إلا من جهة توزيع الضدين على شيئين، ويمكننا أن ندرك معنى المواجهة ومعنى التوزيع في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٦). إن موضع التقابل في هذه الآية في قوله (فتة قليلة) وقوله (فتة كثيرة)، وكما نلاحظ في الآية أن نوع التقابل بينهما هو مواجهة (قليلة) بـ (كثيرة) على وجه التضاد. وأما توزيع الضدين، فقد كان على كلمة (فتة) الأولى وكلمة (فتة) الثانية. من هنا تصبح كلمة (فتة) متقابلة بالتضاد مع (فتة) أخرى من خلال علاقتهما بالمتقابلين، ويمكننا أن نضيفهما إلى كلمة (قليلة) و(كثيرة) عند إظهار الطرفين في التقابل.

ولاشك في أن توزيع المتضادين على شيئين في هذه الصورة يختلف عنه في الصورة السابقة، إذ إن التوزيع هنا بين (فتة) مختلفة عن (فتة) أخرى ولا صلة بينهما على مستوى العبارة سوى الفاعلة والمفعولية أعني أن (الفتة) الأولى أوقعت فعل الغلبة على الفتة الثانية مع اتصاف الأولى بالقلة ومواجهتها بالثانية التي تتصف بالكثرة في حين كان الضدان في الصورة السابقة في كلمتي (بكرة

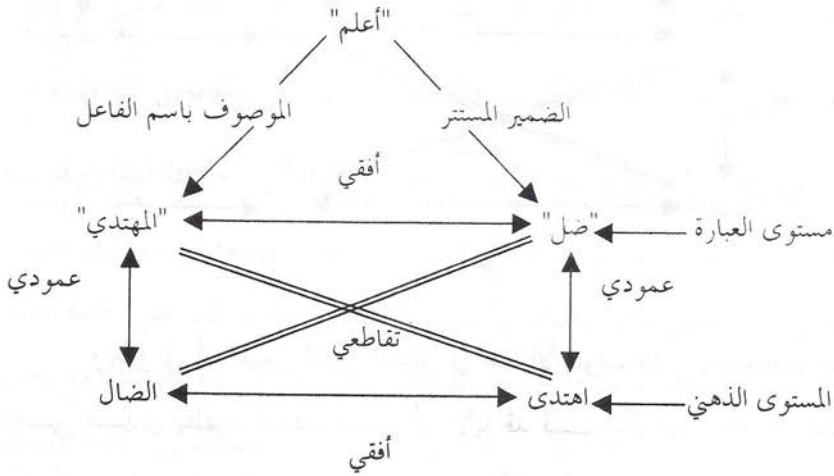
وأصيلاً) منتميين إلى شيء واحد هو اليوم. وقد وقعت الفاعلية على الطرفين، وتشكل الطبيعة التركيبية لهذه الآية كما تشكلت سابقتها في المستويين المكتوب والذهني في الصورة الآتية:



ويبدو لي أن ظهور تقابل التماثل في هذا الأسلوب ما زال منسجماً مع المعنى الذي يظهره الرابط، وذلك أن الآية قد قلبت المألوف، وهو أن الفئة الكبيرة هي التي تغلب الفئة القليلة في العادة. ولكن الآية بإيجادها الفعل (غلبت) أحدثت عكساً في المعنى، بحيث أصبحت الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة، ولعل ظهور بنية التماثل التقاطعي في هذا التركيب يسهم في تثبيت هذا العكس، إذ إنه يمكن أن تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة تماماً كما في الفئة الكثيرة التي تغلب الفئة القليلة.

وأما تقابل الضم الذين يتوزع على رابطتين فيمكننا أن ندرك طبيعة تركيبه من خلال البناء الأسلوبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ

يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ إن التقابل في هذه الآية يقع بين (ضل) و(المهتدين). وأما الرباطان، فهما الضمير المستتر في الفعل العائد إلى (من) والموصوف باسم الفاعل (المهتدين). ويلتقي طرفا التقابل الرباطين بالفعل أعلم، بحيث تكون العلاقة بينهما علاقة المفعولية، وينشأ عن هذه البنية الأسلوبية عدد من التقابلات بالتضاد والتماثل، وذلك اعتماداً على التركيب الأسلوبي الخاص بنمط الألفاظ المتضادة الذي يعتمد على مستوى العبارة والمستوى الذهني، ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي:



لاشك في أن هذا البناء لا يختلف عن الأبنية السابقة، وإنما يؤكدها من خلال تقابلاته المتضادة الأفقية والعمودية وتماثلاته التقاطعية، ولاشك في أن هذا التركيب يدعم ما جاءت به الآية من شمولية علم الله عز وجل لكل ضال أو مهتد، لأن هذا البناء يغلق جميع جوانب التقابلات المختلفة لهذه الآية.

لا شك في أن ظهور التقابلات في العبارة أو الآية القرآنية يشكل ظاهرة بارزة تختلف في موقعها من الجملة عن بقية مكوناتها، بحيث يشكل بؤرة انفجار تجمع ضدّين بارزين. فيظهر هذا التركيب في أي جزء من أجزاء الجملة، وقد أشار إلى طبيعة هذا الأسلوب (ريفاتير)، وذلك أنه عرف السياق الأسلوبي بأنه نموذج منكسر بعنصر لا يتوقعه القارئ وذلك أن الأسلوب، لديه، لا يكون في الصور المتوالية والمجازات بل إن البنية الأسلوبية للنص تتحدد بتوالي العناصر المرسومة في مقابل غير المرسومة في مجموعات ثنائية تمثل السياق والإجراء المضاد له، بحيث لا ينفصل الإجراء المضاد عن السياق، فكل بناء أسلوبي يشمل بالضرورة سياقاً وتضاداً^(٨). ومن هنا فإن ربط التقابلات المتضادة بالسياق من الأهمية بمكان. ويضلل العمل النقدي ناقصاً إذا تناول صاحبه تقابل التضاد دون ربطه بالسياق وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى هذا المعنى في قوله: "لا يمكن أن نركز فحسب على العناصر المضادة ببساطة لأنها عناصر بارزة سهلة الالتقاط في التحليل الأسلوبي بل لا بد من أن نولي نفس الاهتمام للعناصر غير المرسومة في مقابلها"^(٩) ومن خلال استقرائي للتقابلات السابقة التي ترتبط برابط واحد أو برابطين على اختلاف نوعي التضاد الحقيقي والمجازي وحدث أنها تتشكل في أكثر من موقع في البناء السياقي المرافق لها. وحتى تكون طريقة الكشف عن أنماط الأسلوب هنا واضحة نأخذ قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ أُمَّتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثَا مَا تَرَكَ﴾^(١٠). إن التضاد في هذه الآية يقع في تقابل (للذكر) و(للأنثيين). وقد جاء التقابل هنا متوسطاً بين سياقين الأول يأتي قبل إحداث التقابل وهو (يوصيكم الله في

أولادكم) والثاني يأتي بعد التقابل وهو (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) وشرط اكتمال السياق والتقابل، كما أرى، يتم في خلال استغراق الآية للمعنى، ومن هنا يتحدد الموقع البنائي للتقابل.

وقد تغيرت مواقع التقابلات في التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي، وقد جاءت في ستة أبنية أسلوبية، أتحدث عن كل بناء منها على حدة.

أولاً- $\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$:

لقد بلغت التقابلات في هذا البناء ثلاثة وخمسين تقابلاً، بحيث ظهرت في هذا البناء مجردة في تركيبها المحصور عن السياق، إذ تشكل التقابل والسياق في نقطة التقاء المتقابلين، ولذلك رمزت لهذا البناء بـ:

$\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$

أي أنه يعني تداخل التقابل في السياق، فمن أمثلته، قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١). فهذه الآية الكريمة تشكل في تركيبها اسم إن المؤخر وخبرها المقدم. ويأتي المبتدأ اسم إن (يسراً) متقابلاً بالتواجه مع الخبر (مع العسر) وذلك أن (مع) في الآية الكريمة لا تشير إلى معنى المعية التي تشير بمعنى الضم، وإنما هي تفيد التعاقب الذي يشي بالمواجهة، ولذلك يعلق الزمخشري عليها بقوله: فإن قلت: إن مع للصحة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟ قلت: أراد أن الله يصيهم يسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان

قريب، فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب^(١٢). فاليسر إذن لا يترافق مع العسر وإنما يواجهه ويتلوه، وتنقطع الآية الكريمة في هذا التقابل عن سياقات أخرى.

ثانياً- التقابل ← السياق:

بلغت تقابلات هذا البناء واحداً وثمانين تقابلاً، فمن أمثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١٣). إن التقابل في هذه الآية هو مواجهة (عسرة) بـ (ميسرة) وهو يشكل مدخل البناء وينتهي البناء بالسياق (وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) ويمكن أن نبين هذا البناء في الرسم التوضيحي الآتي:

التقابل ← السياق

"وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة" ← "وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون"

ولا شك في أن أسلوب هذا البناء يواجه الملتقى بعنصر التضاد الذي يشكل لديه عنصر المفاجأة وبعد ذلك ينتهي من المفاجأة إلى عنصر السياق البسيط الذي يخرج من لحظة التوتر إلى لحظة الارتياح.

ثالثاً- السياق ← التقابل:

إن هذا البناء هو بناء معكوس من صورة البناء السابق، إذ يبدأ بالسياق وينتهي بعنصر التضاد أو التقابل، وقد بلغت تقابلاته ستة وخمسين تقابلاً، فمن

أمثلته قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١٤). بدأت الآية الكريمة بالسياق البسيط الذي لا يثير لدى المتلقي أي توتر ولكنها فاجأته بالتقابل في نهايتها. وقد تشكلت الآية في البناء على الصورة الآتية:

السياق ←————→ التقابل
 "لا إكراه في الدين" ←————→ "قد تبين الرشد من الغي"

رابعاً- السياق الأول ←————→ التقابل ←————→ السياق الثاني:

بلغت تقابلات هذا البناء تسعة وتسعين تقابلاً ومن الملاحظ أنه أكثر الأبنية تردداً بين تقابلات الألفاظ المتضادة. ومن أهم النقاط التي يجب أن نتنبه لها أن عنصر التقابل يتوسط سياقين، مما يجعل للتقابل خاصية جمع سياقين، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(١٥) فتركيب هذه الآية يتضح في الشكل الآتي:

السياق الأول ←————→ التقابل ←————→ السياق الثاني

"قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ"
 إن السياق الأول ينص على أن هؤلاء المنافقين قالوا باشتراكهم في القتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولكن عنصر التقابل قد بين حقيقتهم في طريقة مواجهة (للكفر) بـ (للإيمان) إذ رجح صفة (الكفر) فيهم على صفة (الإيمان). ومن ثم انتهت الآية بإبراز الصفة الحقيقية لقولهم، وهي أنهم لا

يقولون ما استقر في قلوبهم. وهو حال مضادة لما ينطقون، وفي هذه الحالة يصبح السياق الأول متصلاً بالسياق الثاني اتصالاً وثيقاً بحيث يشكل في البناء أسلوب التواصل الذي يقع في وسطه التقابل فـ (السياق الأول) يتصل بـ (السياق الثاني) ويقيم معه علاقة التماثل والتوضيح بحيث يتماثل السياقان، ووضح السياق الثاني حقيقة السياق الأول. وفي الوقت نفسه بلور التقابل هذه الحقيقة التي يتصف بها المنافقون.

وقد يكشف لنا هذا البناء علاقة أخرى غير علاقة التماثل، ولنأخذ

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾^(١٦). وبناء أسلوب الآية هنا يتشكل في الصورة الآتي:

السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني

"فإن استكبروا" ← "فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار" ← "وهم لا يسأمون"

إن السياق الأول "فإن استكبروا" يتحدث عن صفة الكفار الذين ابعدوا عن الإيمان بالله فامتنعوا عن تسيبته في حين أن السياق الثاني "وهم لا يسأمون" يتحدث عن صفة الذين آمنوا ويسبحون الله ولا يمتنعون عن ذكره. إن السياقين يقيمان علاقة التخالف، ولذلك فهما يشكلان طرفين متناظرين مجتمعين على التخالف، ويقيمان علاقة مع التقابل، وهما في ذلك يحققان التواصل الذي رأيناه في الآية السابقة، فـ (السياق الأول) يتصل بـ (السياق الثاني) ويقيم معه علاقة التخالف والتوضيح؛ لأن في إحداث التخالف توضيحاً للصفتين في السياقين، وفي الوقت نفسه بلور التقابل صفة السياق الثاني، وأقام معه علاقة التماثل، وأبرز صفة السياق الأول، وأقام معه علاقة التخالف.

خامساً - المقابل الأول ← السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني:

بلغت تقابلات هذا الأسلوب تسعة تقابلات. ومن الملاحظ أنه يختلف في طبيعة تركيبه عن الأبنية السابقة. فهو كما نرى يتشكل من طرف أول في التقابل وسيق أول وطرف ثان في التقابل وسيق ثان، ويمكن أن ندرك هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(١٧). إن الطرف الأول من التقابل يقع في كلمة (للفقراء) والطرف الثاني يقع في كلمة (أغنياء)، وهما طرفان متباعدان يقع بينهما السياق الأول، ويقع السياق الثاني بعد الطرف الثاني من التقابل، فيتشكل في الآية تقابل متداخل في السياقين، ويمكن أن نوضح هذا التداخل في الصورة الآتية:

السياق الأول

لا يستطيعون ضرباً في الأرض"

السياق الثاني

تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً"

المقابل الأول

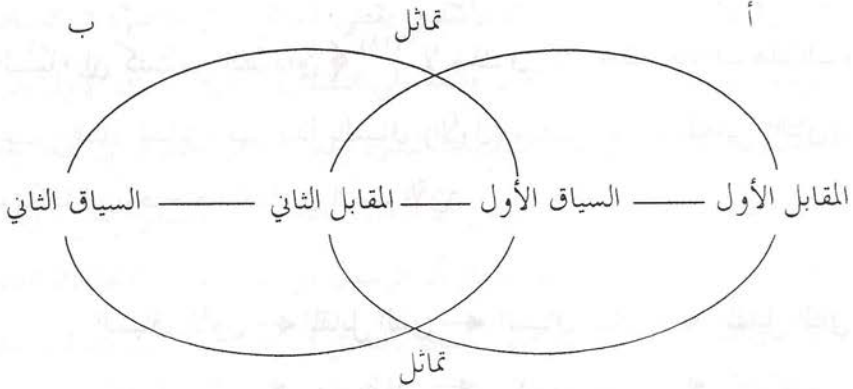
"للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله"

المقابل الثاني

"يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف"

فتقابل قوله (للفقراء) بقوله (أغنياء) هو تقابل بالتضاد، في حين إن علاقة السياق الأول الذي يشير إلى صلة الفقراء الذين لا يشاركون في القتال ولا يضربون في الأرض لسد حاجاتهم في الحياة تماثل مع السياق الثاني الذي يشير إلى تعفف الفقراء وإلى طريقتهم في الحياة التي تتشابه مع صفات الأغنياء، وذلك أنهم كالأغنياء لا يسألون الناس الصدقات والعطاء، ومن هنا

يستقاطع البناء في الحديث عن معنى التضاد والتماثل، وحتى نوضح هذا الشكل من العلاقات نرصدها في الرسم الآتي:



إن الدائرة (أ) تشير إلى طبيعة العلاقة الضدية بين طرفي التقابل (الأول والثاني) في حين الدائرة (ب) تشير إلى طبيعة العلاقة التماثلية بين السياقين (الأول والثاني)، وتقاطع الدائرتين يشكل قيام علاقة تماثل بينهما، والتماثل هنا يأتي في كون السياقين (الأول والثاني) يحققان صفة الفقراء الذين لا يضربون في الأرض، وبالتالي لا يسألون الناس الصدقات وهذه العلاقة ترتد إلى الطرف الأول من التقابل، وفي الوقت نفسه ترتد إلى الطرف الثاني؛ لأن الأغنياء يتصفون أيضاً بهذه الصفات، من هنا يمكن لنا الحكم على أن بناء الأسلوب في هذه الآية يسعى إلى توحيد الفقراء بالأغنياء مع الملاحظة أن هذا البناء قد بدأ بطرف التضاد الذي تسعى الآية الكريمة لتوحيد صفاته بصفات الطرف الثاني.

سادساً- السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني ← المقابل الثاني:

بلغت تقابلات هذا البناء ستة عشر تقابلاً، كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿ ١٨٦ ﴾ فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ

السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿^(١٨). لا شك في أننا نلاحظ اختلاف هذا البناء

عن البناء السابق، فهو يبدأ بالسياق (الأول) وينتهي بطرف التقابل (الثاني).

ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي:

السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني ← المقابل الثاني

"وما أنت إلا ← "وإن نظنك ← "فأسقط علينا ← "إن كنت

بشر مثلنا" لمن الكاذبين" كسفاً من السماء" من الصادقين"

إن هذا البناء بناء تداخلي بين السياقين (الأول/ الثاني) وبين طرفي التقابل (الأول/ الثاني). ولكن التداخل هنا يختلف عنه في البناء السابق، وذلك أن معطيات هذا البناء لا تتماثل مع المعطيات التي رأيناها في البناء السابق. ولعل السبب في ذلك هو تغيير مواقع المتقابلين والسياقين. إن العلاقة بين السياق الأول والسياق الثاني هي علاقة تنافرية، إذ كان السياق الأول يؤكد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من البشر الذي يتصفون بقدرات محددة في هذا الكون. وقد نظر الكفار إليه من هذه الناحية، ولذلك لم يعترفوا به رسولاً؛ لأن الرسول في نظرهم، على ما يبدو، تتحقق فيه صفات خارقة تفوق قدرة البشر. ولذلك وصلوا إلى أن الرسول الكريم كان من (الكاذبين) وهذه الصفة هي الطرف الأول من التقابل. وأما السياق الثاني، فهو يطرح تحدياً للرسول عليه السلام يفوق قدرته، كونه من البشر، بأن يسقط كسفاً من السماء على الكفار، فإن

استطاع أن يحقق هذا المطلب فإنه يكون من (الصادقين)، وهذه الصفة تمثل الطرف الثاني من التقابل، من هنا كانت العلاقة بين السياقين (الأول والثاني) علاقة تنافرية تحقق صفتين الأولى تبين عدم القدرة الخارقة، والثانية تبين القدرة الخارقة، ومن هنا فإن البناء الأسلوبي يعطي التداخل بين عناصره في السياقين، وطرفي التقابل، والعلاقات قائمة على التضاد والتنافر فالسياق الأول يفرض معنى (اللاقدرة) التي يتصف بها البشر، وقد جاء هذا السياق في إطار مخالفة حقيقة الرسالة السماوية. وهي أن الرسول المبعوث يكون من البشر، ولذلك فإن العلاقة ما بين اعتراف الكفار أن الرسول من البشر وبين كلمة (الكاذبين) هي علاقة تنافر، لا يجتمع فيها السياق بالتقابل في الطرف الأول، وتكرر علاقة التنافر بين السياق الثاني والطرف الثاني من التقابل، إذ يفترض السياق الأول أن الرسول ليس من البشر، ولذلك يجب أن يتصف بقدرة خارقة، وهذه الحال التي تنسجم مع الحقيقة السماوية تتنافر مع الطرف الثاني في كلمة (الصادقين)، وينشأ لدى ربط السياقين (الأول/ الثاني) بطرفي التقابل (الأول/ الثاني) تنافر جديد وهو بين (السياق الأول) و(المقابل الثاني) و(المقابل الأول) و(السياق الثاني). وذلك أن اللاقدرة البشرية لا تحقق الهدف في إسقاط (كسفاً من السماء) وأن القدرة الخارقة لا تتصف بكلمة (الكاذبين)؛ لأنها لو تحققت في الرسول لكانت قد اتصفت بالصدق، من هنا جاءت البنية التداخلية بين السياقين (الأول/ الثاني) وبين طرفي التقابل (الأول/ الثاني).

ثانياً - التقابل المعنوي:

إن المبحث الثاني من مباحث الأنماط البسيطة للتقابل هو التقابل المعنوي البسيط الذي يتكون من المتقابلين في لفظتين وقد بلغت تقابلاته ثلاث مائة وثمانية وستين تقابلاً.

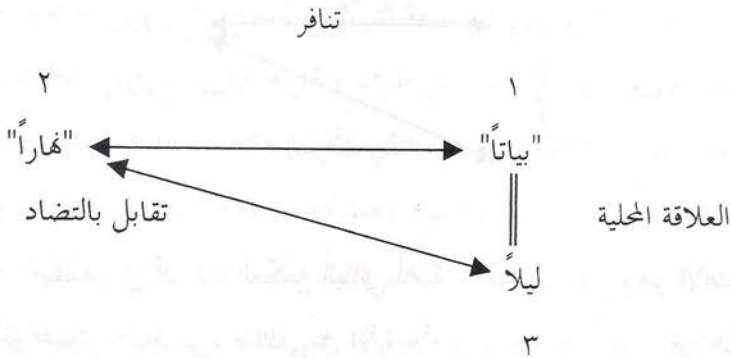
وقد جاءت التقابلات المعنوية هنا بأبنية تركيبية مختلفة، يعتمد كل بناء فيها على نوع خاص من إحداث معنى اللفظ ومقابلته باللفظ الآخر أو بمعناه، ولذلك فإن الاهتمام بكيفية إحداث المعنى في الطبيعة التركيبية لهذا التقابل من الأهمية بمكان، إذ بدونه - كما أرى - تبقى حقيقة التركيب غائبة عن التحليل الدقيق.

لقد سبق أن أبرزت بعض الخصائص التي أظهرتها الطبيعة التركيبية للتقابل المعنوي في الفصل الأول، إلا أن ما وجدته عند أصحاب الدراسات البلاغية من تصور لم يف هذه الطبيعة حقها وخصائصها. لقد أشرت سابقاً إلى أهمية المرادف في التقابل المعنوي، ولا شك في أنني هنا أهتم به؛ وذلك لأنه يحدد طبيعة اللفظ الذي يعطي المرادف في التقابل.

لقد وجدت لدى استقراحي للآيات القرآنية التي تعتمد المتقابلات المعنوية أن أبنيتها التركيبية قد تنوعت، إذ إن بعضها يعتمد على اللفظ الذي يعطي المعنى، واللفظ الآخر الذي يتضاد مع المعنى المعطى، وبعضها يعتمد على المعنيين الذين يبرزهما طرفا التقابل، فمثلاً قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُمْ

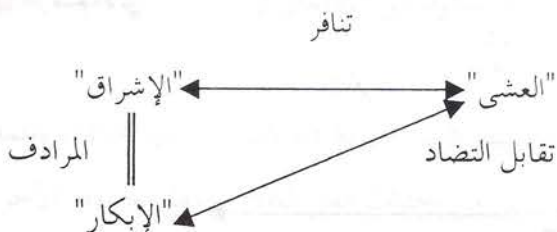
عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَادَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(١٦). يعتمد في تقابل اللفظين (بياتاً) و(نهاراً) على معنى الأول ومقابلته باللفظ الثاني (نهاراً)، فالمعنى الذي يقابل الطرف الأول من التقابل (بياتاً) هو (ليلاً)، ويمكننا أن نسمي هذا المعنى

العلاقة المحلية، وبتقابل الطرف المعنوي (ليلاً) بلفظ الطرف الثاني (نهاراً) تنتهي إحدائات التقابلات، وتتم الطبيعة التركيبية للآية. ويمكننا أن نوضح هذا التركيب في الرسم الآتي:



إن العلاقة بين الطرف الأول (بياتاً) من المتقابلين بالطرف الثاني (نهاراً) هي علاقة تنافر تختلف في طبيعتها عن العلاقة بين (ليلاً) و(نهاراً). إذ إن العلاقة في الأولى لا تصل إلى نقطة التضاد بينما في الثانية تصل إلى نقطة التضاد، ولذلك كان من الممكن في الأولى إحداث علاقات جديدة متمثلة في ناتج العلاقة المحلية ولفظ الطرف الثاني، في حين أن العلاقة الثانية وصلت إلى نقطة التضاد، فما كان من الممكن إحداث علاقات جديدة، ومن الملاحظ على الرسم أنه يشكل مثلثاً مقلوباً بحيث ظهر الطرف الأول والثالث في زاويتين في حين كان الطرف الثاني منفرداً في زاوية واحدة، وقد ورد في آيات القرآن الكريم بناء آخر معكوس لهذا الترتيب، فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(٢٠). يمثل هذا البناء المعكوس، فالتقابل في الآية

الكريمة بين (العشي) ومعنى (الإشراق). فمرادف (الإشراق) المعنوي هو (الإبكار) ويمكن أن نوضح هذا التركيب في الرسم الآتي:



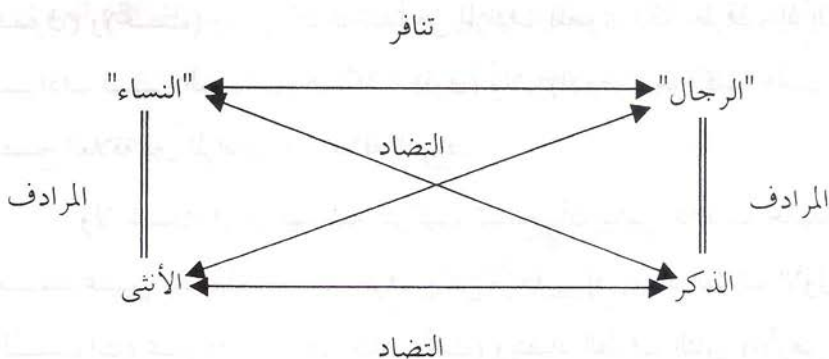
يبدو لي أن لهذا العكس البنائي أهمية خاصة في المعنى وهو الاهتمام في التأثير على المتلقي، فالمتلقي في الآية الأولى يواجه جزءاً من المعنى المرادف للطرف الأول وبعد ذلك ينتهي إلى الكل في الطرف الثاني (نهاراً)، فالخالق عز وجل يخرج من الجزء إلى الكل وفقاً لطبيعة الحياة التي يدرك فيها الإنسان الجزء أولاً وبعد ذلك الكل؛ ولذلك قال عز وجل: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ الْمَجْرُمُونَ﴾ فإنهم سيلاقون عذابهم، في حين نقلت الآية الثانية المتلقي من الكل إلى الجزء، فالطرف الأول يشي بمعنى الكلية (للعشي) فتسبيح (الجمال) يبدأ بالكل وينتهي بالجزء (الإشراق) والانتهاء بالجزء هنا لا يعني التقليل من التسبيح، وإنما يعني شمول التسبيح للزمن في جميع أجزائه.

وثمة تركيب آخر للمقابلين يعتمد على المرادف المعنوي لكل طرف من طرفي التقابل، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢١). إن طرفي التقابل في هذه الآية الكريمة هما (السموات) من جهة و(الأرض) من جهة ثانية، والعلاقة بينهما هي علاقة التنافر، لأن (السموات) في الأصل لا تتضاد مع (الأرض) وإنما التضاد يقع بين

(فوق) و(تحت) ولكن التضاد ينشأ من المرادف المعنوي لكل طرف، إذ إن المرادف لـ (السموات) هو كلمة (فوق) ولـ (الأرض) هو كلمة (تحت) فتصح العلاقة بين المرادفين هي علاقة التضاد.

ولا شك في أن طبيعة التركيب تسمح بأن تنشئ علاقات جديدة تعتمد على التضاد بين كل طرف وكل مرادف، إذ يتضاد الطرف الأول (السموات) بمرادف الطرف الثاني (تحت) ويتضاد الطرف الثاني (الأرض) بمرادف الطرف الأول (فوق) هنا تحدث علاقة التقاطع بالتضاد، وتنتهي إحداثات التقابل، فيصبح التركيب قائماً على التقابل الأفقي بالتضاد والتنافر والتقاطع بالتضاد. أما العلاقة العمودية فهي بالتمائل، وهذه الطبيعة التركيبية تختلف عنها في المثالين الأول والثاني من تقابل التضاد المعنوي، وإذا ما رجعنا إلى التضاد اللفظي لوجدناها تختلف عنه أيضاً، إذ كانت العلاقات هناك قائمة على التضاد في التقابل الأفقي والعمودي وعلى التماثل في التقاطعي، ولا شك في أن هذا الاختلاف بين التقابليين هو أحد النقاط الأساسية التي جعلتهما متباعدين لا يلتقيان.

والواقع أن التقابلات المعنوية لا تنتهي عند المرادف المعنوي في إنشاء العلاقات، وإنما ممة مرادفات أخرى لا تعتمد على المعنى في حقيقتها، وإنما تعتمد على المرادف الذي يأتي من جهة المنشأة، كقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢٢). إن التقابل في هذه الآية الكريمة بين (الرجال) و(النساء)، والواقع أن العلاقة بين الطرفين هي علاقة التنافر لا التضاد، ولكن المرادف من جهة المنشأ هو جنس (الذكورة) للطرف الأول وجنس (الأنوثة) للطرف الثاني، ويمكن أن نوضح هذا التقابل في الرسم الآتي:

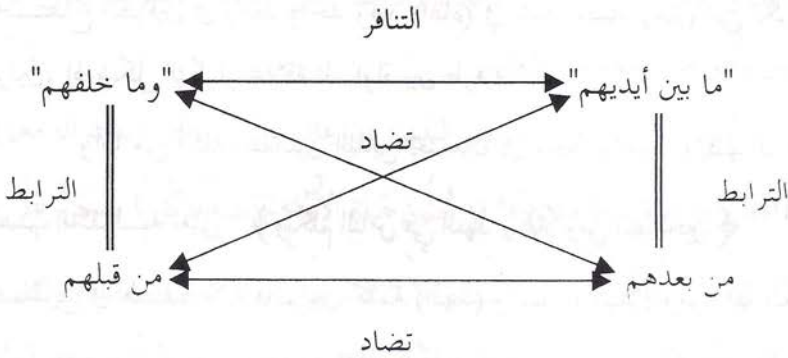


وطبيعة التركيب، كما نلاحظ، لا تختلف عنها في الآية السابقة. ولا يقتصر المرادف في المنشأ على الذكورة والأنوثة، فقد يأتي من جهة الطبيعة الكونية كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ تَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢٣). إن طرفي التقابل هنا هما (البر) و(البحر) ومرادف (البر) هو (اليابسة)، وأما مرادف (البحر) فهو (الماء) وتشكل الطبيعة التركيبية هنا كما تشكلت الآية السابقة مع المحافظة على خصائص التركيب نفسها.

وقد يأتي المعنى لكل لفظ من جهة أخرى غير المرادفين المعنوي والمنشئي. فهو يأتي من أحد الترابطات المعنوية اللفظي، مثل قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾^(٢٤) إن التقابل هنا بين (ما بين أيديهم) و(وما خلفهم) ويمكننا أن نأتي بأكثر من معنى يرتبط بكل طرف من الطرفين إذا ما جردناهما من السياق، فالطرف الأول مثلاً يعطي معنى أمامهم؛ لأن ما بين الأيدي مقدمة الإنسان ومقدمة الإنسان أمامه، ويعطي معنى آخر هو الحاضر؛ لأن ما بين أيدي

الإنسان هو حاضره الذي يوجد فيه أيضاً، ويعطي معنى آخر هو المستقبل أي ما يأتي بعدهم. وأما الطرف الثاني فإنه يعطي معاني متعددة، منها معنى الخلف وهو ضد أمامهم ومعنى الغائب وهو ضد الحاضر، ومعنى الماضي الذي هو ضد المستقبل، كل هذه المعاني واردة للطرفين مجردين من السياق، ولكن بالرجوع إلى معنى السياق، فإن المعنى المرتبط بكل طرف يتحدد، وذلك أن الطرف الأول يشير إلى علم الخالق عز وجل بالأمر التي تأتي بعد المشار إليهم بالضمير (هم) في (أيديهم)، وأن الطرف الثاني يشير إلى علمه بالأمر التي كانت قبلهم. وقد أشار إلى هذا الزمخشري في تفسيره لهذه الآية في قوله: "ما كان قبلهم وما يكون بعدهم" (٢٥).

وأما العلاقات التي تنشأ للأطراف وترابطاتها المعنوية فلا تختلف عن سابقتها من التراكيب من حيث التضاد والتماثل، ويمكن أن نوضح هذا البناء التركيبي في الرسم الآتي:



ولا شك في أن طبيعة العلاقة التماثلية هنا تختلف عن سابقتها من هذا النمط، إذ إنها اختيار من متعدد في المعاني المرتبطة بالمفرد من المتقابلين، ولعل هذا الاختيار يميز هذا البناء الأسلوبي من غيره من الأبنية التي تتشكل في التضاد المعنوي.

إن معطيات بناء الأسلوب في تقابل التضاد المعنوي بين المفردات تشمل
 الرباط من حيث اجتماع المتقابلين في رباط واحد وتوزيعهما على رابطتين،
 ويظل معنى المواجهة والضم متخللاً هذا البناء، وثمة آيات كريمة جاءت على
 هذه الأبنية في تقابلاتها. فمن أمثلة المتقابلين اللذين يجتمعان في رباط واحد،
 ويظهران معنى المواجهة، قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لَهِ مَا يَكْرَهُونَ وَنَصِفُ أَلْسِنَهُمُ
 الْكُذِبَ إِنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾^(٢٦). إن التقابل في
 هذه الآية الكريمة وقع بين مفردتي (الحسنى) و(النار). إذ إن الحسنى هنا تشير
 إلى الجنة، فيصبح التقابل بالتضاد بين الجنة (المرادف) و(النار) في الطرف الثاني،
 وهذا التقابل هو مواجهة بين الطرفين، إذ إن الطرف الأول ينبع من قول
 الكفار، فواجههم الله عز وجل بحقيقتهم لديه يوم القيامة، فالمعنيان متواجهان.

لاشك في أن هذا التقابل في البناء الأسلوبي للآية يكشف عن حقيقة
 اجتماع الطرفين في رباط واحد وهو (الهاء) في شبه الجملة (لهم) التي تكررت
 مرتين، إذ شكل التكرار علاقة المساواة بين طرفيه.

وأما من أمثلة المتقابلين اللذين يجتمعان في رباط واحد، ويظهران معنى
 الضم، فكقوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٢٧). إن
 التقابل في هذه الآية قائم بين كلمة (المهد) وكلمة (كهلاً) ومرادف الكلمة
 الأول (طفلاً أو صغيراً) ومرادف الكلمة الثانية (شيخاً أو كبيراً). فالعلاقة
 بينهما علاقة التنافر التي تفرز معنى الضم، إذ ضمت الآية خطاب الناس في حالي
 الصغر والكبر، ونلاحظ هنا أن الطرفين يجتمعان في رباط واحد، وهو الضمير
 المستتر العائد إلى عيسى ابن مريم، عليه السلام في الفعل (يكلم).

وأما من أمثلة المتقابلين اللذين يتوزعان على رابطتين، ويظهران معنى
المواجهة، فقولته تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَّزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(٢٨). إن التقابل في الآية الشريفة يقع بين كلمة
(الدنيا) وكلمة (الآخرة). ولا شك في أن المرادف للكلمة الأولى هو (الأولى)
الذي يتقابل بـ (الآخرة) من جهة التضاد، ولعلنا ندرك أن المقابلة هنا في
المواجهة، إذ أحدثت الآية الطرف الأول من المقابلة وواجهته بالطرف الثاني،
وقد توزع الطرفان على رابطتين؛ لأن حقيقة الرابط الأولى (من) تتضاد مع
حقيقة الرابط الثاني (من) فالأول لمن أراد الحياة الدنيا ومتاعها وهذا ما يتصف
به الكفار، والثاني لمن أراد الآخرة وثوابها، وهذا ما يتصف به المؤمنون. ولا
شك في أننا نلاحظ في هذا البناء أن الرابطين يقيمان علاقة التنافر فيما بينهما؛
وذلك لأن السياق يقتضي هذه العلاقة، فالرابط الأولى يتصف بالطرف الأول
من المتقابلين وهو من أصحاب الكفر، والرابط الثاني يتصف بالطرف الثاني من
المتقابلين وهو من أصحاب الإيمان.

وأما من أمثلة المتقابلين اللذين يتوزعان على رابطتين ويظهران معنى
الضم، فقولته تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحْرَمٌ عَلَى
أَزْوَاجِنَا﴾^(٢٩). فالتقابل في هذه الآية الشريفة بين كلمة (خالصة) وكلمة
(محرم)، وأما مرادف الكلمة الأولى فهو (حلالاً) ويتقابل هذا المرادف بالطرف
الثاني في التضاد، ونلاحظ أنهما انضما معاً في صفة الاسم الموصول (ما) وتوزعا
على رابطتين، إذ كان الطرف الأول يرتبط بكلمة (لذكورنا) والطرف الثاني
بكلمة (أزواجنا).

الأبنية الأسلوبية:

بعد أن تحدثنا عن الطبيعة التركيبية لتقابل التضاد المعنوي من حيث العلاقة بين المتقابلين، ومن حيث الرابط، نأتي لتحدث عن البناء الأسلوبي للتقابلات داخل السياق، ولدى استقراي للتقابلات المعنوية، وجدت أن ثمة أبنية مختلفة الأسلوب بعضها يلتقي الأبنية الأسلوبية التي وردت في تقابل التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي وبعضها لم يرد فيها وهي:

أولاً - $\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$:

بلغت تقابلات هذا الأسلوب اثنين وستين تقابلاً، ووردت بمعنى المواجهة والضم في هذا البناء، فمن أمثلة التقابل في المواجهة، قوله تعالى: ﴿نَمَعَهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾^(٣٠). إن الطرفين في التقابل هنا يتداخلان مع السياق، بحيث لا يمكن فصلهما عنه فـ (تمتعهم) مرتبطة بكلمة (قليلاً) و(نضطرهم) مرتبطة بشبه الجملة (إلى عذاب غليظ) من هنا جاء بناء هذا السياق متداخلاً في تركيب التقابل.

ثانياً - التقابل ← السياق:

لقد بلغت تقابلات هذا البناء مائة وأربعة عشر تقابلاً، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَبَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣١). لا شك في أننا نلاحظ أن التقابل في هذه الآية قد جاء في بدايتها قبل السياق. فالطرفان (جامدة) و(تمر) يشكلان

علاقة بنائية مع السياق (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون).
لعلنا ندرك أن التقابل هنا يقع بين مرادف الطرف الأول (جامدة) وهو
(ساكنة) ومرادف الطرف الثاني (تمرّ) وهو (تتحرك)، ولعل بناء التقابل في
سياقه التقابلي يشكل علاقة وطيدة بالسياق وذلك أن السياق يرتبط بالتقابل
على أساس التأكيد والإثبات لما ورد في هذا التقابل. إذ جعلت الصياغة القرآنية
تداخلاً بين الضدين (السكون/ جامدة) و(الحركة/ تمرّ) فوصل هذا التداخل إلى
أن تحمل الحركة مكان السكون، فالحركة هي من صنع الخالق عز وجل وهي
حقيقة الجبال في حين أن السكون هو من رؤية الإنسان وتقديره، وحتى تثبت
الصياغة القرآنية هذا الإحلال بين المتقابلين جاءت الآية بالسياق المؤكد
لمضمون التقابل.

ثالثاً- السياق ← التقابل:

بلغت التقابلات في هذا البناء سبعة وستين تقابلاً، فمن أمثله قوله
تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣٢).
إن التقابل في هذه الآية بين كلمة (المؤمنون) ومرادف كلمة (الفاسيقون) وهو
الكافرون، وقد جاء هذا التقابل لبيان حقيقة مضمون السياق. وذلك أن معظم
أهل الكتاب من الكافرين الذين تمردوا في كفرهم^(٣٣). والناقضين للعهد مع
المؤمنين^(٣٤). فجاء التقابل ليقسم أهل الكتاب قسمين: الأول (المؤمنون)،
والثاني (الكافرون) وقد غلب الثاني على الأول، ومن هنا وافق السياق المتضمن
أسلوب الشرط الذي امتنع فيه الخير لوجود عدم إيمانهم بالله تعالى، وهكذا
يتشابه هذا البناء الأسلوبي مع البناء السابق من حيث إنه يشكل نقطة توحيد بين
التقابل والسياق.

رابعاً- السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني:

بلغت تقابلات هذا البناء سبعة وستين تقابلاً، وقد تشكل السياقان اللذان يتوسطهما التقابل بعلاقتين الأولى علاقة التواصل، والثانية علاقة التخالف، فمن أمثلة علاقة التواصل، قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣٥). إن التقابل في هذه الآية قائم بين كلمتي (القواعد) و(السقف). ولا شك في أننا ندرك مرادف كل كلمة منهما، فمرادف الأولى (الأسفل) ومرادف الثانية (الأعلى). وهذا التقابل يتوسط السياقين (الأول والثاني) إن السياق الأول يتضمن معنى المكر. وهو خطيئة يقترفها الإنسان في الحياة الدنيا، والسياق الثاني يتضمن معنى العذاب من الله عز وجل، ولا شك في أن الصلة بين السياقين واضحة، وهي أن العمل الخاطيء يقابل بالجزاء الذي يساويه وهو العذاب، وتنشأ علاقة جديدة بين السياق الأول والتقابل وهي علاقة التواصل، وذلك أن سياق التقابل يتضمن جزاء المكر بالعذاب، وتنشأ أيضاً علاقة تماثل بين التقابل والسياق الثاني وهما يجتمعان على معنى العذاب.

ومن أمثلة علاقة التخالف قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣٦). إن التقابل في الآية يقع في كلمتين هما (يديها) و(خلفها) وهذا النمط من التقابل المعنوي يندرج تحت ترابطات المعنى لكل لفظة، فالكلمة الأولى تشير إلى ما كان قبل اليهود، والثانية تشير إلى ما كان بعدهم^(٣٧). وقد توسط التقابل بين السياقين الأول والثاني. والسياق الأول يتضمن معنى العقوبة والعذاب. والسياق الثاني يتضمن معنى الموعظة والحكمة،

والعلاقة بين السياقين على هذا الأساس هي علاقة التخالف، وتنشأ علاقة التواصل بين السياق الأول والتقابل؛ لأن التنكيل والعذاب وقع على طرفي التقابل، وتنشأ علاقة التخالف بين التقابل وبين السياق الثاني؛ لأن صفة أصحاب التقابل هي الكفر في حين أن صفة أصحاب السياق الثاني التقوى والإيمان.

خامساً- المقابل الأول ← السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني:

بلغت تقابلات هذا البناء ستة تقابلات، مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ ^(٣٨). وقد جاء الطرفان متباعدين بينهما السياق الأول. ومن ثم

انتهت الآية بالسياق الثاني. ويبدو لي أن هذا البناء يحافظ على طبيعته التركيبية التي ظهرت في تقابل التضاد اللفظي الحقيقي والمجازي، إذ نلاحظ علاقات التواصل والتماثل بين السياقين وطرفي التقابل، ويمكننا أن نبرز هذه العلاقات في

الرسم الآتي:

المقابل الأول ← السياق الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني

"الذي جعل لكم الأرض مهدياً" ← "وسلك لكم فيها سبلاً" ← "وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" ← "فأخرجنا به أزواجاً

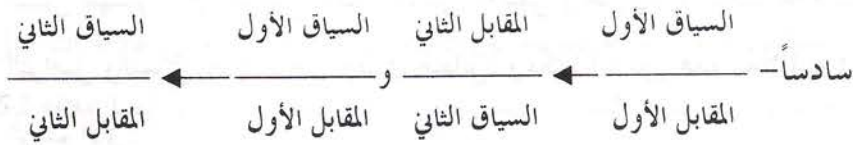
من نبات شتى"

الأرض مهدياً"

تضاد

تواصل

إن العلاقة المباشرة بين (الأرض) و(السماء) هي علاقة التناظر التي تفرز علاقة التضاد بين مرادف الطرفين وهما (تحت) و(فوق) على الترتيب. ولكن هذه العلاقة المتضادة تتغير إذا ما ربطنا كل طرف بسياقه التقابلي، فالطرف الأول يتضمن تسخير الأرض لفائدة الإنسان، ومن ثم الطرف الثاني يتضمن هذا المعنى نفسه، فـ (الأرض) جعلت مهدياً للإنسان، ومن (السماء) أنزل الماء إلى الأرض لصالح الإنسان أيضاً. ومن هنا يصبح الطرفان متوحدين على مستوى السياق التقابلي، وهذا التوحد يمكننا أن نعتبه بعلاقة التماثل والانسجام. وأما السياقين الأول والثاني، فإننا نلاحظ فيهما علاقة التواصل، إذ إن السياق الأول يتضمن معنى تسهيل التنقل في الأرض وكسب الرزق فيها، والسياق الثاني يتضمن معنى إغراق الأرض بالنبات الذي يشكل رزق الإنسان على هذه الأرض، ولكنه رزق مرتبط بماء السماء، وهذه المعاني ترتبط فيما بينهما بالتواصل.

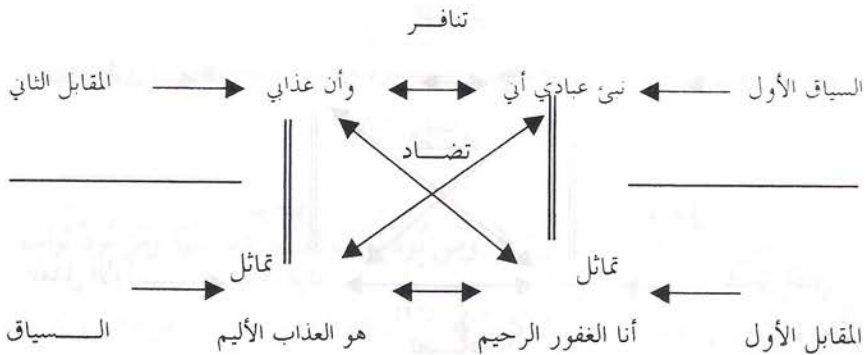


بلغت تقابلات هذا البناء اثنين وخمسين تقابلاً، وقد اختلفت مواقعها في السياق كما نلاحظ، ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه يلتقي البناء الأسلوبى ذي الرمز:

التقابل

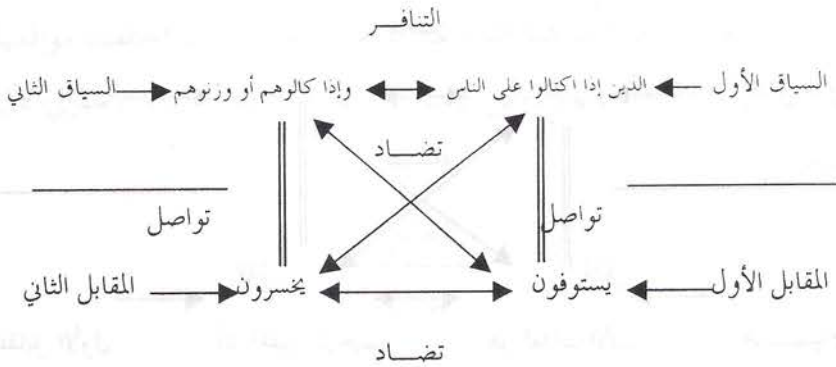
السياق

ولكنه يختلف في طبيعة تركيبه السياقي، وذلك أن البناء الأخير لا يمتد في عبارتين طويلتين وإنما ينحصر في عبارة قصيرة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٣٩). وأما البناء الأسلوبي الذي نحن بصدد تحليله، فهو يمتد في سياق أطول نسيباً من الأول، كقوله تعالى: ﴿تَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤٠) ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٤١). إن التقابل في هاتين الآيتين قائم بين (الغفور) و(عذابي)، والعلاقة القائمة بينهما هي علاقة التنافر. في حين أن علاقة التضاد تظهر في مرادفيهما، وهما ستر الذنوب والامتناع عن الأخذ بها، والأخذ بالذنوب وإيقاع النكال والعذاب بها، ونلاحظ هنا أن الطرف الأول من التقابل قد رافق سياقه، وجاء في آخره، في حين إن الطرف الثاني قد ظهر في بداية السياق الثاني للتقابل، ومن هنا فإن إبراز السياق الأول وإبراز الطرف الأول من التقابل في غاية الأهمية، وذلك لمقابته بالطرف الثاني وبالسياق الثاني. ومن هنا تصبح العلاقة بين السياقين الأول والثاني والطرفين الأول والثاني علاقة تبادلية، تثبت معنى التضاد على مستوى البناء الأسلوبي، ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي:



فالسباق الأول يقيم علاقة التضاد مع الساق الثاني، وذلك أن صفة العباد هي صفة المؤمنين الذين يتعدون عن عذاب الله الأليم، والعلاقة بين الطرفين الأول من التقابل هي علاقة التضاد، وفي الوقت نفسه تظهر علاقة تضاد أخرى بين الطرف الأول والسياق الثاني؛ إذ يتضاد مضمون المغفرة والرحمة بمضمون العذاب الأليم، وتنشأ علاقة تماثل عمودية بين السياق الأول والمقابل الأول، وعلاقة تماثلية أخرى بين المقابل الثاني والسياق الثاني وعلاقة تنافر أفقية بين السياق الأول والمقابل الثاني.

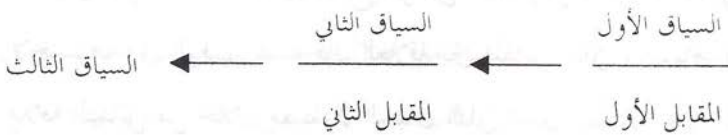
وفي هذا البناء ينتقل التقابل مع المحافظة على تركيبه الأسلوبي، فبدل أن يأتي الطرف الثاني في أول السياق الثاني يأتي في آخره، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ﴿٤١﴾. ولا شك في أننا نلاحظ أن طرفي التقابل هما (يستوفون) و(يخسرون) وعلاقة التضاد بينهما تقوم بين (يستوفون) ومرادف (يخسرون) وهو (ينقصون). وقد وقع الطرفان في نهاية كل سياق من السياقين ويمكننا أن نوضح هذا البناء في الرسم الآتي، لنكشف عن العلاقات القائمة بين السياق والتقابل:



إن الساق الأول يقيم علاقة تنافر مع السياق الثاني وذلك من مضمون كل سياق منهما، فالسياق الأول يتضمن الاكتيال في حال الشراء من الناس في حين يتضمن السياق الثاني الاكتيال والوزن في حال البيع للناس، وفي الوقت نفسه يقيم السياق الأول علاقة تضاد مع المقابل الثاني؛ لأن هؤلاء الذين يكتالون لا ينقصون الكيل لأنفسهم، ويقيم السياق الثاني علاقة تضاد أخرى مع المقابل الأول؛ لأن المكتالين والوازنين هنا لا يستوفون الكيل والوزن إذا ما باعوا الناس. ومن هنا تتقاطع العلاقة من جهة التضاد بين السياق الأول والمقابل الثاني وبين المقابل الأول والسياق الثاني. وبطبيعة الحال فإن العلاقة بين المقابل الأول والمقابل الثاني علاقة تضاد، وثمة علاقة جديدة تنشأ بين السياق الأول والمقابل الأول وبين السياق الثاني والمقابل الثاني وهي علاقة التواصل.

وهكذا تصبح العلاقات في هذا البناء قائمة على التضاد تقاطعياً وأفقياً، وقائمة على التواصل عمودياً، وكما نلاحظ فإن هذا البناء يتشابه بعلاقاته مع البناء السابق.

يمتد هذا البناء الأسلوبي إلى تشكيل آخر في السياق، وذلك أن في نهايته يظهر سياق ثالث يرتبط ارتباطاً قوياً بالبناء. وهو في الصورة الآتية:



من أمثله قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَعَجَزِي الشَّاكِرِينَ ﴾^(٤٢). إن التقابل هنا بين مرادف (الدنيا) وهو (الأولى) وبين الطرف الثاني (الآخرة). وكما نلاحظ فإن السياق الذي يقع

فيه كل طرف سياق ممتد طويل إذ يكون الطرف الأول في السياق الأول والطرف الثاني في السياق الثاني، ويظهر سياق جديد ثالث وهو في عبارة (سنجزى الشاكرين).

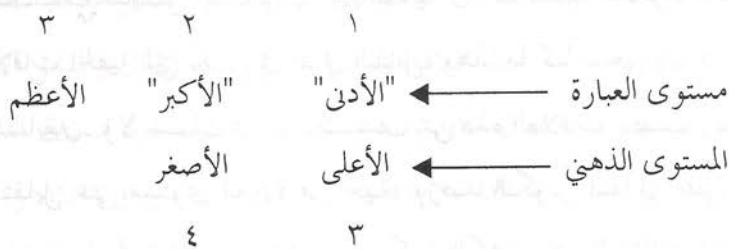
ولا شك في أننا ندرك هنا أن العلاقة بين السياقين الأول والثاني هي علاقة تنافر، وذلك ينتج من خلال مضمون السياق يربطه مع طرفي التقابل، فالثواب في السياق الأول هو متاع قليل وزائل في الحياة الدنيا في حين أن الثواب في السياق الثاني متاع دائم في الحياة الآخرة، وفي الوقت نفسه تظهر علاقة التضاد بين السياق الأول المتضمن الحياة الأولى، وبين السياق الثاني الذي يشير إلى الآخرة، وفي الواجهة الآخر تظهر علاقة التضاد بين المقابل الأول المتضمن الحياة الأولى بمتاعها الزائل وبين السياق الثاني المتضمن الحياة الآخرة بمتاعها الدائم. وفي طبيعة الحال فإن العلاقة بين طرفي التقابل علاقة التضاد. وتظهر الصياغة القرآنية أيضاً علاقة التواصل بين السياق الأول والمقابل الأول والعلاقة نفسها بين السياق الثاني والمقابل الثاني، ولكن وجود السياق الثالث يبرز لنا علاقتين جديدتين هما علاقة التماثل بين السياق الثاني والثالث، وذلك من المضمون فالسياق الأول يتضمن من يعمل الخير والمعروف لأجل الثواب في الآخرة، وهذا المتصف بالصلاح هو من الشاكرين الذين سيجازون بالجنة في الآخرة، وفي الوقت نفسه فإن العلاقة بين المقابل الثاني والسياق الثالث تظهر علاقة التماثل من خلال مضمون السياق الثاني الذي ينعكس على المقابل الثاني، وهو الذي يتضمن الصلاح والمعروف والخير والجزاء بها في الحياة الآخرة.

ثالثاً - تقابل التخالف:

إن التقابل الثالث في النمط البسيط هو تقابل التخالف الذي بلغت تقابلاته ثمانية وخمسين تقابلاً، لقد كشفت كثير من آيات الكتاب عن هذا النمط ولكنها بالقياس إلى آيات التقابلين السابقين كانت قليلة نسبياً، ولكنها أظهرت كثيراً من العلاقات البنائية التي نتجت من تماس طرفي التقابل في البنية اللغوية، وذلك أن الكشف عن علاقات التخالف يتم من خلال البنية السياقية للمتقابلين، يقول الدكتور محمد عبد المطلب: "وعملية البحث عن علاقات التخالف، هي حركة على المستوى الداخلي للبنية، إذ تكشف عن حركة العقل في التحرك بين متقابلين هما: التخالف والتناسب، وانعكاس ذلك في صياغة تجمع الأمرين معاً، ولكن تجليهما لا يتم إلا برصد العلاقات الخفية"^(٤٣).

فمعطيات تقابل التخالف التي نبحتها في هذا النمط ستكون منصبة على العلاقات الخفية التي تكمن في طرفي التقابل. وهذا ما كنا نسعى إليه في التقابلين السابقين. ولا شك في أن الكشف عن هذه العلاقات يتطلب رصد طرفي التقابل على مستوى العبارة من جهة، ورصد التكوين التقابلي على مستوى الذهن من جهة أخرى. وذلك حتى يكون الكشف عن العلاقات الخفية قريباً من حقيقة الطبيعة التركيبية للتخالف، وقد نعت الدكتور عبد المطلب هذا التكوين التقابلي بالعملية الذهنية من خلال الحضور والغياب، بحيث يؤدي الحاضر دوره التعبيري ثم يتبعه الغائب هذا الأداء من خلال المستوى الذهني. وقد أشار إلى أن هذا التقابل يأخذ شكلاً خماسياً في مستوييه المكتوب والذهني^(٤٤). والواقع أن الطبيعة التركيبية لتقابل التخالف تفرز لنا هذا الشكل الخماسي، ولكنه شكل متداخل متصل أطرافه الخمسة بعلاقات متداخلة، ويمكننا أن نكشف عن هذه الطبيعة من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ

العَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٥﴾. إن طرفي التقابل في هذه الآية هما (الأدنى) و(الأكبر) وحقيقة العلاقة بين الطرفين ليست علاقة التضاد وإنما ما يقارنها وذلك أن ضد (الأدنى) (الأعلى) وضد (الأكبر) (الأصغر). ومن هذا الافتراق جاء معنى التخالف بين الطرفين، ولكن من الملاحظ على هذه العلاقة أن فيها نوعاً من التناسب بين المتقابلين، فيجوز أن نقول: إن كلمة (الأدنى) ونقيضها (الأعلى) تتصل (بالعائلة المعنوية) لكلمة (الأكبر) ونقيضها (الأصغر)، وهذا هو التناسب بعينه. إن طرفي التقابل على مستوى العبارة هما (الأدنى) و(الأكبر) حيث يظهر طرفان متضادان لذنيك الطرفين على المستوى الذهني وهما (الأعلى) للطرف الأول و(الأصغر) للطرف الثاني، ويمكن أن نوضح هذا التركيب في الرسم الآتي:



ويبدو لي أن دائرة التقابل في هذا الرسم لم تكتمل؛ وذلك إن إمكانية إحداث طرف خامس واردة من خلال التقابل على مستوى العبارة. إن الطرف الثاني من التقابل يثبت وجوده ليعطي طرفاً جديداً في التركيب، فكلمة (الأكبر) تعطي معنى آخر يتقابل مع الأطراف الأربعة في المستويين، ويمكن أن يكون الطرف الجديد كلمة (الأعظم) كما في الرسم، وفي هذا الطرف الجديد تكتمل الدائرة التقابلية، ويصبح بالإمكان الكشف عن علاقات الأطراف المتداخلة. وذلك أن العلاقات الخفية لتقابلات العبارة والذهن مع الطرف الخامس تشكل

شبكة من العلاقات المتداخلة التي تتوزع على التناسب والتضاد والتخالف. فكلمة (الأدنى) تقيم علاقة التخالف مع (الأكبر) ومع (الأعظم)، وعلاقة التضاد مع (الأعلى)، وتقيم علاقة التناسب مع (الأصغر)، وتقيم كلمة (الأكبر) علاقة التناسب مع (الأعظم) و(الأعلى)، وعلاقة التخالف مع (الأدنى)، وعلاقة التضاد مع (الأصغر). وأما الطرف الجديد (الأعظم)، فيقيم علاقة التخالف مع (الأدنى) و(الأصغر)، وعلاقة التناسب مع (الأكبر) و(الأعلى)، وكلمة (الأعلى) الذهنية تقيم علاقة التناسب مع (الأعظم) و(الأكبر)، وعلاقة التخالف مع (الأصغر) والتضاد مع (الأدنى)، وكلمة (الأصغر) تقيم أيضاً علاقة التناسب مع (الأدنى)، وعلاقة التخالف مع (الأعلى) و(الأعظم) والتضاد مع (الأكبر). وهكذا تنشأ علاقات التناسب والتخالف والتضاد على جميع المستويات العمودية والتقاطعية والأفقية وفي هذه العلاقات تنتهي دائرة تقابل التخالف وتجدر الملاحظة هنا أن علاقتي التناسب والتخالف كانتا بارزتين في تقابل التخالف.

ولدى استقراي لجميع آيات القرآن الكريم الواقعة في التخالف وجدت أن معظمها يكشف عن اجتماع المتقابلين في رابط واحد، كقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٤٦). إذ إن الرابط هو متعلق الطرفين (الذين) في حين أن المتقابلين اللذين يتوزعان على رابطين كانا قليلي الوجود في الآيات الشريفة، كقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾^(٤٧). فالطرف الأول (أمن) رابطه الضمير المستتر فيه، والطرف الثاني (استكبرتم) رابطه الضمير المتصل به (التاء). وقد جاءت المتقابلات في هذه الآيات من جهة معنى الضم كما في الآية الأولى

فـ (أشداء) تتقابل بالضم بـ (رحماء) وجاءت من جهة المواجهة كما في الآية الثانية. إذ إن (آمن) تتقابل بالواجهة بـ (استكبرتم).
 وأما الأبنية الأسلوبية لتقابلات التخالف فلم تخرج عن الأبنية الأسلوبية السابقة، إذ جاءت على الأبنية نفسها في التقابلات اللفظية والمعنوية، فبعضها جاء على البناء:

التقابل

السياق

وقد بلغت تقابلاتها ستة تقابلات كقوله تعالى: ﴿قَوَّارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤٨). فالمتقابلان يتشكلان في سياق واحد، وينتهي السياق بالمتقابلين. وجاء بعضهما على البناء:

التقابل ← السياق

إذ بلغت تقابلاته تسعة تقابلات، كقوله تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّهَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤٩). فالمتقابلان جاءا في بداية الآية، ومن ثم جاء السياق في آخر المتقابلين يتصل بهما وهو (أكثرهم لا يؤمنون). وهذا السياق يرتبط بالمتقابلين من حيث إظهار الصفة الحقيقية لهؤلاء الذين (عاهدوا) ثم نقض فريق منهم هذا العهد. ولذلك جاءت كلمة (أكثر) في السياق. وجاء بعض هذه الآيات على البناء الأسلوبي:

السياق ← التقابل

وقد بلغت تقابلاته خمسة عشر تقابلاً كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ ۖ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾^(٥٠)، وهذا البناء مقلوب البناء السابق بحيث جاء السياق أولاً وبعد ذلك جاء بناء المتقابلين. وجاءت أيضاً الآيات على البناء الأسلوبى:

السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني

إذ بلغت تقابلاته تسعة عشر تقابلاً، كقوله تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٥١) إن التقابل هنا يتوسط سياقين، الأول (واتبع هواه فمثله كمثل الكلب) والثاني (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) وقد جاءت أخيراً على البناء الأسلوبى:

المقابل الأول ← المقابل الثاني السياق الأول ← السياق الثاني

وقد بلغت تقابلاته تسعة تقابلات كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴾^(٥٢) ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(٥٢) فطرفا التقابل يمتدان في سياقين بحيث يقيمان علاقة تقاطعية على مستوى التخالف بين (الأفق) و(تدلى) و(الأعلى) و(دنا).

رابعاً- التماثل:

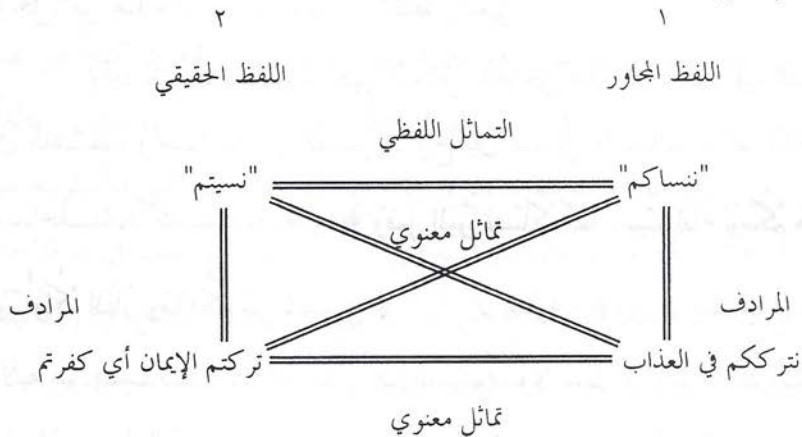
إن الجانب الأخير في النمط البسيط هو التماثل الذي تتحرك فيه التماثلات بالمفردات التي تتشكل من الكلام الذي يحتاج إلى جواب. وقد أشار العلوي إلى هذا النوع من التماثل في المفهوم الآتي: "فضابط المائلة أن كل كلام كان مفتقراً إلى الجواب. فإن جوابه يكون مماثلاً"^(٥٣). ولا شك في أن هذا التعريف يرصد لنا بدقة نمط التماثل البسيط. والواقع أن كثيراً من هذه التماثلات قد وردت في آيات القرآن الكريم وقد بلغت ستة وعشرين تماثلاً. ولكن كيف تشكلت التماثلات في هذه الآيات؟ وما هي البنية الأسلوبية لمثل هذه التماثلات؟ وما طبيعتها التركيبية التي تشكلت فيها؟ لا شك في أن الإجابة عن هذه التساؤلات تحتاج من الباحث التعمق في بنية التماثل، وفي معطياتها السياقية. يقول الدكتور محمد عبد المطلب: "والحقيقة أن إدراك التماثل عملية ذهنية خفية لا بد من أن يعينها حدس داخلي أيضاً. ذلك أن الدال يرد كعنصر في بنية الأسلوب، ومن ثم يشغل الذهن فوراً بالارتداد إلى المدلول لإدراك المطابقة أو عدمها، وهذه مرحلة أولية تتبعها عملية (تخزين) في الذاكرة بحيث تتراكم الدوال ملازمة لدوالها تارة، ومنحرفة عنها تارة أخرى"^(٥٤).

إن التماثل في حقيقته الظاهرة هو تماثل مفردتين باللفظ على مستوى العبارة، ولكن بنيته هنا لا تقف عند حد التماثل الشكلي فحسب، وإنما قد تحمل في علاقاتها السياقية مضامين قد تكون متشابهة، وقد تكون مختلفة، وقد تصل إلى حد التضاد، ولدى استقراي للتماثل البسيط في الآيات الكريمة وجدت أن ثمة أنماطاً لهذه التماثلات، فأول هذه الأنماط هو التماثل التام الذي يقع في اللفظ والمعنى، كقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي

بَيْنَ يَدَيْهِ وَكُنُذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ ﴿٥٥﴾. إن طرفي التماثل في هذه الآية هو الفعل المضارع (يؤمنون) والثاني (يؤمنون به) ولا شك في أننا نلاحظ التماثل اللفظي بين الطرفين. وأما التماثل المعنوي فإنه يبرز من خلال إثبات الطرفين للإيمان باليوم الآخر وباللَّه عز وجل. من هنا جاء التماثل التام بين اللفظ والمعنى.

وأما ثاني هذه الأنماط، فهو التماثل المتداخل وهو الذي يتم فيه التماثل في اللفظ، وأما المعنى فهو يتراوح بين التماثل والتخالف وهما علاقتان متداخلتان، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارُ وَمَالِكُمْ مِنَ نَّاصِرِينَ﴾^(٥٦). إن الطرف الأول في التقابل في هذه الآية هو (ننساكم) والطرف الثاني هو (نسيتم). ولا شك في أننا ندرك التماثل اللفظي بين الطرفين، فالطرفان أحدا من أصل واحد، ولكن العلاقات المعنوية التي تنتج من السياق لا تقع في التماثل التام، ففي الطرف الأول فاعلية تعود إلى الخالق عز وجل. والخالق يتعالى عن أن يتصف بالنسيان، ولذلك فإن المعنى المتضمن في هذا الطرف لا يشير إلى معنى النسيان أو عدم التذكر وقد فسره الزمخشري بمعنى "ترككم في العذاب"^(٥٧) فالنسيان إذن، كطرف أول هو بمعنى الترك في العذاب لهؤلاء الذين نسوا لقاء الله سبحانه وتعالى يوم الآخرة، فهؤلاء قد تركوا عدة هذا اللقاء من إقامة الصلاة والعمل الصالح من معاني الإيمان^(٥٨). وقد سمي البلاغيون هذا النوع من التماثل المشاكلة، إذ أشركوا تماثل اللفظين مع اختلاف في المعنى، إذ تأتي بالمجاورة^(٥٩). وقد حققت هذه الآية هذا المعنى للمشاكلة.

إن ثمة نقطة جوهرية في هذا التماثل وهي أن الطرف الأول كان يمثل اللفظ المجاور في حين أن الطرف الثاني كان يمثل اللفظ الحقيقي. وذلك أن الطرف الأول يقع في الجاز لا في الحقيقة، وثمة ملاحظة أخرى وهي أن لكل طرف مرادفاً يكشف عن حقيقة مضمونه ويمكن أن نوضح هذا التماثل في الرسم الآتي:



فالعلاقة بين المرادفين هي علاقة تماثلين إذ يكون العذاب جزاء حتمياً للكفر، وينشأ تماثل بين اللفظ والمعنى من خلال الطرف الأول ومرادف الطرف الثاني، وتماثل آخر بين الطرف الثاني ومرادف الطرف الأول. والواقع أن الطبيعة التركيبية لهذا التماثل ما زالت تعطي علاقات جديدة؛ وذلك من خلال البعد الخفي لكل مرادف، فمرادف الطرف الأول (تركتكم في العذاب) له بعد زميني وهو الواقع في يوم القيامة (الحياة الآخرة)، في حين أن البعد الزمني لمرادف الطرف الثاني (تركتكم الإيمان) هو (الحياة الأولى) في الأرض، ومن هنا يمكن أن ندرك العلاقة الجديدة للبعدين وهي علاقة التضاد، وهذه البنية التركيبية للتماثل تنتج علاقات جديدة بين مرادف الطرف الأول وبعد مرادف الطرف الثاني وهي علاقة التضاد، وثمة علاقة تضاد أخرى بين مرادف الثاني وبعد المرادف

الأول، فتصبح علاقة التضاد هنا علاقة تقاطعية، وبتنتاج هذه العلاقة تغلق دائرة التماثل بحيث يستحيل إحداث علاقات جديدة في هذا النمط. وهكذا يتبين أن التماثل في هذا النمط ليس من التماثل الذي يقوم على لفظين حقيقيين كما كان في الآية السابقة، ويكشف هذا النمط عن تداخل التضاد في التماثل. ولا شك في أن هذا التداخل يشير إلى العلاقة الحميمة بين تقابل التضاد والتماثل.

والواقع أن الآيات القرآنية تكشف عن تركيب آخر للتماثل في هذا النمط، وهو معكوس للتركيب السابق، إذ يأتي اللفظ على الحقيقة أولاً وبعد ذلك يأتي اللفظ المجاور (المجازي) كقوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾^(٦٠). فالطرف الأول من التماثل (سيئة) الأولى تقع في اللفظ على الحقيقة، في حين أن الطرف الثاني (سيئة) الثانية تقع في المجاورة، وتنتج العلاقات المتداخلة كما في الآية السابقة.

وقد كانت معظم التماثلات تثير معنى المواجهة بين التماثلين. كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^(٦١) فالمتماثلان يظهران معنى المواجهة، إذ واجهت الآية الطرف الثاني (الإحسان) بالطرف الأول (الإحسان) وهذه المواجهة بين الطرفين كانت قد ظهرت في التماثلات اللفظية والمعنوية، كما رأينا، أما معنى الضم، فقد كان قليل الورد في آيات الكتاب العظيم، كقوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٦٢) ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾^(٦٣). إن طرفي التماثل هنا (وهم يلعبون) يماثل (لاهية قلوبهم)، وهذان التماثلان حالان يبينان هيئة الفاعل في الفعل (استمعوه) ويتضامان معاً لتجسيد المعنى الذي يشير إلى ابتعاد الكفار عن ذكر ربهم بلهوهم في الحياة الدنيا.

وأما الأبنية الأسلوبية لهذا التماثل، فقد تشكلت في أبنية مماثلة للأبنية التي ظهرت في التقابلات السابقة، فقد جاء بعضها على البناء:

التمائل

السياق

الذي بلغت تماثلاته أربعة تماثلات، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ

الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^(٦٣)، وجاء بعضها على البناء

التمائل ← السياق

الذي بلغت تماثلاته أربعة تماثلات أيضاً، كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ

نَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴾^(٦٤)، إذ

جاء التماثل قبل السياق (ومأواكم النار) وتشكلت بعض التماثلات على البناء:

السياق ← التماثل

التي بلغت خمسة تماثلات، كقوله تعالى: ﴿ وَكُوِّجَعَلْنَاهُ مَلَكًا لِّجَعَلْنَاهُ

رَجُلًا وَلَكَّبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾^(٦٥). فالسياق جاء قبل التماثل في الآية وهو

(ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً). وأما التماثل، فهو (للسنا عليهم ما يلبسون).

وجاءت التماثلات أخيراً على البناء:

السياق الأول ← التماثل ← السياق الثاني

وقد بلغت تماثلاته ثلاثة عشر تماثلاً، كقوله تعالى: ﴿ وَكُنْ تَرْضَى

عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مَلَّتُهُمْ قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَكِيلٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦٦﴾ . فكما
نلاحظ فقد توسط التماثل سياقين والتماثل هنا هو (إن هدى الله هو الهدى).

النمط المركب:

إن تقابلات النمط المركب وتمائلاته بلغت مائة وتسعة وعشرين تقابلاً
وتمائلاً توزعت على تقابل التضاد المعنوي المركب الذي تشكل طرفاه من المفرد
والتركيب ومن التركيب والتركيب، وعلى التماثل بين طرفيه المفرد والتركيب
وبين التركيب والتركيب، وأبدأ حديثي عن تقابل التضاد المعنوي.

أولاً- تقابل التضاد المعنوي:

بلغت تقابلات هذا التضاد ثمانية وأربعين تقابلاً، وتوزعت بين المفرد
والتركيب وبين التركيب والتركيب، وأبدأ الحديث عن النمط الأول بين المفرد
والتركيب.

لقد أبرز لنا هذا النمط بناءين تركيبيين في السياق، الأول يعتمد المفرد
في الطرف الأول والتركيب في الطرف الثاني، وقد أظهر هذا البناء طبيعة
تركيبية خاصة تعتمد على معطيات طرف التركيب، وتقابلها بطرف المفرد على
علاقة التضاد، وحتى نفهم هذه الطبيعة التركيبية، نأخذ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوا وَكُمُّوا فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَسَاءِ اللَّهِ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ إن طرفي التقابل في هذه الآية قائم في المفرد اللفظي (يضلله) وفي
التركيب (يجعله على صراط مستقيم). ولاشك في أن العلاقة بين الطرفين هنا

هي علاقة تناظرية لا تسمح لهما بالالتقاء على مستوى التماثل، ولا تسمح لهما بالابتعاد لدرجة التضاد، ولكن مرادف التركيب يشكل علاقة التضاد مع ذلك الطرف، والمرادف هنا هو (يهديه) وذلك أن (الصراط المستقيم) في تقابله مع اللفظ (يضلله) يعني (الهداية). وعلى أساس هذه العلاقة تتحقق الطبيعة التركيبية لهذا البناء، وبمرادف الطرف الثاني تنغلق دائرة التقابل، من حيث إحداث العلاقات البنائية، وذلك أنها أحدثت علاقة متضادة بين اللفظ (الطرف الأول) وبين المعنى للطرف الثاني (المرادف).

وأما البناء التركيبي الثاني، فهو يعتمد التركيب في الطرف الأول، والمفرد في الطرف الثاني، وهو بناء معكوس لبناء التقابل السابق ويمكننا أن نفهم الطبيعة التركيبية لهذا البناء من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا﴾^(٦٨). إن طرفي التقابل في هذه الآية بين التركيب (إني على بينة من ربي) والمفرد (وكذبتم). وقد فسر أبو البقاء هذه الآية بأن الضمير في (ربي) يأتي على معنى إني صدقت به وأنتم كذبتم به وأشركتم^(٦٩). فمرادف التركيب (الطرف الأول) إذن هو (صدقت)، وهذا المرادف يقيم علاقة التضاد مع الطرف الثاني (كذبتم)، وهنا تنغلق دائرة التقابل بإحداث علاقة التضاد بين مرادف الطرف الأول ولفظ الطرف الثاني، وكما يلاحظ فإن البناء التركيبي معكوس بالنسبة للتركيب السابق في الآية السابقة.

وقد اعتمدت التقابلات المعنوية بين المفرد والتركيب على معنيي المواجهة والضم. فمن أمثلة المفرد والتركيب قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ

الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٠﴾. فالطرف الأول (فنجي) يتقابل بالطرف الثاني (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) الذي يرادفه (يهلك). ولا شك في أننا ندرك معنى المواجهة هنا، إذ جعل حالة النجاة لأصحاب الطرف الأول مواجهة لحالة الهلاك لأصحاب الطرف الثاني، ومن أمثلة التركيب والمفرد قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (٧١). إن الطرف الأول في مرادفه (فكذبنا) يتقابل في التواجه مع الطرف الثاني (صادقين)، إذ وضعت الآية التكذيب مواجهة التصديق.

وأما معنى الضم فكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (٧٢). إن الطرف الأول هو (آمنا) وهو يتقابل بالطرف الثاني (قالوا إنا معكم) الذي يرادفه (كفرنا) وتبنى العلاقة بين الطرفين على معنى الضم، إذ ضم ادعاء الإيمان إلى حقيقة كفر هؤلاء المتكلمين. وأما تقابلات التضاد المعنوي القائم بين التركيبين، فقد أظهرت طبيعة تركيبية مختلفة عن الطبيعة التركيبية للمفرد والتركيب، فاعتمد هذا النوع من التقابل على المرادفين، ولتوضيح هذا البناء نأخذ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٧٣). إن الطرف الأول هو التقابل هو (تعالموا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول)، ومرادف هذا الطرف هو الإسلام، وأما الطرف الثاني، فهو التركيب (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) ومرادفه هو الكفر، ولعلنا ندرك أن الطبيعة التركيبية في هذا التقابل تتم بالمرادفين، وإقامة العلاقات بينهما

وبين الطرفين التركيبيين، فالعلاقة بين المرادفين هي علاقة التضاد، وكذلك الأمر فإن العلاقة بين كل طرف ومرادف الآخر تقوم على التضاد، وهنا تنتهي العلاقات الناتجة عن التقابل، وكما نلاحظ فإن هذا البناء يختلف في معانيه عن تقابلات المفرد والتركيب.

وقد كانت التقابلات في هذا التضاد قائمة على معنى المواجهة في كل الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَذِبًا لَّهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٧٤). إن الطرف الأول في هذه الآية (أفمن كان على بئنة من ربه) والآية هنا تشير إلى صفة الإيمان التي تحلى بها الرسول عليه السلام. في حين أن الطرف الثاني (كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) يشير إلى صفة الكفر التي يتصف بها أبو جهل^(٧٥). وهذان المعنيان متواجهان بالتضاد.

الأبنية الأسلوبية:

إن هذا النمط التقابلي يفرز لنا أبنية أسلوبية بعضها يشترك مع سابقاتها من أبنية التقابلات التي رأيناها في النمط البسيط وبعضها يختلف عنها. وذلك متأت من الطبيعة التركيبية الخاصة التي يظهرها تقابل التضاد المعنوي المركب، وقد تشكلت التقابلات هنا في خمسة أبنية أسلوبية، أتحدث عن كل بناء على حدة.

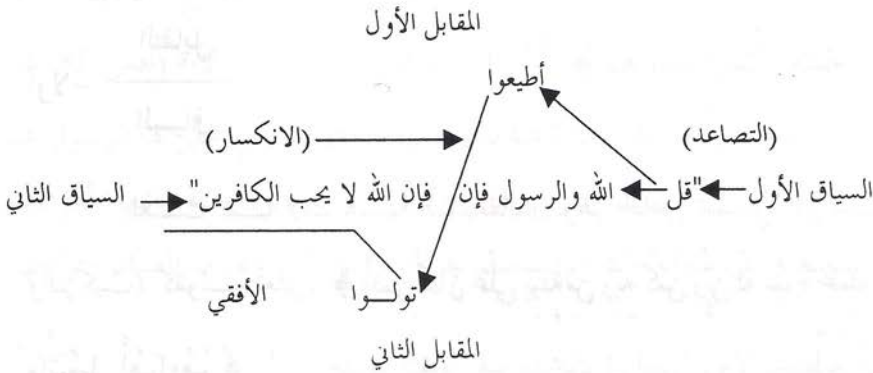
أولاً - $\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$:

بلغت تقابلات هذا البناء تقابليين وهو خاص بمتقابلي التركيب والتركيب، كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَذَبَ لَهَا سُوءُ عَمَلٍ ۖ وَآتَبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾^(٧٦). فطرفا التقابل هنا يندجان في السياق ولا نستطيع أن ن فصلهما عنه كما نلاحظ من التركيب. وقد ورد هذا البناء في التقابلات البسيطة.

ثانياً - $\frac{\text{المقابل الأول}}{\text{السياق الأول}}$ ← التقابل الثاني ← السياق الثاني:

اختص هذا البناء بتقابلات المفرد والتركيب، والتركيب والمفرد، وقد بلغت تقابلاته عشرة تقابلات، وقد اتخذ هذا البناء طبيعة خاصة من جهة إبراز صفة المتقابلين، فمن أمثلة تقابل المفرد بالتركيب قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ ۖ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^(٧٧). إن الطرف الأول من التقابل

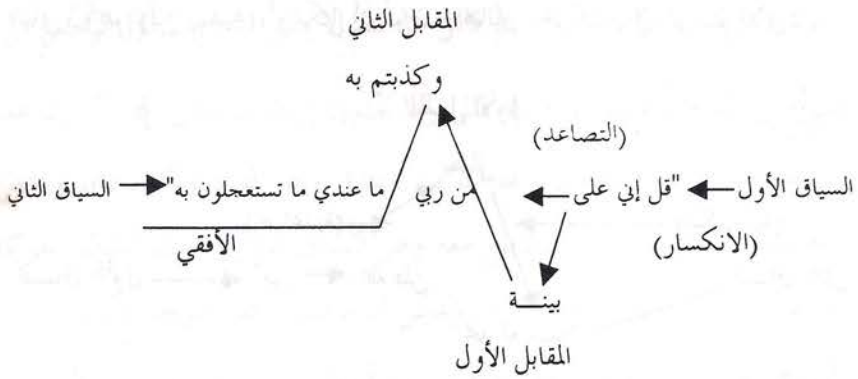
يتقاطع بالسياق الأول، وهما يشكلان الطرف المفرد (أطيعوا) الذي يتقابل بالطرف الثاني (فإن تولوا) الذي يرادفه (عصوا)، ويتبعه بعد ذلك السياق الثاني القائم في جواب الشرط (فإن الله لا يحب الكافرين). إن التقابل هنا يشكل بنية لغوية تأخذ ملامح الصعود والانكسار: الصعود من خلال بروز التقابل في مسارها الأفقي في السياق الثاني. ويمكن أن نبين هذه الحركة باتجاهاتها في الرسم الآتي:



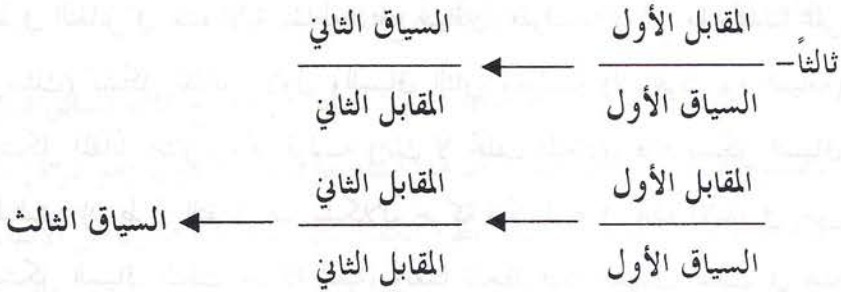
فكما نلاحظ فإن حركة التقابل هنا حركة تصاعدية انكسارية. وبعد ذلك أفقية في السياق الثاني. وقد جاء السياق الثاني ليؤكد للمخاطبين بأن الله لا يحب من يعصيه. وفي المعصية كفر، وبالآتي فهو يثبت معنى الطاعة في نفوس المخاطبين، فكما نلاحظ فإن السياق يقيم علاقة تواصل قائمة على نفي الحال المخالفة للتقابل.

وقد شكل تقابل التركيب بالمفرد حركة معكوسة لهذا البناء، وحتى نبين هذه الحركة نأخذ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾^(٧٨). إن الطرف الأول والسياق الأول يتقاطعان في

هذه الآية، وهما قوله (قل إني على بينة من ربي) الذي يرادفه (صدقت به)، وهو يشكل حركة انكسارية بالنسبة إلى الطرف الثاني من التقابل المفرد الذي يشكل حركة تصاعدية، ومن ثم تستمر الآية في مسارها الأفقي مع السياق الثاني وذلك كما في الرسم الآتي:

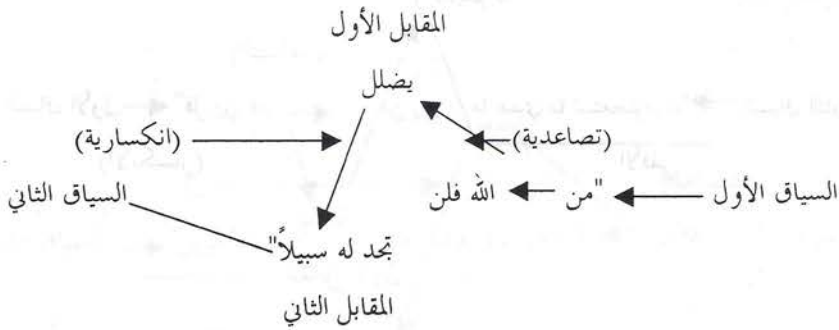


ويأتي السياق الثاني في هذه الآية ليرز موقف الكفار الذين استعجلوا رؤية الخالق عز وجل، ولذلك كانت صفتهم بأنهم (كذبوا به) عز وجل.



بلغت تقابلات هذا البناء أربعة عشر تقابلاً، وقد اشترك تقابل المفرد بالتركيب، والتركيب بالتركيب في هذا البناء مع زيادة التقابل الأخير سياقاً ثالثاً. فمثال تقابل المفرد بالتركيب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ

سَبِيلًا ﴿٧٩﴾. إن هذه الآية تبرز لنا تقابلاً (المقابل الأول) وسياقاً (السياق الأول) وهما يتواجهان في تقابل (المقابل الثاني) وسياق (السياق الثاني) بحيث يشكلان حركة تصاعدية وانكسارية وينتهي البناء في هذه الحركة دون إحداث حركة أفقية كما كان في السابق. فالطرف الأول (بضلل) يتقابل مرادف الطرف الثاني، وهو (لن يهديه)، ويمكن أن نوضح هاتين الحركتين في الرسم الآتي:



وأما من أمثلة تقابل التركيب بالتركيب، فقولته تعالى: ﴿ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رسلك ولا نخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾^(٨٠). إن طرفي التقابل في هذه الآية يتقاطعان مع سياقين. فقولته: (وأتنا ما وعدتنا على رسلك) يشكل المقابل الأول والسياق الثاني وقوله (لا نخزنا يوم القيامة) يشكل المقابل الثاني، وأما قوله (إنك لا تخلف الميعاد)، فإنه يشكل السياق الثالث. إن طرفي التقابل هنا يشكلان حركة انكسارية في هذه الآية، في حين يشكل السياق الثالث حركة أفقية، ولعلنا نلاحظ قيمة السياق الثالث في هذا البناء الذي يقيم علاقة التواصل بالتقابل بحيث توجه المتكلمون إلى خالقهم عز وجل بالطلب منه بأن يدخلهم الجنة وأن يعدهم عن النار، وأكدوا بعد ذلك أن الله لا يخلف وعده الذي وعدهم به في الحياة الدنيا.

رابعاً - السياق الأول ← المقابل الأول ← السياق الثاني :
المقابل الثاني

بلغت تقابلات هذا البناء ستة تقابلات، وقد اقتصر على تقابل المفرد بالتركيب، والتركيب بالمفرد. دون تقابل التركيب بالتركيب، فمن أمثلة تقابل المفرد بالتركيب قوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِنَّ إِلَيْنَا أُمُورُنَا رَاجِعَةٌ ﴿١٦﴾ . إن هذا البناء يبدأ بالسياق الأول وبطرف من التقابل وهو المفرد (تكذبون)، وينتهي بالمقابل الثاني وسياق متقاطع معه وهو السياق الثاني، بحيث تشكل حركة تصاعديّة وانكسارية وأخرى أفقية. ويمكن أن نوضحه على الوجه الآتي:

السياق الأول - "قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء".

المقابل الأول - إن أنتم إلا تكذبون - قالوا.

السياق الثاني - "ربنا يعلم إننا إليكم مرسلون".

المقابل الثاني - ربنا يعلم إننا إليكم مرسلون.

نلاحظ من هذا البناء أنه اتصف بصفة خلافية مع البناء السابق الذي انتهى بالسياق الثالث، وذلك أن هذا البناء بدأ بالسياق الأول وهو يتوافق مع طرف التقابل (الأول) من حيث نظرة الكفار بأن البشر لا يكونون من الأنبياء، ولذلك كل إنسان يدعي النبوة فهو من الكاذبين. وفي الوقت نفسه يتضاد مع الطرف الثاني وسياقه.

السياق الثاني

المقابل الثاني

وذلك أن الرسل قد أكدوا صدق رسالاتهم بإرجاء الأمر إلى علم الله سبحانه وتعالى الذي يؤكد أن الرسالة تنزل على البشر.

خامساً- السياق الأول ← المقابل الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني:
بلغت تقابلات هذا البناء ستة عشر تقابلاً، وقد شمل التقابلات بين المفرد والتركيب، والتركيب والمفرد، وتقابل التركيب بالتركيب. فمن أمثلة تقابل المفرد بالتركيب قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٨٢). إن طرفي التقابل هنا هما (تسلمون) و(تولوا) وهما يشكلان حركة تصاعدية وانكسارية على الترتيب، ويقعان بين السياقين الأول والثاني ذوي الحركة الأفقية.

ولا شك في أن السياق الأول يقيم علاقة مع الطرف الأول من التقابل من خلال مضمونهما، وذلك أن النعم التي أسبغها الله عز وجل على الناس توجب الإيمان به والاستسلام له، في حين أن السياق الثاني يقيم علاقة تواصل مع الطرف الثاني من خلال المضمون أيضاً. وذلك أن إعراض الناس عن الإسلام، أي كفرهم بالله وبنعمه يوجب على الرسول أن يقف موقف المبلغ لرسالته للناس حسب. وثمة صلة خفية بين السياقين الأول والثاني وهي أن إبلاغ الناس بالرسالة السماوية ما هو إلا نعمة من نعم الله عز وجل، ولذلك فإن العلاقة بين السياقين علاقة تداخل تعطي معنى التماثل في المضمون.

وأما من أمثلة تقابل التركيب بالتركيب، فقوله تعالى: ﴿أَقَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٨٣﴾. إن طرقي التقابل هنا قوله (فلما كتب عليهم القتال) وقوله (ولوا إلا قليلاً منهم)، وهذان الطرفان يشكلان حركة انكسارية تتوسط حركة أفقية من السياقين الأول والثاني.

ولا شك في أن السياقين الأول والثاني يرتبطان معاً بعلاقة تواصل، وذلك من خلال المضمون، فالسياق الأول يتضمن مطالبة الناس بقتال الكفار، والسياق الثاني يتضمن تقصير بعض أولئك الناس في القيام بتحقيق هذا المطلب وهو قتال الكفار، وبين التقابل هنا حقيقة هؤلاء الناس، فبعدما فرض الجهاد عليهم فقد بعضهم عن الخروج إليه.

ثانياً- التماثل:

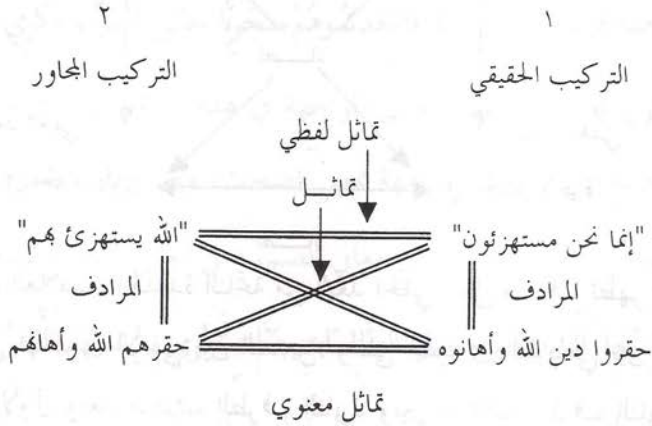
إن التماثل المركب يختلف في بنيته عن التماثل البسيط، وذلك أنه يعتمد هنا على تماثل جملتين مكتملتي الإسناد. وهما إما أن تكونا في جملة شرطية أي جملة الشرط وجملة جواب الشرط، وإما أن تكونا خارج نطاق الجملة الشرطية، فالأساس في هذا التماثل أن طرفيه يعتمدان على التركيب. ومن استقرائي لآيات الكتاب الحكيم وجدت أن هذا التماثل قد بلغ مجموعه واحداً وثمانين تماثلاً، وقد أظهر لنا شكلين أساسيين هما:

- ١- تركيبان يتماثلان في اللفظ والمعنى.
 - ٢- تركيبان يتماثلان في المعنى حسب.
- أما الشكل الأول، فإن التماثل يعتمد فيه إما على تركيبين يتماثلان في تكرير الجملتين لفظاً ومعنى، وإما على تركيبين يتماثلان في تكرير الجملتين لفظاً لا معنى. وقد ورد كثير من هذا التماثل في آيات الكتاب الكريم، ولكن كيف ظهر هذا التماثل؟ وما طبيعته التركيبية؟ إن الإجابة عن هذين التساؤلين يأتي من خلال طرح أمثلة على مختلف التراكيب.

فمن أمثلة التركيبين التماثلين في تكرير الجملتين لفظاً ومعنى، قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَكَيْلَعَلَّمِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٨٤). إن طرفي التماثل هنا يقعان في الجملة الشرطية التي بدأت بها الآية الكريمة، فالطرف الأول هو (بمسسكم قرح) والطرف الثاني (فقد مسّ القوم قرح مثله). ولا شك في أننا ندرك تمام المماثلة في اللفظ والمعنى بين التركيبين ويبدو لي أن هذا النوع من التماثل يأتي لتوحيد الطرفين من خلال اللفظ والمعنى، بحيث لا نستطيع أن نفرق بينهما في السياق.

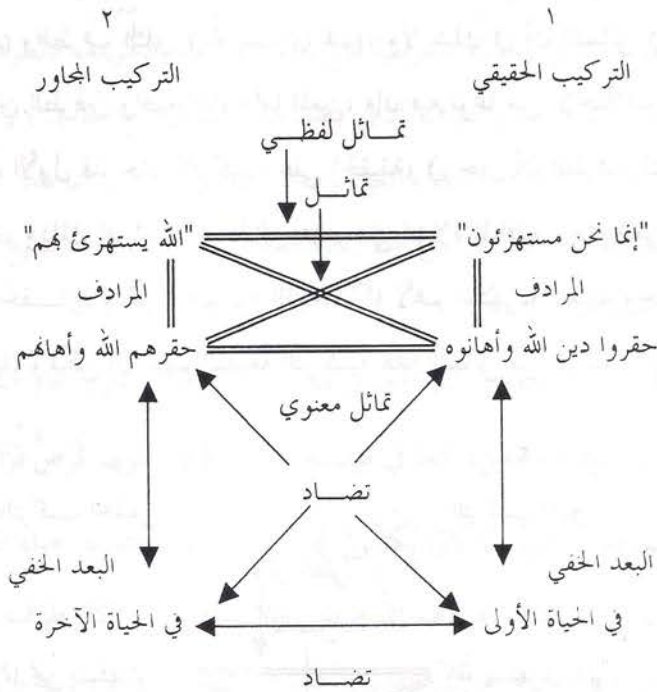
وثمة طبيعة تركيبية أخرى لهذا التماثل تعتمد على المجاز الذي يماثل مجازاً آخر في اللفظ والمعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٨٥). إن طرفي التماثل هنا، الأول (في قلوبهم مرض) والثاني (فزادهم الله مرضاً) ولا شك في أن كل طرف يشير إلى معنى مجازي وهو أن المرض في القلب، كما في سياق هذه الآية، يشير إلى سوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والكفر في قلوبهم^(٨٦). وعلى هذا الأساس تكون الطبيعة التركيبية هنا قائمة على معطيات المجاز، ولعل هذا التماثل في الآية ينتج علاقات جديدة من خلال المجاز، وهي علاقات التماثل سواء على المستوى الأفقي بين المجازين، أو على المستوى التقاطعي بين الطرفين الأول من مجاز الطرف الثاني وبين الطرف الثاني ومجاز الطرف الأول، وبهذه العلاقات تنغلق دائرة التماثل.

فمن أمثلة التركيبين المتكررين في التماثل لفظاً لا معنى، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿^(٨٧)﴾. إن طرفي التماثل هنا هما: الطرف الأول في قوله (إنما نحن مستهزونون) والطرف الثاني (الله يستهزئ بهم)، ولا شك في أن التماثل في تكرار اللفظ بين الطرفين واضح لنا، وأما المعنى، فإن فيه نوعاً من الاختلاف؛ وذلك أن الطرف الأول قد جاء بالتركيب على الحقيقة، في حين أن الطرف الثاني جاء بالجحالة، وذلك أن استهزاء الخالق عز وجل بمؤلاء المنافقين جاء بمعنى أن الله سيقزل الحقارة والهوان بهم يوم القيامة^(٨٨)؛ لأنهم استهزءوا بدينه وحقوقه في الحياة الدنيا، ويمكن أن نفهم الطبيعة التركيبية لهذا التماثل من الرسم الآتي:



فالعلاقة الناشئة بين المترادفين هي تماثل معنوي، ومن ثم تنتج علاقة تماثلية أخرى بين الطرف الأول ومرادف الطرف الثاني وأخرى بين الطرف الثاني ومرادف الطرف الأول، ولا تنغلق دائرة التماثل هنا في هذه العلاقات وإنما لا بد من إظهار البعد الخفي لكل مرادف، وهذا ما ذهبنا إلى العمل به في

التمائل البسيط؛ وذلك لأن طبيعة البناء هنا تسمح لنا بإظهار هذا البعد. فبعد مرادف الطرف الأول هو الحياة الأولى، وأما بعد مرادف الطرف الثاني، فهو الحياة الآخرة، ويمكن أن نوضح هذا البناء بعلاقاته الجديدة كما في الرسم الآتي:



إن العلاقة الجديدة الناتجة من البعد الخفي لكل مرادف تظهر في إطار التضاد على المستوى الأفقي بين البعدين. وعلى المستوى التقاطعي بين مرادف الطرف الأول وبعد مرادف الطرف الثاني، وبين مرادف الطرف الثاني وبعد مرادف الطرف الأول. ومن هنا تصبح العلاقات تماثلية ومتضادة في بنية التماثل المركب وهذه الطبيعة التركيبية مشتركة بين التماثل البسيط والمركب كما رأينا. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن جميع التماثلات في هذا الشكل تأتي بالتركيب الحقيقي أولاً والتركيب المجاور ثانياً، وهو يشترك مع التماثل البسيط ولكنه لم يأت بالتركيب المجاور أولاً ومن ثم بالتركيب الحقيقي كما كان في التماثل البسيط.

وأما الشكل الثاني الذي يتكون من متماثلين في المعنى دون اللفظ، فقد ورد في آيات كثيرة من آيات الكتاب الحكيم كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٨٩). إن طرفي التماثل في هذه الآية هما: الأول (كنا نخوض ونلعب)، والثاني (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون). ولا شك في أن الطرفين يتواصلان على معنى واحد، فالخوض واللعب بآيات الله وبالرسول إنما هو استهزاء، ويبدو لي أن الطبيعة التركيبية لهذا الشكل لا تختلف عن الطبيعة التركيبية التي تم فيها التماثل المتكرر لتركيبين، كما مر سابقاً.

إن التماثلات التركيبية أثارَت معنيي المواجهة والضم، فمن أمثلة المواجهة قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾^(٩٠). ولعل معنى المواجهة في هذه الآية يكمن في إحداث معنى السخرية التي تتماثل بالمواجهة بمعنى الضحك، وقد جاءت معاني المواجهة في هذا التماثل بنسبة أعلى منها في معاني الضم، فمن معاني الضم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٩١). إن طرفي التماثل قوله (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها النهار) وقوله (إن الله يفعل ما يريد) فالفعل في كل طرف من الطرفين ينضم إلى الآخر ويصبح الطرفان متحدين.

الأبنية الأسلوبية:

التقابل

أولاً -

السياق

بلغت تماثلات هذا البناء أربعة وعشرين تماثلاً، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾^(٩٢)، إن التماثلين هما: الأول (بطشتم) الأولى والثاني (بطشتم) الثانية. وهما يعطيان معني المواجهة، ويتقاطعان مع السياق.

ثانياً - التقابل ← السياق:

بلغت التماثلات في هذا البناء تسعة عشر تماثلاً، فمن أمثلتها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٩٣). لا شك في أننا ندرك التماثلين وهما: الأول (إن تنصروا الله)، والثاني قوله (ينصركم). وقد جاء قبل السياق الذي يرتبط بهما ارتباطاً وثيقاً، وذلك أن الله عز وجل يماثل نصر المؤمنين له بنصره وتثبيت أقدامهم أمام الكفار.

ثالثاً - السياق ← التماثل:

بلغت تماثلات هذا البناء عشرة تماثلات، فمن أمثلته قوله تعالى: قَالَ ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾^(٩٤). إن هذه الآية تبدأ بالسياق الذي يكون علاقة تخالفية مع التماثل فيها، وذلك أن (أتتك آياتنا) هو استحضار هذه الآيات للمخاطب بها، ولكن التماثل هنا يشير إلى (النسيان)، والمعنى هنا الكفر بهذه الآيات، ومن هنا جاء التخالف.

رابعاً- السياق الأول ← التماثل ← السياق الثاني:

بلغت تماثلات هذا البناء ستة وعشرين تماثلاً، فمن أمثلته قوله تعالى:
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ﴾^(٩٥). نلاحظ من هذا البناء أن السياقين يقيمان علاقة تخالف
بينهما بينما يقيم التماثل علاقة التواصل بالسياق الثاني، وفي الوقت نفسه يقيم
علاقة التخالف بالسياق الأول، فالله سبحانه وتعالى قد جعل خليفة له في
الأرض وهذا المعنى يفترض أن يتبع الإنسان شريعة الله تعالى، ولكن التماثل
يضع لنا صفة الكفر التي تتخالف مع السياق الأول، وفي الوقت نفسه يبين
السياق الثاني صفة الكفر التي اتصف بها الكفار، وهذا يشير إلى علاقة التخالف
مع السياق الأول في حين يتصل السياق الثاني بالتماثل في علاقة التواصل،
وذلك من خلال تثبيت معنى الكفر وإيقاع العقاب المناسب لكفرهم.

خامساً- المماثل الأول ← السياق الأول ← المماثل الثاني ← السياق الثاني:

بلغت تماثلات هذا البناء تماثلين اثنين. فمن مثاليه قوله تعالى: ﴿ بَلْ
كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾^(٩٦). إن هذه الآية تبدأ بالطرف الأول من التماثل وهو (بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)، وبعد ذلك جاء السياق الأول وهو (ولما يأتهم
تأويله)، ومن ثم ظهر الطرف الثاني من التماثل وهو (كذلك كذب الذين من
قبلهم) ومن ثم اختتمت الآية بالسياق الثاني وهو (فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين). إن العلاقة بين طرف المماثل الأول وبين السياق (الأول) هي علاقة

التواصل. وذلك أن هؤلاء قد كذبوا بالكتاب الكريم وكان تكذيبهم له غير قائم على العلم، وإنما قائم على الجهل بأموره، ومن ثم أقام الطرف الثاني من التماثل علاقة تواصل بالسياق الثاني، وذلك من خلال أن الذي سبق هؤلاء الكفار قد كذبوا بآيات الله البيّنات، فأحدثوا الظلم بتكذيبهم له وبكفرهم به. من هنا يمكن أن تنشأ علاقات متداخلة بين الساقين وطرفي التماثل. وذلك أن الطرف الأول (المماثل الأول) يقيم علاقة التماثل اللفظي والمعنوي بالطرف الثاني، وكذلك يقيم السياق الأول علاقة التواصل بالسياق الثاني وذلك أن السياق الأول يصف أصحاب الطرف الأول بأنهم كذبوا بالكتاب من غير أن يأتهم التأويل، وفي هذا الصنيع ظلم وكفر، وهذا المعنى هو ما يتضمنه بالسياق الثاني. ومن هنا تصبح العلاقات في هذا البناء متداخلة ومجمعة على معنى التماثل.

النمط المعقد:

بعد أن تحدثنا عن النمطين البسيط والمركب، نأتي للحديث عن النمط المعقد الذي يجمع كل ما تقدم من الأنماط أو بعضها في تقابل واحد يشكل نمطاً معقداً. وقد بلغت التقابلات والتماثلات في هذا النمط ثلاث مائة وعشرين وقد أبرزت لنا شكلين مختلفين: الأول- يعتمد على نسق أفقي واحد، والثاني- يعتمد على نسقين أفقيين، وأعني بالنسق الأفقي إحداث التقابل والتماثل بين شيئين أو أكثر على مستوى العبارة.

إن شكل التداخل ذا النسق الواحد كان يكرر في جميع أشكاله ثلاثة أطراف متقابلة أو متماثلة، وقد بلغت تقابلاته وتماثلاته واحداً وثلاثين. ولا شك في أن الحديث عن الطبيعة التركيبية تأتي من نوعية العلاقة التي تنتج من

أطراف التقابل أو التماثل، ولدى استقرائي لتقابلات النسق الواحد، وتماثلاته في آيات القرآن الكريم وجدت ثمانية أشكال مختلفة في نوعية العلاقات البنائية، وهذه الأشكال هي:

١ - تقابل التضاد اللفظي:

بلغت تقابلات هذا الشكل ثلاثة تقابلات، تحركت أطرافه من خلال علاقات التضاد اللفظي كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾^(٩٧). في هذه الآية ثلاثة أطراف متقابلة تجتمع على علاقة التضاد اللفظي الحقيقي. وذلك أن كلمة (أحياكم) تتضاد مع كلمة (يميتكم) وكلمة (يميتكم) تتضاد مع كلمة (يحياكم). وهكذا يحدث هذا التقابل في سلسلة من ثلاثة أطراف يتصل بعضها ببعض من خلال علاقة التضاد، ولا بد هنا من الرجوع إلى التقابل الذهني الذي أشرنا إليه في التقابل البسيط في مثل علاقة التضاد اللفظي. إذ كان يظهر في التقابل الذي يعتمد على طرفين، بحيث يحدث طرفين متقابلين آخرين تكتمل بهما دائرة التقابل. أما في الشكل التقابلي، فإن الدائرة تتسع عنها في البسيط بحيث تتشابك العلاقات، وتداخل في الطرف الثالث من التقابل على مستوى العبارة، إذ إننا نلاحظ من خلال العلاقات بين المتقابلين في مستوى العبارة والمستوى الذهني أن ثمة علاقات تضاد بين الطرف الأول (أحياكم) وبين ضده الذهني (أماتكم) وبين الطرف الثاني (يميتكم) وضده الذهني (يحياكم) وعلاقة مماثلة بين الضدين الذهنيين. وثمة علاقة تقاطعية تشير إلى التماثل بين الأطراف الأربعة في المستويين. وهنا ينتهي دور الطرف الثالث (يحياكم) لينشئ علاقات جديدة مع المستوى الذهني، وذلك أنه يتضاد مع كلمة (أماتكم) ويتماثل مع كلمة (يحياكم)، فالعلاقات في هذا التقابل إذن هي علاقات التماثل والتضاد. وهي علاقات متشابكة.

٢- تقابل التضاد المعنوي:

بلغت تقابلات هذا الشكل أربعة تقابلات، كقوله تعالى: ﴿الْم تَر

إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
 ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٩٨﴾. إن أطراف التقابل في هاتين الآيتين هي:



والتقابل هنا يتم على مستوى العبارة في صورة التنافر إلا أن صورة التضاد المعنوي تتم بين مرادفات هذه الأطراف. فمرادف الطرف الأول (بسط وتحرك) وهذا المرادف يقيم علاقة التضاد مع الطرف الثاني نفسه، وأما الطرف الثاني فمرادفه (حركناه) وهي حركة معكوسة لحركة (مد الظل). إذ إن الطرف الثاني يقيم علاقة التضاد بين مرادفي الطرف الأول والثاني. والواقع أن دائرة التقابل هنا لا تنتهي؛ لأن ثمة علاقة تنشأ بين الطرف الأول والطرف الثالث، وهي علاقة التضاد اللفظي ف (مد الظل) تضاد لفظياً مع (قبضناه) وهنا تنتهي دائرة التقابل، وقد تغير العلاقة الأخيرة في هذا الشكل من التضاد

اللفظي إلى علاقة التماثل كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٩٩﴾. لا شك في أننا ندرك الأطراف الثلاثة في هذه الآية وهي (١- لدلوك الشمس) التي مرادفها (النهار) و(٢- إلى غسق الليل) و(٣- قرآن الفجر) الذي مرادفه (الغداة) فالعلاقة بين الطرف الأول والطرف الثالث هي علاقة التماثل (فالنهار) يتماثل مع (الفجر).

٣- التقابل اللفظي والمعنوي:

بلغت تقابلات هذا الشكل أربعة تقابلات، وقد نشأت في هذا التقابل علاقات التضاد اللفظي والمعنوي على المستوى الأفقي كما في قوله تعالى:

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾^(١٠٠). إن أطراف التقابل هنا هي:

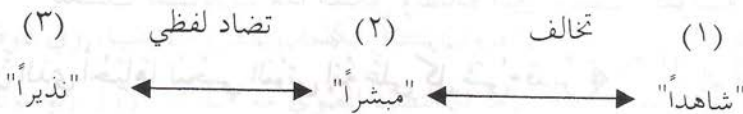


لا شك في أننا ندرك هنا أن العلاقة الأولى (التضاد اللفظي) تنشأ بين الطرفين: الأول (هو الحق) والثاني (الباطل). وأما علاقة التضاد المعنوي، فتنشأ بين الطرف الثاني (الباطل) ومرادف الطرف الثالث وهو (الحق)؛ لأن قوله (العلي الكبير) يشير إلى أن الله هو الحق؛ لأنه أعلى كل شيء وأكبر كل شيء^(١٠١). ويمكننا أن نلاحظ علاقة جديدة بين الطرفين الأول ومرادف الثاني وهي علاقة التماثل.

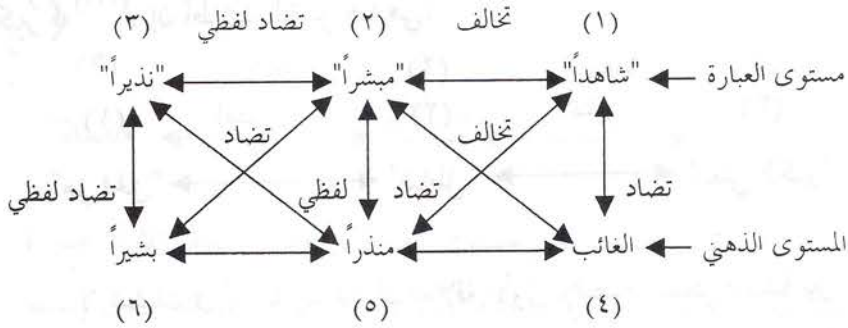
٤- التقابل اللفظي والتخالفي:

بلغت تقابلات هذا الشكل تقابلاً واحداً، هو في قوله تعالى: ﴿ يَا

أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾^(١٠٢). إن أطراف التقابل هنا هي:



ولا شك في أننا ندرك هنا تقابل التضاد اللفظي وهو بين الطرف الثاني (مباشراً) والطرف الثالث (نذيراً). ولكن تقابل التخالف هو الذي بين الطرف الأول (شاهداً) والطرف الثاني (مباشراً) من جهة، وبين الطرف الثالث من جهة أخرى، وذلك كما في الرسم الآتي:



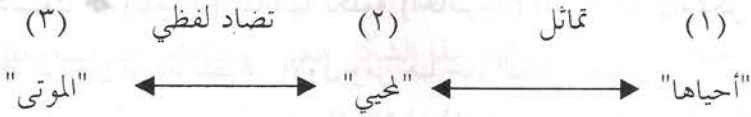
إن التقابل في هذا البناء يوضح العلاقة التحالفية الأفقية بين الأطراف (١، ٢) و(٤، ٥) و(٣، ١) و(٤، ٦) والعلاقة التخالفية-التقاطعية بين الأطراف (١، ٥) و(٢، ٤) و(٤، ١) و(٤، ٢) والعلاقة الضدية العمودية بين الأطراف (١، ٤) و(٢، ٥) و(٣، ٦) و(٦، ٣) والعلاقة الضدية الأفقية بين (٢، ٣) و(٥، ٦) والعلاقة الضدية التقاطعية بين الأطراف (٢، ٦) و(٣، ٥). وفي هذه العلاقات المتشابكة تنغلق دائرة التقابل في هذا الشكل. ومن الملاحظ على علاقة التخالف في هذا الشكل أنها جاءت من غير التناسب بين الأطراف.

٥- التماثل والتضاد اللفظي:

بلغت تقابلات هذا الشكل وتضاده اثنين حسب، كقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٠٣). إن أطراف

التماثل والتضاد في هذه الآية هي:



لا شك في أننا ندرك أن العلاقة بين الطرف الأول والطرف الثاني هي علاقة التماثل المكرر للفظ الواحد (أحياءها)، في حين أن العلاقة بين الطرفين الثاني والثالث هي علاقة التضاد. والواقع أن ثمة علاقة تنشأ هنا، وهي علاقة التضاد بين الطرف الأول (أحياءها) والطرف الثالث (الموتى) وهنا تنتهي دائرة التماثل.

٦- التقابل اللفظي والتوافق:

بلغت تقابلات هذا الشكل ثلاثة تقابلات، ولا بد من الإشارة هنا إلى أنني أعني بالتوافق أن العلاقة بين التقابل تنبع من معنى الموافقة، فمن أمثلة هذا الشكل قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٠٤). إن أطراف التقابل هنا هي:



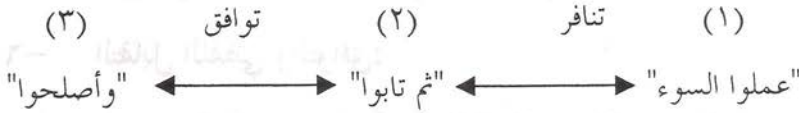
لا شك في أن العلاقة بين الطرفين الأول (يؤمنون) والثاني (يكفر) هي علاقة التضاد اللفظي، في حين أن العلاقة بين (يكفر) و(الخاسرون) هي علاقة التوافق، إذ إن كلمة (الخاسرون) تتصل بكلمة (يكفر) وتوافقها، وفي الوقت نفسه يقيم الطرف الثالث علاقة التضاد المعنوي مع الطرف الأول (يؤمنون).

وذلك أن (يؤمنون) بمقابلتها بكلمة (الخاسرون) تعني الراجحين ويمكن أن نعد لفظ الراجحين مرادفاً للطرف الأول ومن هنا جاء التقابل المعنوي.

٧- التقابل المعنوي والتوافق:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل أربعة تقابلات، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ

إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٥﴾. إن الأطراف المتقابلة في هذه الآية هي:



إن التقابل في هذه الآية يتم بين مرادفي الطرف الأول والثاني وهما (الفاسدون) و(المصلحون) على الترتيب. وهذا تضاد معنوي يمثل الصفة الأولى من شكل هذا التقابل. وأما التوافق، وهو الصفة الثانية لهذا الشكل، فهو واضح من خلال علاقة مرادف الطرف الثاني (المصلحون) بالطرف الثالث (أصلحوا) فالطرفان متوافقان، والعلاقة الجديدة في هذا التقابل هي علاقة التضاد المعنوي بين الطرف الثالث ومرادف الطرف الأول (الفاسدون) وبهذا تنتهي دائرة التضاد.

٨ - التقابل المعنوي والتخالف:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل عشرة تقابلات، كقوله تعالى:

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ^(١٠٦). إن أطراف

التقابل في هذه الآية هي:

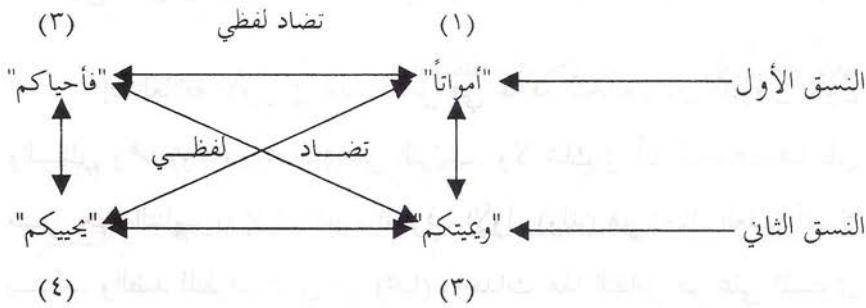


إن العلاقة الأولى في هذا التقابل هي علاقة التخالف بين الطرفين الأول والثاني وهما (ولد) و(يموت) على الترتيب. ولا شك في أن التخالف هنا يأتي من جهة التناسب، إذ إن الضد للطرف الأول (ولد) هو (حال العقم) أي لا يولد. وال ضد للطرف الثاني هو (يجيا) وإحداث هذا التقابل هو على المستوى الذهني، وذلك فإن العلاقة بين (العقم) و(يجيا) هي علاقة التخالف من جهة التناسب. وأما علاقة التضاد المعنوي، فنتج من تقابل الطرف الثاني (يموت) ومرادف الطرف الثالث وهو التماثل، إذ إن في كلمة (ولد) حياة، ومرادف (يبعث حياً) أيضاً معنى الحياة بعد الموت وهنا تنتهي دائرة التقابل.

أما أشكال التداخل ذات النسقين الأفقيين، فكانت تكرر في نسق أكثر من طرفين، قد يصل كل طرف إلى خمسة عناصر بحيث تكون هذه الأطراف ذوات علاقات متشابهة قد تعتمد على تقابل هذا التضاد المعنوي مثلاً في كل سياق، ومن استقرائي للآيات الكريمة التي وردت فيها تقابلات هذا الشكل وتماثلاته وجدت أنها كانت تحتفظ في أغلبها بسمة الترتيب بين المستقابلات أو المتماثلات وقد بلغت مائتين وتسعة وثمانين تقابلاً وتماثلاً وقد أظهرت عدداً من الأشكال هي:

١ - تقابل التضاد اللفظي:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل واحداً وثلاثين تقابلاً، ويلاحظ أنه يحدث علاقة التضاد بين الألفاظ على مستوى العبارة في النسقين، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَهْلًا لِّمَوَاتٍ فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(١٠٧). إن النسقين المتقابلين في هذه الآية هما:



إن العلاقة بين طرفي كل نسق هي علاقة التضاد فـ (أَمْوَاتًا) تتضاد مع (فَأَحْيَاكُمْ) و(يُمَيِّتُكُمْ) تتضاد مع (يُحْيِيكُمْ). والواقع أن الطبيعة التركيبية لمثل هذا التقابل لا تنتهي بعلاقتها عند هذا المستوى السطحي للعبارة، وإنما هناك علاقات متعددة يمكن أن تنشأ نتيجة هذه التقابلات، فهذه الآية مثلاً تنتج علاقات أخرى على مستوى عمودي تقاطعي فـ (أَمْوَاتًا) تتماثل عمودياً مع (يُمَيِّتُكُمْ) و(فَأَحْيَاكُمْ) تتماثل عمودياً مع (يُحْيِيكُمْ) وتتضاد (أَمْوَاتًا) مع (يُحْيِيكُمْ) و(فَأَحْيَاكُمْ) مع (يُمَيِّتُكُمْ) ويشكل هذا التضاد علاقة تقاطعية بين الأطراف الأربعة.

ويمكن أن ينتج هذا الشكل علاقات أخرى كعلاقة التضاد على المستوى العمودي وعلاقة التماثل على المستوى التقاطعي، ويكثر مثل هذا

الشكل في النسقين اللذين يكون في كل واحد منهما طرفا التقابل متعاكسين في التركيب مع الطرفين الآخرين، كقوله تعالى: ﴿يُوبِخُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوبِخُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾^(١٠٨) فالنسق الأول يقدم (الليل) على (النهار)، والثاني يقدم (النهار) على (الليل)، ويمكن أن نلاحظ علاقة التضاد في الصورة الآتية: بين (النهار) و(الليل) من النسق الأول، و(الليل) و(النهار) من النسق الثاني، وذلك على المستوى الأفقي، وبين (الليل) من النسق الأول، و(النهار) من النسق الثاني والنهار من النسق الأول و(الليل) من النسق الثاني وذلك على المستوى العمودي. وكذلك نلاحظ علاقة التماثل على المستوى التقاطعي بين (الليل) من النسق الأول و(الليل) من النسق الثاني وبين (النهار) من النسق الأول و(النهار) من النسق الثاني. ويبرز هذا الشكل أيضاً علاقتي التخالف والتضاد اللفظي كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْمُونَ﴾^(١٠٩). وقيل أن نتحدث عن العلاقات هنا، لا بد من الإشارة إلى أن هذا النوع من التقابلات هو تقابل متداخل من حيث علاقات النسقين، ولا يمكن أن نعهه ترتيبياً، ويمكن أن نطلق عليه التقابل المدور، بحيث تتشكل علاقات متداخلة للتضاد اللفظي من خلال الحركة المتواصلة للأطراف الأربعة للنسقين، وذلك أن التضاد اللفظي يتم بين (ءامنا) من النسق الأول وبين (الكفر) من النسق الثاني، وبين (دخلوا) من النسق الأول و(خرجوا) من النسق الثاني إن هذه العلاقة الضدية نتجت من تداخل النسقين من جهة ومن اختفاء الترتيب من جهة أخرى، وتنشأ هنا علاقة جديدة تخالفين بين (ءامنا) و(خرجوا به) وبين (دخلوا) و(بالكفر).

ويظهر هذا الشكل أيضاً علاقة التوافق والتخالف، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾^(١١٠). ويتشكل التوافق في تقابل (الأعمى) من النسق الأول بـ (الظلمات) من النسق الثاني لأن المتقابلين يشيران إلى الظلمة، ويتشكل التوافق أيضاً في تقابل (البصير) من النسق الأول بـ (النور) من النسق الثاني، فالطرفان يشيران إلى معنى النور. وأما علاقة التخالف، فتنشأ من العلاقة بين (الأعمى) و(النور) في النسقين و(البصير) و(الظلمات)، وهي تخالف تناسبي.

وقد تنشأ علاقة التوافق والتضاد المعنوي أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾^(١١١). إن الطرف الأول من النسق الأول (قبل طلوع الشمس) يشكل علاقة توافق عمودية مع الطرف الأول من النسق الثاني (الليل) وذلك أن قوله (قبل طلوع الشمس) يشير إلى الليل. وكذلك تتشكل هذه العلاقة بين (قبل غروبها) في النسق الأول، و(النهار) في النسق الثاني، وهما يتوافقان في معنى النهار، ومن ثم تنشأ علاقة تقاطعية للتضاد المعنوي بين (قبل طلوع الشمس) في مرادفها (الليل) وبين (النهار)، وأخرى بين (قبل غروبها) في مرادفها (النهار) وبين (الليل).

٢ - تقابل التضاد المعنوي:

لقد بلغت تقابلات هذا الشكل ثلاثة وثلاثين تقابلاً، ويلاحظ أنه يفرز علاقات مختلفة، فمن هذه العلاقات، علاقة التضاد اللفظي والمعنوي والتماثل، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾^(١١٢). إن تقابل كل طرف من النسق الأول مع كل طرف

من النسق الثاني ينتج علاقات مختلفة، فعلاقة التضاد اللفظي تنشأ بين الطرف الثاني من النسق الأول (كفرتم) والطرف الثاني من النسق الثاني (تؤمنوا). وأما علاقة التضاد المعنوي، فتنشأ من تقابل الطرف الأول من النسق الأول (وحده) الذي مرادفه (التوحيد) في الطرف الأول من النسق الثاني (يشرك به). وأما علاقة التماثل، فتنشأ من تقابل الطرفين الأول والثاني من النسقين الأول والثاني (وحده) و(تؤمنوا) على الترتيب. ولاشك في أن هذه الطبيعة التركيبية تتميز في علاقاتها من الشكل السابق.

ويبرز هذا الشكل علاقة التضاد المعنوي وعلاقة التخالف، كما في

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . . . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيِّينَ﴾^(١١٣). إن الآية الأولى تمثل النسق الأول، والآية الثانية تمثل النسق الثاني.

ويتقابل طرفا كل نسق بالطرفين الآخرين. فتقابل (الفجار) بـ (الأبرار) يعطي علاقة التضاد المعنوي، لأن مرادف الطرف الأول (للكفار) ومرادف الطرف الثاني (المؤمنون) الذين صدقوا بإيمانهم، وتقابل (سجين) التي مرادفها (تحت الأرض) بـ (عليين) التي مرادفها (فوق السماء)، يعطي علاقة التضاد المعنوي أيضاً. وأما تقابل الطرف الأول من النسق الأول (الفجار) بالطرف الثاني من النسق الثاني (عليين) وتقابل الطرف الثاني من النسق الأول (سجين) بالطرف الثاني (أبرار) من النسق الثاني، فإنه يعطي علاقة التخالف الذي يقوم على التناسب فـ (الفجار) كتابهم لا يتوافق مع كونه (فوق السماء) وكتاب الأبرار لا يتوافق مع كونه تحت الأرض.

وتنشأ علاقة أخرى وهي علاقة التوافق والتضاد المعنوي، كما في

قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾^(١١٤). إن المتقابلات هنا هي:

النسق الأول : ١- "آمنوا". ٢- "كالمفسدين".

النسق الثاني : ٣- "المتقين". ٤- "الفجار".

إن العلاقة بين الأطراف (٣ / ١) و(٤ / ٢) هي علاقة التوافق إذ إن (آمنوا) تتوافق مع (المتقين)، و(كالمفسدين) تتوافق مع (الفجار)، وهذه العلاقة كما نلاحظ جاءت على المستوى العمودي. وأما على المستوى التقاطعي، فنلاحظ علاقة التضاد المعنوي، فمرادف (الفجار) هو (الكفار) يتضاد مع الطرف (آمنوا) كما أن مرادف (كالمفسدين) هو الذين لا يخافون الله بفسادهم يتضاد مع (المتقين).

ومن العلاقات الأخرى التي نشأت في هذا الشكل، علاقتنا التوافق والتخالف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(١١٥). إن التقابل هنا يتم بين النسقين في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "الأرض". ٢- "السماء".

النسق الثاني : ٣- "لا أصغر". ٤- "لا أكبر".

فعلاقة التوافق هنا عمودية بين الطرفين (٣ / ١)؛ لأنهما يتفقان على معنى الصغير، وبين الطرفين (٤ / ٢)؛ لأنهما يتفقان على معنى الكبير، وتنشأ علاقة تخالف تقاطعي بين (٤ / ١)؛ لأن الأرض في مرادفها (تحت) تتخالف مع

(الأكبر) التي مرادفها (الأصغر) وبين (٣/٢)؛ لأن السماء بمرادفها (فوق) تتخالف مع (لا أصغر) التي مرادفها (لا أكبر)، وهذا التخالف جاء بغير تناسب بين كل طرف.

٣- تقابل التخالف:

بلغت تقابلات هذا الشكل ستة عشر تقابلاً، فمن أمثله قوله تعالى:
﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾^(١١٦). إن التقابل في هذه الآية يتم بين أطراف النسقين في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "الباطل". ٢- "يؤمنون".

النسق الثاني : ٣- "نعمة". ٤- "يكفرون".

إن العلاقة بين الطرفين (١، ٢) هي علاقة التخالف، وذلك أن ما يتضاد مع (الباطل) هو الحق، وما يتضاد مع (يؤمنون) هو يكفرون. وفي هذا التخالف تناسب. وكذلك الأمر بين الطرفين (٣/٤)، فإن ما يتضاد مع (نعمة) هو الكفر بالوحدانية، وما يتضاد مع (يكفرون) هو يؤمنون. وتنشأ علاقة تخالف أخرى على مستوى عمودي بين (٣/١) من خلال ما يتضاد مع كل طرف كما أشرنا. وتنشأ علاقة عمودية أخرى وهي علاقة التضاد اللفظي بين الطرفين (٤/٢)، وكذلك تنشأ علاقة التوافق التقاطعية بين (٤/١) و(٣/٢) فكل طرف يتوافق مع الآخر في معناه. ولا شك في أن هذه العلاقات في هذا التقابل متميزة من غيرها من الأبنية السابقة.

وثمة علاقتان جديدتان تنشآن في هذا الشكل وهما علاقتا التضاد

اللفظي والتوافق، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَعَسَى أَنْ تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ . لاشك في أننا ندرك هنا أن الطرف الأول من النسق الثاني (تكرهوا) يتضاد لفظياً مع مقابله في الطرف الأول من النسق الثاني (تحبوا). وكذلك الأمر يجري في تقابل النسقين بين طرفيهما (خير) و(شر) على الترتيب. وهذا التضاد هو على المستوى العمودي. أما على المستوى التقاطعي فتكون العلاقة توافقية، إذ إن (تكرهوا) تتوافق مع (شر) و(خير) تتوافق مع (تحبوا).

٤ - التماثل:

بلغت تماثلات هذا الشكل خمسة عشر تماثلاً، ويلاحظ أن تماثلاته تتحرك كسابقتها في التقابلات من خلال النسقين، ويعطي علاقات خفية مختلفة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلُو الْقُرْآنَ فَمِنْ أهدَى فَإِنَّمَا يَهتدي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١١٨). إن التماثل في النسقين يتكون كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "اهتدى". ٢- "يهتدي لنفسه".

النسق الثاني : ٣- "ضل". ٤- "أنا من المنذرين".

إن النسق الأول يكرر جملتين متماثلتين في اللفظ والمعنى، في حين إن النسق الثاني يأتي بجملتين الأولى ترتبط بالثانية من جهة المعنى، فقوله (أنا من المنذرين) تعني أن المتكلم لا يستطيع أن يرد الضلال عن أصحاب الضلالة، وبذلك فإنهم من الضالين، وفي الوقت نفسه تعزز هذه البنية علاقات جديدة

غير التماثل، وهي علاقات التضاد اللفظي والمعنوي على مستوى عمودي وتقاطعي. وذلك كما يأتي: إن الطرفين (٣/١) يشكلان علاقة التضاد اللفظي، في حين إن الطرفين (٤/٢) يشكلان علاقة التضاد المعنوي، وأما العلاقات على المستوى التقاطعي، فإنها تحدث بين الطرفين (٤/١) وبين (٣/٢) وهي علاقة التضاد المعنوي. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن بنية التماثل ما زالت تفرز لنا علاقات متضادة شأنها شأن التماثل البسيط والمركب كما رأينا في هذا الفصل.

٥ - تقابل التوافق:

لقد بلغت تقابلاته مائة وأربعة وتسعين تقابلاً، وأعني بعلاقة التوافق في هذا الشكل هي أن الكلمات التي تشكل أطراف التقابل تتواصل وتنسجم معاً، كقوله تعالى: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ... وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾^(١١٩). إن النسق الأول في هاتين الآيتين يتكون من طرفين: الأول (السماء) والثاني (رفعت). فالطرف الأول يتوافق مع الطرف الثاني إذ إن الطرف الثاني (رفعت) حركة تشير إلى اتجاه الأعلى أي (فوق) تماماً كما هو مرادف (السماء) فوق. وهذا التوافق نفسه يتوافر في طرفي النسق الثاني (والأرض) توافقها كلمة (سطحت)؛ لأنها تشير إلى حركة تحتية فـ (سطحت) تعني بسطت.

ولدى استقرائي لتقابلات التوافق وجدت أن ثمة أشكالاً كثيرة تفرز علاقات متعددة من التضاد اللفظي والمعنوي والتخالف والتماثل على كل المستويات العمودية والتقاطعية. ولا بد من الإشارة إلى أن تقابل التوافق فاق بعده جميع التقابلات السابقة واللاحقة، ولذلك سينتج علاقات كثيرة ومختلفة.

وقد قسمت تقابلات التوافق قسمين: الأول يعتمد على طرفين في كل نسق. والثاني يعتمد على أكثر من طرفين؛ ولذلك فإني أتحدث عن كل قسم ومعطياته البنائية على حدة.

فأما القسم الأول، فقد أفرز علاقات مختلفة منها علاقة التضاد اللفظي، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(١٢٠). إن النسقين الأول والثاني في طرفيهما يحدثان تقابل تضاد لفظي، وذلك بين الفعلين (اهتدى) من النسق الأول و(ضل) من النسق الثاني، وبين الحرفين اللام في (لنفسه) من النسق الأول و(عليها) من النسق الثاني. وقد كثرت العلاقات الضدية على المستوى العمودي في هذا الشكل في آيات القرآن الكريم^(١٢١).

وقد جاء تقابل التضاد على المستويين العمودي والتقاطعي معاً كما في قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾^(١٢٢). وتتكون هذه العلاقة كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "يحق". ٢- "الحق".

النسق الثاني : ٣- "يبطل". ٤- "الباطل".

إن الطرفين (٣/١) والطرفين (٤/٢) يتقابلان عمودياً بالتضاد، والأطراف (٤/١) و(٣/٢) تتقابل تقاطعياً بالتضاد.

ومن هذه العلاقات أيضاً علاقة التضاد المعنوي على المستويين العمودي والتقاطعي كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^(١٢٣) وتنشأ العلاقات هنا كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "الأرض". ٢- "فراشاً".

النسق الثاني : ٣- "السماء". ٤- "بناء".

إن الطرفين (٣/١) يتقابلان بالتضاد من جهة مرادفيهما (تحت) و(فوق) على الترتيب (٤/٢) ويتقابلان بالتضاد من جهة مرادفيهما (بسطاً، وسقفاً) على الترتيب مع ملاحظة الحركة التحتية والفقوية لكل مرادف، وتنشأ علاقة تضاد معنوي بين الأطراف (٤/١) و(٣/٢) على المستوى التقاطعي، وذلك إذا ما نظرنا إلى مرادفاتهما.

ومن العلاقات التي يفرزها هذا القسم أيضاً علاقة التضاد اللفظي والمعنوي، فتأتي مرة على المستوى العمودي، وأخرى على المستويين العمودي والتقاطعي. فمثال المستوى العمودي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١٢٤). إن التقابل في هذه الآية يتم كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "يريد". ٢- "اليسر".

النسق الثاني : ٣- "لا يريد". ٤- "العسر".

إن الطرفين (٣/١) ينشئان علاقة التضاد المعنوي بين الإيجاب والسلب، والطرفين (٤/٢) ينشئان علاقة التضاد المعنوي. ومثال المستويين العمودي

والتقاطعي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْزِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١٢٥). إن العلاقات في هذه الآية متداخلة، ويمكن أن تكشف عنها كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "يمح". ٢- "الباطل".

النسق الثاني : ٣- "يحق". ٤- "الحق".

إن الطرفين (٣/١) يقيمان علاقة التضاد المعنوي وذلك بين (يحق) ومرادف الطرف (يمح) وهو يبطل، والطرفين (٤/٢) يقيمان علاقة التضاد اللفظي، وهاتان العلاقتان هما على المستوى العمودي، وأما الطرفان (٤/١)، فهما يقيمان علاقة التضاد المعنوي، وذلك بين مرادف الطرف (الأول) وهو يبطل، والطرف الرابع، وأما الطرفان (٣/٢) فهما يقيمان علاقة التضاد اللفظي التي تتقاطع مع علاقة التضاد المعنوي للطرفين (٤/١).

ومن العلاقات التي يفرزها هذا القسم علاقة التخالف مع مستويين: الأول العمودي، والثاني عمودي وتقاطعي، فمن أمثلة المستوى العمودي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾^(١٢٦). فعلاقة التخالف هنا تتم عمودياً بين (رحمة) و(سيئة) من جهة، وبين (فرحوا بها) و(يقنطون) من جهة أخرى.

وأما مثال المستويين العمودي والتقاطعي، فقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٢٧). إن التقابل في هذه الآية يتم كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول : ١- "يفسد". ٢- "يسفك".

النسق الثاني : ٣- "نسبح". ٤- "نقدس".

إن علاقة التخالف هنا تظهر عمودياً بين الطرفين (٣/١) وذلك أن (يفسد) لا تتضاد مع (نسبح)، وإنما الذي يتضاد معها (يصلح)، ومن هنا تأتي المخالفة. وكذلك الأمر بالنسبة لتقابل الطرفين (٤/٢) فإن (يسفك) لا تتضاد مع (نقدس)، وإنما الذي يتضاد معها (يعدل)، وتنشأ علاقة تخالفية أخرى على المستوى التقاطعي بين يتضاد معها (يعدل)، وتنشأ علاقة تخالفية أخرى على المستوى التقاطعي بين الأطراف (٤/١) و(٣/٢). ولا شك في أن التخالف هنا قائم على التناسب؛ لأن ثمة تناسباً بين (يفسد) و(نسبح) وبين (يسفك) و(نقدس).

ومن علاقات هذا القسم أيضاً علاقة التضاد اللفظي والتخالف، وقد ظهرت هذه العلاقة على المستوى العمودي، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١٢٨). إن التقابل هنا يظهر العلاقتين معاً على المستوى العمودي كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول - ١ - "صالحاً".

٢ - "لنفسه".

النسق الثاني - ٣ - "أساء".

٤ - "فعليتها".

ف (صالحاً) لا تتضاد مع (أساء)، لأن لكل طرف منهما ضدًا يختلف عن الآخر، ف ضد الأول (فاسداً) و ضد الثاني (أحسن)، وهذه علاقة تخالفية على المستوى العمودي، وتظهر علاقة التضاد اللفظي بين الحرفين (اللام) في (لنفسه) و(على) في (عليها).

ومن علاقات هذا القسم علاقة التضاد المعنوي والتخالفي على المستوى العمودي وعلى المستوى التقاطعي، فمثال المستوى العمودي قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١٢٩). فعلاقة التضاد المعنوي هنا تظهر بين مرادف كلمة (يجزي) وهو (يثيب) وكلمة (يعذب)، وأما علاقة التخالف فتظهر بين (الصادقين) و(المنافقين) وهو تخالف تناسبي، وهذا كما نلاحظ يظهر على المستوى العمودي إذا ما قابلنا النسقين بعضهما ببعض.

ومثال المستوى التقاطعي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(١٣٠). إن أطراف التقابل في هذه الآية تنشئ العلاقات كما في الطريقة الآتية:

النسق الأول - ١ - "يعلمون".

٢ - "الحياة الدنيا".

النسق الثاني - ٣ - "الآخرة".

٤ - "غافلون".

إن الطرفين (٤/١) يقيمان علاقة التخالف، وتقاطع هذه العلاقة مع علاقة التضاد المعنوي التي تتم بين الطرفين (٣/٢).

وأما القسم الثاني من تقابل التوافق الذي يعتمد على أكثر من طرفين لكل نسق من النسقين، فقد أفرز علاقات بنائية متعددة تعتمد في إفرازها على نوعية أطراف التقابل، فمن هذه العلاقات تقابل التضاد اللفظي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ^(١٣١). إن أطراف التقابل في كل نسق لهذه الآيات بلغت ثلاثة أطراف، وتقابل بعضها ببعض، بحيث أفرزت علاقات لفظية متضادة، ويمكن أن نفهم هذا التضاد من الرسم الآتي:

النسق الأول - ١ - "كفروا" - ٢ - "نار جهنم" - ٣ - "شر البرية"
النسق الثاني - ٤ - "آمنوا" - ٥ - "خير البرية" - ٦ - "جنت عدن"

إن تقابل الطرفين (٤/١) أفرز علاقة التضاد على المستوى العمودي، وكذلك تقابل الطرفين (٦/٢) وتقابل الطرفين (٥/٣) أفرز علاقة التضاد اللفظي على المستوى التقاطعي، ولا شك في أن هذه العلاقة جاءت تقاطعية نتيجة التقدم والتأخير في النسقين بين الأطراف المتقابلة.

ومن علاقات هذا القسم علاقة التضاد المعنوي، كما في قوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ^(١٣٢) إن أطراف كل

نسق هنا تتكون من ثلاثة أطراف، تفرز علاقة التضاد المعنوي على مستويات عدة، ويمكن أن ندرکها في الرسم الآتي:

النسق الأول - ١- "تعاونوا" - ٢- "البر" - ٣- "التقوى"
النسق الثاني - ٤- "لا تعاونوا" - ٥- "الإثم" - ٦- "العدوان"

إن التقابل المعنوي هنا يتم على مستوى عمودي بين الطرفين (٤/١) الإيجابي والسلبي، وبين مرادفي الطرفين (٥/٢) وهما (الطاعة) و(المعصية) على الترتيب، ومرادفي الطرفين (٦/٣) وهما (ترك المعاصي) و(الظلم) على الترتيب. وأما التقابل المعنوي على المستوى التقاطعي، فقد ظهر في تقابل مرادف الطرفين (٥/٣) وهما (ترك المعاصي)، و(المعصية) على الترتيب.

ومن مثال العلاقات المتعددة التي تجمع التضاد اللفظي والمعنوي

والتخالفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ ١٥ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾^(١٣٣). إن كل نسق في هاتين الآيتين يتكون من أربعة أطراف تتقابل بأطراف النسق الثاني لتفرز علاقات مختلفة وعلى مستويات مختلفة، ولتوضيح هذه العلاقات نرصد الأطراف في الرسم الآتي:

النسق الأول - ١- "آمنوا" - ٢- "عملوا الصالحات" - ٣- "روضة" - ٤- "يحبرون"
النسق الثاني - ٤- "كفروا" - ٥- "كذبوا" - ٦- "العذاب" - ٨- "مخضرون"

إن العلاقات في هذا التركيب التقابلي تتشابه بحيث جاءت علاقة التضاد اللفظي بين (٥/١) على مستوى عمودي، وجاءت علاقة التضاد المعنوي بين (٦/٢) على مستوى عمودي، وعلى مستوى تقاطعي بين الطرفين

(٦/١) والطرفين (٥/٢). وتكونت علاقة التخالف على المستوى العمودي بين
الطرفين (٧/٣) والطرفين (٨/٤). وعلى المستوى التقاطعي بين الطرفين (٨/٣)
والطرفين (٧/٤).

وقد ظهر في هذا القسم تركيب نسقي لا يعتمد على تماثل الأطراف
بين النسقين من حيث العدد بحيث يزيد أحد النسقين على الآخر في أطراف
التقابل، ويمكن أن نسمي هذا الشكل بالنسق (المذيل)، كما في قوله تعالى:
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾^(١٣٤). إن
النسق الأول في تقابله بالنسق الثاني يزيد طرفين وهما (النوم) و(سباتاً) ولكن
كيف ظهرت العلاقات في التركيب؟ يمكن أن نرصد الأطراف كالاتي ثم نجيب
عن التساؤل:

النسق الأول - ١ - "الليل" - ٢ - "لباساً" - ٣ - "النوم" - ٤ - "سباتاً"
النسق الثاني - ٤ - "النهار" - ٥ - "نشوراً"

إن العلاقات في هذه الطبيعة التركيبية معقدة غاية التعقيد، وذلك من
حركتها المتداخلة على المستويين العمودي والتقاطعي، وذلك أن هذه الطبيعة
التركيبية قد تميزت من غيرها من التقابلات السابقة، فالمستوى العمودي الذي
يمثل في الطرفين (٦/٢) قد تقاطع مع العلاقات التقاطعية الأخرى. ويمكننا أن
نبين العلاقات المتشابهة هنا بفرزها إلى مجموعات وذلك كما يأتي:



هكذا إذن تتشابه العلاقات في هذا الشكل النسقي المذيل في آيات

القرآن الكريم.

الأبنية الأسلوبية:

إن أشكال التداخل سواء أكانت من ذات النسق الواحد أو النسقين، أظهرت أبنية أسلوبية تميزت بشكل واضح عنها في أبنية النمطين البسيط والمركب. وذلك من خلال تشكيل أطراف التقابل أو التماثل داخل السياق، ومن ثم من خلال إحداث العلاقات البنائية بين الأطراف والسياق، إلا أننا قد نجد بعض التشابه بين الأبنية الأسلوبية في النمط المعقد والنمطين البسيط والمركب. ولتوضيح هذا الاتفاق والاختلاف، أتحدث عن كل بناء على حدة.

أولاً - $\frac{\text{التقابل}}{\text{السياق}}$:

بلغت تقابلات هذا البناء سبعة وتسعين تقابلاً، وقد أظهرت آيات القرآن الكريم هذا البناء في التقابلات ذات النسق وذات النسقين، ويتفق هذا البناء مع الأبنية السابقة للنمطين البسيط والمركب مع اختلاف في الطبيعة التركيبية.

ولتوضيح هذا الاتفاق نأخذ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٣٥﴾. إن هاتين الآيتين تكونان السياق البنائي والتقابل معاً؛ وذلك أن أطراف التقابل تلتقي معاً لإحداث أنواع من العلاقات داخل السياق. ونستطيع أن نبرز التداخل بين السياق والأطراف كما في الطريقة الآتية:

التقابل ← ١- يطع ٢- جنات تجري من تحتها ٣- الفوز العظيم

الأهجار خالد بن فيها

السياق ← تلك حدود الله ومن... الله ورسوله يدخله... وذلك... وله

التقابل ← ٤- يعص... ويتعد حدوده ٥- ناراً ٦- عذاب مهين

خالداً فيها

إن السياق كما نلاحظ يتداخل تداخلاً معقداً مع أطراف التقابل، ويفرز في كل نقطة طرفي تقابل كما في (٤/١) و(٥/٢) و(٦/٣) مع نشوء العلاقات البنائية المميزة لمثل هذا التقابل، كما أشرنا في مكانه من هذا الفصل.

ثانياً- التقابل ← السياق:

بلغت تقابلات هذا البناء تسعين تقابلاً، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ

وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣٦﴾ . إن

التقابل في هذه الآية يظهر في بدايتها وينتهي بالسياق الذي يقيم علاقة التوافق والتخالف في آن واحد، وذلك أن أطراف التقابل تفرد صورتين متناقضتين بين الذين (آمنوا) والذين (كفروا) وبالتالي فإن السياق يظهر علاقة التوافق مع صفات الذين كفروا والاختلاف مع صفات الذين آمنوا ويمكن أن نوضح الاتفاق والاختلاف كما يأتي:

١- "الله" ٢- "الذين آمنوا" ٣- "الظلمات" ٤- "النور"

التقابل → "ولي" "أولياؤهم" "يخرجهم من" "إلى" "أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" → السياق

٥- "الذين كفروا" ٦- "الطاغوت" ٧- "النور" ٨- "الظلمات"

إن التقابل كما نرى يشكل علاقات تضاد لفظي وتحالفي متداخلة، ومن ثم ينتهي بالسياق، إذ يتوافق السياق مع المجموعة الثانية من الأطراف وهي (٥، ٦، ٧، ٨) ويختلف مع المجموعة الأولى (١، ٢، ٣، ٤) وذلك أن المجموعة هي أصحاب النار الذين اتبعوا الطاغوت في حين إن المجموعة الأولى صفات للذين اتبعوا الله عز وجل.

ثالثاً- السياق ← التقابل:

لقد بلغت تقابلات هذا البناء سبعة وأربعين تقابلاً، ويلتقي هذا البناء ببعض خصائصه أبنية التقابل البسيطة والمركبة، ويختلف في بعضها، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٣٧). إن هذه الآية تبدأ بالسياق وتنتهي بالتقابل دون أن يظهر السياق أي نوع من التقابلات الأخرى التي قد تظهر في مثل هذا البناء، وذلك أن بعض الأبنية قد أظهرت تقابلات في السياق لا تدخل ضمن التقابل المتداخل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١٠٦) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُمْ ففي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٣٨). إن هاتين الآيتين تظهران في السياق تقابلاً بسيطاً بين (تبيض وجوه) و(تسود وجوه) ومن ثم يبدأ التقابل المعقد بالتكوين، كما في التوزيع الآتي:

أ- "يوم تبيض وجوه" ب- "وتسود وجوه"

١- "اسودت" ٢- "أكفرت بعد إيمانكم" ٣- العذاب بما كنتم تكفرون"

٤- "أبيضت" ٥- "رحمة الله هم فيها خالدون"

إن السياق يقيم علاقات التماثل والتضاد اللفظي والمعنوي، بين المتقابلات وذلك أن الطرف (أ) يقيم علاقة التماثل مع مجموعة الطرفين (٤/٥)، وعلاقة التضاد اللفظي مع مجموعة الأطراف (١، ٢، ٣) وعلاقة التضاد اللفظي مع مجموعة الطرفين (٤/٥). ونستطيع أن نقول: إن هذا البناء يشكل بنية سياقية تتواصل مع بنية التقابل في علاقات قوية لا نستطيع أن نفصلها عن بعضها بعضاً.

ولا شك في أننا نلاحظ نشوء علاقات أخرى، فعلاقة التضاد اللفظي تنشأ بين الطرفين (١، ٤) والمتقابلين في رقم (٢) وعلاقة التضاد المعنوي بين الطرفين (٣/٥).

رابعاً- السياق الأول ← التقابل ← السياق الثاني :

لقد بلغت تقابلات هذا البناء ستة وثمانين تقابلاً، وقد تشابه التركيب هنا مع بناء التقابل البسيط والتقابل المركب، إلا أنها هنا تتميز في تراكيبها بإظهار تقابل السياقين الأول والثاني كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ **أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿ ١٩ ﴾ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴿ ٢٠ ﴾ **وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿ ١٣٩ ﴾. إن في هذه الآيات تقابلاً معقداً يتوسط سياقين يحتوي كل سياق على تقابل بسيط، أما السياق الأول، فيحتوي على المتقابلين (مؤمناً) و(فاسقاً)، وأما السياق الثاني،

فيحتوي على متقابلين آخرين هما (الأدنى) و(الأكبر)، وحتى نفهم العلاقات القائمة في البناء الأسلوبي هنا نرصد أطراف التقابل كما يأتي:

أطراف التقابل - ١ - "مؤمناً" ٢ - "آمنوا وعملوا الصالحات" ٣ - "جنات
المأوى نزلاً" ٤ - "الأدنى" ٥ - "فاسقاً" ٦ - "فسقوا"
٧ - "النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون" ٨ - "الأكبر"
السياق الأول - "أفمن كان" "كمن كان" "لا يستنون" "أما الذين" "فلهم"
السياق الثاني - "ولنذيقنهم من العذاب" "دون العذاب" "لعلهم يرجعون"

إن البناء الأسلوبي هنا يكشف عن مدى تشابك العلاقات بين السياقين الأول والثاني وبين التقابل المعقد، إذ إننا نلاحظ أن العلاقة بين الطرف الأول في السياق الأول وبين الطرفين الثاني والثالث في التقابل قائمة على التماثل، وكذلك الأمر فإن العلاقة بين الطرف الخامس في السياق الأول وبين طرفي التقابل (٦، ٧) تقوم على التماثل، ولكن معطيات السياق الثاني تختلف عنها في السياق الأول، وذلك أن الساق الثاني يقيم علاقة تضاد مع الطرفين (٢، ٣) من التقابل، وعلاقة توافق مع الطرفين (٦، ٧) من التقابل أيضاً.

إن الأبنية الأسلوبية المتقدمة تمثل أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف بين أبنية التقابل المعقد والتقابلين البسيط والمركب.

إن ما تقدم من هذا الفصل يقدم تصوراً دقيقاً عن حركة التقابلات والتماثلات في البناء اللغوي لآيات القرآن الكريم، وبين مختلف أساليبها التي تحركت فيها، وقد اعتمدت في كثير من جوانب هذا الفصل على إظهار العملية الإحصائية؛ وذلك لأن هذه العملية ذات فائدة في إعطاء صورة حقيقية عن

حركة التقابلات والتماثلات داخل القرآن العظيم، ولا شك في أن هذا المنهج الإحصائي ليس بدعاً في الدراسات العربية الحديثة، وذلك أن بعضها قد اعتمدته وأفاد أصحابها منه فائدة واضحة^(١٤٠). وقد أرجأت الحديث عن هذه الإحصاءات إلى آخر هذا الفصل حتى تكتمل الصورة الإحصائية لجميع التقابلات والتماثلات وما يتعلق بها، وحتى تكون نظرتي شاملة لها في هذا الجانب.

أبدأ بالحديث عن ملاحظاتي للتقابلات والتماثلات وأعدادها التي تحركت من خلال كل نمط من أنماطها الكلية، فأرصد في الجدول الآتي تقابلات النمط البسيط وتماثلاته:

الرقم	أنواع التقابل والتماثل البسيطين	المجموع	النسبة المئوية
١	التضاد المعنوي	٣٦٨	٤٨,٠٤%
٢	التضاد اللفظي	٣١٤	٤١,٠٠%
٣	التخالف	٥٨	٧,٥٧%
٤	التماثل	٢٦	٣,٣٩%
	المجموع	٧٦٦	١٠٠%

تتحرك المتقابلات في هذا النمط من خلال مجموعات كبيرة ومتفاوتة في نسبتها، إذ نلاحظ أن تقابلات التضاد المعنوي أخذت مجموعاً كبيراً من المجموع الكلي، إذ بلغت نسبة ٤٨,٠٤% وقد فاق غيره من التقابلات. ولعل السبب في ذلك هي ميزة هذا التقابل الذي يسمح بإنشاء تقابلات مختلفة بين المفردات التي لا يشترط فيها التقابل الحقيقي أو المجازي من جهة، ويسمح بإحداث معانٍ نستطيع من خلالها الكشف عن مستويات كثيرة من ترابطاتها

المعنوية، وذلك إذا ما نظرنا إلى المرادف الذي يلازم أطراف التقابلات، ولا شك في أن فائدة هذه المعاني جلية في إعطاء علاقات بنائية متعددة من خلال التقابل المعنوي.

ولعلنا نلاحظ أيضاً أن نسبة التقابل اللفظي مرتفعة، إذا ما قورنت بغيرها من المتقابلات إذ بلغت ٤١% وذلك أن هذا التقابل لا يقل أهمية عن التقابل في حركة المعنى داخل البناء الأسلوبي من جهة، وفي إعطاء العلاقات البنائية من جهة أخرى. ولكن هذا التقابل يظل مقيداً بعلاقاته البنائية إذا ما قيس بتقابل التضاد المعنوي الذي كان يفوقه في هذه العلاقات كما رأينا في هذا الفصل. ولعل توجه آيات الكتاب الحكيم إلى التضاد المعنوي في هذا النمط كان نتيجة لهذا التفوق البنائي في العلاقات.

إن انخفاض نسبة تقابل التخالف التي بلغت ٧,٥٧% لا تعني التقليل من أهميته في آيات القرآن الكريم، فهو يتخذ أهمية خاصة من خلال تكوينه المعجمي الذي يعتمد على تقابل متباعد معتمد على التناسب أو على غير التناسب. ولعلنا إذا ما ربطنا هذا التقابل من التقابلين السابقين له بالمتلقي، ندرك أن التقابلين الأول والثاني أقوى في التأثير على المتلقي من تقابل التخالف لما يمتازان به من القرب من عقلية الإنسان ومن مخزونه اللغوي الذي يتعايش معه، فهذان التقابلان يقدمان مادة قريبة إلى عقلية تكاد تكون مباشرة مما ينتج لديه تأثيراً سريعاً ومباشراً بخدمة الهدف الموضوعي لآيات القرآن الكريم. وأما تقابل التخالف، فهو يحتاج إلى تأمل فكري من المتلقي حتى ينتج التأثير عليه، وبالتالي فإن هذا التأثير يأتي متأخراً.

ولا شك في أننا نلاحظ أخيراً تدني نسبة التماثل في هذا النمط التي بلغت ٣,٣٩% ولعل السبب في هذا يكون في طبيعة التماثل التي تعتمد على

المفرد ومماثلته بالمفرد اللذين يظهران في جملة واحدة؛ وذلك لأن قيمة مثل هذا التماثل تكمن في إحداث حركة المعنى من جهة وحركة العلاقات البنائية من جهة أخرى، ولكن حركة المعنى والعلاقات البنائية ظلت محصورة بعدد قليل، ولم تكن واضحة كما هي الحال في التقابلات السابقة. ولا شك في أن هذا التماثل يسهم في موضوع الآيات القرآنية وهدفها بالنسبة للمتلقي، إذ إن التماثل نقطة مهمة في تنبيه المتلقي، لما يجري له في الحياة الدنيا من خلال المثل مقابل بالمثل، فالمعنى أحياناً يدرك من خلال معنى آخر يماثله. والواقع أن هذا النوع من التماثل يكون أقل إثارة ودهشة من التقابلات مع أهميتها هنا.

وأما تقابلات النمط المركب فنرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	أنواع التقابلات والتماثلات	المجموع	النسبة
١	التماثل	٨١	٦٢,٨%
٢	التضاد المعنوي	٤٨	٣٧,٢%
	المجموع	١٢٩	١٠٠%

من الملاحظ على التماثل في هذا النمط أنه قد أخذ نسبة عالية من المجموع الكلي بلغت ٦٢,٨% في حين تدنت نسبة تقابلات التضاد المعنوي التي تزيد بعض الشيء عن نصف النسبة السابقة وقد بلغت ٣٧,٢% ولعل ارتفاع نسبة التماثل هنا يكشف عن أهمية هذا النوع في إظهار العلاقات البنائية في الآيات القرآنية، فقد كنا نلاحظ أنه يعطي علاقات تضاد لفظي ومعنوي وتخالفي في مستوياته المختلفة كالمرادف والمجاز والبعد الخفي، ولا شك في أن هذا التماثل يلتقي في هذا الجانب التقابلات الأخرى من تقابل لفظي ومعنوي وتخالفي، ومن هنا جاءت نسبته عالية، فالآيات القرآنية تسعى لإيجاد هذه العلاقات دائماً كما رأينا سابقاً في الأنماط الأخرى.

وأما انخفاض نسبة التضاد المعنوي هنا فإنه لا يعني التقليل من أهميته، وإنما جاء من طبيعته التركيبية التي تعتمد على المفرد والتركيب، وعلى التركيب والتركيب، إذ إن هذه البنية التقابلية لا تسمح بإيقاع التأثير القوي المباشر على المتلقي الذي كانت الآيات تسعى لإحداثه في التقابلات السابقة.

إن نظرة كلية لمجموعات التقابلات المختلفة والمتماثلات تكشف عن توجه آيات القرآن الكريم نحو أي نوع من التقابلات أو التماثلات كانت تسعى إليه، وحتى ندرك هذا نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	التقابلات والتماثلات	المجموع	النسبة المئوية
١	تقابل التضاد المعنوي	٤١٦	٣٤,٢٤%
٢	أشكال التداخل (التقابلات والتماثلات)	٣٢٠	٢٦,٣٤%
٣	تقابل التضاد اللفظي	٣١٤	٢٥,٨٤%
٤	التمائل	١٠٧	٠,٨٨١%
٥	تقابل التخالف	٠٥٨	٠,٤٧٧%
	المجموع	١٢١٥	١٠٠%

من الملاحظ على الجدول أن تقابلات التضاد المعنوي أخذت نسبة عالية من المجموع الكلي فقد بلغت ٣٤,٢٤% ولا شك في أن هذا التوجه يكشف عن أهمية التضاد المعنوي في معالجة الموضوعات القرآنية المختلفة من جهة، وعن قدرة هذا التقابل على الكشف عن هذه الموضوعات؛ لأن التقابل المعنوي يسمح بإعطاء حركة واسعة للمعنى داخل الآيات كما أشرت سابقاً.

ولعل ارتفاع نسبة التقابلات والتماثلات في أشكال التداخل المتنوعة التي تجمع أكثر من تقابل أو تماثل واحد التي بلغت ٢٦,٣٤% يكشف أيضاً عن توجه الآيات الكريمة إلى استخدام هذه التقابلات والتماثلات لتجلي موضوعاتها ومعانيها من خلال علاقات متشابكة ومعقدة مما يعطي أثراً قوياً لدى المتلقي بالتفاعل مع مضامينها ومرادفاتها.

ويأتي تقابل التضاد اللفظي بنسبة أخرى مرتفعة بالقياس إلى التقابلات السابقة وقد بلغت ٢٥,٨٤%، ولعل السبب في ذلك يكمن في قدرتها على توضيح المعنى مباشرة من خلال معجمية ألفاظها التي تعتمد على التداخي، بحيث إذا ذكرت المفردة يأتي ضدها، ولكن دون عناء من المتلقي فتصبح حركة المعنى هنا قادرة على الدهشة والإثارة في المتلقي في وقت قصير وسريع.

ونلاحظ كذلك أن نسبي التماثل والتخالف متديتان، ولعل السبب في ذلك هو أنهما يتصفان ببطء قدرتهما على التأثير في المتلقي، كما أشرت سابقاً. مما تقدم نلاحظ أن القرآن الكريم يتوجه بالمتلقي إلى التأثير والدهشة السريعة والمباشرة، وذلك منسجم مع العقلية الإنسانية التي يخاطبها ليخدم الهدف من تنزيله من عند رب رؤوف بعباده يهدف إلى هدايتهم للإيمان والحق بأقصر الطرق وأوضحها.

بعد أن رأينا التقابلات والتماثلات نأتي إلى الأبنية الأسلوبية لنلقي عليها نظرة من خلال مجموعاتها ونسبها لعلنا نستطيع أن نبين أهميتها في آيات الكتاب الكريم، ولذا نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	التقابل والتماثل البسيطان	المجموع	النسبة المئوية
١	التقابل ← السياق / التماثل ← السياق	٣١٧	%٢٦,٩
٢	السياق الأول ← المقابل ← السياق الثاني / السياق الأول ← التماثل ← السياق الثاني	٣١٠	%٢٥,٥١
٣	التقابل / التماثل السياق / السياق	٢٤٨	%٢٠,٤١
٤	السياق ← المقابل / السياق ← التماثل	٢٢٠	%١٦,٦
٥	السياق الأول ← المقابل الثاني / السياق الأول ← المقابل الثاني المقابل الأول / المقابل الثاني	٠٧٥	%٦,١٧
٦	المقابل الأول ← السياق الأول / المقابل الثاني ← السياق الثاني المماثل الأول ← المماثل الثاني ← السياق الثاني	٠١٧	%١,٤١
٧	السياق الأول ← المقابل الأول ← السياق الثاني ← المقابل الثاني	٠١٦	%١,٣٢
٨	السياق الأول ← المقابل الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني	٠١٦	%١,٣٢
٩	المقابل الأول ← المقابل الثاني ← السياق الثاني السياق الأول	٠١٠	%٠,٨٣
١٠	السياق الأول ← المقابل الأول ← المقابل الثاني السياق الثاني	٠٠٦	%٠,٤٩
	المجموع	١٢١٥	%١٠٠

إن البناء الأسلوبى رقم (١) يأخذ أعلى نسبة من المجموع الكلى. فقد بلغت %٢٦,٠٩ ولا شك في أن أهمية هذا في القرآن الكريم أنه يؤدي وظيفة

متميزة؛ وذلك لأنه بناء فاعل في قيمة التأثير في المتلقي، فالمتلقي أول ما يواجهه التقابل أو التماثل الذي يخلق لديه الدهشة والانفعال. ومن ثم يأخذ البناء إلى السياق الذي يشكل نقطة تحول من الانفعال إلى حال أخرى التي قد تكون امتداداً للانفعال أو تخلصاً منه.

ولا شك في أن مجيء البناء الأسلوبي رقم (٢) من حيث نسبه المئوية المرتفعة التي بلغت ٢٥,٥١% بعد البناء الأول، يكشف عن أهميته؛ لأنها تبرز من خلال طبيعة التكوين الأسلوبي الذي يظهر التقابل أو التماثل متوسطاً بين سياقين يشكلان علاقات بنائية مع بعضهما بعضاً. من ناحية، وبين أطراف التقابل أو أطراف التماثل من ناحية أخرى. وارتفاع نسبه تبين اهتمام القرآن الكريم بمثل هذا البناء، إذ إنه ينشر العلاقات المختلفة في السياق القرآني مما يضفي على هذا السياق قدرة على توضيح القضايا الموضوعية التي يعالجها.

ثم يأتي البناء الأسلوبي رقم (٣) الذي يقتصر إما على التقابل، وإما على التماثل المتداخل في السياق. وقد بلغت نسبه ٢٠,٤١% ليسهم إسهاماً فاعلاً في وظيفة البناءين السابقين؛ وذلك لأنه يعتمد على التقابل والسياق معاً لخلق حال التأثير والانفعال لدى المتلقي ولا يسمح له بالتخلص من هذه الحال.

ومن ثم نلاحظ ارتفاع نسبة البناء الأسلوبي رقم (٤) التي بلغت ١٦,٤٦% ولكن هذا البناء يختلف عن سابقاته من الأبنية؛ وذلك لأنه ينقل المتلقي من السياق إلى التماثل أو التقابل اللذين يؤديان الوظيفة الانفعالية والتأثير في المتلقي، ولكنه يترك المتلقي في حال الانفعال كما هي الحال في البناء رقم (٣).

ونلاحظ أن البناء رقم (٥) قد تدنت نسبه المئوية إذ بلغت ٦,١٧% ولكن طبيعته التركيبية التي تكشف عن تقاطع أطراف التقابل أو التماثل بالسياق تبين أهمية هذا النوع من حيث الوظيفة التي يؤديها للمتلقي، وهو

يشترك مع البناءين (٢، ٣) فهو يترك المتلقي في حال الانفعال من غير أن يحل له هذا التأثير.

أما سائر الأبنية فهي متدنية النسبة بحيث لا تشكل ظاهرة أسلوبية مميزة في القرآن الكريم، ولكن تظل ذات أهمية خاصة بطبيعة تكوينها الأسلوبي من حيث تأثيرها على المتلقي.

هوامش الفصل الثاني

- ١- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص ١٠٦.
- ٢- الكهف: ١٨/١٨.
- ٣- إبراهيم: ٥/١٤.
- ٤- الحجر: ٧٤/١٥. وانظر في التقابل الحقيقي على سبيل المثال لا الحصر: الطلاق: ٧/٦٥، والنساء: ١٤١/٤، والضحي: ٤/٩٣، والفصل: ٢٧/٤٦، وانظر في التقابل المجازي أيضاً: الإسراء: ٧٢/١٧، وفصلت: ١٩/١٣، والنساء: ٧٤/٤، والبقرة: ٨٦/٢.
- ٥- الأحزاب: ٤٢/٣٣. وانظر في التقابل الحقيقي: الأعراف: ١٨٨/٧، والليل: ٣/٩٢، والتغابن: ١٨/٦٤، والأنبياء: ٣٣/٢١، وانظر في التقابل المجازي: الفرقان: ٤٩/٢٥، والأنعام: ١٢٢/٦-١٢٣.
- ٦- البقرة: ٢٤٩/٢. وانظر في التقابل الحقيقي: الحشر: ٢٠/٥٩، والزلزلة: ٨-٧/٩٩، ومحمد: ٣٨/٤٧، وفاطر: ١٥/٣٥، وانظر في التقابل المجازي: الكهف: ١١/١٨-١٢، والتوبة: ٩/٩، والنمل: ٢٧/٨٠-٨١.
- ٧- النحل: ١٢٥/١٦. وانظر في التقابل الحقيقي: يس: ١٢/٣٦، والحج: ٦/٢٢، والقلم: ٧/٦٨، والبقرة: ٢٦٠/٢، وانظر أيضاً في التقابل المجازي: يس: ٣٣/٣٦، وق: ١١/٥٠، والصف: ٨/٦١.
- ٨- نقلاً عن: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، ط ١، (١٩٨٥م) ص ١٩٤-١٩٥.
- ٩- المرجع السابق، ص ١٩٥.

- ١٠ - النساء: ١١/٤ .
- ١١ - الشرح: ٥/٩٤ . وانظر: الضحى: ٤/٩٣ ، والطلاق: ٧/٦٥ ، والفجر: ٣/٨٩ ، وآل عمران: ٢٩/٣ ، والانفطار: ٥/٨٢ .
- ١٢ - الكشف: ج ٤/ص ٢٦٧ .
- ١٣ - البقرة: ٢٥٦/٢ ، وانظر: الأنعام: ١٢٠/٦ ، والمائدة: ١٠٠/٥ ، والإسراء: ١١/١٧ ، ويس: ٣٧/٣٦ .
- ١٤ - البقرة: ٢٥٦/٢ ، وانظر أيضاً الواقعة: ١/٥٦-٣ ، وآل عمران: ٣/١٧٩ ، وسبأ: ١٢/٣٤ ، وقريش: ١/١٠٦-٢ ، والمائدة: ١٨/٥ .
- ١٥ - آل عمران: ١٦٧/٣ ، وانظر على سبيل المثال لا الحصر: يونس: ١٠/١١ ، والأنعام ١٤٣/٦ ، والنساء: ١١/٤ ، ١٤٤ ، وآل عمران: ٣/١٩٥ ، وإبراهيم: ٤/١٤ ، والبقرة: ٨٥/٢ ، والتوبة: ٢٥/٩ .
- ١٦ - فصلت: ٣٨/٤١ ، وانظر أيضاً: المزمل: ٢٠/٧٣ ، وفاطر: ٢٩/٣٥ ، والجمعة: ٨/٦٢ ، والحشر: ٢٢/٥٩ ، وهود: ٥/١١ ، والدخان: ٤٤/٨ .
- ١٧ - البقرة: ٢٧٣/٢ ، وانظر أيضاً: المزمل: ٧/٧٣-٦ .
- ١٨ - الشعراء: ١٨٦/٢٦-١٨٧ . وانظر: الزمر: ٢٠/٣٩ ، والبقرة: ٩٣/٢ ، والأنفال: ٤٣/٨ .
- ١٩ - يونس: ٥٠/١٠ .
- ٢٠ - ص: ١٨/٣٨ .
- ٢١ - البقرة: ٢٥٥/٢ .
- ٢٢ - النساء: ٣٤/٤ .

- ٢٣- الأنعام: ٩٧/٦.
- ٢٤- البقرة: ٢٥٥/٢.
- ٢٥- الكشاف: ج ١/ص ٣٨٥.
- ٢٦- النحل: ٦٢/١٦. وانظر أيضاً: النحل: ٤١/١٦، وطه: ٥٣/٢٠،
والمائدة: ٦٦/٥، والنور: ١٢/٢٤.
- ٢٧- آل عمران: ٤٦/٣. وانظر: هود: ٧/١١، والبقرة: ١٠٧/٢، ٢١٧،
٢٥٥، وص: ١٨/٣٨، والعنكبوت: ٦٢/٢٩، والنمل: ٨٨/٢٧،
والصافات: ١٥/٣٧، والمؤمنون: ٨٢/٢٣، والمائدة: ١٣/٥.
- ٢٨- آل عمران: ١٤٥/٣. وانظر: الأنفال: ١٠٩/٣، والأنعام: ١٣٦/٦،
والنساء: ١٠٩/٤، ويوسف: ١٠٠/١٢، والأنبياء: ٧٦-٧٧/٢١،
والشعراء: ٦٥-٦٦/٢٦، ١١٩-١٢٠، والبقرة: ١٦٦/٢.
- ٢٩- الأنعام: ١٣٩/٦، وانظر أيضاً: الأنفال: ٥٠/٨، والحج: ١٨/٢٢،
ويونس: ٦٨، ٦٦/١٠، والملتحنة: ١/٦٠.
- ٣٠- لقمان: ٢٤/٣١، وانظر أيضاً: الطور: ٣٩/٥٢، والأنعام: ١٥١/٦،
والبقرة: ٢٠٠/٢، ومريم: ٦٢/١٩.
- ٣١- النمل: ٨٨/٢٧. وانظر مريم: ٩٣/١٩، وهود: ٤١/١١، والنحل:
٣/١٦، ويونس: ٦٤/١٠، والإسراء: ٧٢/١٧، وإبراهيم: ٤٨/١٤.
- ٣٢- آل عمران: ١١٠/٣، وانظر: البقرة: ٥٦/٢، والرعد: ٢٦/١٣،
والكهف: ١١٠/١٨، ويوسف: ٨٦/١٢، ومريم: ١١/١٩، والنور:
١٩/٢٤.
- ٣٣- الكشاف: ج ١/ص ٤٥٤.

- ٣٤ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
دون تاريخ، ص ٥٤.
- ٣٥ - النحل: ٢٦/١٦. وانظر: البقرة: ٢١٧/٢، وآل عمران: ٢٢/٣،
والنور: ٢٣/٢٤، والنحل: ٣٨/١٦، والطور: ١٦/٥٢.
- ٣٦ - البقرة: ٦٦/٢، الأنعام: ١٣٦/٦.
- ٣٧ - أنور التتريل، وأسرار التأويل، (تفسير البيضاوي) مؤسسة شعبان للنشر
والتوزيع، بيروت - لبنان، دون تاريخ: ج ١/ص ١٦٠.
- ٣٨ - طه: ٥٣/٢٠.
- ٣٩ - الشرح: ٥/٩٤.
- ٤٠ - الحجر: ٤٩/١٥ - ٥٠. وانظر: النحل: ٤١/١٦.
- ٤١ - المطففين: ٢/٨٣ - ٣، وانظر: النساء: ١٠٩/٤.
- ٤٢ - آل عمران: ١٤٥/٣. وانظر: الشورى: ٣٢/٢٠، ٣٦.
- ٤٣ - بناء الأسلوب، في شعر الحدائث: ص ٢٣٨.
- ٤٤ - المرجع السابق ص ٢٣٨.
- ٤٥ - السجدة: ٢١/٣٢.
- ٤٦ - الفتح: ٢٩/٤٨، وانظر: البقرة: ٦٣/٢، وآل عمران: ١٢٨/٣،
والأعراف: ١٧٦/٧، والتكاثر: ٨-٦/١٠٢.
- ٤٧ - الأحقاف: ١٠/٤٦. وانظر: البقرة: ٧٢/٢.
- ٤٨ - النمل: ٤٤/٢٧. وانظر: البقرة: ٢٦٣/٢.

- ٤٩- البقرة: ١٠٠/٢. وانظر الأنعام: ٤٧/٦، والنحل: ٦٠/١٦، وإبراهيم: ٢٨/١٤.
- ٥٠- يوسف ٨٥/١٢. وانظر الصفات: ١١٣/٣٧. والأحزاب: ٣٦/٣٣، وآل عمران: ١٢٨/٣، والبقرة: ٧٢/٢.
- ٥١- الأعراف: ١٧٦/٧. وانظر: الأحزاب: ١٧/٣٣، والنحل: ٥٩/١٦، وآل عمران: ٨٣/٣.
- ٥٢- النجم: ٨-٧/٥٣. وانظر: الزمر: ٤٥/٣٩، والتكاثر: ٨-٦/١٠٢، والبقرة: ٢٠٣/٢.
- ٥٣- الطراز، ج ٢/ص ٣٨٧.
- ٥٤- بناء الأسلوب، ص ٣٢٣.
- ٥٥- الأنعام: ٩٢/٦. وانظر: النحل: ١٢٦/١٦، والأنبياء: ٣-٢/٢١، والنساء: ٣٤/٤.
- ٥٦- الجاثية: ٣٤/٤٥.
- ٥٧- الكشف، ج ٣/ص ٥١٤.
- ٥٨- المصدر السابق، ج ٣/ص ٥١٤.
- ٥٩- انظر: الوافي، التبريزي، ص ٢٦١.
- ٦٠- الشورى: ٤٠/٤٢. وانظر: الرحمن: ٦٠/٥٥، ويونس: ٢٧/١٠.
- ٦١- الرحمن: ٦٠/٥٥. وانظر: الأنعام: ٩/٦، ويونس: ٢٧/١٠، والقصص: ٧٧/٢٨، والبقرة: ١٢٠/٢.
- ٦٢- الأنبياء: ٣-٢/٢١. وانظر: الأنعام: ٩٢/٦.

- ٦٣ - الرحمن: ٦٥/٥٥. وانظر: يونس: ٢٧/١٠.
- ٦٤ - الجاثية: ٣٤/٥٤، وانظر: الحج: ٤٠/٢٢، والشورى: ٤٠/٤٢، والنحل: ١٢٦/١٦.
- ٦٥ - الأنعام: ٩/٦. وانظر: النساء: ٣٤/٤، والأنبياء: ٣-٢/٢١.
- ٦٦ - البقرة: ١٢٠/٢. وانظر: آل عمران: ١٥٣/٣.
- ٦٧ - الأنعام: ٣٩/٦.
- ٦٨ - الأنعام: ٥٧/٦.
- ٦٩ - انظر: روح المعاني، عني بنشره المرحوم محمود شاكر الألوسي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط٤، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ج٧/ص ١٦٨-١٦٩.
- ٧٠ - يوسف: ١١٠/١٢. وانظر: البقرة: ٧٦/٢، والأنعام: ٣٩/٦، والحج: ٢٢/٢٢، وغافر: ٥١/٤٠.
- ٧١ - يوسف: ١٧/١٢. وانظر: يوسف: ١٠٨/١٢، والأنعام: ٥٧/٦، والإسراء: ٤٩/١٧، وآل عمران: ١٣/٣.
- ٧٢ - البقرة: ١٤/٢.
- ٧٣ - المائدة: ١٠٤/٥. وانظر: مريم: ٢٠/١٩، ومحمد: ١٤/٤٧، والبقرة: ٢٤٦، ١٧٠/٢.
- ٧٤ - محمد: ١٤/٤٧. وانظر: مريم: ٢٠/١٩.
- ٧٥ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص٤٢٨.
- ٧٦ - محمد: ١٤/٤٧. وانظر: الشورى: ١٥/٤٢.

- ٧٧- آل عمران: ٣/٣٢. وانظر: المائدة: ٥/٩٢، والنور: ٢٤/٥٤.
- ٧٨- الأنعام: ٦/٥٧.
- ٧٩- النساء: ٤/١٤٣. وانظر: يوسف: ١٢/١٠٨.
- ٨٠- آل عمران: ٣/١٩٤. وانظر المائدة: ٥/١٠٤، والنحل: ١٦/٧.
- ٨١- يس: ٣٦/١٥-١٦. وانظر: فصلت: ٤١/٤٠، وغافر: ٤٠/٥١، والأنعام: ٦/٣٩، ويوسف: ١٢/١٧، والإسراء: ١٧/٤٩.
- ٨٢- النحل: ١٦/٨١-٨٢. وانظر: آل عمران: ٣/٢٠، وطه: ٢٠/١٦، والأنبياء: ٢١/١٠٨-١٠٩، والحج: ٢٢/٢٧، والقصص: ٢٨/٦.
- ٨٣- البقرة: ٢/٢٤٦. وانظر: المائدة: ٥/٤٨، النساء: ٤/٣، والبقرة: ٢/١٧٠.
- ٨٤- آل عمران: ٣/١٤٠. وانظر: البقرة: ٢/١٣٩، ١٤١، ١٦٧، والمائدة: ٥/٥٤، والأنعام: ٦/١٥٧.
- ٨٥- البقرة: ٢/١٠.
- ٨٦- الكشاف، ج ١/ص ١٧٥-١٧٦.
- ٨٧- البقرة: ٢/١٤-١٥. وانظر: النساء: ٤/١٤٢، والسجدة: ٣٢/١٤، والنمل: ٢٧/٥٠، والرعد: ١٣/٤٢.
- ٨٨- روح المعاني، ج ١/ص ١٥٨.
- ٨٩- التوبة: ٩/٦٥. وانظر: المؤمنون: ٢٣/١١٠، والطور: ٥٢/١١-١٢، والحج: ٢/١٤، والأنعام: ٦/٥٦.

- ٩٠- المؤمنون: ١١٠/٢٣. وانظر: غافر: ٨١/٤٠، وطه: ٦٥/٢٠،
والصافات: ١٧٢/٣٧، والزمر: ٣٠/٣٩.
- ٩١- الحج: ١٤/٢٢. وانظر: الطور: ١١/٥٢-١٢، والفرقان: ٤٤/٢٥،
ويونس: ٥٣/١٠، ويوسف: ٦٧/١٢.
- ٩٢- الشعراء: ١٣٠/٢٦. وانظر: الشورى: ١٥/٤٢، والزمر: ٣٠/٣٩،
والحج: ١٤/٢٢، والطور: ١١/٥٢-١٢، والأحقاف: ٢٦/٤٦.
- ٩٣- محمد: ٧/٤٧. وانظر: آل عمران: ١٤٠/٣، والأنعام: ١٣٥/٦،
والحشر: ١٩/٥٩، والبقرة: ١٠/٢، ويونس: ٥٣/١٠.
- ٩٤- طه: ١٢٦/٢٠. وانظر: الأنعام: ١٥٧/٦، ويونس: ١٠٢، ٢٠/١٠،
وهود: ٣٨/١١، والمائدة: ٥٤/٥، والروم: ١٠/٣٠.
- ٩٥- فاطر: ٣٩/٣٥. وانظر: آل عمران: ١٩٣، ٥٢/٣، والتوبة: ٩/٩،
١٢٧، ٧٩، والبقرة: ١٩٤/٢، فاطر: ١٨/٣٥.
- ٩٦- يونس: ٣٩/١٠.
- ٩٧- الحج: ٦٦/٢٢، وانظر: الأنفال: ٣٧/٨، وفاطر: ٩/٣٥.
- ٩٨- الفرقان: ٤٥/٢٥-٤٦. وانظر الإسرائاء: ١١٠/١٧.
- ٩٩- الإسرائاء: ٧٨/١٧. وانظر: طه: ١٢٣/٢٠.
- ١٠٠- لقمان: ٣٠/٣١. وانظر: البقرة: ١١/٢-١٢، والجاثية: ٢٥، ٢٤/٤٥،
والأعراف: ٢٥/٧.
- ١٠١- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص ٣٤٦.
- ١٠٢- الأحزاب: ٤٥/٣٣.

- ١٠٣- فصلت: ٣٩/٤١. وانظر: الفرقان: ٣/٢٥.
- ١٠٤- البقرة: ١٢١/٢، وانظر: آل عمران: ١٥٩/٣، والأعراف: ٢٠٥/٧.
- ١٠٥- النحل: ١١٩/١٦. وانظر: الأعراف: ١٥٣/٧، وفصلت: ٣٠/٤١.
- ١٠٦- مريم: ١٥/١٩. وانظر: يونس: ٣٧/١٠، والقصاص: ٣٢/٢٨، ومريم: ٣٣/١٩، وفاطر: ٣٢/٣٥.
- ١٠٧- البقرة: ٢٨/٢. وانظر: البقرة: ٢٥٨/٢، والروم: ٥٠/٣٠.
- ١٠٨- فاطر: ١٣/٣٥. وانظر: الروم: ٥٤/٣٠، والتوبة: ٣٧/٩، والحج: ٢٢/٢٢.
- ٦١.
- ١٠٩- المائدة: ٦١/٥.
- ١١٠- الرعد: ١٦/١٣. وانظر: فاطر: ٢٢-١٩/٣٥، وآل عمران: ٢٦/٣، والبقرة: ٢٧٤، ١٧٥/٢.
- ١١١- طه: ١٣٠/٢٠.
- ١١٢- غافر: ١٢/٤٠. وانظر: الزمر: ٣٧-٣٦/٣٩.
- ١١٣- المطففين: ١٨، ٧/٨٣، وانظر: المنافقون: ٦/٦٣.
- ١١٤- ص: ٢٨/٣٩. وانظر: النساء: ٧٣-٧٢/٤، والزمر: ٨/٣٩، وغافر: ٤٢-٤١/٤٠.
- ١١٥- يونس: ٦١/١٠.
- ١١٦- العنكبوت: ٦٧/٢٩. وانظر: النحل: ٧٢/١٦.
- ١١٧- البقرة: ٢١٦/٢.
- ١١٨- النمل: ٩٢/٢٧. وانظر: لقمان: ١٢/٣١.

- ١١٩- الغاشية: ٢٠، ١٨/٨٨.
- ١٢٠- الزمر: ٤١/٣٩.
- ١٢١- انظر على سبيل المثال: آل عمران: ٣/٥٠، ٤/١٠، ١١٠، والتوبة: ٩/١١٢، ومحمد: ١٢/٤٧، والحديد: ١٣/٥٧.
- ١٢٢- الأنفال: ٨/٨. وانظر: فاطر: ١٢/٣٥.
- ١٢٣- البقرة: ٢/٢٢، وانظر: الذاريات: ٥١/٤٧-٤٨، وعيس: ٣٩/٨٠-٤٠.
- ١٢٤- البقرة: ٢/١٨٥. وانظر: العنكبوت: ٢٩/٦٣، والقارعة: ١٠١/٦-٩، والبلد: ٩٠/١٧-١٩، ومرم: ٩٧/١٩.
- ١٢٥- الشورى: ٢٤/٤٢. وانظر: غافر: ٤٠/٦١، والنحل: ٢٧/٨٦.
- ١٢٦- الروم: ٣٠/٣٦. وانظر: آل عمران: ٣/١١٩.
- ١٢٧- البقرة: ٢/٣٠.
- ١٢٨- فصلت: ٤١/٤٦. وانظر: آل عمران: ٣/١٤١.
- ١٢٩- الأحزاب: ٣٣/٢٤.
- ١٣٠- الروم: ٣٠/٧، وانظر: العنكبوت: ٢٩/٦٤.
- ١٣١- البينة: ٩٨/٦-٨. وانظر: يونس: ١٠/١٠٨-١٠٩.
- ١٣٢- المائدة: ٥/٢. وانظر: الإسراء: ١٧/٦٧، والنحل: ١٦/٩٩-١٠٠.
- ١٣٣- الروم: ٣٠/١٥-١٦. وانظر: الحج: ٢٢/٥٦-٥٧، والنحل: ١٦/٩٠-١٠.
- ويونس: ١٠/٧-١٠.

١٣٤- الفرقان: ٤٧/٢٥. وانظر: هود: ٤٤/١١، وآل عمران: ١٠٦/٣-
١٠٧، والبقرة: ٢٦١/٢.

١٣٥- النساء: ١٣/٤. وانظر: الشعراء: ٩٠/٢٦-٩١، والتوبة: ٥٠/٩،
والروم: ٣٣/٣٠، ومريم: ١٥/١٩، ٣٣-٣٢، ويونس: ٣٧/١٠،
والأحراب: ٤٥/٣٣.

١٣٦- البقرة: ٢٥٧/٢، وانظر: النساء: ٤٨/٤، وآل عمران: ١٢٠/٣،
والبقرة: ٢٣١/٢، ومريم: ٨٧-٨٥/١٩، والأنفال: ٣٧/٨،
والقصص: ٣٢/٢٨.

١٣٧- البقرة: ١٠٨/٢. انظر: المائدة: ١٩/٥، وإبراهيم: ٣٦/١٤، والتوبة:
١٢٥-١٢٤/٩، والحج: ٥٦-٥٧/٢٢، والأعراف: ٢٤-٢٥/٧،
والإسراء: ١١٠/١٧.

١٣٨- آل عمران: ١٠٦/٣-١٠٧، وانظر: سبأ: ١-٣٤، والبقرة: ٢/
١٥١-١٥٢، الفرقان: ٣/٢٥، وفصلت: ٣٩/٤١.

١٣٩- السجدة: ١٨/٣٢-٢١. وانظر: الزمر: ٣٩/٣٩-٣٨، والنحل:
١٦/٥٢-٥٤، والجن: ٢٤/٤٥.

١٤٠- انظر على سبيل المثال لا الحصر: الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر
السياب، د. عبد الكريم حسن، المؤسسة العامة للدراسات والنشر
والتوزيع، بيروت-لبنان، ط ١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). ودائرة التكرار
في شعر مصطفى وهبي التل، الدكتور محمد عبد المطلب، بحث مقدم
لمهرجان عرار الأول للإبداع، نيسان (١٩٨٩م) الأردن، إربد، جامعة
اليرموك، والجملة الخيرية في ديوان جرير، د. عبد الجليل العاني، بغداد
(١٩٨٢م).

الفصل الثالث

التقابل والتماثل في محاور

القرآن الكريم

بعد أن تحدثت في الفصل السابق عن الطبيعة التركيبية لأنماط التقابل والتمائل المختلفة، وبينت المميزات الأسلوبية لها. أتحدث في هذا الفصل عن جانب آخر من جوانب موضوع التقابل والتمائل وهو تشكيل التقابلات والتماتلات في محاور القرآن الكريم الرئيسة؛ وذلك للكشف عن كيفية تشكيل مفرداتها في كل محور، بحيث أبرز حركة معناها وخصائصها في مختلف جوانب كل محور، ولذا فإني أعتد الإحصاء مرة أخرى ليكون وسيلة توصلني إلى استخراج النتائج والملاحظات.

أما محاور القرآن الكريم التي أدرسها في هذا الفصل، فهي:

أولاً- محور الإيمان.

ثانياً- محور الكفر.

ثالثاً- محور النفاق.

يمكننا أن نتحدث عن كل محور منها حديثاً منفصلاً لتسهيل الدرس والبحث مع إيماني بأن هذه المحاور متصلة معاً بطريقة أو أخرى، ولذلك سأشير في مواضع من هذا الفصل إلى الالتقاء بينها. فأبدأ بالمحور الأول.

أولاً- محور الإيمان:

لقد أظهر القرآن الكريم في محور الإيمان عدداً من المباحث الموضوعية تتصل بمفهوم الإيمان اتصالاً قوياً، وذلك من خلال المفهوم العام للإيمان، إذ إنه الاعتقاد بأن الله رب كل شيء، ومالكة وخالقه، وأنه هو الذي يستحق من الإنسان العبادة من صلاة وصوم وزكاة وما إلى ذلك^(١). وحتى ندرك أبعاد كل مبحث منها لابد أن نتحدث عن كل منها على حدة.

إن أول مبحث للإيمان هو العقيدة، وذلك لأنها هي القاعدة الأساسية التي ينطلق منها مفهوم الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبكل ما خلق، ولا شك في أن مفهوم العقيدة يأخذ معاني واسعة ومختلفة؛ ولذلك فإني سأتابع التقابلات والتماتلات التي جاءت في مختلف أنواع العقيدة التي بلغت ستة أنواع. وقد وردت فيها بما مجموعه مائتان وستة وسبعون تقابلاً وتماتلاً وتوزعت على أنواعها وأما أنواع العقيدة، فهي:

أ - الإيمان بالله وحده:

أبرز مقام الاعتراف بوحدانية الله والابتعاد عن الإشارك به أربعة مجالات تحركت التقابلات والتماتلات فيها في صور مختلفة، وقد بلغت هذه التقابلات والتماتلات ثلاثة وخمسين تقابلاً وتماتلاً.

أما المجال الأول، فهي تأكيد وحدانية الله عز وجل، وقد تعددت المفردات التي تشكلت في هذا المجال إذ بلغت أربعة وثلاثين تقابلاً وتماتلاً. وقد أظهرت آيات الكتاب الحكيم معنى توحيد الله دون غيره، من خلال هذه التقابلات، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ^(٢). ففي هذه الآية تصريح من الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه يوحد الله ولا يجعل معه إلهاً آخر. وكما لاحظنا من الآية أنها أبرزت هذا المعنى من خلال تقابل الإيجاب بالسلب (لتشهدون) بـ (لا أشهد قل إنما هو إله واحد).

وقد تركزت التقابلات في هذا المجال على عدد من المعاني التي تتصل بتأكيد وحدانيته عز شأنه، وذلك بين عدم انصياع المؤمنين لدعوة الكفار للإشراك بالله عز وجل^(٣). وبين أمر الله بأن يتجه المؤمنون إلى عبادة الله دون غيره^(٤)، وبين إقرار المؤمنين بإيمانهم بالله الواحد^(٥).

ولا شك في أن الحديث عن ألفاظ التقابلات في هذا المجال يفيد بملاحظة تركيز آيات القرآن على موضوع المفردات، وبالتالي إدراك فاعليتها وتأثيرها في المتلقي، إن مفردات التقابلات والتماثلات هنا تنقسم مجموعات تنتهي كل مجموعة إلى معنى خاص بها. وقد انقسمت قسمين: الأول تقابل التضاد، والثاني التماثل، فأما مفردات تقابل التضاد، فقد جاءت بالتشكيل الآتي:

الرقم	مفردات التقابل	مجموعها
١	إثبات حقيقة إبراهيم ونفي الشرك.	٥
٢	إثبات خشية الله ونفي الخشية من الناس.	٥
٣	إثبات العبادة ونفي الشرك.	٢
٤	إثبات الدعوة إلى عبادة الله ونفي الشرك به.	٢
٥	إثبات الشكر والكفر.	٢
٦	إثبات العبادة ونفي التقوى.	١
٧	الإيمان والتولي عنه.	١

الرقم	مفردات التقابل	مجموعها
٨	إثبات الإيمان ونفي الشرك.	١
٩	إثبات الشهادة بالشرك ونفيها.	١
١٠	إثبات الإيمان ونفيه.	١
١١	الإيمان والكفر.	١
١٢	الإيمان والفسق.	١
١٣	الظلم والإسلام.	١
١٤	ذكر الله والنسيان.	١
١٥	نفي البر وإثبات البر.	١
١٦	اتبع وأعرض.	١
١٧	الإسلام والتولي عنه.	١
	المجموع	٢٨

إن مفردات هذه التقابلات كانت تسعى لإثبات وحدانية الله عز وجل، وإلى محاولة إبعاد الإشراف به، وقد كانت موجهة إلى المؤمنين، أو كانت واصفة لمعتقداتهم. وقد بلغت هذه التقابلات التي تقع في هذا الإطار أربعة وعشرين تقابلاً، وهذا بطبيعة الحال يمثل نسبة عالية من مجموع المفردات المرصودة هنا، وأما سائر التقابلات فكانت تسعى لإيجاد مفارقة بين الاعتقاد بوحدانية الله والاستسلام له، وبين ما يتضاد مع هذه الوحدانية. وأما مفردات التماثل فقد جاءت في التشكيل الآتي:

الرقم	المفردات	العدد
١	الإيمان.	٣
٢	أنصار الله.	٢
٣	التوكل على الله.	١
٤	ذكر الله.	١
	المجموع	٧

إن التماثل في هذا المجال كان يسعى لأن يثبت صفة التوحيد من خلال الإيمان بالله، ومن خلال التسليم بالتوكل عليه، ومن ثم من خلال الإقرار بنصرة الله عز وجل. إن هذه التماثلات تلتقي تقابلات التضاد التي ظهرت في القسم الأول لتثبت معها اعتراف المؤمن بوحدانية الله عز وجل.

أما المجال الثاني للمتقابلات والتماثلات، فهو الإقرار بأن حقيقة الهداية هي هدى الله ولا أحد سواه يهدي الإنسان. وقد جاءت سبعة منها هنا في مقام الإقرار بهذه الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾^(٦). إن الخطاب في هذه الآية موجه إلى الرسول، صلى الله عليه وسلم، إذ يأمره الله أن يقر بأن الهداية الحققة من الله سبحانه وتعالى. وقد تنوعت مفردات هذا المجال، ولكن مضمونها يشير إلى إثبات معنى الهداية بالذات الإلهية. وقد انقسمت قسمين: الأول التماثل وقد وردت فيه مفردة (الهدى) لتماثل مثلتها (الهدى) في الطرف الثاني مرتين^(٧)، وأما القسم الثاني فقد جاء في تقابل التضاد بين (الضلالة) و(الهدى)^(٨). وقد تكررت ثلاث مرات، وبين (الظلمات) و(النور)^(٩) التي تكررت مرتين.

وأما المجال الثالث، فهو تأكيد ديمومة الله سبحانه وتعالى دون خلقه وقد جاء تقابلان يشيران إلى هذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٠٠﴾﴾. إن الآية الثانية حققت هذا المعنى من المفارقة بين المخلوقات الفانية على الأرض وبين الخالق الذي يبقى ولا يموت.

وأما المجال الرابع، فهو يعطي معنى التوحيد بعداً أعم من المجالات السابقة، إذ يجعل الله سبحانه وتعالى جميع المخلوقات في السماء والأرض تسبح له وتوحده معترفة بوحدانته. وقد جاءت التقابلات هنا مقتصرة على التضاد، ومحصورة بين لفظين هما (السماء) و(الأرض) ^(١١). وقد تكررت سبع مرات، ولا شك في أن للتقابل بين السماء والأرض في هذا المجال أهمية خاصة لإظهار دائرة التسبيح والتوحيد الواسعة التي تشمل كل المخلوقات سواء أكانت في (السموات) أم في (الأرض) ومن فيهما، وقد خصت آية منها الجبال في التسبيح وأظهرت تقابل التضاد بين (العشي) و(الإشراق) ^(١٢).

ب- القدرة الإلهية:

إن القدرة الإلهية هي النوع الثاني من أنواع العقيدة، فالله الواحد هو القادر على خلق الكون وعلى التصرف به وبما فيه كيفما شاء، وبالتالي فهو المسيطر عليه وعلى كل ما فيه. ومن هذا المنطلق أظهرت التقابلات القرآنية وتمثالاته خمس مجالات مختلفة تصب جميعاً في معنى القدرة الإلهية، ومنطلقة من معنى الإيمان بالله وحده. وقد أخذت التقابلات الضدية والتخالفية ما مجموعه مائة وتسعة وستون تقابلاً في حين لم يرد التماثل إلا مرة واحدة.

وقد توزعت على نوعين من الخلق يدخلان في العام والخاص. أما العام، فهو خلق الكون وما فيه من (السموات) و(الأرض) وما بينهما، وأما الخاص، فهو خلق الإنسان. وقد تشكلت مفردات التقابل في الجانب العام من خلال مفردتي (السموات) و(الأرض) وقد تكررت تسع عشرة مرة. وجميع هذه التقابلات تشير إشارة صريحة إلى أن الله عز وجل هو الذي خلقها، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾^(١٣). فهذه الآية تتضمن معنى وحدانية الله، وذلك أنها تؤكد وتقرر أن الخالق هو الذي خلق الكون وما فيه من (السموات) و(الأرض) وأحياء أخرى. وقد جاءت الآيات في هذا المجال لتحدد بالدقة معنى التفرد الإلهي بخلق (السموات) و(الأرض)، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(١٤). فهذه الآية جاءت اعترافاً على لسان يوسف عليه السلام بأن الله مبدع (السموات) و(الأرض) وخالقهما على غير مثال^(١٥).

وأما مفردات التقابل في الجانب الخاص، وهو خلق الإنسان، فقد تكررت تقابلاتها ثلاث مرات، إذ تراوحت بين كلمتي (تراب) و(نطفة)^(١٦)، وبين كلمتي (صلصل كالفنخار) و(مارج من نار)^(١٧). و(رجالاً ونساء)^(١٨) وفي هذه التقابلات تأكيد من الله سبحانه وتعالى على أن الإنسان خلق من (تراب) وبعد ذلك أصبح (نطفة) وهذه القدرة يتصف بها إله واحد قادر.

وأما المجال الثاني، فيكشف عن أن الخالق الواحد هو القادر على خلق الهداية والضلالة دون غيره من مخلوقاته، وقد جاءت تقابلاته في خمسة عشر تقابلاً. اختلفت مفرداتها من حيث اللفظ والتركيب، ولكنها جاءت لتثبت معنى القدرة الإلهية على الهداية والضلالة من خلال تزيينه للهداية وتكريهه للضلالة. ويمكننا أن نرصد مفردات التقابل في الجدول الآتي:

الرقم	مفردات التقابل	مجموعها
١	إثبات الضلالة وإثبات الهداية.	٦
٢	نفي الضلالة وإثبات الهدى.	٢
٣	إثبات الضلالة ونفي الهدى.	١
٤	نفي الهدى وإثباته.	١
٥	نفي قدرة الرسول على إيقاع الهداية للإنسان.	١
٦	نفي الهداية وإثبات الضلالة.	١
٧	أشرح لي صدري واحلل عقدة من لساني.	١
٨	إثبات الهداية وإثبات الشرك.	١
	المجموع	١٤

إن هذه التقابلات في مجملها تتجه إلى إثبات أن الهداية والضلالة فعل من أفعال الله عز وجل، ومن قدراته التي يتصل بها دون غيره. إذ جاءت آيات مشيرة إلى هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٩﴾. فالخطاب في الآية موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ جاءت لتبين له وللمؤمنين، بان الرسول لا يستطيع أن يدخل الكفار في الإسلام، وإنما الله هو الذي يدخلهم فيه^(٢٠). وكما أثبتت هذه الآية أن الهداية من الله عز وجل تثبت غيرها أن الضلالة أيضاً منه عز شأنه، كقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾^(٢١). فالله عز وجل عندما تأتي محنته وابتلاؤه فإنما يضل بهما الجاهلين غير الثابتين في معرفتهم له، ويهدي العالمين الثابتين بقولهم بوحدايته، ولا شك في أن معنى القدرة على الهداية والضلالة جاء على التوسع في الكلام، وذلك أن الحنة والفتنة كانتا سببين لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم بها^(٢٢). وقد جاءت هذه الآية بإقرار المؤمنين بقدرته سبحانه وتعالى، كما نلاحظ، وقد اختلفت الآيات المتضمنة القدرة الإلهية والضلالة في اختيار الأسلوب، فمنها ما جاء بالإقرار^(٢٣)، ومنها ما جاء بالدعاء^(٢٤).

وأما المجال الثالث، فهو يشير إلى قدرة الخالق على الثواب والعقاب، وقد بلغت تقابلات هذا المجال خمسة وعشرين تقابلاً، وقد اعتمدت عشرة منها على تقابل مفردتي (الدنيا) و(الآخرة) أو بما يشير إليهما في المعنى، وكانت آيات هذه التقابلات تركز على معنى الثواب والرحمة في الدارين الأولى والآخرة، وجاء بعضها في أسلوب الدعاء الذي يكشف عن الإيمان الحقيقي من المؤمن بقدرة الله عز وجل. كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢٥). إن هذه الآية تشير إلى توجه الناس إلى الله تعالى بطلب خيري الدنيا والآخرة، بحيث جمعت هذه الدعوة كل خير وصرفت كل شر^(٢٦). وكقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ

أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٢٧﴾. إن هذه الآية تشير إلى دعاء الرسول عليه السلام بأن يدخله الله القبر مدخل صدق وإدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، ويخرجه منه عند البعث إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط^(٢٨).

وقد جاء بعضها بأسلوب التقرير كقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَكَأَجْرِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢٩﴾﴾. إن التقابل في هذه الآية يشير إلى قدرة الله على إتيان الرحمة لمن يشاء في الحياة الدنيا، ويؤكد خير أجر الآخرة للمؤمنين.

وأما سائر التقابلات التي بلغت أربعة عشر تقابلاً فقد ركزت على عدد من المفردات تتعلق بالثواب والعقاب^(٣٠)، والمغفرة والعذاب^(٣١)، والعذاب والرحمة^(٣٢)، ومغفرة ما تقدم وما تأخر^(٣٣). وجاءت كذلك لتقرر بأن ما يفعله الإنسان من خير أو شر فإنما من كسبه واكتسابه في حياته الدنيا فيحاسب به وعليه يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٣٤). فالتقابل في هذه الآية وقع بين الحرفين (لها) و(عليها) وقد تردد فعلان معهما هما (كسبت) و(اكتسبت)، وذلك أن الأول يشير إلى الجنة والثاني إلى السيئة، وقد اختلفت الصيغة اللفظية لهما؛ وذلك لأن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر، فالمسلم الذي يأتي بالحسنة الصغيرة له عشرة أمثالها في حين إن الذي يأتي بالسيئة لا يحاسب إلا بها ومن هنا جاءت زيادة (التاء) في الفعل الثاني على الفعل الأول الذي انتقص منه هذا الحرف^(٣٥).

وأما المجال الرابع، فقد خص بالحديث قدرة الله عز وجل على تصريف الكون وما فيه من مخلوقات وما يلحق بها من أفعال يتفرد بها دون هذه المخلوقات. وقد شملت مفردات التقابلات في هذا المجال عدداً كبيراً من الإشارات التي تدل على قدرته بتصريف الكون، وقد بلغت تقابلاته خمسة وخمسين تقابلاً، فمن هذه التقابلات كانت (السموات) و(الأرض) وقد بلغت ثلاثة: اثنين منها يشيران على قدرته على الحفاظ على (السموات) و(الأرض) من أن تزولا^(٣٦)، أو من أن تسقط (السماء) على (الأرض)^(٣٧). وأما التقابل الثالث فكان يشير إلى قدرته على إتقان صنع الله للجبال التي يحسبها الرائي جامدة وهي في الحقيقة تمر مر السحاب^(٣٨).

وثمة تقابلات أخرى تتصل بالتقابلات الكونية (السموات والأرض) السابقة وهي تقابل الليل بالنهار إذ أشارت كثير من الآيات إلى هذه التقابلات وقد بلغ عددها تسعة تقابلات، وهي تكشف عن قدرته بالتصرف بـ (الليل) و(النهار) من حيث تعاقبهما^(٣٩)، أو من حيث تداخلهما^(٤٠). أو من حيث إنه جعل (النهار) وقتاً لانتشار الناس، و(الليل) وقتاً لسباتهم وراحتهم فسخرهما لهم^(٤١).

وقد تحدث تقابل آخر عن قدرة الله على التحكم بـ (الظل) على الأرض وسط أشعة الشمس وهو في قوله تعالى: ﴿الْم تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَكَوَّ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾. إن التقابل هنا يقع بين المفردات (مد) و(ساكناً) و(قبضناه) وهي تشير إلى قدرة الله على نقل الظل من مكان إلى مكان ومن جهة إلى جهة، فتارة تكون جهة المشرق وأخرى جهة المغرب، ومن ثم فإنه يزيله شيئاً فشيئاً لئلا تختل المصالح في الحياة الدنيا^(٤٣).

ولا تقف مفردات التقابلات القرآنية عند هذا الحد، وإنما تناول قدرات عديدة تكشف عن قدرة الله على التصرف بالكون إذ أشار بعضها إلى قدرته على إنزال الماء والتصرف به، فهو قد جعل الأرض مهداً وأنزل من السماء ماء ليخرج النبات له بمشيئته^(٤٤)، وقد أشارت آيات أخرى إلى مشيئته وقدرته على أنه قسم الماء في الأرض (عذب فرات) و(ملح أجاج)^(٤٥). وقد بلغت التقابلات هنا سبعة تقابلات.

وقد أشارت كثير من التقابلات إلى قدرته على الإحياء والإماتة وقد توزعت هذه التقابلات على قسمين؛ الأول يتعلق بموت الإنسان وإحيائه، وبلغت تقابلاته ثمانية عشر تقابلاً^(٤٦)، وأما القسم الثاني، فيتعلق بإحياء الأرض بعد موتها، وقد بلغت تقابلاته عشرة تقابلات^(٤٧).

وثمة تقابل آخر أشار إلى قدرته على التحكم بحياة الإنسان وذلك أن الموت إذا جاء فإن الإنسان لا يتأخر ولا يتقدم وإنما هو أمر من الله سبحانه وتعالى^(٤٨). ويبين تقابل آخر أن مصير الإنسان بيد الله يتصرف به كيفما يشاء وذلك في آية يعترف بها إبراهيم عليه السلام بأنه إذا مرض فالله سبحانه وتعالى هو الذي يشفيه^(٤٩).

وقد بينت الآيات أيضاً من خلال تقابلاتها أن لله مطلق التصرف بحال الإنسان في الحياة الدنيا إذ بلغت تقابلاتها ستة تقابلات، وهذا التصرف من حيث إتياء الملك ونزعه^(٥٠). أو من حيث النفع والضرر من الله عز وجل^(٥١). وجاءت ثلاثة تقابلات تشير إلى أن الرزق بيد الله فهو الذي يبسط الرزق وهو الذي يقدره^(٥٢).

وجاءت الآيات أخيراً بتقابلين يشيران إلى مطلق التصرف بالإِنعام على البشر كما أنعم على قوم عيسى بأن يأتي لهم بمائدة تكون عيداً لأولهم وآخرهم^(٥٣). وأنعم على قوم نوح بأن جعل مجرى سفينتهم ومرساها بيده^(٥٤). وأما المجال الخامس، فكان قدرة الله على العلم المحيط بجميع مخلوقاته. وقد تشكلت التقابلات في هذا المجال من خلال علاقات التضاد والتخالف، وانقسمت قسمين: الأول يتصل بالإنسان وأفعاله، وقد بلغت ثلاثين تقابلاً، والثاني يتصل بالكون بشكل عام وقد بلغت تقابلاته ثلاثة وعشرين تقابلاً. ويمكننا أن نرصد هذه التقابلات في جدول نبين فيه مجموعات المفردات المتقابلة التي تنتمي إلى معنى واحد. فأما مجموعة القسم الأول التي تتصل بالإنسان، فقد تشكل بالطريقة الآتية:

الرقم	المفردات	العدد
١	إثبات علم الله تعالى لما هو ظاهر وما هو باطن من أفعال الإنسان.	١٣
٢	نفي علم الإنسان وإثبات علم الله وحده عز وجل.	١١
٣	إثبات علم الله بضلال الإنسان وهدايته.	٣
٤	إثبات علمه بالمصلح والمفسد.	١
٥	إثبات علم الله بمصير الإنسان منقلبه ومثواه.	١
٦	إثبات علمه بالصادق والكاذب.	١
	المجموع	٣٠

لاشك في أننا نلاحظ أن مفردات التقابل في هذا الجدول تبين، بصورة واضحة الاتجاه الذي تشير إليه، وهو أنها تؤكد وتبين للمؤمنين أن الله سبحانه وتعالى يتفرد بالعلم دون البشر، وأنه يعلم ما يفعلونه سراً وعلانية سواء أكان ذلك ضلالاً أم هداية، ففي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٥٥). اعتراف صريح من المؤمنين (الرسل) بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يختص بعلم الغيب دون غيره. وتزيد الآيات توضيحاً وتأكيداً لهذا المعنى من خلال تقابلات السر والعلانية، ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٥٦). إقرار من المؤمنين بعلم الله لما يخفي الإنسان وما يعلن من أفعال وأقوال لا يغيب عليه تعالى شيء في الكائنات^(٥٧).

وأما مفردات تقابل القسم الثاني المتصل بالكون، فهي تتوزع على أربعة حقول نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	العدد
١	إثبات علم الله تعالى الذي يشمل السموات والأرض.	١٧
٢	إثبات علمه بالليل والنهار.	١
٣	إثبات علمه لما في البحر والبر.	١
٤	إثبات علمه للرطب واليابس.	١
	المجموع	٢٠

إن هذه المتقابلات تشمل عدداً واضحاً من مفردتي (السموات والأرض) وقد جاءت لتبين للمؤمنين علم الله الشامل المحيط بالكون كله، ففي قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(٥٨)، استفهام تفريري يخاطب الله به نبيه محمداً فيقر علمه الشامل لما في (السماء) و (الأرض)^(٥٩). ويتبع هذا الإقرار بعلمه بـ (الليل) و (النهار)^(٦٠)، وبما في (البحر) و(البر)^(٦١)، و(الرطب) و(اليابس)^(٦٢). وهذا كله تبيان للمؤمنين وتطمين لهم بأن الله الذي يوحدونه عالم دون مخلوقاته.

وقد بينت التقابلات في هذا المجال أيضاً عمومية علم الله بكل شيء باطن وظاهر، وقد جاءت ثلاثة تقابلات أخرى في هذا القسم تشير إلى هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(٦٣). فالله سبحانه وتعالى عالم بما يجري في الغيب وعالم بما يجري في الظاهر.

ج- الربوبية:

إن الربوبية هي النوع الثالث من أنواع العقيدة، وذلك لأنها الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى رب كل شيء. ولا رب غيره^(٦٤). فالؤمن بالله ينطلق بتوحيده سبحانه من الاعتراف بربوبيته، وقد جاءت تقابلاته التي بلغت أحد عشر تقابلاً تكشف عن هذه الربوبية المطلقة لله عز وجل، وقد انقسمت ألفاظها ثلاثة أقسام نرصدها في الجدول الآتي:

العدد	المفردات	الرقم
٦	السموات والأرض.	١
٤	المشرق والمغرب.	٢
١	الجن والناس.	٣
١١	المجموع	

لا شك في أن إشارات آيات الكتاب الحكيم إلى ثنائية (السموات) و(الأرض) بهذا العدد الكبير بالقياس إلى المجموع الكلي هذا تدل على وضع حقيقة الربوبية الإلهية التي لا يستحقها إلا الله خالق هذا الكون، وكانت إشارات هذه الآيات واضحة لهذه الربوبية، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ

رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٦٥). ففي هذه الآية إشارة صريحة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم بخطابه لعبدة الأصنام بأن الله هو الذي خلقهن وأبدعهن^(٦٦). ولذلك فهو أحق بالربوبية من غيره، وقد زادت الآيات تأكيد هذا بأن أشارت إلى متقابلين هما (المشرق) و(المغرب)^(٦٧). وهما جزءان من خلقه في الكون، وتحدثت أيضاً عن شمولية الربوبية للخلق من أناس وجن^(٦٨).

د- الملكية:

لقد تحدث ثمانية عشر تقابلاً عن ملكية الله عز وجل للكون. هذه الملكية التي تشكل عنصراً مهماً من عناصر الإيمان الثابت به وحده، ولقد

تجمعت مفردات التقابل الدالة على الملكية في لفظتي (السموات) و(الأرض) بحيث ترددت ست عشرة مرة كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٦٩). إن هذه الآية تشير صراحة إلى ملكية الله لـ (السموات) و(الأرض)، وهو جدير بهذه الملكية؛ لأنه خلق هذا الكون؛ ولأنه المتصرف به. وجاء تقابل آخر يشير إلى تملك الله لأمر الناس جميعاً في قوله تعالى: ﴿فِي بَعْضِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٧٠). وقد جاءت هذه الآية بعد الإشارة إلى غلبة الروم الفرس بعد أن هزمهم الآخيريون، وتوضح أن الأمر بيد الله قبل غلبتهم وبعدها^(٧١).

هـ - الإيمان بالكتاب:

إن التقابلات التي وردت في حديث آيات القرآن عن الإيمان بالكتاب بلغت تسعة تقابلات ضدية وقد توزعت على أكثر من مقام ففي مقام حقيقة مترلة الكتاب وطبيعة هذا الكتاب، ورد تقابل هو ﴿أُحْكِمْتَ آيَاتَهُ ثُمَّ فَصَلْتُمْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٧٢) وفي مقام الإيمان بالكتاب ورد تقابل آخر هو (يؤمنون/ يكفر به)^(٧٣)، وفي مقام الأمر باتباع ما جاء به الكتاب والإيمان بما نزل فيه، فقد وردت خمسة تقابلات مثل: (اتبعوا ما أنزل إليكم/ ولا تتبعوا من دونه أولياء)^(٧٤)، ومثل: (بلغ ما أنزل إليك/ وإن لم تفعل)^(٧٥)، ومثل (فاحكم بينهم بما أنزل الله/ ولا تتبع أهواءهم)^(٧٦).

وأما في مقام التصديق لما جاء به الكتاب، فجاء تقابل واحد هو (ما كان حديثاً يفترى/ ولكن تصديق الذي بين يديه)^(٧٧).

وأخيراً في مقام ما جاء به القرآن من مثل الإعلام بما لم يكن معلوماً، وقد جاء تقابل واحد هو (وعلمك/ ما لم تكن تعلم)^(٧٨).

فكما نلاحظ هنا أن التقابلات ووجهت المؤمن نحو اتباع ما جاء به القرآن من خلال الأوامر والنواهي.

و- الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم:

إن التقابلات في سياق الإيمان بالرسول عليه السلام ورسالته بلغت ثلاثة عشر تقابلاً، وقد توزعت على جوانب مختلفة. منها الإيمان بالنبوة، من مثل: (يكفر بها هؤلاء/ وكنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين)^(٧٩)، ومثل: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك/ كمن هو أعمى)^(٨٠). وقد جاء تقابلان كما نرى.

ومنها أيضاً إنزال الكتاب بوساطة الوحي، وقد ورد في تقابل واحد يصف الوحي عند تبليغه القرآن وهو (وهو بالأفق الأعلى/ ثم دنا فتدلى)^(٨١).

ومنها كذلك تبيان حقيقة الرسول، وقد وردت سبعة تقابلات من مفردتي (بشيراً/ ونذيراً)^(٨٢). كما بينت التقابلات جانب دعوة الله المؤمنين بإطاعة الرسول الذي جاء بالقرآن وقد ورد تقابلان في هذا المقام هما: (وأطيعوا الرسول/ فإن توليتهم)^(٨٣) و(ما آتاكم الرسول فخذوه/ وما نهاكم عنه فانتهوا)^(٨٤).

ومنها أخيراً الإيمان بالرسول بشكل عام من خلال ما جاء به القرآن من قصص، وقد ورد تقابل واحد هنا هو (قصصناهم عليك من قبل/ ورسلاً لم نقصصهم عليك)^(٨٥). لا شك في أننا نلاحظ أن التقابلات التي وردت في تبيان حقيقة الرسول قد فاقت غيرها من حيث العدد ولعل ذلك متأثراً من أهمية تبيان وظيفة الرسول عليه السلام وهي التبشير بالجنة في الآخرة والتحذير من العذاب للناس جميعاً وللمؤمنين بالله بشكل خاص.

ز- الإيمان بوجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن التقابلات في سياق هذا النوع من العقيدة قد تردد خمس مرات، وكانت تثير علاقة التضاد وقد جاءت بتقابل معقد بألفاظ متكررة هي (يأمرن بالمعروف/ وينهون عن المنكر)^(٨٦).

ولا شك في أن تكرير مثل هذه المفردات في مختلف آيات الكتاب الحكيم مؤشر إلى اهتمام الكتاب بهذا الجانب العقدي عند المؤمن. ولأنه يرسخ معنى الإيمان عند الإنسان فالإنسان لا يكون مؤمناً حقاً إن لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر.

بعد أن تحدثنا عن تقابلات حقل العقيدة وتمائلاته حديثاً مفصلاً نأتي إلى الحديث عنها بصورة مجملة حتى ندرك أبعاد التشكيل الموضوعي لهذه التقابلات والتمائلات، ولذلك فإنني أعيد رصد الأنواع في الجدول الآتي مرتبة ترتيباً تنازلياً حسب المجموع الأكثر فالأقل:

الرقم	أنواع العقيدة	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	القدرة الإلهية.	١٦٩	١
٢	الإيمان بالله وحده.	٤٥	٩
٣	الملكية.	١٨	٠
٤	الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم.	١٣	٠
٥	الإيمان بالربوبية.	١١	٠
٦	الإيمان بالكتاب.	٩	٠
٧	الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥	٠
	المجموع	٢٢٦	١٠

إن القدرة الإلهية قد أخذت عدداً كبيراً من التقابلات والتماثلات في آيات القرآن الكريم بالنسبة لسائر التقابلات في أنواع العقيدة. ولعل السبب في ذلك أن القرآن الكريم بشكل عام كان يوجه أنظار المؤمنين نحو قدرة الله سبحانه وتعالى التي لا تماثلها قدرة. وقد تجلت هذه القدرة في كثير من آياته من خلال تقابل (السموات) بـ (الأرض) الذي يشكل الخلق العظيم أمام ناظري الإنسان المؤمن حتى تكون سبباً في تمسكه بوحديته عز وجل، ولا شك في أن آيات القدرة الإلهية في القرآن الكريم جاءت لتؤكد للمؤمن أنه على صواب في توحيد الخالق عز وجل، وذلك لأن من له القدرة العظيمة هو أهل للتوحيد، ولا

الرقم	أنواع العقيدة	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	القدرة الإلهية.	١٦٩	١
٢	الإيمان بالله وحده.	٤٥	٩
٣	الملكية.	١٨	٠
٤	الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم.	١٣	٠
٥	الإيمان بالربوبية.	١١	٠
٦	الإيمان بالكتاب.	٩	٠
٧	الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥	٠
	المجموع	٢٢٦	١٠

إن القدرة الإلهية قد أخذت عدداً كبيراً من التقابلات والتماثلات في آيات القرآن الكريم بالنسبة لسائر التقابلات في أنواع العقيدة. ولعل السبب في ذلك أن القرآن الكريم بشكل عام كان يوجه أنظار المؤمنين نحو قدرة الله سبحانه وتعالى التي لا تماثلها قدرة. وقد تجلت هذه القدرة في كثير من آياته من خلال تقابل (السموات) بـ (الأرض) الذي يشكل الخلق العظيم أمام ناظري الإنسان المؤمن حتى تكون سبباً في تمسكه بوحدانيته عز وجل، ولا شك في أن آيات القدرة الإلهية في القرآن الكريم جاءت لتؤكد للمؤمن أنه على صواب في توحيد الخالق عز وجل، وذلك لأن من له القدرة العظيمة هو أهل للتوحيد، ولا

شك في أن التقابلات الأخرى في أنواع العقيدة، كالنوع الأول الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث العدد وسائر الأنواع تشارك جميعاً هذا التأكيد للمؤمنين الذين يوحدون الله عز وجل، ونلاحظ أن التماثلات هنا لا تأخذ دوراً بارزاً كما أخذته التقابلات، ومن تركزها في النوعين الأول والثاني من أنواع العقيدة تكشف عن اهتمام الكتاب الكريم في دورها في القدرة الإلهية والإيمان بالله وحده.

٢- العبادات:

إن العبادات هي المبحث الثاني من محور الإيمان بعد مبحث العقيدة، وتأتي أهمية العبادات في محور الإيمان أنها رمز الإيمان، هذا الرمز الذي يجسد خضوع الإنسان، واستسلامه لله عز وجل، بجميع أفعاله وأقواله، وقد جاءت التقابلات والتماثلات في العبادات موزعة على أكثر من نوع من أنواعها، ولذلك فإني أتحدث عن كل نوع على حدة.

أما النوع الأول، فهو الصلاة، وقد أظهرت الآيات الكريمة التي تتحدث عن الصلاة معجماً لفظياً متميزاً في التقابلات التي بلغ عددها اثنين وثلاثين تقابلاً توزعت على التضاد والتخالف. إذ ركزت هذه التقابلات على أربعة مجالات: أولها ما يتعلق بالصلاة من حيث أداؤها وواجباتها، ومن حيث الموضوع، وقد اختلفت ألفاظ مفرداتها، ويمكن أن نبينها في الجدول الآتي:

العدد	المفردات	الرقم
٣	الركوع والسجود.	١
٢	سجداً وقياماً.	٢
٢	قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.	٣
٢	ولا جنباً حتى تغتسلوا.	٤
١	لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون.	٥
١	امسحوا برؤوسكم وأرجلكم.	٦
١	في صلاتهم خاشعون وعن اللهو معرضون.	٧
١	تضرعاً وخفية.	٨
١	لا تجهر ولا تخافت.	٩
١٤	المجموع	

إن بعض التقابلات في هذا الجدول، كما نلاحظ، تشير إلى ما يتعلق بأمر الوضوء قبل الصلاة، كالاتعاد عن شرب المسكر حتى يكون المؤمن على وعي بما يقول، وقد ورد هذا التقابل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٨٧). إن هذه الآية قد نزلت قبل تحريم الخمر على المسلمين، وذلك أن نفراً من المسلمين من أصحاب الرسول عليه السلام كانوا يحضرون إلى الصلاة وقد شربوها^(٨٨). وقد أشارت أيضاً إلى الاغتسال من الجنابة وذلك للطهارة^(٨٩)، وغسل الأعضاء كالرؤوس والأرجل^(٩٠). وقد اتصل بعضها بأحكام حرركاتها كالسجود والركوع^(٩١)، والقيام والقعود^(٩٢)، ومن ثم بتلاوة القرآن والدعاء بحيث يكون دون الجهر والخشوع^(٩٣).

وتحدثت آيات القرآن الكريم عن مجال ثان للصلاة وهو وقتها وزمنها، وقد وزعت آيات الكتاب الحكيم الزمن على لفظين متقابلين هما (الليل) و(النهار)^(٩٤). وقد تشكل معجم من المفردات التي تنتمي إلى هذين المتقابلين بلغت خمسة عشر تقابلاً، وقد جاءت بالألفاظ الآتية: (بكرة/ وأصيلاً)^(٩٥) و(بكرة/ وعشياً)^(٩٦) و(عشياً/ وتظهرون)^(٩٧) و(تمسون/ وتصبحون)^(٩٨) و(بالغدو/ والأصال)^(٩٩) و(دلوك الشمس/ وغسق النهار)^(١٠٠) و(الليل/ وبالأسحار)^(١٠١) و(قبل طلوع الشمس/ وقبل الغروب)^(١٠٢). ولاشك في أن هذا العدد من التقابلات الزمنية التي تمتد على طرفي (اليوم) من الليل إلى النهار أو من النهار إلى الليل يكشف عن تصوير يوم المؤمن الذي يمتلئ بالعبادة، ويكشف عن أهمية إقامة الصلاة في الإسلام، وذلك أنه شغل المؤمن من الشاغل هو الصلاة التي تقربه من الله عز وجل.

وأما المجال الثالث في آيات الكتاب العظيم التي تتصل بالصلاة، فهو قبلة المؤمن عند الصلاة، وقد جاء تقابلاً يكشفان عن هذه القبلة تمثلاً بمفردتي (المشرق) و(المغرب)^(١٠٣) وذلك أن (المشرق) يشير إلى الكعبة والمغرب يشير إلى بيت المقدس^(١٠٤).

وأما المجال الرابع فهو يبين أهمية الصلاة عند المؤمن، وذلك نابع من تقرب المؤمن إلى الله عز وجل ومن خوفه من العذاب وطمعاً في الثواب، وقد جاء تقابل واحد يشير إلى (الخوف) من العذاب، و(الطمع) في الثواب^(١٠٥).

إن نظرة شاملة لمجالات الصلاة تكشف عن أن آيات الكتاب الحكيم بتقابلاتها أظهرت اهتماماً متميزاً بأحكام الصلاة وأدائها على الوجه الأكمل وبأوقاتها، ولعل هذا يشير إلى أهمية هذين المجالين عند المؤمنين.

وأما النوع الثاني من العبادات، فكان الحج إلى بيت الله عز وجل وقد كان بمجموع تقابلاته وتمائلاته أحد عشر تقابلاً في مختلف مجالات الحج التي بلغت ثلاثة. وقد أبرزت التقابلات علاقتي التضاد والتخالف بتكرار ثماني مرات للأولى ومرتين للثانية أما التماثل فقد تكرر مرة واحدة.

وأما المجال الأول، فهو أن الحج فريضة على المؤمن الذي يستطيع أن يحج إلى بيت الله عز وجل، وقد جاء في تقابلين، كما في قوله تعالى ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾: (١٠٦). فالحج، كما في الآية، فرض لازم على المستطيع، ومن تركه، فإن الله مستغن عن عباداته، وقد عبر عن هذا المعنى بالكفر^(١٠٧). وثمة تقابل آخر بين (رجالاً) و(على كل ضامر) في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (١٠٨). يخاطب به إبراهيم عليه السلام عندما فرغ من بناء البيت، وأصبح الحج فريضة على المؤمنين^(١٠٩).

وأما المجال الثاني في الحج، فكان مناسك الحج. وقد بلغت تقابلاته سبعة تقابلات وتمائلاته تماثلاً واحداً، وقد كشفت عن الطواف والصلاة بمفردتين هما (الطائفين) و(العاكفين)^(١١٠). كما كشفت عن التلبية بمفردتي (حنفاء) و(غير مشركين)^(١١١)، وكشفت كذلك عن يوم النفر من منى لرمي الحجاره بمفردتي (اعجل) و(تأخر)^(١١٢) وعن ذبح الهدى بـ (لن ينال الله لحومها) و(ولكن يناله التقوى)^(١١٣) وبمفردتي (كلوا) و(أطعموا)^(١١٤).

وأما المجال الثالث، فهو يشير إلى ما بعد إتمام مناسك الحج، إذ طلب الله عز وجل من المؤمنين أن يذكروا فضله كما يذكرون فضل آبائهم وأشد ذكراً^(١١٥). وقد جاء بتقابل واحد.

لا شك في أننا أمام هذه التقابلات المتكررة في المجال الثاني الذي فاق المجالين الأول والثالث ندرك توجه الآيات الكريمة لتوضيح مناسك الحج التي تعتمد عليها أولاً وأخيراً، ولعل الكثرة في هذه التقابلات قد جاءت من أهمية إتقان مناسك الحج لدى المؤمن.

وأما النوع الثالث من العبادات فهو الصيام، ويبدو أن التقابلات في هذا المجال قليلة نسبياً إذا ما قيست بتقابلات موضوعات العبادة السابقة، إذ وردت ثلاثة تقابلات حسب، في آية كريمة هي قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ

الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(١١٦). إن التقابل الأول في الآية بين (فليصمه) و(فعدة من أيام أخرى)، وأما الثاني، فهو تقابل معقد بين (يريد الله بكم اليسر) و(يريد بكم العسر) وفي آية أخرى يرد التقابل الثالث، إذ يشير إلى وقت الصيام وقد تمثل في (الخيط الأبيض) و(الخيط الأسود)^(١١٧).

وأما النوع الرابع من العبادات، فهو الزكاة والصدقات، وقد كان مجموع التقابلات في هذا النوع عشرة تقابلات وجاء تماثل واحد وقد ركزت هذه التقابلات على أوامر الله سبحانه وتعالى الموجهة إلى المؤمنين بالإنفاق،

كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ^(١١٨). فالله عز وجل يأمر المؤمنين بأن ينفقوا، ولكنه يحذرهم من التبذير في الإنفاق فالآية تشير إلى إبعاد البخل والإسراف في الصدقات ^(١١٩)، وقد حددت الآيات الفئات التي يستلزم إخراج الصدقات والزكاة إليها كالمساكين والمحروم ^(١٢٠). كما حددت طريقة الإنفاق بالسر والعلانية ^(١٢١). كما أشارت الآيات إلى أن إنفاق المؤمن يكون في كل الأحوال كالسراء والضراء ^(١٢٢).

وأما التماثل فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ^(١٢٣) أي أحسن إلى الفقراء والمساكين كما أحسن الله إليك بالمال ^(١٢٤).

بعد هذه النظرة التفصيلية للعبادات وأنواعها وتقابلاتها نعود لننظر إليها نظرة شمولية، لذا نرصد أنواعها في الجدول الآتي:

الرقم	أنواع العبادات	مجموع التقابلات	مجموع التماثلات
١	الصلاة	٣٢	٠
٢	الحج	١٠	١
٣	الزكاة والصدقات	١٠	١
٤	الصيام	٣	٠
	المجموع	٥٥	٢

لا شك في أننا نلاحظ أن تقابلات آيات الكتاب الكريم التي وردت في العبادات تتوجه بنسبة كبيرة إلى موضوع الصلاة، ولعل هذا نابع من أهمية الصلاة في الإسلام، وذلك أنها عمود الدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخيرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد" (١٢٥).

وأما الحج والزكاة والصدقات، فهي متماثلة من حيث مجموع التقابلات وهي قليلة نسبياً إذا ما قيست بسابقتها وكذلك الأمر بالنسبة للصيام فهو أقل عدداً من الجميع، ولكن هذا العدد لا يعني التقليل من أهميته، فهي مهمة في تحقيق معنى الإيمان، ولكن، كما يبدو، أن الصلاة تشكل نقطة حاسمة في حياة الأمة الإسلامية التي تستطيع أن تقيم من خلالها مفهوم الإيمان.

٣- المعاملات:

إن المعاملات هي المبحث الثالث الذي يحقق المعنى الكلي لمحور الإيمان، وقد جاءت أنواع متعددة من المعاملات في الآيات الكريمة التي تظهر التقابلات والتمائلات المختلفة.

أما النوع الأول من المعاملات، فهو الجهاد، وقد أخذ الجهاد حيزاً واضحاً وكبيراً في مجموع المفردات إذ بلغت ستة وأربعين تقابلاً وثمانياً إذ أخذ التقابل سبعة وثلاثين تقابلاً وأخذ التماثل تسعة تماثلات. توزعت على أكثر من أمر يتعلق بالجهاد، كفريضة الجهاد والتحريض عليه، ونصر الله للمؤمنين، وتفضيل المجاهدين على غيرهم، وحال المجاهدين عند ربهم.

ففي مجال فريضة الجهاد جاء تقابل واحد مركب من المفردتين (إن تكرهوا/ وهو خير) بمفردتين هما (أن تحبوا/ وهو شر)^(١٢٦). وفي مقام التحريض على الجهاد في سبيل الله جاء أحد عشر تقابلاً وسبعة تماثلات، جاءت مفرداتها في ثنائيات مختلفة كـ (انتهاوا/ وتولوا)^(١٢٧). و(حفتهم/ وأمتهم)^(١٢٨) و(لقيتم/ وفلا تولوهم)^(١٢٩)، و(فانفروا ثبات/ أو انفروا جميعاً)^(١٣٠)، وثنائية (آمنوا/ لا يؤمنون)^(١٣١) و(الرجال/ والنساء)^(١٣٢) و(أخرجهم/ من حيث أخرجوكم)^(١٣٣) و(فمن اعتدى عليكم/ فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)^(١٣٤).

وأما في مقام الحديث عن نصر الله للمؤمنين فقد جاءت أربعة عشر تقابلاً تكونت مفرداتها من ثنائيات مختلفة هي: (فريقاً تقتلون/ وتأسرون فريقاً)^(١٣٥). و(فلم تقتلوهم/ ولكن الله قتلهم)^(١٣٦) و(ما رميت/ ولكن الله رمى)^(١٣٧) و(فثبتوا الذين آمنوا/ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب)^(١٣٨). و(قليلاً/ وكثيراً)^(١٣٩) و(أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين/ وعذب الذين كفروا)^(١٤٠). و(يسطوا أيديهم/ فكف أيديهم)^(١٤١).

وفي مقام الحديث عن تفضيل المجاهدين على غيرهم من القاعدين عن الجهاد. فقد جاءت ثمانية تقابلات اختلفت مفرداتها، مثل (القاعدين/ المجاهدين)^(١٤٢) و(يشترون الحياة الدنيا/ بالآخرة)^(١٤٣) و(قتلوا/ وقتلوا)^(١٤٤).

وفي مقام الحديث عن حال المجاهدين عند الله فقد ورد تقابلان بثنائية (أمواتاً/ أحياء)^(١٤٥). وتبين أنهم لا يموتون وإنما هم أحياء عند الله يرزقون.

وفي مقام الحديث عن حال الذين تخلفوا عن الجهاد ورد تقابل واحد بين مفردتي (ضاقت/ ورحبت)^(١٤٦).

وأما في مقام طلب السلم، ورد تماثل واحد هو (وإن جنحوا للسلم/ فاجنح لها)^(١٤٧) وأخيراً في مقام سبب التحريض على القتال ورد تماثل واحد بين (شاقوا الله ورسوله) و(من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)^(١٤٨).

لا شك في أننا نلاحظ أن مقام التحريض قد أخذ عدداً كبيراً من التقابلات في موضوع الجهاد. بالنسبة لغيره من الموضوعات ولعل السبب في ذلك أن الجهاد من الأمور المهمة في قيام الدعوة الإسلامية وانتشارها بين الناس والشعوب، وكان لابد لهذا التحريض من تشجيع للمؤمن حتى يستجيب إلى خالقه، ولذلك نجد أن مفردات التقابل في مقام نصر الله للمؤمنين قد اقترب عددها من تقابلات موضوع التحريض. وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى كفيل بنصر المؤمنين الذي استجابوا لأمره بالجهاد في سبيله، وتكاد تقابلات تفضيل المجاهدين على غيرهم من القاعدين تصل إلى نصف مجموع الموضوعين: التحريض والنصر، ولعل هذا العدد يشير إلى ترغيب المؤمن بالجهاد وباستجابته لدعوة الله.

وأما النوع الثاني من المعاملات، فهو الزواج والطلاق، وقد بلغت تقابلاته أربعة وعشرين تقابلاً وتماثلاً واحداً، وقد توزعت على موضوعات مختلفة من مواضيع الزواج والطلاق كالتحريم والتحليل ومسؤولية الزوجين والمهور والجماع.

ففي مقام تحليل الزواج وردت ثنائيات مختلفة بلغت سبع ثنائيات، مثل: (ترجي/ وتؤي)^(١٤٩). و(تخفي/ ما الله مبدية)^(١٥٠) و(المحصنات المؤمنات/ ما ملكت أيمنكم)^(١٥١) ومثل: (محصنين/ غير مسافحين)^(١٥٢) و(يكفر/ بالإيمان)^(١٥٣).

وفي مقام تحريم الزواج من الرجال والنساء، وردت ثلاثة تقابلات،
مثل: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشرقة/ والزانية لا ينكحها إلا زان أو
مشرك)^(١٥٦) ومثل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن/ ولأمة مؤمنة خير من
مشرقة)^(١٥٧) و(ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا/ ولعبد مؤمن خير من
مشرك)^(١٥٨).

وفي مقام التحليل والتحريم في الزواج، فقد ورد تقابلان هما: (حرمت
عليكم أمهاتكم/ وأحل ما وراء ذلكم)^(١٥٩) و(محصنين غير مسافحين)^(١٦٠).
وفي مقام الطلاق والتحريم بعد الطلاق. وردت سبعة تقابلات، مثل:
(فأمسكوهن بمعروف/ أو سرحوهن بمعروف/ ولا تمسكوهن ضراراً)^(١٦١) ومثل:
(الموسع/ والمقتسر)^(١٦٢) و(لهن/ عليهن)^(١٦٣) و(فإمسك بمعروف/ أو تسريح
بإحسان)^(١٦٤) و(فأمسكوهن بمعروف/ أو فارقوهن بمعروف)^(١٦٥)، ومن
تقابلات التحريم بعد الطلاق: (ولا يحل لكم أن تأخذوا/ مما آتيتموهن)^(١٦٦)
و(وآتيتم إحداهن فنتاراً/ فلا تأخذوا منه شيئاً)^(١٦٧).

وفي مقام مسؤولية الزوجين وردت أربعة تقابلات مثل: (الرجال
قوامون/ على النساء)^(١٦٨) و(حافظات للغيب) بما حفظ الله)^(١٦٩) و(عسراً/
ويسراً)^(١٧٠).

وفي مقام المهور ورد تقابل واحد هو (محصنات/ غير مسافحات/ ولا
متخذات أخدان)^(١٧١).

وأخيراً في مقام الجماع ورد تقابل واحد هو (فاعتزلوا النساء في المحيض
ولا تقربوهن حتى يطهرن/ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)^(١٧٢).

نلاحظ من هذه المقامات أن مقامي تحليل الزواج والطلاق قد أخذنا
أكبر مجموعة بالقياس إلى المقامات الأخرى إذ تساوى في العدد، ولعل هذا

المجموع الكبير نسبياً يؤشر إلى أن آيات القرآن الكريم قد أبرزت أهم قضايا النكاح. وذلك أن تحليل الزواج وتنظيم الطلاق وشروطه وتحريم الاعتداء على الزوجة المطلقة من الأهمية بمكان في المجتمع الإسلامي لما في ذلك من حفظ للأنساب، واحتفاظ الأسرة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وبتماسك علاقاتها الأسرية.

ولعل نظرة شاملة إلى مفردات الزواج والطلاق تعطينا انطباعاً عن أن الآيات الكريمة كثيراً ما كررت (محصنين) و(محصنات) و(غير مسافحين) و(غير مسافحات) و(إمساك بمعروف) و(تسريح بإحسان) و(الزاني) و(الزانية) و(المشرك) و(المشركة) ولعل هذا التكرار يكشف عن توجه الآيات إلى إحداث التأثير في المتلقي المؤمن حتى يدرك أهمية الزواج وخطورة الطلاق، ولا شك في أن المقامات الأخرى تسهم في تأكيد أهمية الزواج وخطورة الطلاق، إذ جاءت تنظم حياة المؤمن والمؤمنة وتحرص على العلاقات الزوجية.

وأما النوع الثالث من المعاملات، فهو الجنايات، وقد بلغت تقابلاته تقابلين وثلاثة عشرة تماثلاً، وقد توزعت هذه التقابلات والتماثلات على عدة مواضيع كالقتل والجرح أو القطع والدية والتحريم. ولعل زيادة مجموع التماثل هنا على التقابل يشير إلى أن الشريعة الإسلامية تطبق الأحكام بمثل الجنايات أو الأفعال.

ففي مقام تحريم القتل جاء تقابل واحد هو (ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم^(١٧٣).

وأما في مقام تنفيذ الحكم في جناية القتل العمد، فقد ورد خمسة تماثلات، مثل: (الحر/ بالحر)^(١٧٤) و(العبد/ بالعبد)^(١٧٥) و(الأنثى/ بالأنثى)^(١٧٦) و(النفس/ بالنفس)^(١٧٧).

وفي مقام الجرح والقطع، فقد وردت ثلاثة تماثلات هي: (العين/ بالعين)^(١٧٨) و(السن/ بالسن)^(١٧٩) و(الأذن/ بالأذن)^(١٨٠).

وفي مقام القبول بالدية، ورد تماثل واحد هو (فاتباع بالمعروف/ وأداء إليه بإحسان)^(١٨١).

وأما النوع الرابع، فهو الحدود، وقد بلغت تقابلاته أربعة أثار علاقة التضاد، دارت حول معنى حدود الزنا كتقابل (الزاني/ بالزانية)^(١٨٢) وجلد كل واحد منهما مائة جلدة^(١٨٣). وكذلك في معنى حد القذف كتقابل (لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة/ وأولئك هم الفاسقون) بـ (إلا الذين تابوا/ فإن الله غفور رحيم)^(١٨٤)، وكتقابل (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء/ فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون)^(١٨٥). وكذلك في حد الزوج الذي يأتي زوجته الزانية كتقابل (واللذان يأتيانها منكم/ فأذوهما) بـ (فإن تابا وأصلحا/ فأعرضوا عنهما)^(١٨٦).

وأما النوع الخامس، فهو العقود، وقد وردت أربعة تقابلات منها: (لا يستطيع أن يعمل هو/ فليملل وليه بالعدل)^(١٨٧).

وفي مقام الشهادة ورد تقابل واحد هو (رجل/ وامرأتان)^(١٨٨). وفي مقام الاتفاق على العقد ورد تقابل (لا تسموا أن تكتبوه صغيراً/ أو كبيراً)^(١٨٩) وفي مقام الشهادة ورد تقابل واحد هو (ولا تكتبوا الشهادة/ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)^(١٩٠).

وأما النوع السادس، فهو المواريث، وقد وردت خمسة تقابلات وقد توزعت على مقام حق الإرث، وعلى نسبة نصيب الوارث.

ففي مقام حق الإرث فقد ورد تقابلان هما: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون/ وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون)^(١٩١). و(مما قل/ أو كثر نصيباً)^(١٩٢)، وأما في مقام نسبة نصيب الوارث، فقد وردت ثلاثة تقابلات هي: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)^(١٩٣) و(رجالاً/ ونساء)^(١٩٤)، و(للذكر مثل حظ/ الأنثيين)^(١٩٥).

وأما النوع السابع، فهو الطعام، وقد ترددت فيه ستة تقابلات توزعت على معنى التحليل والتحریم بصورة عامة، مثل (أحلت لكم بهيمة الأنعام/ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)^(١٩٦)، ومثل (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه/ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)^(١٩٧). وقد جاء معنى التحليل والتحریم بصورة خاصة في الحج بتقابل هو (أحل لكم صيد البحر/ وحرم عليكم صيد البر)^(١٩٨). وجاء تقابل آخر في معنى التوسط في النفقات وهو (لم يسرفوا/ لم يقتروا)^(١٩٩).

وأما النوع الثامن، فهو أموال اليتامى، وردت فيه ثلاثة تقابلات هي (فادفعوا إليهم أموالهم/ ولا تأكلوها)^(٢٠٠)، و(من كان غنياً فليستعفف/ ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف)^(٢٠١)، و(ولا تبدلوا الخبيث/ بالطيب)^(٢٠٢).

وأما النوع التاسع، فهو اليمين، وقد وردت ثلاثة تقابلات مثل (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم/ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)^(٢٠٣)، و(أوفوا بعهد الله/ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها)^(٢٠٤).

في نهاية الحديث عن المعاملات لا بد من نظرة شاملة لأنواعها بعد النظرة التفصيلية، ولرصد الملاحظات عليها نضع أنواع المعاملات بمجموعها في الجدول الآتي:

الرقم	أنواع العبادات	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	الجهاد	٣٧	٩
٢	الزواج والطلاق	٢٤	١
٣	الجنايات	٢	١٠
٤	الطعام	٦	٠
٥	المواريث	٥	٠
٦	الحدود	٤	٠
٧	العقود	٤	٠
٨	أموال اليتامى	٣	٠
٩	اليمين	٣	٠
	المجموع	٨٨	٢٠

إن من الملاحظ أن الجهاد قد أخذ أكبر عدد من التقابلات، ولعل السبب في ذلك متأ من أهمية الجهاد في الحياة الإسلامية، إذ به يحافظ على دعوتهم إلى الإسلام وعلى كيانهم الإسلامي بين أعدائهم، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأهمية في قوله السابق الذي أشرت إليه في هذا الفصل^(٢٠٥).

ويأتي الزواج والطلاق بعد الجهاد من حيث مجموع تقابلاتهما، وذلك انطلاقاً من أهميته في المجتمع الإسلامي الذي يسعى دائماً إلى المحافظة على الأسرة واكتمال تنظيمها. ولاشك في أن الجنايات وتشريعاتها قد أخذت مكاناً

متميزاً بين سائر أنواع المعاملات للأهمية التي تحتلها التشريعات الجنائية التي يقوم على تطبيقها تمسك أفراد المجتمع الإسلامي من حيث أخذ الحقوق والمظالم، ولا شك في أن كثرة التقابلات والتماثلات في هذه الأنواع الثلاثة مؤثر إلى قدرة التقابلات على توضيح الموقف الإسلامي من القضايا المطروحة فيها حتى يوضحها للمسلمين، وأما سائر الأنواع فإننا نلاحظ أنها تنخفض بنسبتها قياساً بسابقتها، ولا يدل هذا على أن هذه الأنواع أقل أهمية من السابقات عليها، وإنما يدل على أن الآيات في القرآن الكريم كانت معنية بتوضيح الأنواع الثلاثة للمسلمين من خلال التقابلات أكثر من الأنواع الباقية.

٤- الآداب:

إن الآداب هي المبحث الرابع من مباحث محور الإيمان، وقد وردت فيه تسعة تقابلات وتماثلات وقد تراوحت مواضيع الآداب في القرآن الكريم بين التأدب مع الله سبحانه وتعالى، ومع الرسول عليه السلام، ومع النفس، ومع الوالدين، ومع الجار، وفي دخول البيوت، ومع المشركين.

ففي مقام التأدب مع الله عز وجل، ورد تقابلان تمثل الأول في الابتعاد عن التعرض للمشركين حتى لا يسبوا الله تعالى مثل تقابل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله/ فیسبوا الله عدواً)^(٢٠٦). وتمثل الثاني في التوجه إليه بالدعاء بكل تأدب في طريقة دعائه، وذلك من خلال المتقابلين (ادعوا ربكم تضرعاً/ وخفية)^(٢٠٧).

وفي مقام التأدب مع الرسول عليه السلام جاء تقابل واحد ينهى به الله عز وجل عن تقليد اليهود، وهو بين مفردتي (لا تقولوا رعانا/ وقولوا انظرونا)^(٢٠٨).

وفي مقام التأدب مع النفس ورد تماثل واحد وذلك أن المؤمنين إذا ما سمعوا اللغو من المشركين أعرضوا عنه وقالوا (لنا أعمالنا/ ولكم أعمالكم) (٢٠٩).

وفي مقام التأدب مع الوالدين ورد تقابلان يتضمنان معنى الإحسان إليهما وذلك في قوله: (حملته أمه كرهاً/ ووضعتة كرهاً) (٢١٠) و(فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما/ وقل لهما قولاً كريماً) (٢١١).

وفي مقام التأدب مع الجار، ورد تقابل واحد مقروناً بالإحسان وهو (والجار ذي القربى/ والجار الجنب) (٢١٢).

وفي مقام التأدب في دخول البيوت ورد تقابل واحد وهو (ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها/ ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) (٢١٣).

وفي مقام التأدب مع المشركين، فقد ورد تقابل واحد جاء في سياق الجهاد وهو (يأيتها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله/ ولا تقولوا بمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) (٢١٤).

نلاحظ أن التقابلات والتماثلات في الآداب قد شملت كثيراً من المقامات بنسب متقاربة ولعل هذا المؤشر إلى اهتمام الآيات بمختلف أنواع الآداب إذ أعطتها الاهتمام المتساوي.

٥- الأخلاق:

إن الأخلاق هي المبحث الخامس من مباحث محور الإيمان، وقد بلغت أربعة تقابلات، تحدثت في تقابلين عن خلق الرحمة وفي آخرين عن خلق والتواضع، فمن خلق الرحمة (أشداء على الكفار/ رحماء بينهم)^(٢١٥). وأما تقابلاً خلق التواضع فهما (ولا تصعر خدك للناس/ ولا تمش في الأرض مرحاً)^(٢١٦) و(أذلة على المؤمنين/ أعزة على الكافرين)^(٢١٧). لا شك في أن العدد المتساوي بين الرحمة والتواضع هنا مؤشر إلى تساوي أهميتها في خلق المسلم الذي لا بد من أن يتحلى به.

٦- المؤمنون والإيمان:

بعد أن انتهت من الحديث عن حقيقة الإيمان وحقوله آتي لأتحدث عن جانب آخر من مباحث الإيمان وهو صورة المؤمنين في آيات الكتاب الكريم من خلال التقابلات القرآنية في سياقها؛ وذلك لأكشف عن معجمية مفردات هذه التقابلات، وعن كيفية تشكيل صورة المؤمن وتبيان موقفه من الإيمان بصورة خاصة، وقد وجدت أن ثمة موضوعين يتصلان بهذا الموضوع الأول هو المؤمن بين الترغيب والترهيب. والثاني أحوال المؤمن في الحياتين الدنيا والآخرة، فأبدأ بالموضوع الأول.

أولاً- المؤمنون بين الترغيب والترهيب:

لقد ورد سبعة وأربعون تقابلاً وتمثالاً توزعت على مقامي الترغيب والترهيب بصورة منفصلة، وعلى مقام الترغيب والترهيب معاً، ولذا فإنني أتحدث عن كل مقام على حدة.

فأما التقابلات الواردة في مقام الترغيب فقد بلغت تسعة وعشرين تقابلاً وأربعة تماثلات توزعت على مواضيع مختلفة، كالترغيب بالمغفرة، وبالجنة، وبالعتق وبالتوبة، وبالعمل الصالح، والتمسك بالإيمان، وبمحبة الله. وقد وردت تقابلات متعددة في مقام الترهيب بالمغفرة وتنوعت مفرداتها التي بلغت خمسة عشر تقابلاً، وقد جاء بعضها بلفظ (تبعني/ وعصاني)^(٢١٨) و(عمل منكم سوءاً بجهالة/ ثم تاب)^(٢١٩). و(بدل حسناً/ بعد سوء)^(٢٢٠)، وجاء بعضها يشير إلى مضمون تقابل (الذكورة/ بالأنوثة)^(٢٢١)، وكانت جميع هذه التقابلات في صيغها ترتبط بعبارة تشير إلى أن الله غفور^(٢٢٢) أو لهم مغفرة^(٢٢٣).

وأما التقابلات في مقام الترغيب في الجنة، فقد بلغت اثني عشر تقابلاً واحتلفت مفرداتها، مثل (لهم غرف من فوقها غرف مبنية/ تجري من تحتها الأنهار)^(٢٢٤)، ومثل (فيها سرر مرفوعة/ وأكواب موضوعة)^(٢٢٥) ومثل (أصحاب النار/ وأصحاب الجنة/ أصحاب الجنة هم الفائزون)^(٢٢٦). وكل التقابلات في هذا المقام توجه المؤمنين إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وترغيبهم بالجزاء العظيم وهو الجنة.

وأما الترغيب بالعتق، فقد جاء بتقابل واحد وهو (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم/ وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم)^(٢٢٧).

وأما في مقام التوبة، فقد ورد تماثل واحد هو (فمن تاب من بعد ظلمه/ وأصلح فإن الله يتوب عليه)^(٢٢٨).

وأما في مقام الترغيب بالعمل الصالح، فقد ورد تماثلان تكراريان في مفردتي (ومن تزكى/ فإنما يتركى لنفسه)^(٢٢٩).

وفي مقام الترغيب بالتمسك بالإيمان، فقد ورد تقابل واحد كذلك وهو (فمن يكفر بالطاغوت/ ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)^(٢٣٠).
وأخيراً في مقام الترغيب بحصول المؤمن على محبة الله عز وجل فقد ورد تماثل تكراري واحد هو (إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات/ ثم اتقوا وآمنوا/ ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)^(٢٣١).

لا شك في أن جميع المقامات في الترغيب هنا مهمة تؤدي بالمؤمن إلى توحيد خالقه وعبادته إلا أن النسبة المرتفعة لمجموع التقابلات في الترغيب بالمغفرة وبالجنة مؤشر إلى أن القرآن الكريم كان يوجه المؤمن إلى العمل الصالح الذي ينتهي بالإنسان إلى مغفرة الله سبحانه وتعالى وبالتالي يجد الجنة هي الجزاء على هذا العمل.

وأما التقابلات الواردة في مقام التهيب فكانت تقل بمجموعها عن التقابلات السابقة، إذ بلغت اثني عشر تقابلاً وتماثلين وقد توزعت على عدد من المقامات هي التهيب من العذاب، وجهنم، والبخل، والغش، واتباع الهوى في الشهادة، واتباع خطوات الشيطان، والنظر إلى المحرمات واقترافها، واليمين الكاذبة، واتباع الكفار.

أما التهيب من العذاب، فقد ورد فيه ثلاثة تقابلات وتماثل واحد منها (ما كان لنبي أن يغفل/ومن يغفل يأتي بما غل)^(٢٣٢). و(تعاونوا على البر والتقوى/ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)^(٢٣٣).

وأما في التهيب من جهنم، فقد ورد تقابلان هما (أفمن اتبع رضوان الله/ كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم)^(٢٣٤). و(واتقوا النار التي أعدت للكافرين/ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)^(٢٣٥).

وأما في مقام الترهيب من البخل، فقد ورد تقابل واحد هو (والله الغني/ وأنتم الفقراء)^(٢٣٦).

وفي مقام الترهيب من الفسق، ورد تماثل واحد هو (ولا تكونوا كالذين نسوا الله/ فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)^(٢٣٧).

وأما في مقام الترهيب من اتباع الهوى في الشهادة، فقد ورد تقابل واحد هو (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً)^(٢٣٨).

وفي مقام الترهيب من اتباع خطوات الشيطان فقد ورد تقابل واحد هو (لا تتبعوا خطوات الشيطان/ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)^(٢٣٩).

وفي مقام الترهيب من النظر إلى المحرمات واقترافها، فقد ورد تقابل واحد أيضاً وهو (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم/ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن)^(٢٤٠).

وفي مقام الترهيب من اليمين الكاذبة ورد تقابل واحد هو (فتزل قدم/ بعد ثبوتها)^(٢٤١).

وأخيراً في مقام الترهيب من اتباع الكفار ورد تقابل واحد هو (إن استحبوا الكفر/ على الإيمان)^(٢٤٢).

لاشك في أن التقابلات في مقام الترهيب كانت موزعة على مقامات متعددة بنسب متشابهة، ولعل هذا مؤشر إلى ابتعاد المؤمنين عن إتيان هذه المحذورات، وإن كانت مقامات الترهيب من العذاب ومن جهنم قد أخذت نسبة عالية بين سائر المقامات. ويبدو أن ذلك متأ من الله سبحانه وتعالى بحيث ينبه المؤمنين ويحذرهم من اقترافهم الذنوب حتى لا يقعوا في العذاب ويكون جزاؤهم جهنم.

وقد ورد تقابلاً يجمعان بين الترغيب بالمغفرة والأجر، والترهيب من العذاب والفواحش، وذلك في التقابل الآتي: (نبي عبدي أي أنا الغفور الرحيم/ وأن عذابي هو العذاب الأليم)^(٢٤٣). ويبدو أي أن قلة اجتماع الترغيب بالترهيب، متأت من أن المؤمنين قد أخذوا بعنصر الإيمان بما فيه من العقائد والمعاملات وغير ذلك مما جاء في محور الإيمان، ولذلك فإنهم يتجهون دائماً إلى العمل الصالح مما يقتضي عدم مخاطبتهم بالترغيب والترهيب معاً؛ لأن اقترافهما يشير إلى تحذير الله الذين لم يؤمنوا من الكفر ويرغبهم بعد ذلك بالإيمان عن طريق الجزاء الحسن.

ثانياً- أحوال المؤمنين:

إن أحوال المؤمنين في آيات الكتاب الحكيم تنقسم قسمين، القسم الأول يتصل بالرسول. والقسم الثاني يتصل بالمؤمنين عامة. فأما القسم الأول، فقد ورد فيه ثلاثة وأربعون تقابلاً وثلاثة تماثلات توزعت على ستة رسل هم محمد وعيسى ابن مريم، وموسى، ويوسف، وإبراهيم، وسليمان، عليهم أفضل الصلاة والسلام. أما التقابلات الواردة في مقام الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد بلغت ثلاثة عشر تقابلاً توزعت على أكثر من جانب يتصل به كمواجهة الكفار، وحاله عليه السلام في الدنيا والآخرة، والتحليل والتحریم، والعقيدة. أما في مواجهة الكفار فقد تكرر تقابل وتماثل، أما التماثل فهو (وإذ يمكر بك الذين كفروا، ويمكرون/ ويمكر الله والله خير الماكرين)^(٢٤٤)، وأما التقابل فهو (ما كان للنبي والذين آمنوا/ أن يستغفروا للمشركين)^(٢٤٥). إن التماثل الأول جاء يظهر أن الله سبحانه وتعالى يحمي الرسول من مكر الكافر، والثاني جاء بينه الرسول الكريم والمؤمنين أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين.

وأما في حاله في الدنيا والآخرة، فقد تكررت تقابلاته ست مرات، وتناول بعضها شخص الرسول مثل: (ألم يجدك يتيماً فأوى/ ووجدك عائلاً فأغنى)^(٢٤٦). و(أما من استغنى فأنت له تصدى/ وأما من جاءك يسعى فأنت عنه تلهى)^(٢٤٧). و(لأذقناك ضعف الحياة/ وضعف الممات)^(٢٤٨). وقد جاءت هذه التقابلات في سياق العتاب من الله عز وجل، وجاءت كذلك في هذا المقام تقابلات تتعلق بمحدث الإفك مثل (لا تحسبوه شراً لكم/ بل هو خير لكم)^(٢٤٩). و(المؤمنون/ والمؤمنات)^(٢٥٠).

وأما في مقام التحليل والتحريم، فقد جاء تقابل واحد يتعلق بزوجاته وهو (لم تحرم/ ما أحل الله لك)^(٢٥١).

وفي مقام العقيدة جاء ثمانان هما: (الله ربنا/ وربكم)^(٢٥٢) و(لنا أعمالنا/ ولكم أعمالكم)^(٢٥٣).

وأما في مجال الحديث عن عيسى ابن مريم عليه السلام، فقد جاءت أربعة تقابلات توزعت على مقامين الأول عن عيسى في الحياة الدنيا والآخرة وهما (وجيهاً في الدنيا/ والآخرة)^(٢٥٤)، والثاني (يكلم الناس في المهدي/ وكهلاً)^(٢٥٥). والمقام الثاني يتعلق بأمر مريم عليها السلام وقد تكرر تقابلان، مثل (ليس الذكر/ كالأنثى)^(٢٥٦).

وأما في مجال الحديث عن موسى عليه السلام، فقد جاء اثنا عشر تقابلاً توزعت على ثلاثة مقامات، الأول ما يتعلق بشخص موسى. والثاني ما يتعلق بأمه عليهما السلام. والثالث يتعلق بابنتيه.

إن المقام الأول بلغت تقابلاته ثمانية تحدثت عنه في الحياة الدنيا، مثل (يضيق صدري/ ولا ينطلق لساني)^(٢٥٧)، ومثل (فأوجس في نفسه خيفة موسى/ قلنا لا تخف)^(٢٥٨)، وفي قصته مع الرجل الذي رافقه في سفره جاء تقابلان هما

(أقتلت نفساً زكية/ بغير نفس)^(٢٥٩) و(من شيعته/ وهذا من عدوه)^(٢٦٠). وقد جاء تقابlan يتعلقان بمعجزة الله فيه، ومنهما (اسلك يدك في جيبك/ تخرج بيضاء من غير سوء/ وأضمم إليك جناحك)^(٢٦١).

وأما المقام الثاني، فجاء بثلاثة تقابلات منها (خفت/ لا تخافي)^(٢٦٢).

وأما المقام الثالث، فقد جاء بتقابل واحد هو (لا نسقي/ حتى يصدر الرعاء)^(٢٦٣).

وأما في مقام الحديث عن يوسف عليه السلام، فقد جاء اثنا عشر تقابلاً توزعت على مقامين: الأول قصته مع إخوته مثل: (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل/ أنا خير المتزلين/ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون)^(٢٦٤). و(فدخلوا عليه فعرّفهم/ وهم له منكرون)^(٢٦٥). والثاني يتعلق بأبيه مثل (إني أعلم من الله/ ما لا تعلمون)^(٢٦٦) و(هل علمتم ما فعلتم بيوسف/ إذ أنتم جاهلون)^(٢٦٧).

وقد ركزت التقابلات على جانب العلم والجهل، وذلك أن قضية يوسف تدور حول معرفة يوسف وأبيه لما فعله إخوته وقد أهدم الله هذا العلم لهما.

وأما في مقام الحديث عن إبراهيم عليه السلام، فقد جاءت أربعة تقابلات توزعت على مقامين: الأول في الدنيا والآخرة، وقد تكررت تقابلاته ثلاث مرات هي (فأوجس منهم خيفة/ قالوا لا تخف)^(٢٦٨). و(اصطفيناه في الدنيا/ وإنه في الآخرة لمن الصالحين)^(٢٦٩). و(وجلون/ قالوا لا توجل)^(٢٧٠). وأما المقام الثاني، فإنه يتعلق بالعقيدة، وقد جاء بتقابل واحد وهو (كيف أخاف ما أشركتم/ ولا تخافون أنكم أشركتم)^(٢٧١).

وأما في مقام الحديث عن سليمان، فقد جاء تقابل واحد يدور حول
تسخير الله عز وجل الرياح له عليه السلام، وهو (ولسليمان الريح غدوها شهر/
ورواحها شهر)^(٢٧٢).

وأما القسم الثاني، فيتحدث عن المؤمنين وأحوالهم، وقد بلغت تقابلاته
ثلاثة وثلاثين تقابلاً، توزعت على أربعة مقامات هي: حالهم في الدنيا والآخرة،
وفي الجنة على وجه الخصوص، ومقام العقيدة، ومقام العمل الصالح.
ففي مقام الحياة الدنيا والآخرة، وردت ثمانية عشر تقابلاً بعضها يتصل
بمعنى رفع الله سبحانه وتعالى شأن المؤمن في الدنيا، مثل: (ونريد أن نمن على
الذين استضعفوا في الأرض/ ونجعلهم أئمة)^(٢٧٣). ومثل (كنتم أعداء/ فألف بين
قلوبكم)^(٢٧٤). و(كنتم على شفا حفرة من النار/ فأنقذكم منها)^(٢٧٥)، وبعضها
يتصل بتحذيرهم من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل (أنزل عليكم من
بعد الغم أمانة)^(٢٧٦)، وبعضها يتصل بالآخرة كحالهم عند قيام الساعة، مثل:
(فصعق من في السموات، ومن في الأرض)^(٢٧٧).

وفي مقام الجنة فقد وردت ثلاثة تقابلات تصف حالهم مثل: (لا
يسمعون فيها لغواً/ إلا سلاماً)^(٢٧٨) و(لهم رزقهم فيها بكرة/ وعشياً)^(٢٧٩).
وفي مقام العقيدة فقد ورد أحد عشر تقابلاً، جميعها يشير إلى أفضلية
المؤمنين بعقيدتهم على غيرهم من الكفار مثل (ما يستوي الأعمى/ والبصير)^(٢٨٠)،
و(ولا الظلمات/ ولا النور)^(٢٨١)، و(ولا الظل/ ولا الحرور)^(٢٨٢)، و(ما يستوي
الأحياء/ ولا الأموات)^(٢٨٣).

وفي مقام العمل الصالح ورد تقابل واحد هو (يدرعون بالحسنة/
السيئة)^(٢٨٤). لا شك في أننا نلاحظ أن مقامي الدنيا والآخرة والعقيدة قد افقا
بمجموع تقابلاتهما المقامات الأخرى ولعل ذلك متأً من ارتباطهما معاً في
تكوين صورة المؤمن الذي صدق بعقيدته فرفعه الله في حياته الدنيا.

بعد أن انتهينا من الحديث عن تقابلات محور الإيمان لابد من العودة ثانية لرصد مجموعاتها من جانبيين - الأول: التقابلات وتوزيع مجموعاتها على أنواع محور الإيمان ومباحثه، والثاني: طبيعة المفردات المتكررة فيها من حيث معجميتها، وذلك حتى نستطيع أن نكمل تصورنا عن تشكيلها النهائي في محور الإيمان.

فأما الجانب الأول، فهو مجموع تقابلات مباحث المحور نرصدها في الجدول الآتي:

رقم المبحث	المبحث	مجموع تقابلات المبحث وتمثالاته	النسبة المئوية
١	العقيدة	٣٧٦	٤٧,٤٢%
٢	المؤمنون والإيمان	١٢٨	٢١,٩٩%
٣	المعاملات	١٠٨	١٨,٥٥%
٤	العبادات	٥٧	٩,٧٩%
٥	الآداب	٩	١,٥٥%
٦	الأخلاق	٤	٠,٧٠%
	المجموع	٥٨٢	١٠٠%

ولا شك في أننا نلاحظ من حيث المجموعات العددية أن ثمة تفاوتاً بين عدد تقابلات كل مبحث وتمثالاته من مباحث محور الإيمان، إذ كان مبحث العقيدة قد أخذ أكبر عدد من المجموع الكلي، فبلغت نسبته ٤٧,٤٢%، ويكاد يصل إلى نصف المجموع الكلي. ويأتي بعده مبحث المؤمنين الذي يأخذ نسبة ٢١,٩٩% وهو يشكل ما يقارب نصف النسبة السابقة، ومن ثم يأتي مبحث

المعاملات ليأخذ نسبة ١٨,٥٥% وهذه نسبة تقترب من نسبة مبحث المؤمنين والإيمان، ومن ثم تتدنى النسب فيأخذ مبحث العبادات نسبة ٩,٧٩% ويتلوه مبحث الآداب الذي يقل أكثر من سابقه فنسبته ١,٥٥% ويقل أخيراً مبحث الأخلاق إذ أخذ نسبة ٠,٧٠%.

ولعل السبب في ارتفاع نسبة العقيدة في محور الإيمان متأًت من طبيعة المحور نفسه، وذلك أنه تحدث، كما لاحظنا في الصفحات السابقة من هذا الفصل، عن تجلية مفهوم الإيمان بالنسبة للمؤمنين جميعاً، وعن كيفية نظرة المسلمين إلى قضية الإيمان في الحياة الدنيا، ولهذا كان من الطبيعي أن ترتفع نسبة تقابلات العقيدة وتمائلاتها التي ترتبط بأهم جزء في حياة الإنسان، وأقصد بالجزء هو العقل الإنساني، فالعقل الإنساني هو محور العمل في الحياة الدنيا، فإذا ما استطاعت الآيات أن توضح له مسوغات الإيمان ومعانيه، فإنه بالتالي يتقبل فكرة الإيمان.

والعقيدة هي المهمة في طرح قضية الإيمان أمام العقل الإنساني، ومن هنا جاءت التقابلات والتمائلات بنسبة عالية لترسخ معنى العقيدة ومجالاتها أمام عقل المؤمنين.

ولا شك في أن الجانب الثاني الفعال من محور الإيمان هو العنصر الإنساني الذي يتمثل في المؤمنين على اختلافهم، سواء أكانوا من الرسل أم من سائر المؤمنين، وذلك أن آيات القرآن الكريم تخاطب، على وجه الخصوص من هذه الشريحة من الناس، فكان من الطبيعي أن ترتفع نسبة التقابلات التي تخاطب المؤمنين.

ومن المدهش أن تقترب نسبة تقابلات مبحث المعاملات وتمثالاته من مبحث المؤمنين والإيمان، ولكن هذه الدهشة تزول إذا ما نظرنا من زاوية خاصة إلى المعاملة القائمة في الأساس على مفهوم العقيدة من حيث الإيمان بالله وحده وبرسوله وبكتبه، وذلك أن المعاملات ركن أساسي من أركان الحياة الدنيا التي تنتظم بها حياة المجتمع الإسلامي سواء من حيث الكيان السياسي والعسكري أو من حيث تنظيم العلاقات الأسرية والعلاقات الفردية بين أفراد المجتمع فالمعاملات تقوم أساساً على هذه الجوانب، فهي جوانب عملية تلازم حياة الإنسان المؤمن فتتظم علاقاته وتجعل له شخصية اجتماعية ودينية مميزة من غيره من أصحاب الديانات الوثنية أو من أهل الكتاب الذين لم يتمسكوا بأصول دينهم وابتعدوا عن الإسلام، من هذه الزاوية ننظر إلى المعاملات على أنها أساسية في تمييز المؤمنين من غيرهم. وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمضمون العقيدة، وذلك أنه إذا خبا دور العقيدة في المجتمع الإسلامي تنحل جوانب المعاملات فيحتل المجتمع بأكمله، فمن هنا، كما يبدو، جاءت التقابلات بنسبة قريبة من مبحث المؤمنين والإيمان.

والواقع أن مبحث العبادات الذي جاء بنسبة تقابلات وتمثالات متدنية بالقياس لنسبة تقابلات المباحث السابقة وتمثالاتها لا يعني أنه أقل أهمية منها، ولكن نظرة شمولية للموضوع تكشف عن مؤشر مهم في هذا الشأن، وذلك أن المباحث السابقة أساسية في موضوع الإيمان من حيث إن العقيدة تعد أساس التكوين الديني والاعتراف بوجود الله ووحدانيته، ومن حيث إن المجتمع الإسلامي يحتضن مفهوم العقيدة ويعمل به، ولعلنا ندرك أن هذه الجوانب هي شؤون عامة وأساسية تمهد لأمر فردية خاصة يمارسها الفرد المؤمن بنفسه كالعبادات التي هي مكمل مهم للمباحث السابقة، فمن جهة العموم

والخصوص جاءت نسبة العبادات متدنية بالنسبة للمباحث الأولى، فالعبادات تتصف بالخصوصية الفردية وكذلك الأمر بالنسبة للآداب والأخلاق. وأما المباحث الأولى فهي تتصف بالعمومية التي تدور في فلكها العبادات والآداب والأخلاق.

وأما الجانب الثاني، وهو معجمية مفردات التقابلات والتماثلات الواردة في آيات القرآن الكريم الخاصة بمحور الإيمان، فقد نظرت فيه إلى التقابلات والتماثلات نظرة مختلفة عما فعلته فيما سبق في محور الإيمان. إذ كنت دائماً أتحدث عن المفردتين المتقابلتين أو التماثلتين معاً في كل مبحث، أما هنا، فإنني سأفصل بين المفردات وأجعل كل مفردة قائمة بذاتها، وبالتالي أجمع كل مجموعة من المفردات وأضعها تحت كلمة أو مفردة عامة بحيث تشمل عدداً كبيراً من المفردات. وما صنعت هذا الصنيع إلا لأبحث عن توجهات مفردات تقابلات محور الإيمان وتماثلاته ولرؤية حركة المعنى التي تدور في محور الإيمان؛ وذلك لأن الخواص المعجمية للمفردات تعطي مؤشرات حقيقية للمعاني، يقول الدكتور محمد عبد المطلب: "إن التدقيق في خواص المعجم اللغوي عند الشاعر يكشف عن كثير من اتجاه حركة المعنى داخل الأبيات، كما يكشف عنها داخل المحور الذي تدور فيه، وفي نفس الوقت إلى اتصال المعنى بالعناصر التي تحيط بالشاعر على اختلافها"^(٢٨٥).

وقد قمت برصد المفردات التي تجمعت تحت مفردة واحدة، ولم أرصد البقية التي لا تنتمي بنفسها إلى مجموعة معينة، ولذلك فإنني أرصد هذه المجموعات في الجدول الآتي مبيناً عددها ونسبتها المئوية بالنسبة للمجموع الكلي:

الرقم	معجم المفردات	عددھا	نسبتها المئوية
١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإيمان	٢٦٤	%٢٥,٤١
٢	ألفاظ تنتمي إلى معنى الكفر	١٢٢	%١١,٧٤
٣	ألفاظ الأرض	٨٥	%٨,١٨
٤	ألفاظ السماء	٨٥	%٨,١٨
٥	ألفاظ الحياة	٥٥	%٥,٢٩
٦	ألفاظ الموت	٤٩	%٤,٧٢
٧	ألفاظ تنتمي إلى الحياة الدنيا	٤٥	%٤,٣٣
٨	ألفاظ تنتمي إلى الأنوثة	٤٣	%٤,١٤
٩	ألفاظ تنتمي إلى الذكورة	٤٠	%٣,٨٥
١٠	ألفاظ تنتمي إلى النهار	٣١	%٢,٩٨
١١	ألفاظ تنتمي إلى الليل	٣١	%٢,٩٨
١٢	ألفاظ تنتمي إلى العلم والمعرفة	٢٧	%٢,٦١
١٣	ألفاظ تنتمي إلى الإظهار	٢٤	%٢,٣١
١٤	ألفاظ تنتمي إلى الإخفاء	٢٤	%٢,٣١
١٥	ألفاظ تنتمي إلى الحياة الآخرة	٢١	%٢,٠٢
١٦	ألفاظ تنتمي إلى الجنة	١٧	%١,٦٤
١٧	ألفاظ تنتمي إلى الجهل	١٧	%١,٦٤
١٨	ألفاظ تنتمي إلى العذاب	١٦	%١,٥٤
١٩	ألفاظ تنتمي إلى المغفرة	١٦	%١,٥٤
٢٠	ألفاظ تنتمي إلى الطهارة	١٥	%١,٤٤
٢١	ألفاظ تنتمي إلى النجاسة	٩	%٠,٨٧
٢٢	ألفاظ تنتمي إلى النار	٤	%٠,٣٨
	المجموع	١٠٣٩	%١٠٠

لعلنا نلاحظ أن ألفاظ الإيمان قد أخذت ما نسبته ربع المجموع الكلي للألفاظ على اختلاف (مفردات معجمها) ويبدو لي أن ارتفاع هذه النسبة جعلها منسجمة والموضوع الذي وردت فيه وهو محور الإيمان؛ وذلك لأن هذا المحور اعتمد بشكل رئيس على محاولة التأثير بالمتلقي (المؤمن) من خلال طرح ألفاظ كثيرة تكشف عن معاني الإيمان المختلفة، كما رأينا في مباحثه، ولذا كان من الطبيعي أن تنخفض نسبة الألفاظ التي تنتمي إلى الكفر بما مقداره نصف النسبة السابقة. إلا أن ألفاظ الكفر تشكل نسبة عالية بالقياس إلى غيرها من الألفاظ، ولعل السبب في تردد ألفاظ الكفر بهذه النسبة في محور الإيمان متأ من سبين: الأول- طبيعة التكوين الأسلوبى للتقابلات والتماثلات التي كانت تقوم في معظم علاقاته على علاقة التضاد بإيراد كلمة من الإيمان وأخرى من الكفر وأما السبب الثاني فإن ألفاظ الكفر تؤدي دور الإثارة بالنسبة للمتلقى المؤمن إذ تبدي هذه الكلمة مشاعر الخوف والرفض في الوقت نفسه، فالمؤمن الذي يعتقد بوحدانية الله سبحانه وتعالى يطمئن إلى ألفاظ الإيمان ومعانيها، وينفر من ألفاظ الكفر ومعانيها خوفاً من الدخول في الكفر، وبالتالي فإن فكرة الإيمان هي التي تثبت وترسخ في قلبه، ومن هنا جاء ارتفاع نسبة ألفاظ الكفر بالقياس إلى الألفاظ الأخرى.

ولا شك في أن الملاحظة الثانية على معجم مفردات التقابل هي النسبة المئوية المتساوية بين ألفاظ السماء وألفاظ الأرض، ولعل السبب في ذلك أن هذه المفردات لا تدخل في صميم حركة المعنى بمحور الإيمان، ولذلك جاءت متوازية، ولكن دورها كان فعالاً في تجلية معنى الإيمان في كثير من مباحثه، وما ذلك إلا لأنها تشكل جزءاً من الدليل القاطع الذي يعتمد عليه المؤمن بإثبات حقيقة الوجود الإلهي، وبالتالي القدرة الإلهية التي خلقت هذا الكون، مما يؤدي إلى أن تكون السماء والأرض أداتين لإثبات أنهم على حق في عبادتهم ومعتقدهم.

وتكاد ألفاظ الموت وألفاظ الحياة تقترب من بعضها بعضاً من حيث النسبة المئوية وهي، كما أرى تشترك مع ألفاظ السماء والأرض من حيث الوظيفة التي تؤديها في حركة المعنى لمحور الإيمان، وما ذلك إلا لأن فعل الموت وفعل الحياة ينتميان إلى قدرة الخالق الذي يؤمن به المؤمنون، وبالتالي تصبح أداة أخرى بأيدي المؤمنين لتدل على أنهم على حق في توحيدهم الله عز وجل.

وكما نلاحظ من الجدول أيضاً تقارب النسبة المئوية بين ألفاظ الذكورة وألفاظ الأنوثة التي تشكل بعداً أساسياً في محور الإيمان، وذلك من خلال البعد الإنساني للمجتمع الإسلامي الذي يقوم على ثنائية الذكر والأنثى، إذ إن هذا التقارب في النسب بين الطرفين يشير إلى الاهتمام المتساوي بالذكر تماماً كما هو بالأنثى، ولا شك في أن هذا يجسد عمق معنى الإيمان في الجانب الإنساني.

ونلاحظ أيضاً تساوي النسبة المئوية بين ألفاظ الليل وألفاظ النهار، ولعل هذا يدخل في صميم الوظيفة التي أدتها ألفاظ السماء والأرض والحياة والموت، كما رأينا، فالليل والنهار هما ثنائية كونية لا يستطيع الإنسان أن يتحكم بهما، ولذلك فهما أداتان بيد المؤمن لتبرير إيمانه وتوحيده الله، وعلاوة على ذلك فهما مسرحاً لممارسة المسلم عباداته ودعوته إلى الله تعالى.

والواقع أن النسب المئوية بعد ذلك تأخذ بالتدني، في المجموعات المتماثلة في النسب وهي ألفاظ العلم والمعرفة، والإظهار، والإخفاء والحياة الآخرة، ويبدو لي أن تقارب هذه الألفاظ مؤشر إلى الدور الذي تأخذه هذه الألفاظ، وهو أنها تشكل بعداً مؤثراً في حركة المؤمن في الحياة الدنيا بحيث يظل مرتبطاً بالإيمان ومجالاته وخصوصاً إذا ما عرفنا أن معظم هذه الألفاظ تعود إلى حصر العلم بالله عز وجل، سواء أكان هذا العلم عاماً، كأن تكون (إن الله يعلم كل شيء) وإما خاصاً كأن تشير إلى علم الله الظاهر والباطن، وارتباط الآخرة بقدرة الله وعذابه وتوابه، فهذه الألفاظ تشكل رادعاً للإنسان المؤمن حتى لا يتجاوز الإيمان بمعانيه وممارساته.

وإذا ما رحنا نوازن بين الألفاظ المتقابلة معجمياً في سائر المجموعات فإننا نجد ثمة تساوياً بين ألفاظ العذاب وألفاظ المغفرة لدى المتلقي المؤمن، وذلك لأنها تشكل الحافز على محافظة المؤمن على عقيدته وإيمانه بالله الواحد الذي يحاسب الإنسان على كل شيء يفعله في الحياة الدنيا.

ويبدو أن ألفاظ الطهارة قد زادت في نسبتها على ألفاظ نقيضتها وهي النجاسة، ولعل ذلك متأت من أن حياة المؤمن تقوم أساساً على الطهارة ونبذ النجاسة بجميع أشكالها، ولكن وجود ألفاظ النجاسة مؤشر إلى توضيح ماهية الطهارة التي يتطلبها الإيمان.

ومن المدهش في هذا الجدول أننا نلاحظ الفارق الكبير بين نسبة ألفاظ الجنة التي بلغت ١,٦٤% وبين نسبة ألفاظ النار التي بلغت ٠,٣٨% ولعل هذا يدل على أن الآيات قد توجهت نحو الجنة التي يمنحها الله عباده المخلصين، ويبدو لي أن هذا متأت من زاوية الترغيب بالإيمان، ولو رجعنا قليلاً إلى ألفاظ المغفرة وألفاظ العذاب التي تساوت في النسبة المئوية، لوجدنا ثمة فرقاً بين الجنة والنار، ولعل هذه الفكرة تدور في الذهن بسبب أن العذاب ينتمي إلى فئة النار وأن المغفرة تنتمي إلى فئة الجنة والواقع أن الأمر يختلف هنا في هذا المقام. وذلك أن ألفاظ العذاب وألفاظ المغفرة يعتمد إيقاعها على المؤمن بوصفها العمل في الحياة الدنيا الذي عمله المؤمن في الماضي والذي قد يعمل في المستقبل في حين إن ألفاظ الجنة وألفاظ النار هي وصف لمصير الإنسان بعد الموت، أي بعد أن يكون قد عمل الأعمال الصالحة منها والفسادة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن تصوير الآيات الكريمة للجنة كان للتأثير في المتلقي بحيث تكون حافزاً للعمل الصالح، وتصويرها للنار كان للتأثير عليه بحيث يكون رادعاً عن العمل الفاسد والفساق، فالجنة نتيجة للأعمال التي تترتب عليها المغفرة، والنار نتيجة للأعمال التي يترتب عليها العذاب.

ثانياً - محور الكفر:

إن محور الكفر هو المحور الثاني من محاور القرآن الكريم التي عنيت ببحثها ودرسها، وقد جاءت تقابلات وتماثلات كثيرة في آياته تتصل اتصالاً مباشراً بمعاني الكفر وأقسامه، وقد قسمت هذا المحور ثلاثة أقسام هي: عناصر الكفر، ووسائل دعوة الكافرين إلى الإيمان، والكافرون والكفر. وحتى ندرك أبعاد كل قسم منها، وتشكيل تقابلاته وتماثلاته فيها، نتحدث عن كل قسم على حدة.

١ - عناصر الكفر:

لقد تعددت التقابلات والتماثلات في هذا القسم، إذ بلغت مائة وواحداً وثلاثين تقابلاً وتماثلاً، وتوزعت على عدد من العناصر وهي: إثبات كفر الكفار. وتكذيبهم الرسل وتكذيبهم الكتب، وإنكارهم البعث والحساب، وأخيراً ادعاؤهم بما لم يأت به الله سبحانه وتعالى.

فأما عنصر إثبات كفر الكفار فقد بلغت تقابلاته ثمانية وخمسين تقابلاً وتماثلاته ثلاثة، وقد توزعت على مجالين: الأول يصور الكفار بأنهم يقبلون على عبادة غير الله، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٢٨٦). إن التقابل في هذه الآية بين الاستبشار والاشتمزاز، إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الأول يعني أن يمتلئ قلب الكافر سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل، وأما الثاني، فهو أن يمتلئ قلبه غمماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه^(٢٨٧). وقد وردت تقابلات أخرى في هذا المجال، مثل: (إذا ذكروا/ لا يذكرون)^(٢٨٨) و(يستمعون/ ولا يعقلون)^(٢٨٩) و(من ينظر/ لا يبصرون)^(٢٩٠).

وأما المجال الثاني، فهو يشير إلى أن الكفار قد اختاروا الكفر بمحض إرادتهم، وأصروا على ذلك فزادهم الله ضلالة وكفراً. وتشير تقابلاته إلى معنى الاختيار، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢٩١). وإلى معنى زيادة ضلالتهم، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٢٩٢). وتوجه تقابلات هذا المجال إلى إثبات أن الكفر والشرك أمران باختيار الإنسان وليساً أمرين توقيفيين.

وأما عنصر التكذيب بالرسول، فقد بلغت تقابلاته ستة عشر تقابلاً وتمثالاته أربعة، وتوجهت إلى توضيح أبعاد تكذيب الكفار بالرسول، وبرسالاتهم سواء بالاستهزاء منهم كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢٩٣) أم بالعداء لهم كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي مَلِئْنَا فَاوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٩٤) أم بالتكذيب المباشر، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(١٥) ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(١٨٦) ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢٩٦). أو يطلبون منهم أن تنزل الملائكة^(٢٩٧).

فكما نلاحظ كانت تقابلات المقام الأول تكذيب الرسل أكثر من تقابلات المقام الثاني، ولعل ذلك متأث من حقيقة كفر المشركين بالرسالات السماوية التي تتضمن إعراضهم عنها في الأصل إذ لا يريدون أن يعترفوا بها، وبالتالي يؤمنون برسول الله ولذلك من الطبيعي أن يطلبوا المعجزات والملائكة حتى لا يبقى مجال لهم ولأتباعهم للإيمان بمؤلاء الرسل.

والواقع أن تقابلات هذا العنصر قد جاءت بألفاظ مختلفة تنتمي إلى أكثر من مجال أرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	مجموعها
١	إثبات الكذب ونفي الصدق	٣
٢	إثبات الكفر ونفي الحق	٣
٣	المعجزات بشكل عام/ والملائكة	٣
٤	إثبات الكذب وإثبات الصدق	٢
٥	العداء: إخراج الأنبياء/ أو عودتهم للكفر	٢
٦	الاستهزاء بالرسل	٢
٧	الدعوة إلى العبادة/ إعراضهم عنها وتكذيبهم	١
٨	الجن والإنس	١
٩	منذر/ هاد	١
١٠	بين أيديهم/ من خلفهم	١
	المجموع	١٩

لاشك في أننا نلاحظ من الجدول أو ألفاظ الكذب ونفي الصدق، وإثبات الكفر ونفي الحق، وألفاظ المعجزات والملائكة تتساوى في المجموع وهذا

يأتي منسجماً مع الموضوع، إذ إنه يثبت تكذيب المشركين الرسل من خلال أقوالهم وأفعالهم ومن ثم من خلال ما يطلبونه من معجزات وملائكة، ولا تقل الألفاظ التي جاءت بعد ألفاظ التكذيب والكفر أهمية عن هذه الألفاظ، إذ إن ألفاظ إثبات الكذب وإثبات الصدق المنافي لألفاظ الأولى وألفاظ العداء والاستهزاء جميعاً تؤدي الدور الذي أخذته المجموعة الأولى، وذلك أنها تجلي موقف الكفار من الرسل فهم يستهزئون بهم ويكذبونهم.

وأما العنصر الثالث وهو التكذيب بالكتاب، فقد بلغت تقابلاته تسعة عشر تقابلاً وتمثالاته ستة، وقد تحدثت عن جانبين مهمين في هذا العنصر أما الأول فهو صورة تكذيب الكفار بالكتاب، إذ بلغت تقابلاته ثمانية عشر تقابلاً، جاء بعضها يكشف عن تكذيبهم وعدم إيمانهم به وبآياته، كقوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٩٨). فالكفار في حقيقتهم يكذبون القرآن تكديباً نابعاً من هواهم،

ومخالفة الحقائق التي يدركونها، سواء كان ذلك بعلمهم بحقيقته كما في الآية السابقة أم بغير علم بها كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩٩). وثمة صورة أخرى لتكذيبهم والافتراء على الكتب السماوية كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قِرَاطِيسٍ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٣٠٠). فالكفر

بالكتاب هو بإظهار بعض ما جاء فيها وإخفاء بعضها الآخر، وذلك إخفاء

للحقائق الإلهية، ومن صور التكذيب أيضاً الاستهزاء بالكتب كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ﴾ (٣٠١).

وقد اختلفت ألفاظ المفردات في هذا المقام كما في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	مجموعها
١	إثبات التكذيب	٣
٢	إثبات الإيمان ونفيه	٢
٣	تبدون/ تخفون	٢
٤	آتيناهم بآياتنا/ أعرضوا عنها	٢
٥	إثبات الكذب/ إثبات الحق	١
٦	أثت بقرآن أو بدله	١
٧	إثبات النار/ وإثبات الجنة	١
٨	أعجمي/ وعربي	١
٩	نفي التكذيب وإثباته	١
١٠	بكرة/ وأصيلاً	١
١١	إثبات الكفر	١
١٢	إثبات الإيمان/ ونفي الشرك	١
١٣	إثبات القرآن/ إثبات الكفر	١
	المجموع	١٨

نلاحظ أن مفردات التقابلات والتماثلات قد توجهت إلى إثبات معنى تكذيب الكفار بآيات القرآن الكريم، وذلك من خلال ألفاظ التكذيب والكفر التي بلغت اثني عشر تقابلاً من المجموع الكلي البالغ ثمانية عشر، وهذا مؤشر إلى موقف الكفار من القرآن.

وأما الجانب الثاني من تكذيب الكفار بالقرآن، فهو متعلق بالجانب الأول من حيث نقضه وإثبات صدق ما جاء به الرسول في كتابه، وقد جاءت سبعة تقابلات هنا تشير إلى صحة القرآن وأنه مترل من الخالق عز وجل، وقد أشارت آياتها إلى أن القرآن لا يدخله الباطل، كقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٣٠٢)، وقد جاءت ألفاظ التقابل هنا لتثبيت هذه الصحة، ويمكننا أن ندركها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	مجموعها
١	نفي الكذب/ وإثبات الصدق	٢
٢	إثبات الإيمان ونفيه	١
٣	أن يأتوا/ لا يأتون	١
٤	من بين يديه/ ولا من خلفه	١
٥	لم تفعلوا/ لن تفعلوا	١
٦	قول فصل/ ما هو بالهزل	١
	المجموع	٧

إن هذه المفردات جميعاً تشير إلى تأييد ما جاء بالقرآن من جهة، وجاءت تتحدى المشركين بأن يأتوا بمثله فأشارت إلى أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك.

وأما العنصر الرابع وهو إنكار يوم الآخرة وما فيه من البعث والحساب، فقد بلغت تقابلاته ثمانية عشر تقابلاً، جاءت لتؤكد أن الكفار ينكرون البعث بعد الموت في الحياة الدنيا، وقد جاءت التقابلات في هذا المعنى بما مجموعه اثنا عشر تقابلاً، كقوله تعالى: ﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿ ٣٧ ﴾. وقد عبرت هذه الآيات عن مضمون كثير من الآيات القرآنية الواردة في هذا الجانب فجميعها يثبت أن الكفار قد أنكروا يوم الآخرة والبعث والحساب. ولكن ثمة آيات أخرى جاءت لتؤكد لهم البعث والحساب والعذاب يوم القيامة، وقد بلغت تقابلاتها خمسة، كما في قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ ٣٠٤ ﴾.

لا شك في أن كثرة التقابلات في مقام إنكار البعث مؤشر إلى إصرار الكفار على إنكار البعث يوم القيامة، وهذا نابع من مواقفهم السابقة من إثبات كفرهم وتكذيب الرسل وتكذيب الكتب، ويبدو أن آيات الكتاب العظيم لم تلح على إقناع هؤلاء بالبعث نتيجة موقفهم الذي اتخذوه من إنكار مطلق للبعث، وذلك أنهم ينطلقون من موقف المعرض عن الإيمان ولو ثبتت صحته، وتشير الآية الكريمة الآتية إلى هذا المضمون، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿ ٣٠٥ ﴾، فتأكيد البعث وإثباته لهم لن يجد منهم سوى نعتة بالسحر كما نعتوا الكتاب

السماعي بين أيديهم بأنه سحر لا حقيقة، ومعظم ألفاظ التقابلات هنا تشير إلى ثنائية (الموت/ والبعث)، وقد ترددت أربع عشرة مرة في حين ترددت تقابلات أخرى مثل الإيمان والكفر مرة واحدة. والوعظ وعدم الوعظ مرة واحدة. ولاشك في أن تفوق ثنائية (الموت/ والبعث) ينسجم مع إنكار البعث هنا.

وأما العنصر الأخير وهو الكذب على الله بأقوالهم، فقد بلغت تقابلاته سبعة تقابلات، تحدثت عن افتراءاتهم في التحليل والتحريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْرَبُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾^(٣٠٦)، أو في تحريف القول وتبديله، كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرُ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لَبًّا بِالْأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَّوْهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَاَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣٠٧). أو ادعاء النبوة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ﴾^(٣٠٨).

بعد هذه النظرة التفصيلية لتقابلات عناصر الكفر ومآلاته فلننظر إليها نظرة عامة وشاملة من خلال الجدول الآتي:

الرقم	عناصر الكفر	مجموع تقابلاتها	مجموع تماثلاتها
١	إثبات الكفر	٥٨	٣
٢	تكذيب الكتاب	١٩	٦
٣	إنكار الآخرة والبعث والحساب	١٨	-
٤	تكذيب الرسل	١٦	٤
٥	الافتراء على الله بالأقوال	٧	-
	المجموع	١١٨	١٣

لا شك في أننا نلاحظ ارتفاع عدد تقابلات العنصر الأول والعنصر الثاني بالقياس لبقية العناصر، إذ زادت نسبتها عن النصف من مجموع التقابلات الكلي، ولعل ذلك متأً من أن طبيعة الكفر عند الإنسان تعتمد أولاً على استعداداته وميوله في التوجه نحو الكفر. وهذا ينعكس بالتالي على إصراره على تكذيب الكتب السماوية، وتدعم التماثلات التي ارتفعت نسبتها مقابل التقابلات في هذا المعنى؛ ولذلك دارت آيات القرآن الكريم وتقابلاتها في الحديث عن هذين الجانبين المتصلين بالكفار اتصالاً قوياً من حيث سلوكهم العقلي الذي يتصف بالتكذيب والإنكار لكل كتاب يحاول أن يثنيهم عن كفرهم.

ولا شك في أن العناصر الباقية تتصل بالعنصرين الأول والثاني، فما جاء من تكذيب الرسل وعدائهم، وإنكار الآخرة والبعث، ومن ثم الافتراء على الله بأقوالهم ينبع من الموقف الأساسي وهو إثبات الكفر بتكذيبهم بحقيقة الله وبكتابه، وذلك أن هذا الموقف ينتج عن أنواع التكذيب والإنكار في العناصر الأخرى.

٢- وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان:

تنوعت الوسائل التي جاء بها القرآن الكريم يدعو بها الكفار إلى الإيمان بالله وحده دون الإشراف به، وقد بلغت تقابلاتها وتماثلاتها مائة وسبعة وستين تقابلاً. أتحدث فيما يأتي عن كل وسيلة على حدة.

الوسيلة الأولى:

إن هذه الوسيلة نابعة من دور الرسل في تبليغ الرسالة، وذلك بدعوة الكفار إلى الإيمان، وقد بلغت التقابلات في هذا المقام ستة عشر تقابلاً، انطلقت من طبيعة المهمة الدينية للرسل وهو تبليغ الكفار، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ ^(٣٠٩). وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ ^(٨) ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ ^(٣١٠). ولا شك في أن هذه الآيات بتقابلاتها تشير صراحة إلى طريقة الدعوة إلى الإيمان، وذلك من خلال قسمة اليوم النهار والليل، ومن خلال طريق الدعوة جهراً وسراً، وما هذا إلا محاولة لإقناع الكفار بالعدول عن كفرهم واتباع ما جاء به الرسل من الإيمان بالله. وقد تنوعت مضامين دعوتهم لهؤلاء الكفار، إذ كانت تدعوهم الآيات إلى عبادة الله وحده والابتعاد عن الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ^(٣١١) وتدعوهم إلى إطاعة الرسول والتوبة عما يفعلون، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣١٢) ولكن كان للكفار موقف إزاء هذه الدعوة بأنهم لم

يتبعوا الرسل، وإنما أصرروا على عبادة الأوثان التي عبدها آباؤهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لُؤْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣١٣).

وقد تشكلت ألفاظ التقابلات هنا بمجموعات متقابلة من الألفاظ نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	إثبات الإيمان/ ونفي الشرك	١١
٢	ليلاً/ ونهاراً	١
٣	أعلن/ أسر	١
٤	أحل/ حرم	١
٥	ما ظهر/ ما بطن	١
٦	بين أيديكم/ من خلفكم	١
	المجموع	١٦

لا شك في أن هذه النسبة المرتفعة لثنائية (الإيمان/ والشرك) تدل دلالة قاطعة على اهتمام آيات القرآن الكريم بدعوة الكفار إلى الإيمان بالله وحده ونبذ عبادة الأوثان والشرك به سبحانه وتعالى.

الوسيلة الثانية-

إن الوسيلة الثانية هي دلالة وجود الله ووحدانيته والبرهان عليها بالقدرة الإلهية، وقد بلغت تقابلاتها مائتين وثمانلاثها خمسة. وقد جاءت موزعة على أربعة مجالات، هي:

المجال الأول- هو القدرة الإلهية المطلقة، وقد بلغت تقابلاته ثلاثة تقابلات تشير إلى القدرة الإلهية بشكل عام، هذه القدرة التي يتصف بها الخالق دون خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣١٤) فمشيئة الله صفة خاصة به يتفرد بها ولا يتصف بها الكافرون والخلق الآخرون بالتالي. وكذلك تشير إلى أنه قادر على كل شيء لا يعجزه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾^(٣١٥) وأما هذه القدرة فإن الله إن أراد سوءاً فإنه لا يرد من غيره، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٣١٦).

والمجال الثاني- هو دلائل القدرة الإلهية على الخلق، وقد بلغت تقابلاته اثنين وسبعين تقابلاً وتمائلاته تمائلاً واحداً وتوزعت على مقامين: الأول القدرة الإلهية على خلق الكون ومظاهره، وقد بلغت تقابلاته اثنين وأربعين تقابلاً انحصرت في تبيان قدرة الله على خلق (السموات) و(الأرض)^(٣١٧)، وذلك أنهما دليلان يدلان على وجوده وعلى قدرته وعلى خلقه لـ(الليل) و(النهار)^(٣١٨)، وتعاقبهما وتداخلهما، وعلى خلق (الظلمات) و(النور)^(٣١٩)، وذلك أن هذه آيات تدل على وجوده وقدرته على الخلق وبالتالي تدلان على توحيده.

وأما المقام الثاني، فيتعلق بخلق الإنسان من حيث تكوينه وإماتته وإحياؤه، وقد بلغت تقابلاته واحداً وثلاثين تقابلاً توزعت على أصل تكوين خلقه من التراب، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ﴾ (٢٢٠) أو كخلقه ضعيفاً ومن ثم وضع فيها القوة بمشيئته، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِّن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٢٢١) وتوزعت التقابلات أيضاً على قدرته على إماتة الإنسان وإحيائه، وقد بلغت التقابلات هنا ستة وعشرين تقابلاً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُم ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٢٢).

وقد جاءت ألفاظ التقابلات هنا تدور حول هذه الثنائية بحيث أخذت ثنائية (الموت/ والحياة) اثنين وعشرين تقابلاً في حين أخذت ثنائية (لا تستأخرون/ ولا يستقدمون) أربعة تقابلات. ولا شك في أن هذا العدد المرتفع للتقابلات بالقياس لتقابلات أصل الإنسان وتكوينه يشير إلى اهتمام الآيات الكريمة بإقناع الكفار بالحدث الذي يرونه أمام أعينهم، وهو حدث الموت والحياة. فالله هو الذي يحيي ويميت، وهو كذلك الذي يضع أجلاً لموت الإنسان لا يتأخر ولا يتقدم.

والحال الثالث - هو مظاهر القدرة الإلهية، وما أعنيه بالمظاهر هو الجوانب التي تدل على قدرة الله عز وجل مما يتصل بالإنسان ويحيط به، وذلك

مثل قدرته على التفضل بنعمته على الخلق، وقدرته على خلق الهداية والضلالة، وقدرته على العذاب، ومن ثم قدرته على إحقاق الحق وإبطال الباطل. وقد بلغت تقابلات هذا المجال اثنين وتسعين تقابلاً، وثمانياته ثلاثة.

وأبدأ حديثي عن تقابلات المظهر الأول وهو قدرة الله على التفضل بنعمه على خلقه، وقد بلغت تقابلاته اثنين وستين تقابلاً. وقد تنوعت النعم في هذا المجال، فمنها نعمه على الإنسان من حيث شكله الحسن كما في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٣٢٣﴾﴾
ومنها أيضاً تفضل الله سبحانه وتعالى بإرزاق الناس في الأرض من حيث المأكل والتجارة، والرزق بصورة عامة، وقد بلغت التقابلات هنا ثلاثة عشر تقابلاً، وقد اختلفت مفرداتها^(٣٢٤)، وحتى ندركها نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	يسط الرزق/ ويقدر	٥
٢	الطعام	٣
٣	يرزقكم من السماء والأرض	٢
٤	أطعم/ وآمن	١
٥	رحلة الشتاء والصيف	١
٦	يهب ذكوراً وإناً	١
	المجموع	١٣

إننا نلاحظ هنا أن الآيات كانت تركز على مطلق معنى كلمة القدرة الإلهية على الرزق، سواء أكان كثيراً أم قليلاً ثم اهتمت بعد ذلك بالطعام وبعدها

بالرزق من السماء والأرض. ولعل هذا نابع من طبيعة الدعوة إلى التوحيد التي أرادت أن تقنع الكفار بأن الرزق بشكل عام من الله فبيده كل مفاتيح الرزق للناس جميعاً.

ومن دلائل فضله كذلك نعمة التنقل في الأرض، وقد جاءت في هذا المقام أربعة تقابلات تشير إلى وسيلة النقل وهي الحيوان^(٣٢٥) الذي يسهل على الإنسان الوصول إلى أماكن لم يكن بمسقطه أن يصل إليها إلا بشق الأنفس^(٣٢٦).

ومن أنواع النعم كذلك الماء والنبات، وقد جاء هنا ثلاثة عشر تقابلاً تشير إلى هذه النعمة ابتداء من إنعام الله على الإنسان بالماء الذي أحيا به الأرض بعد موتها^(٣٢٧)، وخلق المزروعات به^(٣٢٨)، وانتهاء بجعله للناس شراباً^(٣٢٩)، وقد اختلفت مفردات التقابل هنا، ونبين هذا الاختلاف في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	أحيا بالماء النوى الميت	٤
٢	أحيا بالماء الأرض بعد موتها	٤
٣	ألفاظ الزروع والنبات	٣
٤	يريككم البرق خوفاً وطمعاً	١
٥	أصبح ماؤكم غوراً/ من يأتيكم بماء معين	١
	المجموع	١٣

لا شك في أننا نلاحظ أن التقابلات هنا تركز على الإحياء بعد الموت فيما يتعلق بالنبات والأرض، وذلك أن إحياء الأرض هو إحياء للنبات، وفي هذه التقابلات دلائل قاطعة للكفار على وحدانية الله وقدرته على تفضله عليهم. ومن أنواع نعمه أيضاً هو خلق الليل والنهار، وجعلهما متصلين بسعيه لكسب الرزق وراحته^(٢٣٠)، وقد بلغت التقابلات هنا أربعة عشر تقابلاً تضمنت مفردتي (الليل/ والنهار).

ومن أنواعها أخيراً فضل الله على الإنسان بخلقه السماء والأرض وما يتصل بهما من عناصر كونية مثل النجوم^(٢٣١)، والظلال^(٢٣٢)، وقد جاء ثلاثة عشر تقابلاً. وقد كان معظم مفردات التقابل هنا بين مفردتي (السماء) و(الأرض) التي تبين أنهما سخرتا للإنسان نزلاً ومأوى ومسعى للرزق^(٢٣٣).

وأمام هذه النعم الكثيرة التي تفضل الله بها على الناس جميعاً يقف الكفار منكرين لها ومعرضين عن الإيمان بخالقها. كما تشير الآية الكريمة: {والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبان أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون}^(٢٣٤)، فهؤلاء بعد ما تبين لهم نعم الله عليهم كفروا به، وآمنوا بأصنامهم وأوثانهم، وقد زادوا على ذلك أنهم حرموا ما حلال الله وحلّلوا ما حرم الله، قال تعالى: ﴿قُلْ

أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلِ اللَّهُ أُذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^(٢٣٥). ويبين الله عز وجل أن هذه النعم جاءت لتقنع الكفار بوجود

الله وبوحدانيته يقول: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾^(٢٣٦) ٨١ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وأما المظهر الثاني، فهو قدرة الله على خلق الهداية والضلالة، وقد بلغت التقابلات هنا أحد عشر تقابلاً، وتتناول آيات الكتاب العظيم موضوع الهداية والضلالة هنا من ثلاثة جوانب: الأول- أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الضلالة والهداية وجعلهما في الحياة الدنيا لمن يريد أن يختار إحداهما ويترك الأخرى. وقد جاء هذا التخيير في سياق الآيات التي تصف عناد الكافرين وإصرارهم على كفرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٣٧). وأما الجانب الثاني، فهو يشير إلى اختيار الكفار الضلالة على الهدى، وبالتالي تخبرهم الآيات بأنه من يضل الله فلن يجد من يهديه (٣٣٨). وأما الجانب الثالث، فيشير إلى أن ضلالة الكفار كانت نتيجة اتباعهم الشياطين الذين زينوا الضلالة (٣٣٩).

والواقع أن مفردات هذا المقام كانت تدور حول كلمتي الضلالة والهداية، ولكن باختلاف مواقعها، ويمكن أن نبينها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددها
١	إثبات الضلالة وإثبات الهداية	٤
٢	إثبات الضلالة ونفي الهداية	٤
٣	إثبات الهدى ونفي الضلالة	١
٤	إثبات الهداية	١
٥	فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم	١
	المجموع	١١

لو نظرنا إلى هذا الجدول من زاوية غير زاوية مجموع التقابلات أي من خلال تردد كل لفظة في موقعها من حيث الإثبات والنفي، لوجدنا أن الضلالة ترددت ثلاث عشرة مرة وهي تتحقق من خلال (إثبات الضلالة) و(نفي الهداية)؛ لأن معناها (الضلالة)، ولوجدنا أن الهداية ترددت سبع مرات وهي تتحقق من خلال (إثبات الهداية) و(نفي الضلالة)؛ لأن معناها الهداية في هذه الحال) ولا شك في أن هذا مؤشر إلى المضمون الكلي للتقابلات في آياتها وهي أنها تتجه نحو إثبات صفة الضلالة في هؤلاء الكفار.

وأما المظهر الثالث، فهو قدرة الله على إحداث العذاب والمغفرة، وقد بلغت التقابلات هنا ثمانية عشر تقابلات، وقد تناولت آيات الكتاب الكريمة في هذا المقام جانبين: الأول يوضح أن عذاب الله قد وقع على الكفار لكفرهم ولا يفتح باب المغفرة لهم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٣٤٠). وأما الجانب الثاني، فيوضح أن العذاب والرحمة يقعان على الإنسان بمشيئة الله، وذلك منوط بكفره أو إيمانه، كما في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾^(٢١) ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣٤١).

وأما المظهر الرابع، فهو إظهار قدرة الله تعالى على إحقاق الحق وإبطال الباطل، وقد بلغت تقابلاته أربعة تقابلات، وقد جاءت في سياق التحدي للكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

المُجْرِمُونَ ﴿٣٤٢﴾ . وقد جاءت آية أخرى تشير إلى إتمام دينه عز وجل وهو الحق في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنْمِرُ نُورِهِ وَلِئَلاَّ يُكَفِّرَهُ﴾ (٣٤٣)

وأما المجال الرابع، فهو نفي القدرة عما عبده الكافرون، ولقد بلغت تقابلاته ثلاثة وثلاثين تقابلاً وتمثالاته تماثلاً واحداً، جاءت موزعة على جانبين: الأول تشير فيه التقابلات إلى إثبات قدرة الله في كثير من أمور الخلق ونفيها عما كان يعبده الكفار. وأما في الجانب الثاني، فقد كانت تشير إلى نفي القدرة عن هذه الأشياء التي يعبدها الكفار.

الجانب الأول بلغت تقابلاته اثنين وعشرين تقابلاً، تنوعت القدرات الإلهية فيه، فبعضها يتصل بخلق (الليل/ والنهار) (٣٤٤) وبعضها يتصل بفعل الخلق الذي يتصف به الله عز وجل، ولا يتصف به ما يعبد من دونه بل هذا الذي يعبد هو الذي يخلق (٣٤٥). وبعضها يتصل بالقدرة الإلهية على إحداث فعل الموت والحياة ونفيه عما يعبد (٣٤٦). بل ما يعبد هو ميت (٣٤٧)، وبعضها يتصل بعدم قدرة الآلهة التي تعبد على الرزق في حين إن الله هو الرازق القادر على ذلك (٣٤٨). وبعضها يتصل بالهداية التي هي فعل من أفعال الله دون غيره (٣٤٩). وقد جاءت آيات أخرى تثبت بأن الله هو الحق؛ لأنه يتصف بالقدرة التي فقدتها مخلوقاته التي تعبد، ولذلك فهي في جانب الباطل (٣٥٠).

والواقع أن مفردات التقابل في هذا الجانب قد اختلفت، ويمكننا أن نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	إثبات الخلق ونفيه	٤
٢	إثبات الموت/ وإثبات الحياة	٤
٣	الليل/ والنهار	٤
٤	الحق/ والباطل	٢
٥	أبكم/ يأمر بالعدل	١
٦	إثبات الموت/ ونفي الحياة	١
٧	الله يقضي بالحق/ لا يقضون بشيء	١
٨	إثبات الهداية	١
٩	إثبات الهداية ونفيها	١
١٠	يرجون رحمته/ ويخافون عذابه	١
١١	لا يسأل/ وهم يسألون	١
١٢	عبداً مملوكاً لا يقدر/ ومن رزقناه	١
	المجموع	٢٢

لا شك أن في هذه التقابلات مؤشراً إلى توجه الآيات الكريمة في وضع الفوارق الأساسية بين الله عز وجل وما يعبد من دونه من حيث القدرة، وذلك أنها رددت معاني الخلق والموت والحياة والليل والنهار بنسبة كبيرة إذا ما قيست أعدادها بأعداد المعاني الأخرى، ولعل هذا نابع من هذه المعاني التي هي دلائل دامغة أمام الكفار لإثبات وجود الله وأحققته بالعبادة دون مخلوقاته، ويمكننا إذا ما رجعنا قليلاً إلى دلائل القدرة أن نجد الآيات قد اهتمت بهذه المفردات أكثر من غيرها.

ولا شك في أن هذا مؤشر إلى انسجام آيات الكتاب الكريم في مضمونها الذي يتحرك داخل محور الكفر.

وأما الجانب الثاني الذي بلغت تقابلاته اثني عشر تقابلاً، فقد كان يتمثل بسلب القدرة عماد يعبد الكفار، وقد عبرت الآيات الكريمة عن هذا الجانب بعدد من المعاني أبرزها نفي النفع والضر عن الأوثان، فهي لا تنفع عابديها، ولا تستطيع أن توقع عليهم فعل (الضر)^(٣٥١). وكما أشارت الآيات إلى أن هذه المعبودات لا تستطيع أن تدفع الضر، أو تجلب النفع لنفسها^(٣٥٢). وقد زادت الآيات توضيحاً للكفار بعدم قدرة معبوداتهم، بأن جعلتها غير قادرة على أن تدافع عن نفسها كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجتمعوا لَهُ وَإِنْ يَسئلبهم الذُّبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾^(٣٥٣). لقد صورت هذه الآية معنى الجهالة التي يعيشها الكفار بعبادتهم للأصنام التي هي أضعف مما تستطيع أن تنقذ ما سلبه الذباب الضعيف منها، وكما أنها "تصور أقل ما تصور هذا الضعف في الإنسان، أو التناهي في الضعف والتمادي في الخور. فأني له الإشراف، وعدم الإيمان بالوحدانية، والآلهة المدعاة بمنتهى العجز والهوان"^(٣٥٤).

وحتى ندرك تشكيل مفردات التقابل في هذا الجانب نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	نفي المنفعة/ ونفي الضر	٨
٢	السموات والأرض	٢
٣	يسلبهم الذباب/ لا يستنقذوه	١
٤	الطالب/ والمطلوب	١
	المجموع	١٢

لا شك في أن غلبة المفردات المنفية للمنفعة والضرر تثبت للكفار أن هذه المعبودات التي يعبدونها لا تستطيع أن تجلب المنفعة أو الضرر لهم، وذلك حتى تفتح عقولهم وتنبههم إلى هذا الجهل الذي يعيشون فيه.

الوسيلة الثالثة-

إن الوسيلة الثالثة لإقناع الكفار بالإيمان هي إثبات علم الله عز وجل، وقد بلغت تقابلاتها ستة وعشرين تقابلاً، وقد تنوعت وسائل الإقناع هنا، فشملت علمه بكل أقوال الكفار سواء أكان منها ما هو مكتوب في صدورهم، أو معلن^(٣٥٥)، وشملت العلم بالكون والمخلوقات^(٣٥٦)، وعلمه أيضاً بأفعال هؤلاء الكفار في الأرض^(٣٥٧)، وقد جاءت الآيات أيضاً لتثبت المعنى المطلق بعلمه من خلال مفردتين هما (الغيب/ والشهادة)^(٣٥٨). وأخيراً شملت إثبات علمه بالأشياء جميعاً ونفي علمهم بأي شيء^(٣٥٩). ويمكننا أن نتبع مفردات تقابل هذه الوسيلة في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عدددها
١	أسر/ أعلن	١٠
٢	السموات/ الأرض	٦
٣	الغيب/ والشهادة	٤
٤	إثبات علم الله/ ونفيه عن الكفار	٢
٥	ما بين أيديهم/ وما خلفهم	١
٦	اليمين/ والشمال	١
٧	ما يغيض في الأرحام/ وما تزداد	١
٨	مستخف بالليل/ سارب في النهار	١
	المجموع	٢٦

لا شك في أننا نلاحظ أن المفردات التي تنتمي إلى (أسر/ وأعلن) قد أخذت مجموعاً كبيراً من بين المفردات الأخرى، ولعل ذلك نابغ من أن الأساس في قضية الكفر تنبع مما يدور داخل الإنسان، وما يظهر على لسانه، فالقول دليل أولي على الكفر والإيمان، ولذلك كثرت الآيات التي جاءت تنبه الكفار إلى أن الله يعلم سرهم وجهرهم، فإذا أخفوا كفرهم فالله له القدرة على علمه تماماً كما له القدرة على علم ما يجرون به.

ونلاحظ أيضاً ارتفاع مجموع تقابلات السماء والأرض والغيب والشهادة، ولعل هذه النسبة العالية أيضاً جاءت من زاوية أن الإنسان يدرك أنه جزء صغير من الكون الكبير، فإذا كان الله يعلم كل ما يقوم به، ومن ثم مجيء التعبير عن الإنسان الجزء الصغير منه فالله يعلم كل ما يقوم به، ومن ثم مجيء التعبير عن العلم المطلق بلفظي (الغيب والشهادة) بنسبة مرتفعة يدعم ما تقدم من دليل على ارتفاع نسبة علمه بالسموات والأرض، ولا شك في أن هاتين اللفظتين تشكلان وسيلة قاطعة أمام الكفار حتى لا يسروا كفرهم في صدورهم.

ومن ثم نلاحظ أن المفردات الباقية بشكل عام جاءت متواصلة، لإثبات قدرة الله على العلم في كل مجالات خلقه.

الوسيلة الرابعة-

إن الوسيلة الرابعة تسعى لأن تثبت أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفرد بقدرته على الملكية دون غيره من المعبودات التي يعبدها الكفار، وقد بلغت تقابلاتها ستة عشر تقابلاً، وقد جاءت بعدد من المفردات هي: (السموات/ والأرض)^(٣٦٠) التي تكررت خمس عشرة مرة، وجاءت تقابل واحد بمفردتي (الليل/ والنهار)^(٣٦١).

ولا شك في أن هذا المجموع الكبير لمفردتي (السموات/ والأرض) يشير إلى تعميم ملكية الله على الكون كله بما فيه الإنسان وغيره من المخلوقات وهذه حجة قوية أمام الكفار ليرتدعوا عن عبادة غيره سبحانه وتعالى.

الوسيلة الخامسة-

إن الوسيلة الخامسة تسعى لأن تثبت معنى الربوبية في الله عز وجل وحده دون غيره، وقد جاءت من خلال ثلاثة تقابلات تركزت على مفردتي (السموات) و(الأرض)^(٣٦٢). ولا شك أن هذه الوسيلة تشترك مع الوسيلة الثانية بمفرداتها، ولعل هذا متأثراً من الدور الذي تأخذه عناصر الكون لإثبات قدرة الله، والتدليل على وجوده ووحدانيته أمام الكفار.

بعد هذه النظرة التفصيلية لوسائل دعوة القرآن الكريم الكافرين إلى الإيمان، لا بد أن نتحدث عنها بصورة شاملة. ولذلك نرصد مجموع تقابلات كل وسيلة في الجدول الآتي:

الرقم	الوسائل	مجموع تقابلات كل وسيلة	مجموع تماثلاتها
١	دلائل وجود الله ووحدانيته	٢٠٠	٥
٢	إثبات علم الله	٢٦	-
٣	دعوة الرسل الكفار إلى الإيمان	١٦	-
٤	إثبات ملكية الله	١٦	-
٥	إثبات ربوبية الله	٣	-
	المجموع	٢٦١	٥

إن وسيلة دلائل وجود الله ووحدانيته قد أخذت مجموعاً كبيراً في التقابلات وهي الوحيدة التي استخدمت التماثل إذا ما قيست إلى غيرها من الوسائل كما نلاحظ. ولعل ذلك متأً من طبيعة الدعوة الإسلامية، وذلك أن العامل الأساسي الفعال فيها أن تظهر للناس جميعاً ما يمكن أن يكون عوناً لها على تصديقها، ويكون ذلك بأن تتحدث عن عظيم خلقه في مجالات مختلفة، في الكون، وفي الناس، وغير ذلك. وهي وسيلة ناجعة لإقناع الناس بوجود الله ووحدانيته، وبالتالي الإيمان به، ولذلك جاءت التقابلات التي تشير إلى وجوده عز وجل كثيرة العدد لتخاطب الكفار عليهم يرجعون عن كفرهم. ولا شك في أن عنصر مظاهر القدرة الإلهية قد أسهم بدور فاعل في هذا الإقناع فأخذت مجموعة كبيرة أيضاً من التقابلات في هذه الوسيلة إذ إن هذه المظاهر تجعل الكفار يؤمنون بوجود الله ووحدانيته.

وتأتي الوسائل الأخرى بنسب مختلفة إذا ما قيست تقابلاتها بما سبق، ولعل السبب يكمن في الوسيلة الأولى؛ لأنها غطت كثيراً من الدلائل والبراهين على وجوده، ولكن لا يمكن إغفال دور هذه الوسائل، فهي تساعد في تيقن الإنسان من وجود الله ووحدانيته، بالتالي تدفعه إلى أن يعبده دون سواه، ومن هنا نجد هذه الوسائل مناسبة لأن تدعو الكفار إلى الإيمان بالله وحده.

٣- الكافرون والكفر:

بعد أن تحدثنا عن عناصر الكفر ووسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، تأتي لتحدث عن الكفار وصورهم في الحياتين الدنيا والآخرة، ونحاول أن نكشف من خلال هذا الحديث عن التقابلات والتماثلات وتشكيل مفرداتها، وقد وجدت أن ثمة مبثتين في هذا الجانب، هما: الأول- الكفار بين الترهيب والترغيب، والثاني- أحوال الكفار في الحياتين الدنيا والآخرة، فأبدأ بالمبحث الأول.

المبحث الأول:

إن التقابلات في هذا المبحث بلغت أربعة وخمسين تقابلاً وتمائلاته تسعة توزعت على كثير من الجوانب التي تتصل بالترهيب والترغيب. ومن الملاحظ في هذا المبحث أن التقابلات والتماثلات كانت تتصل بالترهيب وحده في معظم مواقعها إذ ترددت تقابلاته ستاً وثلاثين مرة وتمائلاته مرتين، في حين نجد أن تقابلاً واحداً جاء بالترغيب وحده. ونجد تقابليين وخمسة تماثلات في مقام التهديد والوعيد، ومن ثم جاءت تقابلات وتماثلات تجمع بين الترهيب والترغيب معاً، إذ بلغت تسعة عشر تقابلاً، أبدأ حديثي عن مجالات الترهيب وحده.

تعددت مجالات الترهيب في آيات القرآن الكريم، فأما المجال الأول، فهو يتعلق بترهيب الكفار من الكفر^(٣٦٣). وقد تكررت تقابلاته اثنتي عشرة مرة، وكل هذه التقابلات تضع الكفار في مقام الخوف والرهبة من الكفر والإشراك بالله، وقد اختلفت مفرداتها، وحتى ندرك هذه المفردات نشير إليها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	إثبات الكفر/ وإثبات الإيمان	٥
٢	الموت/ والحياة	٢
٣	الشفع/ والوتر	١
٤	إثبات الكفر	١
٥	السماء/ والأرض	١
٦	نفي المغفرة/ إثبات المغفرة	١
	المجموع	١١

نلاحظ هنا أن التقابلات قد توجهت إلى مساواة الكفر بالإيمان، وذلك من أجل حمل المشركين على الإيمان بالله وحده وعبادته، ومن ثم تأتي التقابلات الأخرى إسناداً لفاعلية التهيب من الكفر من خلال (الموت والحياة) و(المغفرة وعدمها) ويبدو لي أن هذه التقابلات مجتمعة تؤدي دور التهيب من الكفر.

وأما المجال الثاني، فهو يتعلق بالتهيب من ممارسات الكفار في الحياة الدنيا كرمي المحصنات^(٣٦٤)، ومخالفة الكتب السماوية^(٣٦٥)، ومن اتباع الشيطان^(٣٦٦)، ومن البطر بالنعمة^(٣٦٧)، ومن عقاب الله عز وجل بإماتتهم والإتيان بقوم آخرين^(٣٦٨)، ومن عذابه في الليل والنهار^(٣٦٩). وقد بلغت التقابلات في هذا المجال ستة تقابلات.

وأما المجال الثالث، فهو التهيب من يوم القيامة الذي بلغت تقابلاته خمسة تقابلات، تتعلق هذه التقابلات بعلامات يوم القيامة التي تشكل تأكيداً على مجيء ذلك اليوم. وبالتالي ترهب الذين كفروا من مجيئه، وقد كررت مفردتي (السموات/ والأرض)^(٣٧٠). ووصفت حال النساء المرضعات والحوامل اللواتي يذهلن عن أطفالهن، ويضعن حملهن^(٣٧١). وأكدت أيضاً انبعاث الموتى من قبورهم^(٣٧٢).

أما المجال الرابع، فهو يتصل بالمجال السابق، إذ يتعلق بالعذاب يوم القيامة في جهنم، وقد بلغت تقابلاته ستة عشر تقابلاً أظهرت ألوان العذاب وأصنافه^(٣٧٣). وقد اختلفت مفردات هذه التقابلات، وحتى ندرك تشكيلها نضعها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	إثبات كذبهم واستهزائهم	٢
٢	الحكيم/ والنعيم	٢
٣	متاع الدنيا/ والعذاب	٢
٤	إثبات الإيمان ونفيه	٢
٥	الكفر/ والعذاب	١
٦	إثبات الكفر/ ونفي الإيمان	١
٧	تبصرون/ ما لا تبصرون	١
٨	من بين يديه/ ومن خلفه	١
٩	عالم الغيب/ والشهادة	١
١٠	إثبات الكفر	١
١١	وفيت كل نفس/ ولا يظلمون	١
١٢	الدنيا/ والآخرة	١
	المجموع	١٦

نلاحظ من الجدول أن التقابلات التي تشير إلى أنواع الكفر وأنواع العذاب قد أخذت مجموعاً أكثر من غيرها، ولا شك في أن هذه الكثرة منسجمة مع مقام العذاب، ولعل الإكثار منه متأت من الربط بين الكفر والنتيجة الحتمية يوم القيامة، وهذا يشكل عاملاً قوياً لإبعاد الكفار عن كفرهم حتى لا يتعرض للعذاب يوم القيامة.

وأما التقابلات التي وردت في مقام التهديد والوعيد الذي يرتبط ارتسباطاً وثيقاً بالترهيب، فقد بلغت تقابليين وخمسة تماثلات كان بعضها يهدد

الكفار بيوم القيامة إن ظلوا على كفرهم^(٣٧٤)، وبعضها يهددهم بكفرهم في الحياة الدنيا^(٣٧٥)، وبعضها يتوعددهم بخذلانهم في الحياة الدنيا^(٣٧٦). وقد تشكلت التقابلات والتمائلات هنا في مفردات مختلفة أرسدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	فانتظروا/ إني معكم من المنتظرين	٣
٢	اعملوا على مكانتكم/ إني عامل فسوف تعلمون	٢
٣	فما استطاعوا مضياً/ ولا يرجعون	١
٤	من ينصره في الدنيا/ والآخرة	١
	المجموع	٧

لا شك في أننا نلاحظ أن تماثلات التهديد والوعيد بالعذاب يوم الآخرة المتمثلة في تماثل (انتظروا/ إني معكم من المنتظرين) والتمائلات التي جاءت تشير إلى الحياة الدنيا المتمثلة في (اعملوا على مكانتكم/ إني عامل) قد جاءت بنسبة عالية إذا ما قيست بغيرها، وما ذلك إلا لأن التهديد واقع عليهم نتيجة كفرهم في الحياة الدنيا الذي يجدون بسببه العذاب في الآخرة.

وأما الترغيب، فقد جاء بتقابل واحد وهو في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٧٧﴾. فهذا ترغيب لهم بأن يتبعوا ما جاء في القرآن العظيم.

وأما التقابلات التي جمعت بين الترهيب والترغيب، فقد توزعت على أكثر من مجال. الأول- مجال الترغيب بالإيمان والترهيب من الكفر، وقد بلغت عشرة تقابلات وتمثلاً واحداً، إذ كانت تبين أهمية الإيمان الذي ينجي من عذابه عسر وجل، وقبح الكفر الذي يوقع في عقابه وعذابه^(٣٧٨)، والواقع أن مفردات هذه التقابلات والتماثلات قد اختلفت في تشكيلها، وحتى ندرك هذه المفردات نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددها
١	إثبات الإيمان/ وإثبات الكفر	١٠
٢	فإنما عليه ما حمل/ وعليكم ما حملتم	١
	المجموع	١١

نلاحظ أن مفردات الكفر والإيمان قد أخذت معظم مجموع المفردات، ولعل هذا لإظهار الموازنة بين الكفر والإيمان، وبالتالي ترغيب الكفار بالإيمان بالله وحده، وبالابتعاد عن شركهم وكفرهم.

وأما المجال الثاني، فهو الترهيب من الحياة الدنيا والترغيب في الحياة الآخرة، وقد بلغت تقابلاته أربعة كشفت عن أن الحياة الدنيا متاع قليل وزائل، وأما الحياة الآخرة، فهي متاع دائم وأبدي^(٣٧٩).

وأما المجال الثالث، فهو الترغيب بالمغفرة والترهيب من العذاب والعقاب، وقد ترددت تقابلاته أربع مرات، دارت مفرداتها حول المغفرة والعذاب^(٣٨٠)، أو الجنة والنار^(٣٨١).

المبحث الثاني:

كشفت آيات القرآن الكريم في هذا المبحث صوراً متعددة لأحوال الكفار من خلال عدد من التقابلات التي بلغت مائة وواحداً وأربعين تقابلاً ومن خلال ستة تماثلات، وينقسم هذا المبحث ثلاثة أقسام.

القسم الأول- يتعلق بأحوال الكفار في إطار الحياة الدنيا وحدها، وقد تعددت تقابلاته فبلغت تسعين تقابلاً وثلاثة تماثلات توزعت على أربعة مجالات عامة.

أما المجال الأول، فهو إنكار الكفار لفضل الله عليهم بعدما يتحقق الفضل، وذلك أن الكافر إذا ما أصابه سوء يدعو الله لأن يكشفه عنه، فإذا ما أجاب دعاءه، فإنه يعرض عنه عز وجل ويكفر به، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾^(٣٨٢). والكافر أيضاً إذا مسته رحمة أو نعيم بعد ضرر أو كرب فإنه يتنكر لله عز وجل، وينسب الفضل لنفسه^(٣٨٣).

وأما المجال الثاني، فهو إهلاك الكفار في الأرض، وقد اختلفت صور إهلاك الناس وتعذيبهم في الآيات الكريمة، إذ أشار بعضها إلى صورة إهلاك قوم لوط الذين قلب ديارهم فجعل (عاليها/ سافلها)^(٣٨٤)، ومنها صورة إهلاك قوم نوح الذين أغرقهم بالطوفان^(٣٨٥). ومن هذه الصور كذلك غضب الله على اليهود الذين اعتدوا في السبت فقلبهم الله قرده^(٣٨٦). ومنها أيضاً غضب الله على الكفار في الأرض إذ يبدل النعيم الذي يعيشون فيه إلى نقمة وعذاب^(٣٨٧)، ومنها كذلك صور جاءت في إطار التهديد بإهلاكهم كما كانوا ينتظرون إهلاك الرسول والمؤمنين^(٣٨٨).

وأما المجال الثالث، فهو يظهر في حب الكفار للحياة الدنيا والتعلق بها^(٣٨٩)، فهم يقبلون عليها، ويتركون اليوم الآخر الذي هو المتاع الحقيقي الدائم^(٣٩٠).

وأما المجال الرابع، فهو صفات الكفار، إذ أفردت بعض التقابلات صفات الكفار في الحياة الدنيا، فمنها أن الكافر يستعجل السيئة وإتيانها قبل الحسنه^(٣٩١)، وأنه يدعو بالشر تماماً كمن يدعو بالخير^(٣٩٢)، وبينت كذلك صفة اليهود الذين يحسبهم الناظر مجتمعين ولكن في الحقيقة قلوبهم شتى^(٣٩٣). ومنها الاستكبار والخيلاء^(٣٩٤)، وأهم إذا اکتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم ينقصون^(٣٩٥).

والواقع أن مفردات التقابلات في هذا القسم مختلفة وكثيرة التنوع، ولذلك فإنني سأشير إلى أكثرها تردداً في الآيات الكريمة حتى نكشف عن توجه هذه التقابلات، وذلك في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عدددها
١	الضر/ والمنفعة	١٤
٢	أنعم/ وكفر	٤
٣	الشر/ والخير	٤
٤	النجاة/ والمهلك	٤
٥	إثبات المكر	٤
٦	السيئة/ والحسنة	٣
	المجموع	٣٣

لا شك في أننا نلاحظ أن المفردات المتكررة هنا تتوجه نحو إثبات وقوع الضرر وما جاء بمعناه كالكفر والشر والسيئة والهلاك والمكر، وإثبات وقوع المنفعة وما جاء بمعناها كالإنعام والخير والنجاة والحسنة، ولعل هذا التوجه بالعدد الكبير من المجموع الكلي الذي بلغ أربعة وتسعين تقابلاً كما ذكرت سابقاً، مؤشراً إلى أحوال الكفار في الحياة الدنيا إذ يقفون بجانب ألفاظ الضرر التي تشير إلى مسلكهم في حياتهم وأما ما يتعلق بألفاظ الخير فقد كانت تدل على معظم آياتها، إما على إظهار فضل الله الذي كفر به المشركون، أو على استبدال الهلاك والضرر بها.

وأما القسم الثاني، فهو يتعلق بأحوال الكفار في الحياة الآخرة، وقد بلغت تقابلاته ثمانية وثلاثين تقابلاً وتمثالاته ثلاثة وقد توزعت على كثير من الجوانب التي تتصل بالكفر يوم القيامة، إذ كشفت عن حالهم عند قيام الساعة، فوصفتهم بأن قلوبهم تضطرب وأبصارهم خاشعة^(٣٩٦)، ووصفت فزعهم من النفخ في الصور^(٣٩٧)، ومن ثم فإنهم عندما يبعثون يرون أنهم لم يلبثوا في الموت عشية أو ضحاها^(٣٩٨).

كما كشفت التقابلات والتمثالات أيضاً عن جانب آخر وهو تأكيد الله عز وجل قيام الساعة، وإدخال هؤلاء الكفار في جهنم ليعذبوا بما عملوا في حياتهم الدنيا^(٣٩٩)، وقد تعددت المفردات في هذا الجانب نرصدها فيما يأتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	ننساكم كما نسيتم	٣
٢	أبصرهم/ يبصرون	٢
٣	الجن/ والإنس	٢
٤	قلوب لا يفقهون بها/ أعين لا يبصرون	٢

الرقم	المفردات	عددتها
٥	إلينا إياهم/ ثم إن علينا حسابهم	١
٦	بما أتوا/ بما لم يفعلوا	١
٧	كذبوا بآياتنا/ عليهم العذاب	١
٨	القسط/ لا يظلمون	١
	المجموع	١٣

لا شك في أن المفردات جاءت في المجموعة الأولى والثانية تشير إلى تأكيد عذاب الله عليهم، فهو سينسأهم في جهنم كما كفروا في الحياة الدنيا به عز وجل، وسوف يبصرون في العذاب بإذنه يوم القيامة، ونلاحظ تردد مفردتي (الجن/ والإنس) مرتين، وذلك إشارة إلى أن العذاب سيقع على كل من كفر منهما، وتشارك المفردات الأخرى بتأكيد العذاب أيضاً، وإن جاءت مكررة مرة واحدة.

كما كشفت التقابلات جانباً آخر وهو وصف حال الكفار عند عذابهم في جهنم، وذلك أن العذاب سيقع على أجسادهم وعلى كل عضو منها^(٤٠٠). وقد وصفت حالهم كذلك هارين من العذاب، ولكن أتى لهم ذلك فالملائكة يصدونهم ويضربونهم حتى يرجعوا إلى جهنم^(٤٠١). وقد جاءت التقابلات تشير إلى شدة العذاب عليهم سواء أصبروا أم لم يصبروا^(٤٠٢). والواقع أن مفردات التقابل هنا قد كشفت بدقة عن صور تعذيبهم في جهنم، وحتى ندرك هذه الصور نرصد المفردات في الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	عددتها
١	وجوههم / وظهورهم	٣
٢	من فوقهم / ومن تحتهم	٣
٣	لا يموت / ولا يحيا	١
٤	أمتنا / ولا يحيا	١
٥	لا برداً ولا شرباً / حميماً وغساقاً	١
٦	لا تر كضوا / وارجعوا	١
٧	أغرقوا / فادخلوا ناراً	١
٨	غدواً / وعشياً	١
٩	اصبروا / أو لا تصبروا	١
١٠	يأتيه الموت / وما هو بميت	١
	المجموع	١٤

نلاحظ من المفردات في الجدول أن العذاب الذي يتصل بالمفردات رقم (١، ٢) أخذت مجموعاً أكبر من غيرها، ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن المفردات التي تتصل بالموت والحياة ونفيهما تأخذ عدداً كبيراً أيضاً إذ بلغت ثلاثة تقابلات، ومن ثم تتفرق المفردات إلى جهات مختلفة، ولكنها جميعاً تكشف عن ألوان العذاب في جهنم، ولا شك في أن تجمع المفردات رقم (١، ٢) والموت والحياة يسهم إسهاماً كبيراً في التأثير على الكافر في حياته الدنيا؛ لأنها تتصل به مباشرة مما تهيئ له تصوراً للعذاب في جهنم، إذ قد تكون وسيلة ناجعة لرجوعه إلى الإسلام.

كما تكشف التقابلات أيضاً عن جانب مهم في أحوال الكفار في الآخرة، وهو ما يتعلق بتخلي من اتبعوهم في الدنيا عنهم يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَتَمُّ مَغْنُومًا عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِيصٍ﴾^(٤٠٣). فالكفار يتوجهون إلى الإنسان الذي دعاهم إلى عبادة غير الله في الدنيا لينقذهم من عذابه عز وجل فيتبرؤون منهم^(٤٠٤)، ويأتي الشيطان في هذا المقام ليشهد على الكفار بأنهم ضلوا، وقد وعدهم فأخلفهم ويلقي بعد ذلك اللوم عليهم^(٤٠٥). وتصور التقابلات أيضاً خذلان ما عبدوه لهم يوم القيامة، إذ لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً أمام عذاب الله عز وجل^(٤٠٦).

وأما القسم الثالث، فهو يتعلق باعتراف الكفار بالله عز وجل، سواء أكان ذلك في الحياة الدنيا أم في الآخرة، وقد بلغت تقابلاته اثني عشر تقابلاً، وقد توزعت على اعترافهم به في الحياة الدنيا من خلال سؤالهم عن خلق (السموات والأرض)^(٤٠٧)، أو إحياء الأرض بعد موتها^(٤٠٨). أما اعترافهم به والإيمان في الحياة الآخرة، فقد جاء بعدما تبين لهم أن الله هو الحق، وأن ما كانوا يعبدونه باطل، وذلك من خلال تقابل (الإيمان، والكفر)^(٤٠٩) إذ كانت المفردة الأولى تشير إلى إيمانهم به يوم القيامة، والثانية تشير إلى كفرهم به في الحياة الدنيا.

بعد أن تحدثنا عن تقابلات محور الكفر، وأقسامه بشكل تفصيلي، لا بد من العودة إلى الحديث عنها بشكل مجمل، وذلك من خلال جانبين: الأول- النظر في مجموع تقابلات كل قسم. والثاني- ننظر فيه إلى طبيعة المفردات المتكررة في التقابلات من حيث معجميتها، وذلك لنكشف عن حركة المعنى داخل محور الكفر من خلال هذه المفردات.

فأما الجانب الأول، فإننا نرصد مجموع تقابلاته وتمائلاته في الجدول

الآتي:

الرقم	القسم	مجموع تقابلاته وتمائلاته	نسبته المئوية
١	وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان	٢٦٦	%٤٣,٦٨
٢	الكافرون والكفر	٢١٢	%٣٤,٨١
٣	عناصر الكفر	١٣١	%٢١,٥١
	المجموع	٥٦٩	%١٠٠

نلاحظ من الجدول أن مجموع تقابلات وسائل الكفار إلى الإيمان وتمائلاته قد فاقت القسمين الآخرين، إذ أخذت نسبة %٤٣,٦٨ أي ما يقارب النصف، في حين أن نسبة قسم الكافرين والكفر انخفضت بنسبة واضحة عن القسم الأول، إذ بلغت %٢١,٥١، ولا شك في أن لهذه النسب مؤشرات كثيرة إذا ما نظرنا إليها من داخل محور الكفر، وفي آيات الكتاب الكريم، وذلك أن النسبة المرتفعة لقسم وسائل الدعوة تكشف عن شيئين: الأول توجه القرآن الكريم إلى الاهتمام بالإنسان بشكل عام، وذلك أنه كثيراً ما يأتي بالوسائل القاطعة والدلائل الدامغة للإنسان حتى يتخلى عن كفره، ويعتق الدين، ويمارس من خلال حياته معنى الإيمان. وأما الثاني، فيكشف عن أن الكفر صفة عامة، يتمسك بها هذا الإنسان. ولذلك كثرت الوسائل، واختلفت طرقها ودلائلها، ولا شك في أن وسائل الدعوة إلى الإيمان تحتل أهمية خاصة بمحور الكفر، وذلك أنها الطريق الوحيد الذي يمكن أن يغير بها مبدأ الكفر إلى مبدأ الإيمان.

ولا شك في أن ارتفاع مجموع قسم الكافرين والكفر بعد وسائل الدعوة يكشف عن أن طبيعة الكافر التي تتجه نحو الابتعاد عن التوحيد والعبادة والممارسات الخاطئة في حياته هي طبيعة متأصلة في نفسه، ومن هنا، كما أرى، أُلحِتِ التقابلات والتماثلات بشكل كبير على الحديث عن الكفار وتبيان ما يقعون فيه من أخطاء على مستويين: الأول- الأخطاء في الحياة الدنيا. والثاني- ما تؤدي إليه هذه الأخطاء في الحياة الآخرة من عذاب وجزاء سيئ.

وأما انخفاض مجموع تقابلات عناصر الكفر وتماثلاته فإنه يكشف عن توجه آيات القرآن الكريم إلى أنه أعطى اهتماماً لما يمكن أن يكون الأصل فيما ينقض معاني الإيمان كتكذيب الرسل وعدم الإيمان بالله، وبكتبه، وغير ذلك مما ذكر في هذا الفصل، ولكن هذا الاهتمام لم يكن واسعاً كما كان في القسمين الأول والثاني، ولعل ذلك متأثراً من طبيعة القرآن الكريم الذي يتوجه إلى الإنسان بالدعوة، وتعريفه بحاله، ليخلصه من كفره، وبالتالي من عذاب الله، فالقرآن إذن قد عالج مسألة الكفر من خلال وضع أسباب الكفر أمام عقول الكفار، ومن ثم حاول إرشاد الناس إلى الطريق المعاكس لكفرهم والحالتهم في الكفر وهو طريق الإيمان والمؤمنين، وهو لا يتوجه إلى النقد المجرد حسب، وإنما يضع الحل والعلاج للخلل في حياة الإنسان، ونلاحظ أنه يكثر من الحلول حتى يخلص الإنسان من الكفر في حياته.

وأما الجانب الثاني، فهو تشكيل مفردات التقابل والتماثل من خلال المعجم الجامع لهذه المفردات، نرصد مفرداته في الجدول الآتي:

الرقم	معجم المفردات	عددھا	نسبتها المئوية
١	ألفاظ تنتمي إلى الكفر	١٦٦	%١٧,٣٥
٢	ألفاظ السماء	٩٠	%٩,٤٠
٣	ألفاظ الأرض	٩٠	%٩,٤٠
٤	ألفاظ تنتمي إلى الإيمان	٧٧	%٨,٠٥
٥	ألفاظ تنتمي إلى الحياة	٦٣	%٦,٥٨
٦	ألفاظ تنتمي إلى الموت	٥٥	%٥,٧٥
٧	ألفاظ تنتمي إلى الجهات الستة	٤٢	%٤,٣٩
٨	ألفاظ تنتمي إلى الليل	٣٩	%٤,٠٨
٩	ألفاظ تنتمي إلى النهار	٣٩	%٤,٠٨
١٠	ألفاظ تنتمي إلى العذاب	٣٦	%٣,٧٦
١١	ألفاظ تنتمي إلى النفع	٢٩	%٣,٠٣
١٢	ألفاظ تنتمي إلى الضر	٢٨	%٢,٩٣
١٣	ألفاظ تنتمي إلى الإظهار	١٨	%١,٨٨
١٤	ألفاظ تنتمي إلى الإخفاء	١٨	%١,٨٨
١٥	ألفاظ الدنيا	١٨	%١,٨٨
١٦	ألفاظ الآخرة	١٨	%١,٨٨
١٧	ألفاظ تنتمي إلى الكذب	١٨	%١,٨٨
١٨	ألفاظ تنتمي إلى الحق	١٤	%١,٤٦
١٩	ألفاظ تنتمي إلى المغفرة	١١	%١,١٥
٢٠	ألفاظ تنتمي إلى الصدق	٩	%٠,٩٤
٢١	ألفاظ تنتمي إلى نفي الضر ونفي النفع	٩	%٠,٩٤

الرقم	معجم المفردات	عددتها	نسبتها المئوية
٢٢	ألفاظ تنتمي إلى النار	٨	٠,٨٤%
٢٣	ألفاظ تنتمي إلى الجنة	٨	٠,٨٤%
٢٤	ألفاظ تنتمي إلى الرزق القليل	٨	٠,٨٤%
٢٥	ألفاظ تنتمي إلى الباطل	٨	٠,٨٤%
٢٦	ألفاظ تنتمي إلى العدل	٧	٠,٧٣%
٢٧	ألفاظ تنتمي إلى الرزق الكثير	٧	٠,٧٣%
٢٨	ألفاظ التحريم	٥	٠,٥٢%
٢٩	ألفاظ تنتمي إلى الاستهزاء	٥	٠,٥٢%
٣٠	ألفاظ الغيب	٥	٠,٥٢%
٣١	ألفاظ الشهادة	٥	٠,٥٢%
٣٢	الألفاظ المحايدة	٤	٠,٤٢%
	المجموع	٩٥٧	١٠٠%

لا شك في أن أولى الملاحظات على معجم الألفاظ هنا أن الألفاظ التي تنتمي إلى الكفر قد أخذت نسبة عالية بالقياس إلى الألفاظ الأخرى، إذ بلغت ١٧,٣٥% ولعل هذه النسبة المرتفعة تكشف عن أن الكفار يتوجهون بشكل عام إلى تحقيق معنى الكفر في حياتهم، وهي نسبة منسجمة مع محور الكفر.

ونلاحظ أيضاً أن نسبي ألفاظ السماء والأرض متساويتان في محور الكفر، ولعل السبب هنا أن هذه الألفاظ لا تكمن في معنى الكفر إذ كثيراً ما جاءت في سياق الدلائل على وجود الله ووحديته وقدرته على إتيان الفضل

وغيره، إلا أن هذا لا يعني عدم فاعليتها في محور الكفر، فهي ذات فاعلية تتجه إلى تحويل الكفار إلى الإيمان من خلال الدلائل الدامغة على وجود خالق السماء والأرض.

ولعل الألفاظ التي تنتمي إلى الإيمان والتي بلغت نسبتها ٨,٠٥% تشكل أهمية خاصة بربطها بألفاظ الكفر، فهي تقل عن ألفاظ الكفر بما يقارب النصف، وهذا مؤشر إلى عدم توجه الكفار إلى الإيمان من جهة، وإلى أن آيات القرآن الكريم حاولت أن تتوجه بالكافر نحو الإيمان من خلال اقتران ألفاظ الإيمان بألفاظ الكفر حتى تكون حافزاً له على الإيمان من جهة أخرى.

وإذا ما نظرنا إلى ألفاظ الحياة التي شكلت نسبة ٦,٥٨% وألفاظ الموت التي شكلت نسبة ٥,٧٥% فإننا نلاحظ ارتفاع نسبة ألفاظ الحياة، وانخفاض نسبة ألفاظ الموت، ولعل هذا يكشف عن طبيعة الكافر الذي يتوجه في ممارساته إلى أن يتعلق بالحياة ومتاعها دونما اهتمام بما يتعلق بالموت، وما يحدث من بعده؛ لأنه في الأصل ينكر البعث والحساب بعده.

ومن ثم نلاحظ تساوي نسبة ألفاظ الليل والنهار التي بلغت ٤,٠٨% لكل واحد منهما، ولعل ذلك متأت من السبب نفسه في ألفاظ السماء والأرض، وذلك أن الليل والنهار عنصران مساعدان لإبراز صفة قدرة الله على الخلق وبالتوجه بالكافر إلى التمعن في خلق الليل والنهار.

ومن الملاحظ أيضاً أن ألفاظ العذاب قد بلغت نسبة عالية ٣,٧٦% إذا ما قيست بنسبة ألفاظ المغفرة، ويبدو لي أن هذا الارتفاع في ألفاظه منسجم مع طبيعة عمل الكفار في الحياة الدنيا، وبالتالي فإن عمله الفاسد المتعد عن الإيمان وعن معانيه يؤدي به إلى العذاب في الدنيا والآخرة، ولكن ورود ألفاظ المغفرة بنسبتها البالغة ١,١٥% مؤشر إلى أن الله سبحانه وتعالى يفتح باب المغفرة

للكفار، إذا ما رجعوا عن كفرهم إلى الإيمان. فالمغفرة مرتبطة بالإيمان، والعذاب مرتبط بالكفر، وهذا ما يفسر ارتفاع نسبي الكفر والعذاب إذا ما قيسنا بنسبي الإيمان والمغفرة.

ومن المدهش حقاً أن نجد نسبة ألفاظ النفع في محور الكفر مرتفعة إذ بلغت ٣,٠٣% إذا ما قيست بنسبة ألفاظ الضر التي بلغت ٢,٩٣%، ولعل السبب في ذلك أن الكافر في حياته الدنيا يتجه دائماً نحو المنفعة. ويمكن هنا أن نرجع قليلاً إلى ألفاظ الحياة والموت ونقارن بينها وبين ألفاظ المنفعة والضر، إذ إننا نجد أن نسبي ألفاظ الحياة والمنفعة مرتفعتان، بالقياس إلى ألفاظ الموت والضر، وهذا يكشف عن حقيقة الكافر الذي يتوجه إلى التمتع في الحياة الدنيا. ثم إننا إذا نظرنا إلى ألفاظ الدنيا والآخرة، فإننا نجد أنها متساوية في النسبة التي بلغت ١,٨٨% لكل منهما، ولعل السبب في ذلك أن الآيات الكريمة قد صنعت توازناً بينهما من أجل تخليص الكافر من الحياة الدنيا ومتاعها، وترهيبه منها. وبالتالي ترغيبه في الحياة الآخرة من خلال تحويله من الكفر إلى الإيمان.

ولعلنا نلاحظ أيضاً ارتفاع نسبة ألفاظ الكذب التي بلغت ١,٨٨% إذا ما قيست بألفاظ الصدق التي تدنت نسبتها إلى ٠,٩٤% ويبدو لي أن هذا يكشف عن حقيقة الكافر في حياته بأنه يتوجه دائماً إلى صفة الكذب. ولا شك في أن المفارقة التي وقعت بين نسبة ألفاظ الحق البالغة ١,٤٦% ونسبة ألفاظ الباطل البالغة ٠,٨٤% تكشف عن شيء مهم في محور الكفر وهو أن الله سبحانه وتعالى قد جعل نصرته للحق فوق الباطل الذي يأتيه الكافرون.

ومن المدهش أيضاً أننا نجد أن نسبة ألفاظ نفي الضر ونفي النفع بلغت ٩٤,٠% وهي نسبة متساوية إذا ما قسمت على طرفي التقابل (نفي الضر/ نفي النفع)، ولعل ذلك مؤشر إلى أن الآيات الكريمة تتوجه إلى إبطال المنفعة والضرر اللذين يتعلقان بما عبده الكفار، إذ إنه لو حدث تفاوت في النسبتين هنا، لأعطى مؤشراً آخر وهو تغلب أحدهما على الآخر، وبالتالي فقد يشير إلى إعطاء بعض الأوثان القدرة على الضر أو النفع.

وإذا ما ذهبنا إلى ألفاظ الإظهار والإخفاء بألفاظ الغيب والشهادة، فإننا نجد أن نسبي الألفاظ الأولى متساوية إذ بلغت نسبة كل واحدة منهما ١,٨٨%، ونسبي الألفاظ الثانية متساوية إذ بلغت نسبة كل واحدة منهما ٥٢,٠% ولعل هذا التساوي يشير إلى أن اجتماع الإظهار والشهادة واجتماع الإخفاء والغيب، ومن ثم جمع الطرفين معاً، هو مؤشر إلى أن الذي يتصف بهما قادر على خلق التوازن وخصوصاً إذا ما أدركنا أنها تتعلق بالله عز وجل وخاصة بعلمه.

وإذا ما نظرنا إلى نسبي ألفاظ الجنة وألفاظ النار، فإننا نجد أنهما متساويتان، إذ بلغت نسبة كل واحدة منهما ٨٤,٠% ولعل السبب في ذلك هو أنها وقعت في الحديث عن الترغيب بالجنة والترهيب من النار، وبالتالي فهي متوازنة، وذلك أنها كانت تتوجه إلى إظهار ما يدور في الجنة، وإظهار ما يقابله مما يدور في النار.

ويمكننا أخيراً أن ننظر إلى نسبة ألفاظ الرزق القليل البالغة ٨٤,٠% وإلى نسبة ألفاظ الرزق الكثير البالغة ٧٣,٠% إذ إننا نجد أن ثمة فارقاً ولو كان قليلاً، ولعل السبب في ذلك متأ من عدم اعتراف الكفار بمقدرة الله عز وجل على إرزاقهم منطلقين في ذلك من مبدأ الإنكار لوجوده ووحدانيته.

تقابلات بين محوري الإيمان والكفر:

بعد أن تحدثنا عن تقابلات محور الإيمان ومحور الكفر نأتي لتحدث عن تقابلات مشتركة بين المحورين، وذلك أن هذه التقابلات وقعت في الآيات الكريمة التي تجمع المحورين معاً، ولدى استعراضنا لهذه الآيات وجدت أنها تنقسم ثلاثة أقسام، هي:

القسم الأول، يتعلق بتقابل معاني العقيدة بين المؤمنين والكفار. إذ توجهت الآيات الكريمة في هذا القسم من خلال تقابلاته إلى المعتقد الديني للمؤمنين وما يناقضه مما يعتقد به الكفار، وقد بلغت التقابلات هنا ستة وعشرين تقابلاً تحدث معظمها عن معنى الإيمان والكفر، كما في قوله تعالى:

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٣) ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ (٤) ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٥) ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٤١٠). ولا شك في أن هذه الآيات تبين الفوارق الخاصة بين المؤمن المتمثل بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي يعبد الله دون غيره، وبين الكافر الذي توجه بعبادته إلى غير الله عز وجل، وتكشف الآيات أيضاً عن تقسيم الناس من حيث العقيدة إلى مؤمن وإلى عابد للأصنام كافر^(٤١١). ووضحت الآيات أيضاً أن من يتبع الله، فإنه يخرج من الظلمات إلى النور، وأن من يتبع غيره، فإنه يخرج من النور إلى الظلمات^(٤١٢)، وتبين الآيات أيضاً أهمية العقيدة في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ يَهْدُونَ﴾ (٤١٣).

وكما توجهت الآيات الكريمة إلى الحديث عن الإيمان بالكتاب ونقضه^(٤١٤)، ووضحت كذلك الفرق بين المؤمن والكافر فيما يتعلق بشأن الحياة الآخرة، فالكفار يستعجلون هذا اليوم. وأما المؤمنون، فإنهم مشفقون على أنفسهم منه^(٤١٥).

وقد صنعت الآيات مفارقة بين المؤمنين الذين ينفقون وبين الكفار الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وابتعدوا عن الصدقات^(٤١٦).

وقد جاءت التقابلات هنا بمفردات مختلفة تدور حول محورين هما محور الإيمان، ومحور الكفر، ومن استقرائي لألفاظ الإيمان وجدت أنها بلغت ستاً وأربعين مفردة، في حين بلغت ألفاظ الكفر ثلاثاً وأربعين مفردة، ولا شك في أن هذا الفارق بين مفردات المحورين، وإن كان بسيطاً، يشير إلى توجه الآيات الكريمة نحو معاني الإيمان، ويؤيد هذا التوجه ما رأيناه في محور الإيمان من أن ألفاظه قد فاقت ألفاظ الكفر.

وأما القسم الثاني، فإنه يتعلق بتقابل حال المؤمنين بحال الكفار في الحياة الدنيا، وقد بلغت تقابلاته سبعة وعشرين تقابلاً. وقد استغرقت كثيراً من أحوالهم في الدنيا، إذ بينت أن الله سبحانه وتعالى ينصر عباده المؤمنين، ويخذل الكافرين^(٤١٧)، كما بينت أن المؤمنين يقاتلون في سبيل الله في حين إن الكفار يقاتلون في سبيل الطاغوت^(٤١٨).

وأشارت أيضاً إلى أن المؤمنين لا سلطان عليهم من الشيطان وإنما سلطانه على الكفار^(٤١٩)، فمن يتبع الشيطان فهو الخاسر، ومن يتبع الله فهو المفلح^(٤٢٠).

وبينت أن المؤمنين يتبعون الحق في حياتهم الدنيا بينما الكفار يتبعون الباطل^(٤٢١)، وأن قلوب المؤمنين خاشعة لذكر الله وقلوب الذين كفروا قست وهم فاسقون^(٤٢٢).

والواقع أن مفردات التقابلات هنا قد أظهرت تجمعاً كبيراً في جهة المؤمنين، إذ بلغت مفرداتها ثمانياً وستين مفردة، في حين تدنت مفردات الكفار إذ بلغت تسعاً وأربعين مفردة، ولعل السبب في ذلك يكمن في أن الآيات تتوجه إلى ترجيح كفة الإيمان على الكفر في الحياة الدنيا، وهذا ما لاحظناه في القسم السابق.

وأما القسم الثالث، فهو يتعلق بحال المؤمنين وحال الكفار في الآخرة، وقد بلغت تقابلاته مائة وواحداً، وقد جاءت تصور حال المؤمنين في الجنة، وحال الكفار في النار. وقد تحدثت آيات القرآن الكريم في هذا القسم عن جانبين: الأول هو أن الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار^(٤٢٣)، وقد كان هذا الوعد بالجزاء مؤدياً إلى الجانب الثاني الذي هو مشاهد الجنة والنار يوم القيامة، إذ جاءت آيات كثيرة تكشف عن هذه المشاهد، ويمكننا أن ندرك طبيعة هذه المشاهد من إحدى السور القرآنية الكريمة التي ترصد لنا تقابلات كثيرة، تصور من خلالها حال المؤمنين وحال الكفار، ولنأخذ سورة الواقعة، إذ تحدثت آياتها من الآية الثامنة إلى الآية السادسة والخمسين عن هذا المشهد^(٤٢٤). وجاءت الآيات في هذا المشهد بمفردات متقابلة وصفت في طرفها الأول أصحاب الجنة وفي طرفها الثاني أصحاب النار، وقد بدأت التقابلات بإحداث وصف للطرفين، إذ وصفت المؤمنين بأصحاب (الميمنة) والكفار بأصحاب (المشئمة) ثم وصفت المؤمنين بأصحاب (اليمين) والكفار بأصحاب (الشمال)، ولا شك في أن هذا الوصف مدخل أساسي لوصف حالهما يوم القيامة، فالكفار أصحاب النار والمؤمنون أصحاب الجنة، وكل يأخذ كتابه. ولكن المؤمنين يأخذونه باليمين والكفار يأخذونه بالشمال. ثم أخذت الآيات تصف حالهما بطريقة التقابلات، فأصحاب الجنة ﴿على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾ في حين أن الكفار أصحاب النار في ﴿سموم وحميم﴾ وشتان ما بين الوضعيين إذ إن الوضع الأول عيش رغد مريح، فهم يشربون الماء البارد من كأس لا تنضب، في حين إن الكفار في وضع العذاب من ريح السموم والماء الحار

المهلك، وأمام هذا الشراب الحميم الحار للكفار يشرب المؤمنون الخمر التي لا تصدع لها الرؤوس ولا تسكرهم فتذهب بعقولهم. ومن ثم تزيد التقابلات وصفاً جديداً لحال المؤمنين وهو أنهم يأكلون من ﴿فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون﴾ في حين إن الكفار يأكلون من ﴿شجر من زقوم فمالوؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم﴾ والواقع أن ثمة فرقاً بين الحالين، وهما حال النعيم وحال العذاب، ومن ثم تزيد الآيات مفردات للتقابل في طرف المؤمنين تبين ما لهم من نعم في الجنة تتعلق بمأكلهم، مثل: ﴿سدر مخضود﴾ و﴿فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ وهذه المفردات جميعاً تتقابل بـ ﴿شجر من زقوم﴾ ومن ثم تكرر الآيات المفردات التي تتعلق بأصحاب الجنة، مثل: ﴿ماء مسكوب﴾ التي تتقابل بالماء الحميم عند أصحاب النار، ومثل: ﴿فرش مرفوعة﴾ و﴿حور عين﴾ و﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾.

لا شك في أننا أمام هذا المشهد نلاحظ غلبة مفردات التقابل التي تتعلق بالمؤمنين على مفردات التقابل التي تتعلق بالكفار، وما هذا إلا لإظهار نعيم المؤمن في الجنة، وبالتالي فإن هذا المشهد وأمثاله يؤدي وظيفة مهمة في إقناع الكفار بالعدول عن كفرهم وتوجههم نحو الإيمان بالله عز وجل، ومن هنا يمكننا أن نفهم طبيعة الآيات الكريمة التي تتعلق بحال المؤمنين والكفار يوم القيامة، إذ إننا عند إحصائنا للمفردات التي تردت في التقابلات هنا، وجدنا أن المفردات التي تتصل بالمؤمنين تفوقت على المفردات التي اتصلت بالكفار، إذ كان مجموع المفردات في الجانب الأول ثلاث مائة وتسعاً وثمانين مفردة في حين كانت مجموع المفردات في الجانب الثاني ثلاث مائة وأربع عشرة مفردة.

ثالثاً: محور النفاق:

إن محور النفاق هو المحور الثالث من محاور القرآن الكريم في هذا الفصل، والواقع أنه قد جاء بتقابلات متعددة شملت عدداً من الأقسام بلغت ستة أقسام.

أما القسم الأول فهو المنافقون والعقيدة، وقد بلغت تقابلاته ثلاثين تقابلاً وتمثالاته تماثلين، وقد توزعت على أكثر من مجال من مجالات العقيدة، إذ كان أهمها إثبات كفرهم، وقد أظهرت حال المنافقين من حيث إظهارهم للإيمان وإخفاؤهم للكفر، فالمنافقون كانوا يدعون الإيمان بألسنتهم، ويخفون الكفر في صدورهم^(٤٢٥) ومن ثم بينت أن هؤلاء المنافقين قد كفروا بعد إيمانهم^(٤٢٦). وأشارت إلى حقيقة كفرهم بأنهم يخفون في صدورهم ما لا يعلنون^(٤٢٧)، ولا شك في أن المنافقين بأعمالهم هذه وبصددهم عن الإيمان يكونون قد استبدلوا المتاع الدائم^(٤٢٨)، واشتروا بذلك الكفر بالإيمان^(٤٢٩)، والضلالة بالهدى^(٤٣٠).

كما بينت الآيات إعراض المنافقين عن العقيدة تكبراً منهم إذ إنهم اتبعوا ما جاء به محمد عليه السلام؛ لأن الضعفاء من الناس قد اتبعوه^(٤٣١).

وكما أظهرت الآيات كفر هؤلاء المنافقين بما جاء في الكتاب، إذ إنهم أظهروا إيمانهم به وأخفوا كفرهم بآياته^(٤٣٢). وثمة صورة أخرى لكفرهم بالكتاب، وهي أنهم أنكروا بعض آياته وآمنوا ببعضها الآخر^(٤٣٣).

والواقع أن مفردات التقابل في هذا القسم تنوعت واختلفت، وحتى ندرك هذا الاختلاف نرصدها في الجدول الآتي:

العدد	المفردات	الرقم
١٤	إثبات الإيمان/ وإثبات الكفر	١
٣	إثبات الإيمان ونفيه	٢
٣	الضلالة/ والهداية	٣
٣	يسرون/ ويعلتون	٤
١	يتحاكمون إلى الطاغوت/ أن يكفروا به	٥
١	انصرفوا/ صرف الله قلوبهم	٦
١	تهدون/ أضل الله	٧
١	نخوض ونلعب/ تستهزئون	٨
١	أعطوا ورضوا/ لم يعطوا ويسخطون	٩
١	الخبيث/ والطيب	١٠
١	الدنيا/ والآخرة	١١
١	فتمنوا الموت/ لن يتمنوه	١٢
١	يقولون طاعة/ غير الذي قيل	١٣
٣٢	المجموع	

إن من الملاحظ على مفردات هذه التقابلات والتماثلات أن المفردات التي تنتمي إلى ثنائية (الكفر/ والإيمان) سواء بالإثبات أم بالنفي، وسواء بمعنى الضلالة أو الهداية قد غلب على التقابلات في هذا القسم، ولعل السبب في ذلك أن الآيات الكريمة بمقابلاتها قد توجهت إلى إظهار حقيقة المنافقين في عقيدتهم التي أخذت معنى مناقضاً للإيمان.

وأما القسم الثاني، فهو المنافقون ومواقفهم من المؤمنين، وقد بلغت تقابلاته سبعة عشر تقابلاً، وقد أظهر بعضها موقف المنافقين الذين يترصدون بالمسلمين، فهم ينتظرون إما أن يشركوهم بالغنائم التي يحصل عليها المسلمون من المعارك والغزوات أن ينتظروا هلاك المسلمين واستشهادهم في الغزوات^(٤٣٤). ومن مواقفهم أيضاً أنه إذا ما أصاب المؤمنين أمر من الأمور السيئة أو أحرزوا أمراً حسناً، فإنهم يذيعونه ويفشون سره بين الناس^(٤٣٥). وقد وقفوا منهم كذلك موقف العداة إذ عدوا المؤمنين أذلة وعدوا الكفار أعزة^(٤٣٦). ومن المواقف التي تكشف عن كفرهم الحقيقي إزاء المسلمين أنه إذا ما أصابت المسلمين حسنة، فإنهم يستأثرون، وإذا ما أصابهم سوء، يفرحون لذلك^(٤٣٧)، وكذلك بينت مواقفهم الحقيقي الذي ينبع من معتقدتهم الفاسد بأنه إذا أصابتهم حسنة، قالوا من عند الله، وإذا أصابتهم سيئة، قالوا هذه من عند الرسول عليه السلام^(٤٣٨).

وكما بينت الآيات الفارق بين موقف المؤمنين الذين يحبون هؤلاء المنافقين على أساس أنهم مؤمنون، وموقف المنافقين الذين لا يحبون المؤمنين^(٤٣٩). وقد غلبت المخادعة على مواقف المنافقين تجاه المؤمنين، إذ صورتهم الآيات الكريمة بأنهم يخادعون المؤمنين، ويخادعون الله عز وجل، ولكنها ردت لهم هذه المخادعة؛ لأنهم إنما يخدعون أنفسهم^(٤٤٠)، والمخادعة هنا تظهر في مظاهر مختلفة كإبرام العهود ونبذها^(٤٤١)، وكالإفناق رياء^(٤٤٢)، وكالقسم بأنهم مؤمنون وهم ليسوا كذلك^(٤٤٣). ولم تقتصر المخادعة لديهم على المؤمنين، وإنما امتدت إلى أهل الكتاب الذين كفروا بأنهم يعدونهم بالمدافعة عنهم، ونصرتهم، ولكنهم كذبوا في وعدهم^(٤٤٤).

وأما القسم الثالث فهو موقفهم من الجهاد في سبيل الله، وقد بلغت تقابلاته سبعة تقابلات، كشفت عن تباطؤ المنافقين عن الخروج إلى القتال في سبيل الله، وقد عبرت الآيات بصور مختلفة عن هذا الجانب، إذ كان المنافقون يخلقون الأعذار لئلا يخرجوا^(٤٤٥)، كأن يدعون بأن بيوتهم عورة فلا يستطيعون أن يخرجوا، وما هي كذلك^(٤٤٦). وكانوا يقولون لو أصر القتال إلى أجل قريب، وذلك عندما كتب القتال على المسلمين^(٤٤٧). وقد أكدت الآيات الكريمة أن هؤلاء المنافقين لا يخرجون في سبيل الله للجهاد، وإنما الذي يخرج هو من آمن بالله واليوم الآخر^(٤٤٨). ولذلك فإن الله عز وجل طلب من الرسول الكريم أن لا يأذن لهم بالخروج لقتال الأعداء لما لهم من مواقف تشير إلى تخاذلهم وامتناعهم عن القتال معه صلى الله عليه وسلم^(٤٤٩).

وأما القسم الرابع فهو حال المنافقين في الحياة الدنيا، وقد بلغت تقابلاته تقابلاته تقابلاتين كشفت عن أنهم قوم مفسدون في الأرض لا يصلحون وإن كانوا يدعون الإصلاح^(٤٥٠). وأهم أيضاً قد خلطوا العمل الصالح بالعمل الفاسد^(٤٥١).

وأما القسم الخامس فهو المنافقون والعذاب، وقد بلغت تقابلاته سبعة تقابلات، كشفت عن أن الله سبحانه وتعالى لن يغفر لهؤلاء المنافقين ما صنعوا في حياتهم الدنيا^(٤٥٢). وتؤكد بأن الله لن يظلم هؤلاء المنافقين في الحساب، وإنما سيلقون جزاء ما كانوا يفعلون^(٤٥٣). وسيكون جزاؤهم العذاب في جهنم يضربون فيها على وجوههم وأدبارهم؛ وذلك لأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه^(٤٥٤).

وأما القسم السادس، فهو المنافقون بين التهيب والترغيب، وقد بلغت تقابلاته خمسة عشر تقابلاً، وتوزعت على مجالين: الأول- التهيب وحده، وقد بلغت تقابلاته خمسة تقابلات، والثاني- التهيب والترغيب معاً، وقد بلغت

تقابلاته عشرة تقابلات. وقد جاءت التقابلات في المجال الأول تكشف عن ترهيبهم من عذاب الله سبحانه وتعالى^(٤٥٥)، وأنه يعلم كل شيء سواء أكان في الحاضر أم في الغيب^(٤٥٦)، وترهيبهم أيضاً مما يظنون ويخفون من كفر؛ وذلك لأنه يعلم حقيقتهم^(٤٥٧)، كما ذهبت الآيات إلى ترهيبهم من إنفاقهم رياء أمام الناس^(٤٥٨)، وأنهم لن يجدوا غير الله ولياً ونصيراً، إذ إنه إذا أراد بهم سوءاً أو رحمة أوقعهما عليهم^(٤٥٩).

وأما الآيات في المجال الثاني وهو الترهيب والترغيب، فقد كشفت عن ترهيبهم من الإعراض عن الإيمان وترغيبهم بالإيمان، والجهاد في سبيل الله^(٤٦٠). وقد رغبتهم الآيات بالأعمال الحسنة ورهبتهم من الأعمال السيئة^(٤٦١). بعد أن تحدثنا عن أقسام محور النفاق حديثاً مفصلاً نأتي لتحدث عنها حديثاً عاماً من خلال ملاحظتنا على مجموع تقابلاتها وتمثلاتها ولذلك نرصدها في الجدول الآتي:

الرقم	القسم	مجموع تقابلاتها وتمثلاتها	نسبتها المئوية
١	المنافقون والعقيدة	٣٢	٤٠%
٢	المنافقون ومواقفهم من المؤمنين	١٧	٢١,٢٥%
٣	المنافقون بين الترهيب والترغيب	١٥	١٨,٧٥%
٤	المنافقون والجهاد في سبيل الله	٧	٨,٧٥%
٥	المنافقون والعذاب	٧	٨,٧٥%
٦	المنافقون في الحياة الدنيا	٢	٢,٥٠%
	المجموع	٨٠	١٠٠%

لا شك في أننا نلاحظ أن تقابلات قسم المنافقين والعقيدة وتمثالاته قد أخذت مجموعاً كبيراً يكاد يقارب نصف النسبة المئوية من المجموع الكلي إذ بلغ ٤٠%، ولعل السبب في ذلك متأ من أهمية العقيدة في تحديد حقيقة المنافق، إذ إن المنافق إذا ما أظهر تماسكاً بمعاني العقيدة وأخفى ما ينقضها، فإن ذلك هو الذي يحدد حقيقته وصفاته. ومن ثم نلاحظ أن تقابلات قسم المنافقين ومواقفهم من المؤمنين تأخذ مجموعاً عالياً بالقياس إلى الأقسام الأخرى إذ بلغت ٢٥، ٢١% ولعل هذا متأ من طبيعة سلوك المنافق في الحياة الدنيا، هذه الطبيعة التي تتوجه نحو العداة للمسلمين إذ يحاول المنافقون أن يتظاهروا لهم بإيمانهم خوفاً أو طمعاً في الحياة الدنيا، ولذلك من الطبيعي أن تظهر في سلوكهم مواقف سلبية من المسلمين.

ولعل ارتفاع تقابلات الترهيب والترغيب أيضاً بالنسبة لسائر الأقسام يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى، بعد أن كشف ابتعاد المنافقين عن العقيدة، وأظهر ممارساتهم ضد المسلمين، أراد أن يثنيهم عن كفرهم بترهيبهم من عذابه، وترغيبهم في العمل الصالح والإيمان عليهم يرجعون إليه عز وجل. ومن هنا كانت التقابلات مرتفعة نسبياً، ولا شك في أن الأقسام الأخرى تسهم في إظهار حقيقة المنافقين في آيات القرآن الكريم. فهي تشكل أبعاداً مهمة في الأقسام السابقة وذلك أن نفاقهم هو الذي أوصلهم إلى الامتناع عن الجهاد، وبالتالي أوصلهم إلى العذاب وممارسة الفساد في الأرض.

وأما عن طبيعة تشكيل المعجم اللفظي لتقابلات محور النفاق وتمثالاته فيمكن أن ندركها من الجدول الآتي:

الرقم	المفردات	مجموعها	نسبتها المئوية
١	ألفاظ تنتمي إلى الكفر	٤٤	٣١,٤٣%
٢	ألفاظ تنتمي إلى الإيمان	١٨	١٢,٨٦%
٣	ألفاظ تنتمي إلى العذاب	١٤	١٠%
٤	ألفاظ تنتمي إلى السيئات	١٢	٨,٥٧%
٥	ألفاظ تنتمي إلى الحسنات	١١	٧,٨٦%
٦	ألفاظ تنتمي إلى الظاهر	٧	٥%
٧	ألفاظ تنتمي إلى الباطن	٧	٥%
٨	ألفاظ الدنيا	٧	٥%
٩	ألفاظ الآخرة	٧	٥%
١٠	ألفاظ تنتمي إلى الفرح	٤	٢,٨٦%
١١	ألفاظ تنتمي إلى المغفرة	٣	٢,١٤%
١٢	ألفاظ تنتمي إلى الكره	٣	٢,١٤%
١٣	ألفاظ تنتمي إلى الصلاح	٣	٢,١٤%
	المجموع	١٤٠	١٠٠%

إن أولى الملاحظات على هذا المعجم أن الألفاظ التي تنتمي إلى الكفر قد أخذت نسبة عالية بالقياس إلى سائر الألفاظ، وإذا ما قسناها بالألفاظ التي تنتمي إلى الإيمان فإننا نجد أنها تزيد عنها كثيراً، ولعل السبب في ذلك يكمن في أن آيات القرآن الكريم أرادت أن تكشف عن حقيقة المنافقين، وهي أنهم كافرون في عقيدتهم ويتصفون بكل ما يتصف به الكفار. ولا شك في أن ارتفاع هذه النسبة جاءت منسجمة مع محور النفاق الذي قد يعد جزءاً من محور الكفر.

ثم إننا إذا ما ذهبنا لنقارن بين نسبة ألفاظ العذاب وألفاظ المغفرة، فإننا نجد أن ثمة فارقاً كبيراً بينهما، إذ بلغت نسبة ألفاظ العذاب ١٠% في حين لم تبلغ نسبة ألفاظ المغفرة سوى ٢,١٤%. وهذا مؤشر إلى حقيقة مصير المنافقين التي تؤول بالتالي إلى النار يوم القيامة، وهذه نسبة منسجمة مع محور النفاق.

ومن المدهش أيضاً أن نجد أن الألفاظ التي تنتمي إلى السيئات تزيد ولو قليلاً عن نسبة الألفاظ التي تنتمي إلى الحسنات وهذا أيضاً مؤشر إلى وصف حالتهم في الدنيا والآخرة.

ومن الملاحظات الأخرى على هذا الجدول أن نسبة ألفاظ الظاهر والباطن قد تساوت، كما هي الحال في ألفاظ الدنيا والآخرة، ولعل هذا متأثراً من أن الألفاظ الأولى (الظاهر والباطن) تتعلق بعلم الله عز وجل بسرهم وجهرهم وبالغيب والشهادة. أما ألفاظ الدنيا والآخرة، فتساويها متأثراً من أنها لا تتصل مباشرة بمعنى النفاق، وإنما هي ألفاظ عامة تحتوي على أحوالهم، وإن كانت تشير إلى تشابه حالهم في الحياتين الدنيا والآخرة.

ولا شك في أن سائر الألفاظ تشكل عاملاً مساعداً في الكشف عن محور النفاق فألفاظ الفرح التي جاءت بنسبة متدنية بلغت ٢,٨٦% تكشف عن حالهم في الحياة الدنيا إذ إنهم يلهون، ويلعبون، ولكنه هو ولعب قصير المدى يتساوى مع متاع الدنيا نفسها.

وقد ظهرت ألفاظ الكره أيضاً بنسبة منخفضة بلغت ٢,١٤% ولعل هذا يشير إلى أنهم تمتعوا بصفة الكره في حياتهم الدنيا التي تشير إلى الحياة الزائلة القصيرة، وأما الألفاظ التي تنتمي إلى الصلاح، فقد جاءت منخفضة أيضاً إذ تكشف عن أن صلاح المنافقين ليس له أثر في الحياة الدنيا مقابلاً لسيئاتهم ولكفرهم وممارساتهم في الدنيا.

تقابلات بين محوري الإيمان والنفاق:

بعد أن تحدثنا عن تقابلات محور النفاق وتمثالاته نتحدث عن التقابلات التي وقعت بين الآيات الكريمة التي تجمع محور النفاق إلى محور الإيمان. وقد بلغت هذه التقابلات أربعة عشر تقابلاً، توزعت على أربعة مجالات:

المجال الأول - العقيدة:

كشفت التقابلات في هذا المجال عقيدة المؤمنين الصالحة وعقيدة المنافقين الفاسدة، فالمنافقون يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف في حين أن المؤمنين يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر^(٤٦٢). والمؤمنون تزيدهم سور القرآن الكريم إيماناً، في حين تزيد المنافقين رجساً؛ ويموتون وهم كفار^(٤٦٣). وتأتي آية تكشف عن علم الله بحقيقة حال المؤمنين وحال المنافقين في العقيدة، فالله يعلم من آمن به ويعلم من هو منافق^(٤٦٤).

المجال الثاني - الجهاد:

وقد كشفت تقابلاته عن أن المؤمنين لا يتباطؤون عن القتال، في حين أن المنافقين لا يخرجون إليه وإنما يختلّفون مع القاعدين^(٤٦٥). وكشفت كذلك عن أن المنافقين لا يخرجون إلى الجهاد خوفاً من أن يصيبهم سوء منه^(٤٦٦).

المجال الثالث - حال المؤمنين وحال المنافقين في الآخرة:

فالله عز وجل يعذب المنافقين والمنافقات ويغفر للمؤمنين والمؤمنات^(٤٦٧).

المجال الرابع:

جاء آية يحذر الله فيها المؤمنين من المنافقين حتى لا يتخذ المؤمنون المنافقين بطانة، وذلك للبغضاء التي تبدو من أفواههم، وتخفى في صدورهم (٤٦٨).

ولو أحصينا المفردات التي تتصل بمحور الإيمان لوجدناها تسعاً وأربعين مفردة، في حين أن المفردات التي تتصل بمحور النفقات لم تبلغ سوى أربع وأربعين مفردة، ولعل السبب في هذا يكمن في محاولة الآيات الكريمة بالتوجه بالمنافقين نحو الإيمان، وذلك من خلال مقارنة أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بأحوالهم.

لا شك في أن ما تقدم في هذا الفصل من رصد مفردات المعجم اللفظي للتقابل والتماثل في القرآن الكريم ومحاوره قد أسهم في كشف حركة المعنى في هذه المحاور الثلاثة، ولابد في نهاية هذا الفصل من أن نخطو خطوة أخرى نحو الكشف عن حركة المعنى لمفردات التقابل والتماثل من خلال تقسيم آخر موزع على السور المكية والسور المدنية، لأن هذين التقسيمين في القرآن توجهاً خاصاً في معالجة الموضوعات التي تحدثت عنها المحاور: محور الإيمان من ناحية، ومحور الكفر والنفق من ناحية أخرى (٤٦٩). ورأيت أن أنظر إلى هذا المعجم نظرة كلية من حيث المجموع العام لمفردات التقابل والتماثل التي تمثل مفردات القرآن بشكل كلي في تقابلاته وتمثالاته، وذلك لإيجاد حركة المعنى التي يسعى القرآن الكريم لإيجادها بتقابلاته وتمثالاته.

وحتى تقوم بهذه الخطوة رصدت المفردات في معجم لفظي بينت فيه الألفاظ المشتركة بين السور المكية والسور المدنية، والتي كانت أكثر تردداً في كلا القسمين، والتي تلقي ظلالاً على حركة المعنى في المحاور الثلاثة في الوقت

نفسه، ورصدت كذلك المجموع الكلي لكل مفردة وردت في التقابلات والتمثالات. (أنظر الجدول الملحق في نهاية هذا الفصل).

إن أولى الملاحظات على هذا المعجم هو توجه تقابلات السور المكية وتمثالاتها إلى ألفاظ الكفر التي بلغت نسبتها ١٢,٠٦% وهي تشكل نسبة عالية إذا ما قورنت بسائر ألفاظ السور المكية في هذا المعجم، ولعل هذا التميز في النسبة المرتفعة في هذه الألفاظ يكشف عن توجه تقابلات السور المكية وتمثالاتها في الكشف عن حركة المعنى التي تتخلل النص القرآني، فالسور المكية بطبيعة الحال كانت تمثل مرحلة أولى من مرحلتي الرسالة المحمدية، إذ كانت تعالج موضوع الكفر، وانتقال الإنسان إلى الإيمان وترك عبادة الأوثان^(٤٧٠). ومن هنا جاءت التقابلات والتمثالات منسجمة بمفرداتها مع طبيعة التوجه القرآني في المرحلة المكية. ولعل الانخفاض الملحوظ على نسبة ألفاظ الإيمان التي كانت ١٠,٣٣% في السور المكية يشارك في إبراز مساهمة التقابلات والتمثالات لرصد حركة المعنى التي تعالج موضوع الكفر، فغلبة مفردات الكفر إذن هنا على مفردات الإيمان من ناحية وعلى المفردات الأخرى من ناحية ثانية ظاهرة طبيعية تنسجم والمرحلة الإسلامية في الدعوة إلى الإيمان، ولعل هذه الغلبة تشير إلى معنى حقيقة حال الإنسان أمام الدعوة الإلهية، وهي أن صفة الكفر في الإنسان في بداية الدعوة كانت أعم من صفة الإيمان.

وأما الحال في هذه الألفاظ، فإنها تنعكس في السور المدنية. إذ إننا نلاحظ تفوق ألفاظ الإيمان على ألفاظ الكفر، إذ بلغت نسبة ألفاظ الإيمان ١٨,٦٧% في حين تدنت نسبة ألفاظ الكفر حتى وصلت إلى ١١,٨٥%، ولا شك في أن هذا الفارق الواضح بين المجموعتين يكشف عن طبيعة الدعوة الإسلامية في المرحلة الثانية من القرآن الكريم (المرحلة المدنية). إذ إن مؤشر

ارتفاع نسبة ألفاظ الإيمان يؤكد أن جانب الإيمان هو السمة الغالبة على الإنسان المخاطب بتقابلات السور المدنية وتمثالها. وثمة ملاحظة أخرى لا بد من الإشارة إليها؛ لأنها تؤكد ما تقدم، وهي أنه مع تفوق ألفاظ الكفر في السور المكية وتدني ألفاظ الإيمان بالنسبة لها، وتفوق ألفاظ الإيمان في السور المدنية وتدني ألفاظ الكفر بالنسبة لها إلا أننا نجد الفارق العددي أيضاً في الألفاظ المتماثلة في المرحلتين المدنية والمكية. وذلك أن ألفاظ الكفر التي بلغت مائة وثمانين لفظة في السور المكية قلت عنها بصورة واضحة في السور المدنية إذ لم تبلغ سوى مائة واثنين وثلاثين لفظة. وأما ألفاظ الإيمان في السور المكية التي بلغت مائة وإحدى وستين لفظة فقد زادت عنها بصورة واضحة في السور المدنية التي وصلت إلى مائتين وثمانين لفظات. وهذا يؤكد توجه السور المدنية إلى تصعيد معنى الإيمان وترسيخه لدى المخاطبين بهذه السور.

إن الملاحظة الأخرى التي يمكن أن نلاحظها على هذا المعجم أن نسبتى ألفاظ السماء والأرض قد كانت مرتفعة في السور المكية، إذ بلغت نسبة كل واحدة من المجموعتين ٩,٥٦% وهذا الارتفاع بطبيعة الحال يظهر إذا ما قيست بنسب سائر الألفاظ. ويبدو لي أن هذا الارتفاع يكشف عن حقيقة التوجهات التي اتخذها السور المكية في القضية الرئيسية في الدعوة الإسلامية، وهي قضية (الإيمان والكفر). وذلك أن مثل هذه الألفاظ يسهم إسهاماً كبيراً في وضع الدلائل والبراهين القاطعة لوجود الله سبحانه وتعالى، وبالتالي الإيمان برسالة نبيه الكريم (عليه السلام) أمام الناس المخاطبين في هذه المرحلة، ولذلك فهي جاءت مرتفعة لتشارك الألفاظ السابقة مشاركة فاعلة في توجيه الإنسان من الكفر إلى الإيمان.

وفي المقابل نجد أن السور المدنية لم تكن مهمة الاهتمام نفسه في تقابلاتها وتمثالاتها بألفاظ السماء والأرض كما كانت الحال في السور المكية، إذ أن العدد جاء متدنياً جداً يكاد يزيد عن النصف بالقياس إلى الألفاظ الواردة في السور المكية كما نلاحظ، ولعل ذلك متأ من أن طبيعة المرحلة المدنية لا تحتاج إلى هذه الألفاظ لتكون دلائل وبراهين على وجود الخالق، عز شأنه، وقدرته؛ وذلك لأنها كانت قد انتهت من هذه القضية بعد رسوخ الإيمان في قلوب المخاطبين. وهذا أيضاً يكشف عن أن الدعوة الإسلامية قد أصبحت تتخذ مساراً جديداً في نشر الرسالة المحمدية على نطاق واسع.

ويشكل ارتفاع نسبة ألفاظ الموت التي بلغت ٥٠,٦٤% قياساً إلى نسبة ألفاظ الحياة التي بلغت ٤٠,٨٧% مؤشراً إلى تحرك التقابلات والتمثالات في قضية الدعوة إلى الإيمان وترك الكفر، وذلك أنها تكشف عن محاولة ربط الإنسان المخاطب بآيات الكتاب العظيم بالموت أكثر من مخاطبته بالحياة الدنيا؛ وذلك لأن الموت هو الجانب الفاعل في تحويل الإنسان من الكفر إلى الإيمان بعد إدراكه لما سيجري له في هذا الموت.

ويبقى ارتفاع نسبة ألفاظ الموت البالغة ٣٠,٤١% قياساً إلى نسبة ألفاظ الحياة البالغة ٢٠,٨٧% في السور المدنية مؤشراً إلى تحرك التقابلات في قضية الدعوة إلى الإيمان وترك الكفر، وذلك حتى تظل تربط المؤمن بالموت وما يجري فيه، فيحافظ بذلك على إيمانه، ويتعد عن العودة إلى الكفر، وهي عملية تكريس وتأكيد لاستقرار الإيمان في القلوب. وهذه الألفاظ تتشارك مع الألفاظ الواردة في السور المكية في حركة المعنى في توجيه الإنسان، ولكنها بطبيعة الحال تفترق عنها من حيث العدد الذي يكشف عن حقيقة إلحاح السور على هذه الألفاظ. فارتفاع عدد ألفاظ الموت البالغة ثمانين وثمانين لفظة، وألفاظ الحياة

البالغة ستاً وسبعين لفظة في السور المكية دليل على حرص هذه السور على أن تتحرك بالمخاطب من خلال هذا العدد الكبير. وبالتالي فهي تكشف عن حاجة المرحلة المكية إلى استخدام هذا العدد بوصفه أداة فاعلة في تحويل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، ولكن هذه الحاجة الملحة التي ظهرت في السور المكية لم تكن مشاهدة لها في السور المدنية؛ ولذلك قلت الأعداد التي جاءت بألفاظ الموت والحياة في تقابلاتها وتمائلاتها.

وتكشف ألفاظ الليل والنهار من حيث ارتفاع نسبتها قياساً إلى سائر مفردات المعجم إذ بلغ كل منها ٤,١٧% عن مشاركتها لألفاظ السماء والأرض التي توجه الإنسان من الكفر إلى الإيمان، بوصفها من المظاهر الطبيعية التي تدل وتبرهن على قدرة الخالق تبارك وتعالى.

ونلاحظ أن هذه الألفاظ في السور المدنية قد انخفضت من حيث عددها قياساً إلى مثيلاتها في المكية. ولعل السبب في ذلك متأت من أنها تشكل اتصالاً بألفاظ السماء والأرض التي جاءت منخفضة في السور المدنية إذ إن دورها في قضية الإيمان أصبح محصوراً لا يمتد كما امتد في السور المكية.

ونلاحظ أن ثمة تفاوتاً بين نسبة ألفاظ السيئات البالغة ٢,٣٧% ونسبة ألفاظ الحسنات البالغة ٢,٠٥%. وهذا التفاوت، وإن كان قليلاً، إلا أنه مؤشر إلى محاولة السور المكية الخروج بالمخاطب من السيئات إلى الحسنات، وبالتالي تصبح عملية شد نحو الإيمان.

وفي المقابل نستطيع أن نلاحظ الفارق النسبي بين ألفاظ السيئات في السور المدنية البالغة نسبتها ٠,٩٨% وألفاظ الحسنات البالغة نسبتها ٠,٧٢% ولعل هذا الفارق مؤشر إلى محاولة السور المدنية تأكيد التخلص من صفات السوء في الإنسان إلى صفات الحسن حتى تتوافق وأحواله مع حال الإيمان في هذه المرحلة.

وتأتي ألفاظ الدنيا والآخرة لتشكّل محوراً أساسياً في تقابلات السور
المكية وتمثالها محاولة ربط الإنسان بالفكرة الأساسية للإيمان والكفر، وذلك
أننا نلاحظ أن نسبة ألفاظ الدنيا بلغت ١,٩٢% ونسبة ألفاظ الآخرة بلغت
١,٩٢% وهما نسبتان متساويتان، ولكن هذا التساوي في النسبتين يزول إذا ما
أدركنا أنه من الممكن أن تنضاف مجموعتان لفظيتان إلى مجموعة ألفاظ الآخرة،
وهما: ألفاظ البعث التي بلغت نسبتها ١,٥٤% وألفاظ القيامة التي بلغت نسبتها
٠,١٩% وذلك للصلة الحميمة بينها وبين ألفاظ الآخرة؛ لأن كل هذه الألفاظ
تشير إلى معنى الحياة في الآخرة ابتداء من قيام الساعة ومروراً بالبعث. وبهذا
تكون النسبة الكلية لهذه الألفاظ هي ٣,٦٥% ولعل هذا الارتفاع في مجموع
النسب بمقارنته بنسبة ألفاظ الدنيا يؤشر إلى أن السور المكية تحاول أن تربط
الإنسان بما يجري بعد الموت بحيث تجعل اهتمامه بالبعث اهتماماً كبيراً، وبالتالي
تقلل من قيمة الدنيا لديه وتشده نحو الإيمان الذي يحقق حسن المآل. ولعل هذه
الألفاظ تشترك مع ألفاظ الموت والحياة التي رأينا بينها التفاوت نفسه، إذ يصبح
من الممكن أن تتصل ألفاظ الحياة بألفاظ الدنيا، وألفاظ الموت بألفاظ الآخرة،
والبعث والقيامة من حيث تدني نسبة المجموعة الأولى بالقياس إلى المجموعة الثانية.
وهذه الألفاظ في السور المدنية تكشف عن فارق النسبة المئوية، إذ
نلاحظ أن ألفاظ الدنيا قد زادت نسبتها البالغة ٣,١٤% عن نسبة ألفاظ الآخرة
التي انخفضت حتى وصلت إلى ٢,٧٨ ولكن الحال التي كانت في السور المكية
تعيد نفسها، إذ إن مجموعتين لفظيتين تنضافان إلى مجموعة ألفاظ الآخرة، وهي
ألفاظ البعث التي بلغت نسبتها ٠,٦٣% وألفاظ الآخرة ٣,٦٨% وهي نسبة
متفوقة على الألفاظ الأولى (الدنيا). ويبدو أن هذا الارتفاع الذي سجلته ألفاظ
الآخرة في السور المدنية مؤشر إلى محاولة هذه السور أن تربط المخاطبين فيها بما

يجري بعد الموت وفي هذا تأكيد الإيمان وترسيخه في قلب المؤمن. ولكن من الملاحظ أن عدد ألفاظ البعث في السور المكية يزيد كثيراً عنها في السور المدنية، إذ بلغت الأولى أربعاً وعشرين لفظة والثانية سبع لفظات، ولعل ذلك متأثراً من طبيعة المرحلة وهي أن السور المكية كانت تحتاج لإثبات معنى البعث بعد الموت للكفار، في حين إن السور المدنية ليست لها حاجة لإثبات ذلك بعد أن توطن الإيمان نفوس المؤمنين، ولكن الحاجة إلى إثارة هذه الألفاظ في تقابلات السور المدنية وتمثالها تبقى ضرورية، حتى تذكر المؤمنين بهذا البعث فتؤكد معنى الإيمان لديهم.

ونلاحظ أن ألفاظ الجنة والنار كانت متساوية في النسبة إذ بلغت كل مجموعة منها ١,٩٢% ولعل هذا ينسجم مع ارتفاع نسبة ألفاظ الآخرة وما يضاف إليها إذ تجعل توازناً بين الجنة والنار في الآخرة، فتخلق بالتالي ما ينطبق في نفس الإنسان من خوفه من النار وتوجهه إلى الجنة باتباعه طريق الإيمان.

ويمكننا أن ننظر إلى هذه الألفاظ في السور المدنية من زاوية ربطها بالسور المكية فنلاحظ انخفاض العدد في المدنية، ولعل ذلك متأثراً من عدم حاجة السور المدنية إلى الإلحاح على الجنة والنار لجعلها بمثابة تأكيد القضية الأساسية (الإيمان والكفر) في القرآن الكريم، وذلك أننا أدركنا في هذه المرحلة سيادة جانب الإيمان على جانب الكفر، وإنما يبقى ذكر هذه الألفاظ لقضايا إخبارية تحير المخاطبين بما يمكن أن يجري لهم في الآخرة، وتظل بالتالي تذكرهم بهذه الثنائية التي توجههم دائماً إلى الإيمان وتعميقه في أنفسهم.

وتشارك ألفاظ العذاب التي بلغت نسبتها ١,٩٢% وألفاظ الرحمة والمغفرة البالغة نسبتها ١,٦٧% المحور الأساسي للسور المكية (الإيمان والكفر) إذ نجد أن ألفاظ العذاب تنشد إلى ألفاظ الكفر، وأن ألفاظ الرحمة والمغفرة

تنشد إلى ألفاظ الإيمان إذ إنها تتوافق وحال الإنسان المخاطب في هذه السور الذي فاقت صفة الكفر فيه صفة الإيمان.

ونستطيع أن ننظر إلى ألفاظ العذاب والمغفرة والرحمة من الجانب السابق، وإن كانت النسب في السور المدنية متقاربة على خلاف السور المكية، إذ بلغت نسبة ألفاظ الرحمة والمغفرة هنا ٣,٠٥% في حين نجد نسبة ألفاظ العذاب ٢,٩٦% وهي تقل عنها قليلاً. ولكن الزيادة في الألفاظ الأولى تعطي المخاطب في السور المدنية معنى الراحة النفسية لكونه مؤمناً، فيجد معاني الرحمة أمامه، ولكنها في الوقت نفسه تظل تنبهه بألفاظ العذاب حتى يتحول عن الإيمان إلى الكفر.

وتمتد الألفاظ التي تنتمي إلى معنى الكذب ومعنى الصدق إلى ألفاظ الكفر والإيمان، بحيث تأخذ توجهاً مشابهاً لها، وذلك أن ألفاظ الكذب فاقت بنسبتها البالغة ٠,٩٦% نسبة ألفاظ الصدق البالغة ٠,٧٥% بفرق واضح كما يتبين لنا. فيبدو أن إلحاح التقابلات والتماثلات في السور المكية على ألفاظ الكذب يتوافق مع إلحاحها على ألفاظ الكفر. وذلك أنها تصور طبيعة الإنسان في المرحلة المكية الذي يميل إلى الاتصاف بالكذب، وهو أساس جانب الكفر لديه.

وأما هذه الألفاظ في السور المدنية فإنها تتجه اتجاههاً آخر، وذلك أن النسبة المئوية التي بلغت كل مجموعة منهما كانت متقاربة إذ بلغت نسبة ألفاظ الكذب ٠,٧٢% وبلغت نسبة ألفاظ الصدق ٠,٦٣% وهذا التقارب بطبيعة الحال يختلف عنه في السور المكية التي كان الفارق فيها واضحاً بين المجموعتين. فهذه الألفاظ في السور المدنية تحاول أن تقترب من بعضها، وتشكل بالتالي محوراً يربط المؤمن بحمدية حتى يظل محافظاً على جانب الصدق الذي يتصل

بالإيمان ويحارب الكذب الذي يتصل بالكفر، ولا شك في أن هذا التوجه يختلف عنه في السور المكية.

وتأتي ألفاظ العدل والظلم لتشارك في الكشف عن حركة المعنى للتقابلات والتماثلات بصورة واضحة في مرحلتي القرآن الكريم. وذلك أننا نجد أن ألفاظ العدل قد فاقت بنسبتها البالغة ١,٠٣% ألفاظ الظلم التي كانت نسبتها ٠,٥١% في السور المكية، ولعل ذلك متأ من محاولة السور المكية تأكيد صفة العدل في الإنسان وتوجهه إليه ليخرج من حال كفره إلى الإيمان الذي يرتبط بالعدل ارتباطاً وثيقاً، والحال نفسها نجدها في السور المدنية، إذ فاقت ألفاظ العدل بنسبتها البالغة ٠,٧٢% ألفاظ الظلم التي كانت نسبتها ٠,٢٧%، فهي تحاول أن تربط الإنسان المؤمن بصفة العدل، وتعمق هذه الصفة لتبعده عن صفة الظلم، ونلاحظ هذه الحركة متماثلة في السور المكية والمدنية.

وفي جانب ألفاظ الحق والباطل، نلاحظ إلحاح السور المكية على هذه الألفاظ المتساوية عددياً والتي فاقت مثيلاتها في السور المدنية، ولعل ذلك متأ من حاجة السور المكية إلى إثبات ما هو حق، وإثبات ما هو باطل، ليعرف الكافر أي الجهتين يتبع بعبادته. ولكن هذه الحاجة في السور المدنية لم تكن ملحة، ومن هنا انخفض العدد فيها، ولكن إبقاءها يشير إلى تنبيه المؤمن للتفريق بين الجانبين، وبالتالي تغليب ألفاظ الحق على ألفاظ الباطل، وهذا ينسجم مع تغليب ألفاظ الإيمان على ألفاظ الكفر في هذه المرحلة.

وفي جانب ألفاظ الفرح والحزن، نلاحظ أن السور المكية قد ألحت عليها بصورة أكبر من السور المدنية، إذ بلغ مجموع ألفاظ الطرفين في المكية إحدى وعشرين لفظة في حين كانت في المدنية إحدى عشرة لفظة، ولعل هذا الفرق الواضح متأ من أن طبيعة المرحلة المكية كانت تستدعي ربط مشاعر

الإنسان المخاطب بمواقف الإيمان والكفر، وما ينتج عنها من حال فرح أو حزن حسب مصير المسلم أو الكافر، وذلك حتى تهيئ قبول الكافر للإيمان حتى يتحقق له جانب الفرح، ومن هنا نلاحظ ارتفاع نسبة ألفاظ الفرح عن ألفاظ الحزن، وإن كانت كما تبدو متدنية بين الفرح والحزن، ولعل ذلك متأثراً من محاولة إبقاء المؤمن مرتبطاً بالإيمان حتى يحقق الجانب المفرح من مصيره في الحياتين الدنيا والآخرة.

ويمكننا أن ننظر إلى ألفاظ الرزق في السور المكية التي تفوقت على مثيلاتها في السور المدنية. ولعل ذلك متأثراً من المرحلة المكية التي كانت تسعى لإثبات قدرة الله عز وجل على إرزاق الناس جميعاً، وبالتالي تكشف عن وجوده وعن أحقيته بالعبادة، وبطبيعة الحال هذا يتوافق مع حال من ينكر وجوده وقدرته، فهي وسيلة ناجعة لتحويل الكافر إلى الإيمان.

ويبدو أن ألفاظ الأنوثة والذكورة تشكل نقطة مهمة في السور المدنية وذلك أننا نلاحظ تفوق هذه الألفاظ هنا على مثيلاتها في السور المكية، إذ لم يكن مجموعها في السور المكية سوى اثني عشرة لفظة في حين كانت في السور المدنية قد بلغ مجموعها اثنتين وثمانين لفظة، ولعل هذا الفارق الكبير متأثراً من جهة اهتمام السور المدنية بالإنسان وعلاقتها بالإنسان الآخر في الحياة الدنيا، من حيث تنظيم المعاملات والتشريعات أكثر منها اهتماماً في العلاقات الدينية التي تربط بين الخالق والإنسان، ولعل هذا ينسجم وطبيعة المرحلة القرآنية إذ كانت تتحدث كثيراً عن الجهاد والزواج وغير ذلك مما يقتضي التركيز على الإنسان بجنسه الذكر والأنثى في الحياة الدنيا.

ويمكننا هنا أن نلتفت إلى ألفاظ الجن والإنس في المرحلتين. إذ إننا نلاحظ ارتفاع عددها في السور المكية الذي بلغ اثني عشرة لفظة في حين كان

في السور المدنية قد بلغ ست لفظات، ولعل السبب في ذلك متأ من قضية عملية الخلق والمخلوقات، وقصة إبليس، إذ كانت تشغل حيزاً من الموضوعات القرآنية لإثبات قدرة الله عز وجل على الخلق، في حين أن السور المدنية تجاوزت هذه القضية بعدما يتقن منها الإنسان المؤمن.

ويمكننا أن ننظر أخيراً إلى ألفاظ التحليل والتحريم في السور وتنضاف إليها ألفاظ الخبائث والطيبات لتجانسها في أصل المعنى معها، وذلك أننا نلاحظ أن السور المدنية تفوقت بعدد هذه الألفاظ بأنواعها على مثيلاتها في السور المكية، ولعل ذلك متأ من طبيعة المرحلة القرآنية التي اتجهت إلى سن التشريعات والمعاملات بعد أن تأكد معنى الإيمان في النفوس في حين لم تكن المرحلة المكية مهياً لهذا الجانب وإن كانت قد تضمنت بعض هذه التشريعات.

أما سائر الألفاظ فلا شك في أنها تشارك في التوجهات العامة للقضية الرئيسية في السور المكية والمدنية وهي قضية الإيمان والكفر، ولكنها لم تكن واضحة المعالم كما كانت في الألفاظ السابقة.

بعد أن انتهت من الملاحظات على معجم المفردات في السور المكية والمدنية آتي لأضع أهم الملاحظات على هذه المفردات التي تبرز المجموع الكلي لألفاظ التقابلات والتماثلات في النصوص القرآنية.

إن أولى الملاحظات هي أن ألفاظ الإيمان التي بلغت نسبتها ١٣,٨٠% قد أخذت أكبر نسبة مئوية بين سائر الألفاظ من جهة، وتفوقت على نسبة ألفاظ الكفر التي بلغت ١١,٩٧% من جهة أخرى. ولعل هذه النسبة العالية تكشف عن التوجه الحقيقي للقرآن الكريم، وهي أنه يحاول دائماً أن ييث معاني الإيمان في تقابلاته وتماثلاته إلى جوار معاني الكفر، ولكنه يجعل الإيمان متفوقاً حتى يثبت هذا الجانب في الإنسان المخاطب بآياته وسوره.

ونلاحظ أيضاً أن القرآن الكريم بتقابلاته وتمثالاته يتوجه نحو استخدام ألفاظ الموت التي بلغت نسبتها ٤,٧١% أكثر من استخدامه لألفاظ الحياة التي بلغت نسبتها ٤,٠٤% ولعل مثل هذا التوجه يسهم بإبراز الدور الفاعل لمثل ألفاظ الموت التي تؤكد استقرار معنى الإيمان في قلوب المؤمنين من ناحية والتي تردع الكفار عن كفرهم من ناحية أخرى.

وتأتي ألفاظ السيئات المتفوقة نوعاً ما في نسبتها البالغة ١,٧٩% على نسبة ألفاظ الحسنات التي تقل عنها والبالغة ١,٤٩% لتؤكد توجه القرآن الكريم إلى الحذر من الجانب السيئ الذي يرتبط بمعاني الكفر لدى الإنسان. وتظل ألفاظ الآخرة مسيطرة على ألفاظ الدنيا في تقابلات القرآن وتمثالاتها بشكل عام تماماً كما كانت الحال في توزيعها على السور المكية والسور المدنية، وذلك إذا انضافت ألفاظ البعث والقيامة إليها، وتقوم بالدور نفسه الذي قامت به في مرحلتيه المكية والمدنية.

ويضع القرآن الكريم موازنة بين ألفاظ الجنة وألفاظ النار من حيث النسبة المئوية، ولعل هذا مؤشر إلى محاولة القرآن الكريم خلق التوازن لدى الإنسان بهذا الموضوع، بحيث يتصور دائماً الجنة والنار بالمقدار نفسه، وبالتالي يكون ذلك رادعاً له عن التحول إلى الكفر.

ونلاحظ أن ألفاظ العذاب في تقابلات القرآن العظيم وتمثالاته قد فاقت قليلاً بنسبتها البالغة ٢,٣٥% ألفاظ الرحمة والمغفرة التي كانت نسبتها ٢,٢٢% وهي بهذا التفوق تبقي عملية شد المؤمن نحو الإيمان وتمسكه به وذلك حتى يتبقى العذاب من الله سبحانه وتعالى.

وكما نلاحظ أن ألفاظ العدل التي بلغت نسبتها ٠,٩٠% قد فاقت ألفاظ الظلم التي بلغت نسبتها ٠,٤١% ولعل هذا متأثراً من توجه القرآن

الكريم لإثبات معنى العدل في المنهج الإسلامي المتمثل بالإيمان ومن توجهه أيضاً في تثبيت سيادة العدل في الحياة الإسلامية.

ولعل تفوق ألفاظ الخير التي بلغت نسبتها ٠,٨٦% على ألفاظ الشر التي بلغت نسبتها ٠,٥٦% مؤشر آخر إلى توجه القرآن الكريم، لإثبات معنى الخير الذي يتوفر في الدعوة الإسلامية، وفي انعكاسها على الإنسان، وهي محاولة تغليب الخير على الشر.

وتأتي ألفاظ الكذب التي بلغت نسبتها ٠,٨٦% بتفوقها على ألفاظ الصدق التي بلغت ٠,٦٠% لتلتقي ألفاظ العذاب والرحمة، وذلك من حيث الدور الفاعل في حركة المعنى، فهي تظل تشد المؤمن نحو الصدق وترك الكذب، ويبدو أن نزعة الكذب عند الإنسان قد تسيطر على نزعة الصدق إن ابتعد عن الإيمان، ولهذا جاءت هذه الألفاظ كثيرة نسبياً مقابل ألفاظ الصدق.

ويمكن أن نلاحظ ملاحظة أخيرة لها قيمتها في مجموع ألفاظ التحليل التي بلغت نسبتها ٠,٦٠% في حين تقابلها ألفاظ التحريم التي تدنت نسبتها حتى وصلت إلى ٠,٤٩% ولعل ذلك يلتقي ألفاظ العدل والظلم من حيث الدور الفاعل لهذه الألفاظ، فالقرآن الكريم يفتح مجال التحليل أمام المؤمن أكثر من إغلاق أبواب الأمور الحياتية بالتحريم أمامه.

جدول إحصائي بمفردات تقابلات وتماثلات السور المكية والمدنية

نسبتها النسبية	المجموع الكلي	السور المدنية		السور المكية		معجم المفردات	الرقم
		نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها		
%١١,٩٧	٣٢٠	%٥١١,٨٥	١٣٢	%١٢,٠٦	١٨٨	ألفاظ تنتمي إلى معنى الكفر	١
%١٣,٨٠	٣٦٩	%١١٨,٦٧	٢٠٨	%١٠,٣٣	١٦١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإيمان	٢
%٨,١٥	٢١٨	%٦٦,١٩	٦٩	%٥٩,٥٦	١٤٩	ألفاظ السماء	٣
%٨,١٥	٢١٨	%٥٦,١٩	٦٩	%٥٩,٥٦	١٤٩	ألفاظ الأرض	٤
%٤,٧١	١٢٦	%٣,٤١	٣٨	%٥,٦٤	٨٨	ألفاظ تنتمي إلى معنى الموت	٥
%٤,٠٤	١٠٨	%٢,٨٧	٣٢	%٤,٨٧	٧٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى الحياة	٦
%٣,٢٩	٨٨	%١,٩٧	٢٢	%٤,٢٣	٦٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى الجهات الستة	٧

الرقم	معجم المفردات	المور اللكية		المور اللدنية		الجموع الكلي	نسبتها المئوية
		نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها		
٨	ألفاظ تنتمي إلى معنى النهار	٦٥	%٤,١٧	١٩	%١,٧١	٨٤	%٣,١٤
٩	ألفاظ تنتمي إلى معنى الليل	٦٥	%٤,١٧	١٩	%١,٧١	٨٤	%٣,١٤
١٠	ألفاظ تنتمي إلى معنى السيات	٣٧	%٢,٣٧	١١	%٠,٩٨	٤٨	%١,٧٩
١١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الحسنات	٣٢	%٢,٠٥	٨	%٠,٧٢	٤٠	%١,٤٩
١٢	ألفاظ الدنيا	٣٠	%١,٩٢	٣٥	%٣,١٤	٦٥	%٢,٤٣
١٣	ألفاظ الآخرة	٣٠	%١,٩٢	٣١	%١,٧٨	٦١	%٢,٢٨
١٤	ألفاظ تنتمي إلى الجنة	٣٠	%١,٩٢	١١	%٠,٩٨	٤١	%١,٥٣
١٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى العذاب	٣٠	%١,٩٢	٣٣	%٢,٩٦	٦٣	%٢,٣٥
١٦	ألفاظ تنتمي إلى النار	٣٠	%١,٩٢	١١	%٠,٩٨	٤١	%١,٥٣

نسبتها النسبية	المجموع الكلي		السور المدنية		السور المكية		معجم المفردات	الرقم
	نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها		
%٢,٢٤	٦٠	%٣,٠٥	٣٤	%١,٦٧	٢٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى الرحمة والمغفرة	١٧	
%١,١٦	٣١	%٠,٦٣	٧	%١,٥٤	٢٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى البعث	١٨	
%١,٨٧	٥٠	%٢,٣٣	٢٦	%١,٥٤	٢٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإظهار	١٩	
%٢,٠٢	٥٤	%٢,٦٩	٣٠	%١,٥٤	٢٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى الإخفاء	٢٠	
%٠,٩٠	٢٤	%٠,٧٢	٨	%١,٠٣	١٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى العدل	٢١	
%٠,٨٦	٢٣	%٠,٧٢	٨	%٠,٩٦	١٥	ألفاظ تنتمي إلى الكذب	٢٢	
%٠,٦٧	١٨	%٠,٤٥	٥	%٠,٨٣	١٣	ألفاظ الحق	٢٣	

نسبتها المئوية	المجموع الكلي	السور المدنية		السور الملكية		معجم المفردات	الرقم
		نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها		
%٠,٦٤	١٧	%٠,٤٠	٤	%٠,٨٣	١٣	ألفاظ الباطل	٢٤
%٠,٨٦	٢٣	%١,٠٧	١٢	%٠,٧١	١١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الخبز	٢٥
%٠,٦٤	١٧	%٠,٥٤	٦	%٠,٧١	١١	ألفاظ تنتمي إلى معنى الفرح	٢٦
%٠,٥٦	١٥	%٠,٤٥	٥	%٠,٦٤	١٠	ألفاظ تنتمي إلى معنى الحزن	٢٧
%٠,٦٠	١٦	%٠,٦٣	٧	%٠,٥٧	٩	ألفاظ تنتمي إلى الصدق	٢٨
%٠,٥٦	١٥	%٠,٥٤	٦	%٠,٥٧	٩	ألفاظ تنتمي إلى الشر	٢٩
%٠,٥٦	١٥	%٠,٦٣	٧	%٠,٥١	٨	ألفاظ الذمير	٣٠
%٠,٥٦	١٥	%٠,٦٣	٧	%٠,٥١	٨	ألفاظ البشير	٣١

نسبتها النسبية	المجموع الكلي	السور المدنية		السور المكية		معجم المفردات	الرقم
		نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها		
%٠,٤١	١١	%٠,٢٧	٣	%٠,٥١	٨	ألفاظ تنتمي إلى معنى الظلم	٣٢
%٠,٧١	١٩	%٠,٤٥	٥	%٠,٨٩	١٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى الرزق	٣٣
%١,٧٦	٤٧	%٣,٦٨	٤١	%٠,٣٨	٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى الأتونة	٣٤
%١,٧٦	٤٧	%٣,٦٨	٤١	%٠,٣٨	٦	ألفاظ تنتمي إلى معنى الذكورة	٣٥
%٠,٣٤	٩	%٠,٢٧	٣	%٠,٣٨	٦	ألفاظ الجن	٣٦
%٠,٣٤	٩	%٠,٢٧	٣	%٠,٣٨	٦	ألفاظ الإنس	٣٧
%٠,٢٢	٦	%٠,٠٨	١	%٠,٣٢	٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى الكبير	٣٨
%٠,٣٠	٨	%٠,٢٧	٣	%٠,٣٢	٥	ألفاظ البر	٣٩

الرقم	معجم المفردات	السور المكية		السور المدنية		النسبة	النسبة الكلية	النسبة الكلية المجموع الكلي	النسبة الكلية المجموع الكلي
		نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها				
٤٠	ألفاظ البحر	٥	٣	%٠,٢٧	٨	%٠,٣٠	٨	%٠,٣٠	
٤١	ألفاظ تنتمي إلى معنى التحليل	٥	١١	%٠,٩٨	١٦	%٠,٦٠	١٦	%٠,٦٠	
٤٢	ألفاظ تنتمي إلى معنى التحريم	٥	٨	%٠,٧٢	١٣	%٠,٤٩	١٣	%٠,٤٩	
٤٣	ألفاظ تنتمي إلى معنى النفع	٥	٦	%٠,٥٤	١١	%٠,٤١	١١	%٠,٤١	
٤٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى الضر	٥	٧	%٠,٦٣	١٢	%٠,٤٥	١٢	%٠,٤٥	
٤٥	ألفاظ تنتمي إلى معنى الصغير	٤	١	%٠,٠٨	٥	%٠,١٩	٥	%٠,١٩	
٤٦	ألفاظ الغيب	٤	٦	%٠,٥٤	١٠	%٠,٣٧	١٠	%٠,٣٧	
٤٧	ألفاظ الشهادة	٤	٦	%٠,٢٥	١٠	%٠,٣٧	١٠	%٠,٣٧	

نسبتها المئوية	الجموع الكلي	السور المدنية		السور المكية		معجم المفردات	الرقم
		نسبتها	مجموعها	نسبتها	مجموعها		
%٠,٥٢	١٤	%٠,٩٠	١٠	%٠,٢٥	٤	ألفاظ الظلمات	٤٨
%٠,٥٢	١٤	%٠,٩٠	١٠	%٠,٢٥	٤	ألفاظ النور	٤٩
%٠,٤٩	١٣	%٠,٨١	٩	%٠,٢٥	٤	ألفاظ تنتمي إلى معنى الخوف	٥٠
%٠,٢٢	٦	%٠,٢٧	٣	%٠,١٩	٣	ألفاظ القيامة	٥١
%٠,٣٧	١٠	%٠,٦٣	٧	%٠,١٩	٣	ألفاظ تنتمي إلى الخيائث	٥٢
%٠,٣٧	١٠	%٠,٦٣	٧	%٠,١٩	٣	ألفاظ تنتمي إلى الطيبات	٥٣
%١٠,٠٠	٢٦٧٣	%١٠,٠٠	١١١٤	%١٠,٠٠	١٥٥٩	الجموع	

هوامش الفصل الثالث

- ١- الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، مجهول دار النشر، ط ٤، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص ١٥.
- ٢- الأنعام: ١٩/٦.
- ٣- انظر: الأنعام: ٥٨، ٥٦/٦.
- ٤- انظر: النساء: ٣٦/٤، والمؤمنون: ٢٣/٢٣، وآل عمران: ١٩٣/٣.
- ٥- انظر: النمل: ٤٤/٢٧، ويوسف: ١٠٨/١٢.
- ٦- البقرة: ١٢٠/٢.
- ٧- انظر: الأنعام: ٧١/٦، والبقرة: ١٢٠/٢.
- ٨- انظر: سبأ: ٥٠/٣٤، والتوبة: ١٥٥/٩.
- ٩- انظر: إبراهيم: ٥/١٤، والحديد: ٩/٥٧.
- ١٠- الرحمن: ٢٦-٢٧/٥٥.
- ١١- انظر: الإسراء: ٤٤/١٧، والنور: ٤١/٢٤، ومريم: ٩٣/١٩.
- ١٢- انظر: ص: ١٨/٣٨.
- ١٣- الفرقان: ٥٩/٢٥. وانظر أيضاً: الأعراف: ٥٤/٧، والزمر: ٣٨/٣٩، والأنعام: ٧٣/٦، والعنكبوت: ٤٤/٢٩.
- ١٤- يوسف: ١٠١/١٣. وانظر أيضاً: الزمر: ٤٦/٣٩، والذاريات: ٥١/٤٧-٤٨، والرحمن: ٧/٥٥-١٠.
- ١٥- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم. بيروت، ط ٤، (١٤٠٣هـ-١٩٨١م) ج ٢/ص ٦٩.
- ١٦- فاطر: ١١/٣٥.

- ١٧- الرحمن: ١٣/٥٥-١٤.
- ١٨- النساء: ١/٤.
- ١٩- القصص: ٥٦/٢٨.
- ٢٠- أنوار التزئيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي، ج ٤/ص ١٣٠.
- ٢١- الأعراف: ١٥٥/٧.
- ٢٢- الكشاف: ١٢١/٢.
- ٢٣- انظر: القصص: ٥٦/٢٨، والكهف: ١٧/١٨، والنمل: ٨١/٢٧.
- ٢٤- انظر: طه: ٢٠/٢٥-٢٦، وآل عمران: ٨/٣.
- ٢٥- البقرة: ٢/٢٠١، وانظر: الأعراف: ٧/١٥٦، والنحل: ١٦/١٢٢.
- ٢٦- صفوة التفاسير: ١٣٠/١.
- ٢٧- الإسراء: ٨٠/١٧.
- ٢٨- الكشاف: ج ٢/ص ٤٦٣.
- ٢٩- يوسف: ١٢/٥٦-٥٧.
- ٣٠- انظر: الرعد: ٣٩/١٣.
- ٣١- انظر: البقرة: ٢/٢٨٤، والمائدة: ٥/٩٨،٤٠.
- ٣٢- انظر: الأعراف: ٧/١٥٦، والإسراء: ١٧/٥٤.
- ٣٣- انظر الفتح: ٢/٤٨.
- ٣٤- البقرة: ٢/٢٨٦.
- ٣٥- الخصائص، ابن جنى، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط ٢، دون تاريخ، ج ٣/ص ٢٦٥.

- ٣٦- انظر: فاطر: ٤١/٣٥.
- ٣٧- انظر: الحج: ٦٥/٢٢.
- ٣٨- انظر: النمل: ٨٨/٢٧.
- ٣٩- انظر: الأعراف: ٥٤/٧، والجاثية: ٥/٤٥، والنور: ٤٤/٢٤.
- ٤٠- انظر: آل عمران: ٢٧/٣، ولقمان: ٢٩/٣١، والحديد: ٦/٥٧.
- ٤١- انظر: الفرقان: ٤٨/٢٥، وإبراهيم: ٣٣/١٤.
- ٤٢- الفرقان: ٤٥/٢٥-٤٦.
- ٤٣- صفوة التفاسير: ٣٦٥/٢.
- ٤٤- انظر: طه: ٥٣/٢٠، والمؤمنون: ١٨/٢٢، وفاطر: ٢٧/٢٥، والنور: ٤٣/٢٤.
- ٤٥- انظر: الفرقان: ٥٣/٢٥، وفاطر: ١٢/٢٥.
- ٤٦- انظر: غافر: ٦٨/٤٠، والزمر: ٤٢/٣٩، والأنعام: ٦٠/٦، والأعراف: ١٥٨/٧، والبقرة: ٢٤٣/٢، ومريم: ٣٣/١٩.
- ٤٧- انظر: الفرقان: ٤٩/٢٥، والروم: ٢٤/٣٠، والنحل: ٦٥/١٦، وفاطر: ٩/٣٥، وفصلت: ٣٩/٤١.
- ٤٨- يونس: ٤٩/١٠.
- ٤٩- انظر: الشعراء: ٨٠/٢٦.
- ٥٠- انظر: آل عمران: ٢٦/٣.
- ٥١- انظر: الأعراف: ١٨٨/٧، والأنعام: ٧١/٦، والأنبياء: ٨٣/٢١-٨٤، والزمر: ٣٨/٣٩.
- ٥٢- انظر: سبأ: ٣٦/٣٤، والإسراء: ٣٠/١٧.

- ٥٣- انظر: المائدة: ١١٤/٥.
- ٥٤- انظر: هود: ٤١/١١.
- ٥٥- المائدة: ١٠٩/٥. وانظر: آل عمران: ٦٦/٣، والمائدة: ١١٦/٥،
ويوسف: ٨٦/١٢.
- ٥٦- إبراهيم: ٣٨/١٤، وانظر: التغابن: ٤/٦٤، ويس: ٧٦/٣٦، والمائدة:
٩٩/٥.
- ٥٧- صفوة التفاسير، ج ٢/ص ١٠٠.
- ٥٨- الحج: ٧٠/٢٢. وانظر: المجادلة: ٧/٥٨، والعنكبوت: ٥٢/٢٩،
ويونس: ٦١/١٠، والبقرة: ٣٣/٢.
- ٥٩- صفوة التفاسير، ج ٢/ص ٢٩٨.
- ٦٠- انظر: المزمل: ٢٠/٧٣.
- ٦١- انظر: الأنعام: ٥٩/٦.
- ٦٢- انظر: الأنعام: ٥٩/٦.
- ٦٣- الزمر: ٤٦/٣٩. وانظر: الأنعام: ٧٣/٦، والتغابن: ١٨/٦٤.
- ٦٤- الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه، ص ١٥.
- ٦٥- الأنبياء: ٥٦/٢١. وانظر: الكهف: ١٤/١٨، والدخان: ٧/٤٤،
ومريم: ٦٥/١٩.
- ٦٦- صفوة التفاسير: ج ٢/ص ٢٦٦.
- ٦٧- انظر: الشعراء: ٢٨/٢٦، والرحمن: ١٧/٥٥، والمعارج: ٤٠/٧٠.
- ٦٨- انظر: الناس: ٦/١١٤.

- ٦٩- النور: ٤٢/٢٤. وانظر: البقرة: ٢٨٤/٢، والأعراف: ١٥٨/٧،
والحديد: ٢/٥٧، والروم: ٢٦/٣٠.
- ٧٠- الروم: ٤/٣٠.
- ٧١- صفوة التفاسير: ج ٢٧١/٢.
- ٧٢- انظر: هود: ١/١١.
- ٧٣- انظر: البقرة: ١٢١/٢.
- ٧٤- انظر: الأعراف: ٣/٧.
- ٧٥- انظر: المائدة: ٦٧/٥.
- ٧٦- انظر: المائدة: ٤٨/٥، والشورى: ١٥/٤٢.
- ٧٧- انظر: يوسف: ١١١/١٢.
- ٧٨- انظر: النساء: ١١٣/٤.
- ٧٩- انظر: الأنعام: ٨٩/٦.
- ٨٠- انظر: الرعد: ١٩/١٣.
- ٨١- النجم: ٨-٧/٥٣.
- ٨٢- انظر: البقرة: ١١٩/٢، والأعراف: ١٨٨/٧، والأحزاب: ٤٥/٣٣.
- ٨٣- انظر: المائدة: ٩٢/٥.
- ٨٤- انظر: الحشر: ٧/٥٩.
- ٨٥- انظر: النساء: ١٦٤/٤.
- ٨٦- انظر: آل عمران: ١٠٤/٣، ١١٠-١١٤، والحج: ٤١/٢٢،
والأعراف: ١٥٧/٧.
- ٨٧- النساء: ٤٣/٤.

- ٨٨- معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء: ج ١/ص ٢٧٠.
- ٨٩- انظر: النساء: ٤٣/٤، والمائدة: ٦/٥.
- ٩٠- انظر: المائدة: ٦/٥.
- ٩١- انظر: البقرة: ١٢٥/٢، والتوبة: ١١٢/٩.
- ٩٢- انظر: الفرقان: ٦٤/٢٥، والنساء: ١٠٣/٤، والزمزم: ٩/٣٩.
- ٩٣- انظر: الإسراء: ١١٠/١٧، والمؤمنون: ٢٣-٢/٣.
- ٩٤- انظر: طه: ١٣٠/٢٠، وهود: ١١٤/١١، والمزمل: ٧-٦/٧٣.
- ٩٥- انظر: الأحزاب: ٤٢/٣٣، والإنسان: ٢٥/٧٦.
- ٩٦- انظر: آل عمران: ٤١/٣، ومريم: ١١/١٩.
- ٩٧- انظر: الروم: ١٨/٣٠.
- ٩٨- انظر: الروم: ١٧/٣٠.
- ٩٩- انظر: الأعراف: ٢٠٥/٧.
- ١٠٠- انظر: الإسراء: ٧٨/١٧.
- ١٠١- انظر: الذاريات: ١٧/٥١-١٨.
- ١٠٢- انظر: طه: ١٣٠/٢٠، وق: ٣٩/٥٠.
- ١٠٣- انظر: البقرة: ١١٥/٢، ١٧٧.
- ١٠٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص ٢٤.
- ١٠٥- انظر: السجدة: ١٦/٣٢.
- ١٠٦- آل عمران: ٩٧/٣.
- ١٠٧- روح المعاني: ج ٤/ص ١٣.

- ١٠٨- الحج: ٢٢/٢٧.
- ١٠٩- صفوة التفاسير، ج٢/ص٢٨٧-٢٨٨.
- ١١٠- انظر: البقرة: ١٢٥/٢، والحج: ٢٦/٢٢.
- ١١١- انظر: الحج: ٣١/٢٢.
- ١١٢- انظر: البقرة: ٢٠٣/٢.
- ١١٣- انظر: الحج: ٣٧/٢٢.
- ١١٤- انظر: الحج: ٣٦، ٢٨/٢٢.
- ١١٥- انظر: البقرة: ١٩٢، ٢٠٠/٢.
- ١١٦- البقرة: ١٨٥/٢.
- ١١٧- انظر: البقرة: ١٨٧/٢.
- ١١٨- الإسراء: ٢٩/١٧. وانظر أيضاً: ص٣٨/٣٩.
- ١١٩- صفوة التفاسير، ج١٥٨/٢.
- ١٢٠- انظر: الذاريات: ١٩/٥١، والمعارج: ٢٥/٧٠.
- ١٢١- انظر: إبراهيم: ٣١/١٤، وفاطر: ٢٩/٣٥.
- ١٢٢- انظر: آل عمران: ١٣٤/٣.
- ١٢٣- القصص: ٧٧/٢٨.
- ١٢٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ٣٣٠.
- ١٢٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان. دون تاريخ، ج٥/ص٢٣١.
- ١٢٦- انظر: البقرة: ٢١٦/٢.

- ١٢٧- انظر: الأنفال: ٣٩/٨-٤٠.
- ١٢٨- انظر: البقرة: البقرة: ٢٣٩/٢.
- ١٢٩- انظر: الأنفال: ١٥/٨.
- ١٣٠- انظر: النساء: ٧١/٤.
- ١٣١- انظر: التوبة: ٢٨/٩-٢٩.
- ١٣٢- انظر: النساء: ٧٥/٤.
- ١٣٣- انظر: البقرة: ١٩١/٢.
- ١٣٤- انظر: البقرة: ١٩٤/٢.
- ١٣٥- انظر: الأحزاب: ٢٦/٣٣.
- ١٣٦- انظر: الأنفال: ١٧/٨.
- ١٣٧- انظر: الأنفال: ١٧/٨.
- ١٣٨- انظر: الأنفال: ١٢/٨.
- ١٣٩- انظر: الأنفال: ٤٣/٨.
- ١٤٠- انظر: التوبة: ٢٦/٩.
- ١٤١- انظر: المائدة: ١١/٥.
- ١٤٢- انظر: النساء: ٩٥/٤.
- ١٤٣- انظر: النساء: ٧٤/٤.
- ١٤٤- انظر: آل عمران: ١٩٥/٣.
- ١٤٥- انظر: آل عمران: ١٦٩/٣.
- ١٤٦- انظر: التوبة: ١١٨/٩.

- ١٤٧- انظر: الأنفال: ٦١/٨.
- ١٤٨- انظر: الحشر: ٤/٥٩.
- ١٤٩- انظر: الأحزاب: ٥١/٣٣.
- ١٥٠- انظر: الأحزاب: ٣٧/٣٣.
- ١٥١- انظر: النساء: ٢٥/٤.
- ١٥٢- انظر: التحريم: ٥/٦٦.
- ١٥٣- انظر: النساء: ٣/٤.
- ١٥٤- انظر: المائدة: ٥/٥.
- ١٥٥- انظر: المائدة: ٥/٥.
- ١٥٦- انظر: النور: ٣/٢٤.
- ١٥٧- انظر: البقرة: ٢٢١/٢.
- ١٥٨- انظر: البقرة: ٢٢١/٢.
- ١٥٩- انظر: النساء: ٢٤-٢٣/٤.
- ١٦٠- انظر: النساء: ٢٤/٤.
- ١٦١- انظر: البقرة: ٢٣١/٢.
- ١٦٢- انظر: البقرة: ٢٣٦/٢.
- ١٦٣- انظر: البقرة: ٢٢٨/٢.
- ١٦٤- انظر: البقرة: ٢٢٩/٢.
- ١٦٥- انظر: الطلاق: ٢/٦٥.
- ١٦٦- انظر: البقرة: ٢٢٩/٢.

- ١٦٧- انظر: النساء: ٢٠/٤.
- ١٦٨- انظر: النساء: ٣٤/٤.
- ١٦٩- انظر: النساء: ٣٤/٤.
- ١٧٠- انظر: الطلاق: ٧/٦٥.
- ١٧١- انظر: النساء: ٢٥/٤.
- ١٧٢- انظر: البقرة: ٢٢٢/٢.
- ١٧٣- انظر: النساء: ٩٣-٩٢/٤.
- ١٧٤- انظر: البقرة: ١٧٨/٢.
- ١٧٥- انظر: البقرة: ١٧٨/٢.
- ١٧٦- انظر: البقرة: ١٧٨/٢.
- ١٧٧- انظر: المائدة: ٤٥/٥.
- ١٧٨- انظر: المائدة: ٤٥/٥.
- ١٧٩- انظر: المائدة: ٤٥/٥.
- ١٨٠- انظر: المائدة: ٤٥/٥.
- ١٨١- انظر: البقرة: ١٧٨/٢.
- ١٨٢- انظر: النحل: ١٢٦/١٦.
- ١٨٣- انظر: النور: ٢/٢٤.
- ١٨٤- انظر: النور: ٥-٤/٢٤.
- ١٨٥- انظر: النور: ١٣/٢٤.
- ١٨٦- انظر: النساء: ١٦/٤.

- ١٨٧- انظر: البقرة: ٢/٢٨٢.
- ١٨٨- انظر: البقرة: ٢/٢٨٢.
- ١٨٩- انظر: البقرة: ٢/٢٨٢.
- ١٩٠- انظر: البقرة: ٢/٢٨٣.
- ١٩١- انظر: النساء: ٤/٧.
- ١٩٢- انظر: النساء: ٤/٧.
- ١٩٣- انظر: النساء: ٤/١١.
- ١٩٤- انظر: النساء: ٤/١٧٦.
- ١٩٥- انظر: النساء: ٤/١٧٦.
- ١٩٦- انظر: المائدة: ٥/٣-١.
- ١٩٧- انظر: الأنعام: ٦/١١٨-١٢١.
- ١٩٨- انظر: المائدة: ٥/٩٦.
- ١٩٩- انظر: الفرقان: ٢٥/٦٧.
- ٢٠٠- انظر: النساء: ٤/٦.
- ٢٠١- انظر: النساء: ٤/٦.
- ٢٠٢- انظر: النساء: ٤/٢.
- ٢٠٣- انظر: البقرة: ٢/٢٢٥، والمائدة: ٥/٨٩.
- ٢٠٤- انظر: النحل: ١٦/٩١.
- ٢٠٥- ص ٢٥١.
- ٢٠٦- انظر: الأنعام: ٦/١٠٨.

- ٢٠٧- انظر: الأعراف: ٥٥/٧.
- ٢٠٨- انظر: البقرة: ١٠٤/٢.
- ٢٠٩- انظر: القصص: ٥٥/٢٨.
- ٢١٠- انظر: الأحقاف: ١٥/٤٦.
- ٢١١- انظر: الإسراء: ٢٣/١٧.
- ٢١٢- انظر: النساء: ٣٦/٤.
- ٢١٣- انظر: البقرة: ١٨٩/٢.
- ٢١٤- انظر: النساء: ٩٤/٤.
- ٢١٥- انظر: الفتح: ٢٩/٤٨.
- ٢١٦- انظر: لقمان: ١٨/٣١.
- ٢١٧- انظر: المائدة: ٥٤/٥.
- ٢١٨- انظر: إبراهيم: ٣٦/١٤.
- ٢١٩- انظر: الأنعام: ٥٤/٦، والأعراف: ١٥٣/٧.
- ٢٢٠- انظر: النمل: ١١/٢٧.
- ٢٢١- انظر: الأحزاب: ٣٥/٣٣.
- ٢٢٢- انظر: المائدة: ٤٠، ٣٩/٥، والأنعام: ٥٤/٦.
- ٢٢٣- انظر: النحل: ١١٩/١٦.
- ٢٢٤- انظر: الزمر: ٢٠/٣٩.
- ٢٢٥- انظر: الغاشية: ١٦-١٣/٨٨.
- ٢٢٦- انظر: الحشر: ٢٠/٥٩.

- ٢٢٧- انظر: المائدة: ١٠١/٥.
- ٢٢٨- انظر: المائدة: ٣٩/٥.
- ٢٢٩- انظر: فاطر: ١٨/٣٥، وفصلت: ٣٤/٤١.
- ٢٣٠- انظر: البقرة: ٢٥٦/٢.
- ٢٣١- انظر: المائدة: ٩٣/٥.
- ٢٣٢- انظر: آل عمران: ١٦١/٣.
- ٢٣٣- انظر: المائدة: ٢/٥، والمجادلة: ٩/٥٨.
- ٢٣٤- انظر: آل عمران: ١٦٢/٣.
- ٢٣٥- انظر: آل عمران: ١٣١-١٣٢/٣.
- ٢٣٦- انظر: محمد: ٣٨/٤٧.
- ٢٣٧- انظر: الحشر: ١٩/٥٩.
- ٢٣٨- انظر: النساء: ١٣٥/٤.
- ٢٣٩- انظر: النور: ٢٤/٢١.
- ٢٤٠- انظر: النور: ٣٠-٣١/٢٤.
- ٢٤١- انظر: النحل: ٩٤/١٦.
- ٢٤٢- انظر: التوبة: ٢٣/٩.
- ٢٤٣- انظر: الحجر: ٤٩/١٥-٥٠، والأحزاب: ٣٣-٢٨/٣١.
- ٢٤٤- انظر: الأنفال: ٣٠/٨.
- ٢٤٥- انظر: التوبة: ١١٣/٩.
- ٢٤٦- انظر: الضحى: ٨-٦/٩٣.

- ٢٤٧- انظر: عبس: ١٠-٥/٨٠.
- ٢٤٨- انظر: الإسراء: ٧٥/١٧.
- ٢٤٩- انظر: النور: ١١/٢٤.
- ٢٥٠- انظر: النور: ١٢/٢٤.
- ٢٥١- انظر: التحريم: ١/٦٦.
- ٢٥٢- انظر: الشورى: ١٥/٤٢.
- ٢٥٣- انظر: الشورى: ١٥/٤٢.
- ٢٥٤- انظر: آل عمران: ٤٥/٣.
- ٢٥٥- انظر: آل عمران: ٤٦/٣.
- ٢٥٦- انظر: آل عمران: ٣٦/٣.
- ٢٥٧- انظر: الشعراء: ١٣/٢٦.
- ٢٥٨- انظر: طه: ٦٨-٦٧/٢٠.
- ٢٥٩- انظر: الكهف: ٧٤/١٨.
- ٢٦٠- انظر: القصص: ١٥/٢٨.
- ٢٦١- انظر: القصص: ٣٢/٢٨، والنمل: ١٢/٢٧.
- ٢٦٢- انظر: القصص: ٧/٢٨.
- ٢٦٣- انظر: القصص: ٢٣/٢٨.
- ٢٦٤- انظر: يوسف: ٦٠-٥٩/١٢.
- ٢٦٥- انظر: يوسف: ٥٨/١٢.
- ٢٦٦- انظر: يوسف: ٩٦/١٢.

- ٢٦٧- انظر: يوسف: ٨٩/١٢.
- ٢٦٨- انظر: الذاريات: ٢٨/٥١.
- ٢٦٩- انظر: البقرة: ١٣٠/٢.
- ٢٧٠- انظر: الحجر: ٥٣-٥٢/١٥.
- ٢٧١- انظر: الأنعام: ٨١/٦.
- ٢٧٢- انظر: سبأ: ١٢/٣٤.
- ٢٧٣- انظر: القصص: ٥/٢٨.
- ٢٧٤- انظر: آل عمران: ١٠٣/٣، والأنفال: ٦٣/٨.
- ٢٧٥- انظر: آل عمران: ١٠٣/٣.
- ٢٧٦- انظر: آل عمران: ١٥٤/٣.
- ٢٧٧- انظر: الزمر: ٨٦/٣٩.
- ٢٧٨- انظر: مريم: ٦٢/١٩.
- ٢٧٩- انظر: مريم: ٦٢/١٩، وفاطر: ٣٥/٣٥.
- ٢٨٠- انظر: فاطر: ١٩/٣٥.
- ٢٨١- انظر: فاطر: ٢٠/٣٥.
- ٢٨٢- انظر: فاطر: ٢١/٣٥.
- ٢٨٣- انظر: فاطر: ٢٢/٣٥.
- ٢٨٤- انظر: القصص: ٥٤/٢٨.
- ٢٨٥- قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، القاهرة، طبعة أولى ١٩٨٦م، ص ٢٩٩.

- ٢٨٦- الزمر: ٤٥/٣٩.
- ٢٨٧- الكشاف: ٤٠١/٣.
- ٢٨٨- انظر: الصفات: ١٣/٣٧.
- ٢٨٩- انظر: يونس: ٤٢/١٠.
- ٢٩٠- انظر: يونس: ٤٣/١٠.
- ٢٩١- البقرة: ٦/٢.
- ٢٩٢- يس: ٩/٣٦.
- ٢٩٣- الأنعام: ١٠/٦.
- ٢٩٤- إبراهيم: ١٣/١٤.
- ٢٩٥- يس: ١٦-١٥/٣٦.
- ٢٩٦- الشعراء: ١٨٧-١٨٦/٢٦.
- ٢٩٧- انظر: الحجر: ٨-٧/١٥.
- ٢٩٨- الأنعام: ٧/٦.
- ٢٩٩- يونس: ٣٩/١٠.
- ٣٠٠- الأنعام: ٩١/٦.
- ٣٠١- الروم: ١٠/٣٠.
- ٣٠٢- فصلت: ٤٢/٤١.
- ٣٠٣- المؤمنون: ٣٧-٣٥/٢٣. وانظر: النحل: ٣٨/١٦، والإسراء: ٤٩/١٧،
ومريم: ٦٦/١٩.
- ٣٠٤- التغابن: ٧/٦٤. وانظر: السجدة: ١١/٣٢، ويونس: ٥٣/١٠.

- ٣٠٥ - هود: ٧/١١ .
- ٣٠٦ - النحل: ١١٦/١٦ . وانظر: الأعراف: ٢٨/٧ ، ٣٣-٣٢ ، والأنعام: ٦/١٥٠ .
- ٣٠٧ - النساء: ٤٦/٤ ، وانظر: الأعراف: ١٦٢/٧ .
- ٣٠٨ - الأنعام: ٩٣/٦ .
- ٣٠٩ - نوح: ٥/٧١ .
- ٣١٠ - نوح: ٨/٧١ .
- ٣١١ - فصلت: ٣٧/٤١ . وانظر: الأنعام: ١٥١/٦ ، ١٥٣ ، وآل عمران: ٣/٩٥ .
- ٣١٢ - آل عمران: ٣٢/٣ ، وانظر: البقرة: ٥٤/٢ .
- ٣١٣ - البقرة: ١٧٠/٢ ، وانظر: المائدة: ١٤/٥ ، ولقمان: ٢١/٣١ .
- ٣١٤ - التكوين: ٢٩/٨١ .
- ٣١٥ - فاطر: ٤٤/٣٥ .
- ٣١٦ - الرعد: ١١/١٣ .
- ٣١٧ - انظر: الغاشية: ١٨/٨٨ - ٢٠ ، وسبأ: ٩/٣٤ ، والسجدة: ٤/٣٢ ، ويونس: ٣/١٠ .
- ٣١٨ - انظر: الزمر: ٥/٢٩ ، ويونس: ٦/١٠ ، والفرقان: ٦٢/٢٥ ، ويس: ٣٦/٤٠ ، ٣٧/
- ٣١٩ - الأنعام: ١/٦ .
- ٣٢٠ - الحج: ٥/٢٢ ، وانظر: الحجر: ٢٦/٥ - ٣٣ .
- ٣٢١ - الروم: ٥٤/٣٠ .

٣٢٢- الجاثية: ٢٦/٤٥. وانظر: البقرة: ٧٣/٢، والمؤمنون: ٨٠/٢٣، والحج:
٦٦/٢٢، والنحل: ١٦، ٧٠.

٣٢٣- التين: ٤/٩٥-٥.

٣٢٤- انظر: العنكبوت: ٦٢/٢٩، والرعد: ٢٦/١٣، والزمر: ٥٢/٣٩،
ويس: ٤٧/٣٦.

٣٢٥- انظر: الإسراء: ٧٠/١٧، والنحل: ١٦-٥، ٨٠.

٣٢٦- انظر: النحل: ٧/١٦.

٣٢٧- انظر: الحديد: ١٧/٥٧، ويس: ٣٣/٣٦، والبقرة: ١٦٤/٢.

٣٢٨- انظر: الأنعام: ١٤١، ٩٥/٦، والرعد: ٤/١٣.

٣٢٩- انظر: الملك: ٣٠/٦٧.

٣٣٠- انظر: النمل: ٨٦/٢٧، والقصص: ٧٣/٢٨، وغافر: ٦١/٤٠،
والروم: ٢٣/٣٠، والفرقان: ٤٧/٢٥.

٣٣١- انظر: الأنعام: ٩٧/٦.

٣٣٢- انظر: النحل: ٤٨/١٦.

٣٣٣- انظر: البقرة: ٢٢-٢١/٢، والحجر: ١٦/١٥-٢٩، ٢٠، والأنعام: ٦/

٩٩، ولقمان: ٢٠/٣١.

٣٣٤- انظر: النحل: ٧٢/١٦.

٣٣٥- يونس: ٥٩/١٠.

٣٣٦- النحل: ٨١/١٦-٨٢.

٣٣٧- فاطر: ٨/٣٥. وانظر: المدثر: ٣١/٧٤، والأنعام: ٣٩/٦، والرعد:

٢٧/١٣.

- ٣٣٨- انظر: الرعد: ٣٣/١٣، والزمر: ٣٦/٣٩، والأعراف: ١٨٦/٧،
والإسراء: ٩٧/١٧.
- ٣٣٩- انظر: فصلت: ٢٥/٤١.
- ٣٤٠- الأنعام: ٦٥/٦، وانظر: الشعراء: ٢٠٥/٢٦-٢٠٦، والأنعام: ٤٧/٦.
- ٣٤١- العنكبوت: ٢٩/٢١-٢٢، وانظر: المائدة: ١٨/٥، والفتح: ٤٨/١٤،
وآل عمران: ١٢٨/٣.
- ٣٤٢- الأنفال: ٨/٨. وانظر: الشورى: ٢٤/٤٢.
- ٣٤٣- الصف: ٨/٦١.
- ٣٤٤- انظر: فاطر: ١٣/٣٥، والحج: ٦١/٢٢-٦٢.
- ٣٤٥- انظر: النحل: ١٦/١٧، والطور: ٣٥/٥٢-٣٦، والفرقان: ٣/٢٥.
- ٣٤٦- انظر: يونس: ٣٤/١٠، والروم: ٤٠/٣٠.
- ٣٤٧- انظر: النحل: ٢١/١٦.
- ٣٤٨- انظر: النحل: ٧٥/١٦.
- ٣٤٩- انظر: يونس: ٣٥/١٠.
- ٣٥٠- انظر: الحج: ٦٢/٢٢، ولقمان: ٣١/٣٠.
- ٣٥١- انظر: المائدة: ٧٦/٥، ويونس: ١٨/١٠، وطه: ١٩/٢٠، والأنبياء:
٦٦/٢١، والفرقان: ٥٥/٢٥.
- ٣٥٢- انظر: الرعد: ١٦/١٣.
- ٣٥٣- الحج: ٧٣/٢٢.
- ٣٥٤- الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، دار
الرشيد-بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-الجمهورية العراقية،
(١٩٨١م) ص ٢٧٥.

٣٥٥- انظر: القصص: ٦٩/٢٨. والنحل: ٢٢/١٦، والنمل: ٤٧/٢٧،
والأنبياء: ١١٠/٢١.

٣٥٦- انظر: النحل: ٧٧/١٦، والحج: ٧٦/٢٢، وآل عمران: ٥/٣، والرعد:
٨/١٣.

٣٥٧- انظر: الرعد: ١٠/١٣، والنساء: ١٠٨/٤.

٣٥٨- انظر: السجدة: ٦/٣٢، والمؤمنون: ٩٢/٢٣، والرعد: ٩/١٣،
والحشر: ٢٢/٥٩.

٣٥٩- انظر: النور: ١٩/٢٤، والنحل: ٧٤/١٦.

٣٦٠- انظر: المائدة: ١٨/٥، وآل عمران: ١٢٩/٣، والأعراف: ١٨٥/٧،
والنساء: ١٧١/٤، ولقمان: ٢٦/٣١.

٣٦١- انظر: الأنعام: ١٣/٦.

٣٦٢- انظر: الزخرف: ٨٢/٤٣، والجن: ٣٦/٤٥، وص: ٦٦/٣٨.

٣٦٣- انظر: السجدة: ٢٢/٣٢، والصفات: ١٢٥/٣٧، والحج: ١٣/٢٢،
والنساء: ٤٨/٤، والبقرة: ١٤٣/٢.

٣٦٤- انظر: النور: ٢٣/٢٤.

٣٦٥- انظر: المائدة: ٤٧/٥.

٣٦٦- انظر: الأعراف: ٢٧/٧.

٣٦٧- انظر: الحديد: ٢٣/٥٧.

٣٦٨- انظر: الأنعام: ١٣٣/٦، وإبراهيم: ١٩/١٤، وفاطر: ١٦/٣٥.

٣٦٩- انظر: يونس: ٥٠/١٠.

٣٧٠- انظر: إبراهيم: ٤٨/١٤، والانشقاق: ٣، ١/٨٤.

- ٣٧١- انظر: الحج: ٢/٢٢.
- ٣٧٢- انظر: الأنعام: ٣٦/٦.
- ٣٧٣- انظر: النساء: ١٦٧/٤-١٦٩، والأنعام: ١٥٧/٦، ويونس: ٧٠/١٠،
والمائدة: ٧٢/٥، والطور: ١١/٥٢-١٢.
- ٣٧٤- انظر: يونس: ١٠٢، ٢٠/١٠، وهود: ١٢٢/١١.
- ٣٧٥- انظر: هود: ١٢١/١١، والأنعام: ١٣٥/٦.
- ٣٧٦- انظر: الحج: ١٥/٢٢، ويس: ٦٧/٣٦.
- ٣٧٧- المائدة: ١٥/٥-١٦.
- ٣٧٨- انظر: الأنعام: ١٠٤/٦، والمائدة: ١٢/٥، وإبراهيم: ٧/١٤،
والإسراء: ٧/١٧، والنمل: ٩٢/٢٧.
- ٣٧٩- انظر: القصص: ٦٠/٢٨، والشورى: ٣٦/٤٢، والأنعام: ٣٢/٦،
والعنكبوت: ٦٤/٢٩.
- ٣٨٠- انظر: الحديد: ٢٠/٥٧، وغافر: ٣/٤٠، والرعد: ٦/١٣.
- ٣٨١- انظر: التكوين: ١٢/٨١-١٣.
- ٣٨٢- الإسراء: ٦٧/١٧، وانظر: الزمر: ٨/٣٩، ويونس: ١٢/١٠،
والإسراء: ٧٣/١٧، والروم: ٣٣/٣٠.
- ٣٨٣- انظر: فصلت: ٥٠/٤١، والأعراف: ١٣١/٧، والشورى: ٤٨/٤٢،
وهود: ١٠/١١، والروم: ٣٦/٣٠.
- ٣٨٤- انظر: هود: ٨٢/١١، والحجر: ٧٤/١٥، والأعراف: ٨٣/٧-٨٤.
- ٣٨٥- انظر: هود: ٤٣/١١-٤٤، والأعراف: ٦٤/٧.
- ٣٨٦- انظر: البقرة: ٦٥/٢-٦٦.

- ٣٨٧- انظر: سبأ: ١٥/٣٤، والأعراف: ٩٤/٧-٩٨، ويونس: ٢٢/١٠-
٢٤، ٢٣، والنحل: ١١٢/١٦.
- ٣٨٨- انظر: الطور: ٣١/٥٢، والرعد: ٤٢/١٣، والنمل: ٥٠/٢٧، وآل
عمران: ٥٤/٣.
- ٣٨٩- انظر: الإنسان: ٢٧/٧٦.
- ٣٩٠- انظر: الرعد: ٢٦/١٣.
- ٣٩١- انظر: النمل: ٤٦/٢٧.
- ٣٩٢- انظر: الإسراء: ١١/١٧.
- ٣٩٣- انظر: الحشر: ١٤/٥٩.
- ٣٩٤- انظر: الإسراء: ٣٧/١٧.
- ٣٩٥- انظر: الشعراء: ١٨١/٢٦، والمطففين: ٣-٢/٨٣.
- ٣٩٦- انظر: النازعات: ٩-٨/٧٩.
- ٣٩٧- انظر: النمل: ٨٧/٢٧.
- ٣٩٨- انظر: النازعات: ٤٦/٧٩.
- ٣٩٩- انظر: الغاشية: ٢٦-٢٥/٨٨.
- ٤٠٠- انظر: الرحمن: ٤١/٥٥، والزمر: ١٦/٣٩، والعنكبوت: ٥٥/٢٩،
والأنبياء: ٣٩/٢١، والأنفال: ٥٠/٨.
- ٤٠١- انظر: غافر: ٣٣/٤٠.
- ٤٠٢- انظر: الطور: ١٦/٥٢.
- ٤٠٣- إبراهيم: ٢١/١٤، وانظر: الأعراف: ٣٩-٣٨/٧، ٥٣-٥٢.
- ٤٠٤- انظر: البقرة: ١٦٦/٢.

- ٤٠٥ - انظر: إبراهيم: ٢٢/١٤، والصفات: ٣٢/٣٧.
- ٤٠٦ - انظر: سبأ: ٤٢/٣٤.
- ٤٠٧ - انظر: الزخرف: ٩/٤٣، ولقمان: ٢٥/٣١، والعنكبوت: ٦١/٢٩.
- ٤٠٨ - انظر: العنكبوت: ٦٣/٢٩.
- ٤٠٩ - انظر: غافر: ٨٣/٤٠، والأنعام: ١٥٨/٦، والحجر: ٢/١٥، ويونس: ٩١-٩٠/١٠.
- ٤١٠ - الكافرون: ٦-٢/١٠٩. وانظر: الأعراف: ٣٠/٧، والصفات: ٣٧/١١٣، ويونس: ٤١-٤٠/١٠.
- ٤١١ - انظر: البقرة: ١٦٥/٢.
- ٤١٢ - انظر: البقرة: ٢٥٧/٢، والأنعام: ١٢٢/٦-١٢٣.
- ٤١٣ - الروم: ٤٤/٣٠، وانظر: الإسراء: ١٥/١٧.
- ٤١٤ - انظر: فصلت: ٤٤/٤١، والبقرة: ١٥٩/٤-١٦٠.
- ٤١٥ - انظر: الشورى: ١٨/٤٢.
- ٤١٦ - انظر: البقرة: ٢٥٤/٢.
- ٤١٧ - انظر: محمد: ٤/٤٧، والأحزاب: ٢٥/٣٣، والروم: ٤٧/٣٠، والنور: ٥٥/٢٤.
- ٤١٨ - انظر: النساء: ٧٦/٤.
- ٤١٩ - انظر: النحل: ٩٩/١٦، ١٠٠، والحجر: ٤٢/١٥.
- ٤٢٠ - انظر: المجادلة: ٢٢-١٩/٥٨.
- ٤٢١ - انظر: محمد: ٣-١/٤٧.
- ٤٢٢ - انظر: الحديد: ١٦/٥٧.

- ٤٢٣- انظر: المائة: ١٠-٩/٥، وسبأ: ٥-٣/٣٤، وغافر: ٤٠-٣٩/٤،
والنازعات: ٤٦-٣٧/٧٩.
- ٤٢٤- وانظر أيضاً: الدخان: ٥٦-٤٠/٤٤، والصفات: ٦١-٢٠/٣٧،
والزخرف: ٨٠-٦٩/٤٣، والنساء: ٥٧-٥٦/٤.
- ٤٢٥- انظر: البقرة: ٧٦، ١٥-١٤/٢، والمائدة: ٦١، ٤١/٥، والنساء: ٨١/٤.
- ٤٢٦- انظر: التوبة: ٦٦/٩، والمنافقون: ٣/٦٣، وآل عمران: ١٦٧/٣،
والبقرة: ٨٨، ٢٠، ١٨-١٧/٢.
- ٤٢٧- انظر: آل عمران: ٢٩/٣، وهود: ٥/١١، والبقرة: ٧٧/٢.
- ٤٢٨- انظر: البقرة: ٨٦/٢.
- ٤٢٩- انظر: آل عمران: ١٧٧/٣.
- ٤٣٠- انظر: البقرة: ١٦/٢.
- ٤٣١- انظر: البقرة: ١٣/٢.
- ٤٣٢- انظر: البقرة: ٩١/٢.
- ٤٣٣- انظر: البقرة: ٨٥/٢.
- ٤٣٤- انظر: التوبة: ٥٢/٩.
- ٤٣٥- انظر: النساء: ٨٣/٤.
- ٤٣٦- انظر: المنافقون: ٨/٦٣.
- ٤٣٧- انظر: التوبة: ٥٠/٩، وآل عمران: ١٢٠/٣.
- ٤٣٨- انظر: النساء: ٧٩-٧٨/٤.
- ٤٣٩- انظر: آل عمران: ١١٩/٣.
- ٤٤٠- انظر: البقرة: ٩/٢.
- ٤٤١- انظر: البقرة: ١٠٠/٢.
- ٤٤٢- انظر: التوبة: ٩٨/٩.
- ٤٤٣- انظر: التوبة: ٥٦/٩.

- ٤٤٤- انظر: الحشر: ١١/٥٩-١٢.
- ٤٤٥- انظر: التوبة: ٩/٩٤.
- ٤٤٦- انظر: الأحزاب: ٣٣/١٣.
- ٤٤٧- انظر: النساء: ٤/٧٧.
- ٤٤٨- انظر: التوبة: ٩/٤٤.
- ٤٤٩- انظر: التوبة: ٩/٨٣.
- ٤٥٠- انظر: البقرة: ٢/١١-١٢.
- ٤٥١- انظر: التوبة: ٩/١٠٢.
- ٤٥٢- انظر: المنافقون: ٦٣/٦.
- ٤٥٣- انظر: التوبة: ٩/٧٠.
- ٤٥٤- انظر: الحديد: ٥٧/١٣.
- ٤٥٥- انظر: التوبة: ٩/٦٩.
- ٤٥٦- انظر: التوبة: ٩/١٠٥.
- ٤٥٧- انظر: التوبة: ٩/٧٨.
- ٤٥٨- انظر: التوبة: ٩/٥٣.
- ٤٥٩- انظر: الأحزاب: ٣٣/١٧.
- ٤٦٠- انظر: الفتح: ٤٨/١٦-١٧، والتوبة: ٩/٣٨-٤٢، ٧٥-٧٦، والمائدة: ٤١/٥.
- ٤٦١- انظر: النساء: ٤/٨٥، وآل عمران: ٣/٣٠.
- ٤٦٢- انظر: التوبة: ٩/٦٧-٧١.
- ٤٦٣- انظر: التوبة: ٩/١٢٤-١٢٥.
- ٤٦٤- انظر: العنكبوت: ٢٩/١١.

٤٦٥- انظر: التوبة: ٨٦/٩-٨٩، ٩٢-٩٣، والفتح: ٤٨-١٠/١١،
والأحزاب: ٢٣/٣٣-٢٤.

٤٦٦- انظر: المائدة: ٥٢/٥-٥٣.

٤٦٧- انظر: الأحزاب: ٧٣/٣٣، والنساء: ٤/١٤٤-١٤٦، ١٥٠-١٥٢.

٤٦٨- انظر: آل عمران: ١١٨/٣.

٤٦٩- عرضت الكتب التي تناولت القرآن الكريم إلى مسألة السور المكية
والسور المدنية في كثير من جوانبها بحيث حددت السور المكية والمدنية
والآيات المكية التي دخلت في السور المدنية، والآيات المدنية التي
دخلت في السور المكية، وعرضت إلى أهم النقاط التي تحدد خصائص
كل منها سواء من الجانب الزمني أو الجانب المكاني أو من الجانب الفني
من حيث طول السور أو قصرها ومن حيث طول الآيات وقصرها،
أو من حيث مخاطبة المؤمنين أو الناس وغير ذلك. ولمن أراد التعرف
إلى هذه المسألة فالمكتبة القرآنية مليئة بالكتب التي تناولتها من
مثل: البرهان في علوم القرآن للزركشي، أو الإتقان للسيوطي وفي
غيرهما كثير.

٤٧٠- للتعرف إلى طبيعة المرحلة المكية والمرحلة المدنية وموضوعاتها يمكنك
الرجوع إلى: مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي صالح، دار
العلم للملايين، ط١٣، (١٩٨١م) ص١٨١، ودراسات قرآنية، محمد
قطب، دار الشروق-بيروت، ط٢، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ص٢١.

الفصل الرابع

دور التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة

لا شك في أننا قدمنا في الفصول السابقة جوانب مختلفة للتقابل والتخالف والتمائل تؤدي بنا إلى هذا الفصل وذلك أن ما قمنا بتفصيله من أنواع التقابلات والتخالفات والتمائلات وعلاقتها البنائية القائمة بين أطرافها، وتفصيل تحركها في محاور القرآن الكريم الثلاثة: الإيمان، والكفر، والنفاق، يفضي بنا إلى البحث في مستوى آخر من مستوياتها، وهو الدلالات التي تتمنخض عنها بأطرافها وعلاقتها، وذلك من حيث ربطها معاً، ومن حيث ربطها بالسياق الكلي الواردة فيه.

ولعل البحث في هذا الجانب الدلالي يحتاج من الدارس أن ينتقل من المستوى السطحي إلى المستوى العميق الذي يشكل النقطة الجوهرية التي تنبثق عنها التقابلات والتخالفات والتمائلات، لتطفو على السطح مرة أخرى، كما نقرؤها، وكما نعيها عند قراءتنا الأولى؛ وذلك لأنها في الأصل تتشكل في المستوى العميق ومن ثم تظهر على السطح، لا كما يبدو من ظاهرها أنها تتشكل في المستوى السطحي ثم تعمق. فالدلالات السياقية ليست هي سلسلة الألفاظ الظاهرة للمتلقي، وإنما هي ظاهرة لمعنى حقيقي محتف وراءها، يستطيع الدارس أن يكتشفها بقدراته الخاصة، يقول الدكتور رجاء عيد: "وهنا يكون النسق الأسلوبي صورة لغوية تظل وراءه ظلال المعاني هائمة على وجهها حتى تتلمس ذهنًا مخصباً بإدراك واع شفاف يلتقط بغريزته الوشائج اللاشعورية التي تأنف من التوضيح السقيم أو الغلو العقيم، ومن هنا يمكن للكلمات أن تستكشف من خلالها برزخاً ينقلنا إلى مغاور خبيثة حيث تحتضن الكلمة العالم الخارجي، وفي دفء أحضانها ينسحق حدود اللفظ وينسحق مدلوله اللغوي البارد تحت توقد الخيال، وينعدم إطاره المحسوس في زهول فني خلال عالم الرؤيا التي تمثل تجربة القصيدة"^(١).

ولعل البحث في المستوى العميق هنا خطوة جديرة بالاهتمام والدرس؛ وذلك لأن هذا المستوى هو الذي يكشف عن دور التقابلات والتماثلات والتخالفات الحقيقي، أو أن نقف عند سطحها والحكم بالتالي على أنها تكشف عن أبعاد المعاني وتجليها بصورة قريبة إلى الفهم والإدراك، كما زعم بعض الدارسين^(٢)، فإن ذلك لا يقدم لها الدور الحقيقي الذي تقوم به، فالدور الحقيقي لها هو إنتاج الدلالات العميقة التي تظهر من أطرافها وعلاقتها بالسياق. إن النقطة الجوهرية في دراسة دلالاتها تكمن في كيفية النظر فيها، وذلك أنها تتشكل من مفردات تقيم فيما بينها علاقة ما، وهذه المفردات تتعلق بمفردات أخرى تقع خارج نطاق وحداتها، وتقع داخل الإطار السياقي الذي يشكل البنية الكلية التي تحتويها، من هذه الزاوية يجب علينا أن ننظر إلى الدلالات. فالدلالات إذن تمر بمرحلتين متصلتين: المرحلة الأولى هي الدلالة الناتجة من أطراف التقابلات والتخالفات والتماثلات، وهي دلالة محصورة في مفرداتها، ويمكننا أن نطلق على هذه المرحلة الدلالة الاستدعائية. وأما المرحلة الثانية، فهي الدلالة الناتجة عن علاقة وحداتها بالسياق الكلي الذي وقعت فيه، ويمكننا أن نسمي هذه المرحلة بالدلالة السياقية، ومن خلال هاتين المرحلتين نستطيع أن نخرج بدلالات حقيقية لها في النص المدروس. وقد أشار الدكتور محمد عبد المطلب إلى هذا الإجراء في قوله: "الأهمية الأساسية التي نعلق عليها إنتاج الدلالة إنما تعود إلى رصد وحدات تعبيرية، مع رصد شبكة علاقاتها، وتجميع كل ذلك في مستوى واحد يعود إلى السطح أولاً ثم يمتد منه إلى الذهن ثانياً"^(٣). فالوحدات التعبيرية إذن هي الأساس الذي يمكننا أن ننطلق منه لتحديد الدلالات الاستدعائية، ومن ثم نتجه إلى السياق للكشف عن شبكة العلاقات التي يفرضها السياق بالتواصل مع الوحدات التعبيرية لينتج بالتالي الدلالات السياقية.

وحتى نتبع إنتاج الدلالة لكل من التقابلات والتخالفات والتماثلات على مستويها الاستدعائي والسياقي، نأخذ كل واحد منها على حدة، فأبدأ بالتقابل.

التقابل:

لا شك في أن الدلالة التي تنتجها تقابلات القرآن الكريم تستمد معانيها من معجمية ألفاظ التقابل، ولكنها تنتقل في بعض جوانبها من المعنى المعجمي إلى معنى آخر، يشكل بعداً عميقاً من خلال الوحدات التعبيرية في التقابل. وقد أظهرت التقابلات في آيات القرآن الكريم عدداً من الأبعاد الأساسية التي تشكل دلالات استدعائية مهمة، هي:

البعد الزمني:

إن هذا البعد هو أول الأبعاد الأساسية للتقابلات، إذ تحرك كثير من تقابلات القرآن الكريم من خلاله، وقد أخذ هنا خاصية متميزة، يمكن لنا أن نسميها البعد الزمني المتكامل، فالتقابلات في القرآن العظيم تحركت من خلال إطار زمني موسع شمل ثلاث مراحل أو حلقات زمنية، هذه الحلقات هي زمن الحياة الدنيا، وزمن الموت، وزمن الحياة الآخرة. وكل حلقة منها تختلف في خصائصها وميزاتها، ولاشك في أننا ندرك أن حلقة الحياة الدنيا حلقة فانية، تزول بقدوم الحلقة الثانية بالنسبة للفرد (الإنسان) الذي يمارس هذا الزمان، ولذلك فهي حلقة محصورة تدور في إطار محدد. وأما الحلقة الثانية، فهي تشكل حلقة الوصل بين الزمن الأول والزمان الثالث (الحياة الآخرة)، وهي حلقة محصورة أيضاً تبدأ وتنتهي بقدوم الحلقة الثالثة. ولعلنا ندرك أن الزمان في الحلقة

الثالثة زمان يختلف بخصائصه ومميزاته عن الحلقتين الأولى والثانية، فهو زمن أبدي غير محصور يمتد إلى ما لا نهاية. من خلال هذه الحلقات الثلاث تحركت تقابلات القرآن الكريم على اختلاف علفاقها. ولعل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾^(٤) يكشف لنا عن هذا البعد المتكامل.

لا شك في أن هذه الآية تضع لنا الحلقات الزمنية الثلاث من خلال أطراف التقابل، فحلقة الزمن الأول الفاني تتحقق في الفعل الماضي (أحياكم)، في حين أن الحلقة الثانية المتوسطة تتحقق في الفعل المضارع (يميتكم) وأما الحلقة الثالثة، فتتحقق في الفعل المضارع (يحْيِيكُمْ). فالفعل الأول (أحياكم) يحقق بعداً زمنياً يقع في إطار الغياب، وهو بعد محصور ينتهي بقدم الحلقة الثانية المتمثلة في الفعل المضارع (يميتكم). وهذا الفعل الواقع في إطار الحضور يشير إلى قضيتين: الأولى- أن الحاضر يؤكد انتهاء الزمن في الحلقة الأولى (الماضي) بحيث يكشف عن أن هذه الحلقة قد انقضت وانتهت، وبدأت حلقة جديدة بالنسبة للإنسان. والثاني- أن الزمن الحاضر في هذا الفعل يؤكد بداية تكوين الحلقة الثانية، ولكن هذه الحلقة في ذاتها محصورة ومنتهية عند بداية الحلقة الثالثة في الفعل (يحْيِيكُمْ) ولا شك في أن وقوع الزمن الحاضر في الفعل (يحْيِيكُمْ) مربوط بالبعد الزمني الحقيقي للحلقة المتوسطة التي تتصف بالانتهاء والزوال. ومن هنا يأخذ الزمن (الحاضر) في هذا الفعل صفة الانتهاء ليصبح زمناً ماضياً بقدم الحلقة الثالثة في الفعل (يحْيِيكُمْ). ولا شك في أن صفة الزمن الحاضر هنا تختلف عنها في الفعل الثاني، وهي تستمد معناها من إطار الزمن الأبدي لتصبح مؤشراً على استمرارية الفعل الحاضر في (يحْيِيكُمْ).

ويتصف البعد الزمني في حلقاته الثلاث بصفة الانتشار من خلال الأفعال

التي تحدد الأزمان كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾^(٥)

إن البعد الزمني في هذه الآيات يتحدد من خلال المراحل الثلاث التي تمت بها عملية خلق الإنسان، بحيث أظهرت الحلقة الأولى عملية الخلق والإحياء، وذلك يتمثل بالأفعال (خلقنا) و(جعلناه) و(خلقنا) و(كسونا) و(أنشأناه) إن الملاحظ على هذه الأفعال المنتشرة في الآيات أنها تجتمع على الزمن المباشر (الماضي) الذي يمثل حقبة الحياة الدنيا (الزمن الفاني)، وقد جاءت متوافقة بتوجهها إلى الماضي، ومن ثم نلاحظ أن الحلقة المتوسطة (الحلقة الثانية) قد اتخذت صفة التقلص للتعبير عن الزمن، وقد تضمن الاسم (ميتون) هذا الزمن، ونلاحظ أيضاً خصوصية الزمن الثالث الأبدي التي ظهرت في الفعل (تبعثون)، وهو يتخذ الزمن الحاضر المباشر الذي يشير إلى استمرارية حدوث الزمن والفعل معاً، ويستمد هذه الاستمرارية من الإطار الزمني الأبدي للحلقة الثالثة.

وقد أسهمت وحدات تقابلية أخرى في إعطاء الدلالة الاستدعائية للزمن بحيث أظهرت حلقات جزئية غير متكاملة في آيات القرآن الكريم، فمن هذه الحلقات الحلقة الأولى والحلقة الثالثة، وقد عبرت التقابلات عن هذا البعد الزمني من خلال معجم لفظي اختلفت ألفاظه المتقابلة، وقد ترددت مفردات الحلقة الأولى في صورة: الدنيا، والأولى، وكل من عليها فان. أما مفردات الحلقة الثالثة، فقد جاءت بصور مختلفة أيضاً هي: الآخرة، ويوم القيامة، ويوم

يقوم الأَشهاد، وما عند الله خير وأبقى. وقد اتخذ البعد الزمني في هاتين الحلقتين، طابعاً مميزاً من حيث الأسلوب البنائي الذي يتصف بإثبات صفة الزمن الثالث، وهي صفة الديمومة واللاَهائية، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٦). لا شك في أننا نلاحظ أن الآية تبدأ بمفردات تحمل طابع البعد الزمن للحلقتين الأولى والثالثة، فمفردات الحلقة الأولى، هي: (أرسلنا) و(أيام) و(لنذيقهم) و(الحياة الدنيا). وأما مفردات الحلقة الثالثة، فهي: (الآخرة) و(لا ينصرون).

تأخذ مفردات الحلقة الزمنية الأولى طابعاً خاصاً بها مستمداً من الإطار الزمني الفاني، فنلاحظ ورود الفعل الماضي (أرسلنا) الذي يقع في إطار معنى الجزء الإلهي في الحياة الأولى، ومن ثم نلاحظ مجيء فعل آخر يمثل الزمن الحاضر وهو (لنذيقهم)، ويشكل ورود هذا الفعل بعد الماضي أهمية خاصة، هي أن ثمة تتابعاً زمنياً بين الماضي والحاضر وما هذا التتابع إلا لإكمال حلقة الجزء والاستمرار بإحداث الألم على هؤلاء القوم، والذي أرسله الله سبحانه وتعالى عليهم (ريحاً صرصراً)، فكأنما الزمن الحاضر يشير إلى استمرار الشعور بالألم والعذاب الذي يجعل الزمن القصير زماناً طويلاً سرمدياً، ولكن هذه الإطالة في الزمن نابعة من شعور الإنسان بالعذاب والألم لا من حقيقة زمنه فهو يقع في إطار زمن محدود ينتهي بانتهاء الحياة الدنيا بالنسبة للذي يدوقه، وتكشف الآية كشافاً حقيقياً عن هذا البعد الزمني الذي يرتبط بمعنى الجزء في إحداثها زماناً آخر يقابل الزمن الفاني، وهو الزمن في (الآخرة). فزمن الآخرة الحقيقي زمن دائم أبدي. وقد ظهرت هذه الديمومة أو الاستمرارية على مستويين: الأول-

المستوى الفعلي في الفعل (لا ينصرون) وهو فعل منفي يفيد نفي نصره هؤلاء القوم في الحياة الآخرة من عذابهم وآلامهم. والمستوى الثاني - هو المستوى الاسمي الذي يتمثل في اسم التفضيل (أخزى)، ولا يتضح هذا المستوى بزمانه الأبدي إلا بربطه بالزمان الأول، وذلك من خلال الاسم (الخزي) فالاسم (أخزى) يتفوق على الاسم (الخزي) في أنه يشير إلى نوعية الحدث وهو (المهانة والدلة)، ويتضمن تصعيد العذاب والإكثار من الخزي في إطار زمني ممتد على النقيض من الاسم الأول (الخزي) الذي يقع في إطار زمني محدد ينتهي بانتهاء الزمن الفاني (الزمن الأول)، هكذا إذن يتخذ البعد الزمني في هذه الآية خصوصية تتصف بقدرة الزمانين على الانتشار داخل الأفعال والأسماء في البناء السياقي.

ويظهر البعد الزمني في هاتين الحلقتين ميزة أخرى وهي تداخل مفردات الأزمنة في البناء السياقي، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَجْرًا لَآخِرَةً أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٧). إن المحور الأساسي للبعد الزمني في هذه الآية هو

(الدنيا) و(الآخرة) ويقع هذا البعد في سياق يتخذ معنى الجزاء، وبالنظر إلى المفردات التي تشير إلى حلقتي الزمن نلاحظ تردد الفعل (هاجروا) والفعل (ظلموا) والفعل (لنبوئهم) والفعلين (كانوا يعلمون)، هذه الأفعال تنتقل من الماضي إلى الحاضر؛ بمعنى أنها متتابعة في إحداثاتها الزمنية، فالفعلان (هاجروا) و(ظلموا) يلتقيان الزمان الماضي وهما يشيران إلى التابع المعكوس. بمعنى أن الفعل (ظلموا) حدث في زمان يسبق الفعل (هاجروا)، وهذا ارتداد في بناء الأسلوب يقع في إطار زمن واحد، ومن ثم يأتي الفعل (لنبوئهم) بعد الزمنين الماضيين،

وهو زمن حاضر، فكأنما الجزء في هذا الفعل مقطوع عن الحدث في الفعلين السابقين ليبدأ مرحلة جديدة من حياة المؤمنين المخاطبين في هذه الآية، بحيث يدرك المتلقي هنا بأن إحداه الفعلا في الحاضر هو الجزء المستمر الذي يقابل أجر هؤلاء الذين هاجروا وظلموا، ولكن الآية الكريمة أخرجت هذا الإحساس بالاستمرار إلى حيز الانتهاء والمحدودية بفرضها حلقة الزمان الأولى على السياق وانتقلت به إلى حلقة جديدة لتضع الأجر في إطار زمني أبدي وهو (الآخرة)، وبالتالي فإنها تحدث جزءاً جديداً يماثل الجزء الأول، ويفترق عنه في معنى استمرارية إحداه، ومن ثم ترتد الآية إلى الزمان الأول بفرضها الفعلين (كانوا يعلمون) وهما فعلا مختلفان من حيث المعنى، فالفعل الأول (كانوا) فعل ناقص لا يكتمل معناه إلا في جملة، وأما الفعل الثاني (يعلمون) فهو تام يكتمل معناه بفاعله، ولكن من المدهش حقاً أن الآية جعلت الفعلين متعلقين بجملة واحدة وضعتهما في إطار زمني مختلفين، الفعل الأول في إطار الماضي. والثاني في إطار الحاضر. ولا شك في أن هذا الأسلوب النحوي ينسجم مع القاعدة العامة التي افترضت فعلاً مضارعاً ليكون خيراً لكان وأخواتها، فالدهشة هنا هي جمع الزمان الماضي إلى الزمان الحاضر، وذلك أن لتعليق الآية الكريمة الزمنين معاً دلالة مهمة فيها، فالآية ارتدت بهذا التعليق إلى الحلقة الأولى بعد أن تحدثت عن الحلقة الثالثة، وبذلك تكون قد ربطت الماضي في (كانوا) بالفعل (ظلموا)، وربطت الفعل الحاضر (يعلمون) بالفعل (لنبؤنهم) وذلك كما يلي: إن الفعل (كانوا) يعود إلى أصحاب الفعل الذين ظلموا المؤمنين المهاجرين، وبهذا يتساوى الفعلان بالإحداث في إطار زمني واحد، وأن الفعل (يعلمون) لو تحقق لعاد بأصحابه إلى الفعل (لنبؤنهم) من حيث الإطار الزمني (الحاضر)، ومن حيث إحداه الجزء في الفعل (لنبؤنهم)، إذ إنهم لو علموا حقيقة المؤمنين، ما كانوا

قد أحدثوا الظلم بالتالي، ولأصبحوا مع هؤلاء الذين هاجروا فمالوا الجزاء الحسن نفسه، وبهذا الأسلوب تجلي الآية الكريمة قدرة حلقتي الزمان الأول والثالث على التداخل والانتشار في النص القرآني.

وقد تناولت الآيات الكريمة الحلقة الزمنية الثانية (الموت) والحلقة الزمنية الثالثة معاً في وحدات التقابل، لتكشف من خلالها عن الدلالة العميقة للبعد الزمني، وقد عبرت التقابلات عن الحلقة الزمنية الثانية بمعجم من المفردات، هي: الميت، وكنا عظماً، وموتوا، ولن يبعثوا، وعبرت عن المعجم اللفظي للحلقة الزمنية الثالثة بالمفردات الآتية: مبعوثون، وفي خلق جديد، ثم أحياهم، ثم بعثناكم، وإلى ربكم ترجعون، ولتبعثن. وقد كان لهذا البعد صفات الربط

والتوصيل مع دلالة الحلقة الأولى، كما في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لُبُّعْنٌ ثُمَّ لَتُبْعُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٨) إن وحدة التقابل الأساسية في هذه الآية هي (لن يبعثوا/ لتبعثن)، إذ إن الطرف الأول يكشف عن حلقة الزمن المتوسط (الثانية) وهو الموت في حين أن الطرف الثاني يكشف عن حلقة الزمن الثالثة وهو البعث أو الحياة بعد الموت، وتنشأ من حول هذه الوحدة التقابلية مفردات تتضمن أبعاداً زمنية ترتد إلى الحلقات الزمانية الثلاثة، فالأفعال (زعم) و(كفروا) و(علمتم) ترتد إلى حلقة زمانية ضمنية في الآية غير مذكورة ومن ثم الأفعال (لتبعثن) و(تنبؤن) ترتد إلى الحلقة الزمنية الثالثة، وأما الحلقة الزمنية المتوسطة فهي التي ينتمي إليها الفعل المنفي (لن يبعثوا)، نلاحظ، من خلال توزيع هذه الأفعال، أن الحلقتين الزميتين تقيما روابط مع بعضهما من جهة، ومع الحلقة الزمنية الأولى التي تفهم ضمناً من الآية الكريمة من جهة أخرى، فالأفعال (زعم) و(كفروا) و(علمتم) أفعال في زمن الماضي، وهي واقعة في إطار الزمن المحصور، وأما الفعلان (لتبعثن)

و(تنبؤن) فهما يقعان في إطار الزمن الحاضر الذي يتصل بالحلقة الثالثة وهي الحياة الدائمة الأبدية. وتتواصل الأفعال فيما بينها من خلال الحلقة الثانية التي جاءت نتيجة الأفعال الأولى لتوصلنا إلى الأفعال في الحلقة الثالثة. ولعلنا نلاحظ أن تحقق البعد الزمني في هذه الآية يتخذ طابعاً متميزاً من خلال البنية اللغوية التي تكشف عن هذا الطابع، وذلك أن الحلقة الثانية (المتوسطة) جاءت في فعل حاضر منفي بلن، والواقع أن هذا الفعل قبل نفيه كان دالاً على الاستقبال، بمعنى آخر أن البعد الزمني للحلقة المتوسطة لما يحدث في إطار الحديث القائم في زمن الأفعال (زعم) و(كفروا)، وهو حديث قائم في زمن الحياة الدنيا (الحلقة الأولى). ولكن البناء اللغوي يعمل على تحقيق إحداث هذا الزمن بالفعل والحرف (قل بلى) فهما دالان على توكيد وقوع الزمن الثاني، وتجاوزه إلى الزمن الثالث من خلال الفعل الحاضر المؤكد باللام والنون وهو (لتبعثن). وفائدة هذا التأكيد تنتقل إلى تقرير إحداث الحلقة الثالثة، ويزيد السياق تأكيد هذه الحلقة بالفعل الحاضر المؤكد باللام والنون (لتنبؤن)، ويأخذ السياق القرآني في هذه الآية المتلقي إلى إطار الزمن الأول بعد أن انتهى من حلقة الزمن الثاني والثالث ليعود به من حيث بدأ، وذلك بالفعل (عملتم)، وهذه العودة إلى الزمن الأول ذات دلالة زمنية مهمة، وهي أن الحديث قد حقق الحلقتين الزمنيتين الثانية والثالثة ضمن إطار الزمن الأول، وهذا هو دأب آيات القرآن في إثبات حقيقة البعث والحياة الآخرة، وما يجري فيها من حساب وجزاء على الأعمال، فالآية الكريمة تكشف من خلال وحدة التقابل الأساسية صفة الربط والتوصيل بين حلقات الزمن الثلاث.

وتناولت الآيات القرآنية الحلقة الزمنية الأولى بطريقة مختلفة عما ألفناه في الحلقتين السابقتين، وذلك أنها فصلت في سياقها وحدات تقابلية متعددة

الأبعاد والدلالات، وقد جاءت هذه الأبعاد في دائرتين زمنيتين، وقد كانت الدائرة الأولى هي دائرة الزمن العام الذي يجمع بين قطبيه الزمن القريب والزمن البعيد، وقد حققت الآيات هذه الدائرة بمفردات مختلفة مثل: قريب، وبعيد، ويجعل له أمداً، والمهد، وكهلاً، والشتاء، والصيف، ومستقدمين، ومستأخرين. ويمكننا أن نفهم هذا البعد من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً﴾ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِن أَدْرِي أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ^(٩) إن الوحدة التقابلية في هذه الآيات هي (أقرب ما توعدون/ أم يجعل له ربي أمداً). وهي تتضمن الدلالة الزمنية في نقطتي القرب والبعد، ولكن هذا البعد الزمني يتحقق ضمن إطار الحلقة الزمنية الأولى (الحياة الدنيا). ونلاحظ أن البناء اللغوي لهذه الآيات وزع مفرداته الزمنية على حلقتين زمنيتين، هما الحلقة الأولى والحلقة الثالثة التي تستشف من غير أن تظهر بجلاء، كما هي الحال في الحلقة الأولى. ولو ذهبنا إلى إعادة توزيع المفردات على الحلقتين لوجدناهما كما يأتي: مفردات الحلقة الأولى (قل) و(أدري) و(توعدون) و(يجعل) و(لا يظهر). وأما مفردات الحلقة الزمنية الخفية (الثالثة)، فهي: (رأوا) و(ما يوعدون) و(سيعلمون) و(عالم الغيب). إن مفردات الحلقة الأولى تحقق الأبعاد الزمنية في الدائرة الزمنية العامة، فهي تراوحت بين الأمر (قل) والحاضر (أدري) و(توعدون) و(يجعل) و(لا يظهر) وهي أزمنة تنتهي فاعليتها بانقضاء الزمن الأول. وأما مفردات الزمن الثالث فهي تتحقق مع بدء تحقيق الحلقة الثالثة، ونلاحظ أن الزمان المباشر في هذه المفردات قد جاء مغايراً بعض الشيء لما جاء في المفردات السابقة، إذ بدأ بالماضي (رأوا) ومن ثم بالحاضر (ما يوعدون) والمستقبل (سيعلمون). ولعل لهذه

المغايرة أهمية خاصة في تحقيق الدلالة الزمنية لهذه المفردات. وذلك أن هذه الأبعاد الزمنية قد غطت مساحة الزمن بأجزائه الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، لتشير بالتالي إلى تحقيق امتداد الحلقة الزمانية الثالثة من خلال ما حاولت تقريره في المفردات الزمنية في الحلقة الأولى، وذلك أن المفردات كانت في إطار الانتهاء، في حين أن المفردات في الحلقة الثانية حققت إطار الامتداد اللاهائي، وبهذا تكون البنية اللغوية قد خلقت دلالة زمنية جديدة قائمة على التضاد بين الحلقتين من خلال البناء الأسلوبي للمفردات. ولعل ورود قوله (عالم الغيب) في هذا السياق يكتسب أهمية خاصة بربطه بالسياق، هذه الأهمية التي تكشف عن القدرة الإلهية التي تفك عن الأطر الزمنية، وتبقى متحققة، فعلمه للغيب يخرج عن النطاق الزمني المحدود؛ لأنه في الأصل يحتوي هذا الزمن، ويمتد إلى الزمان الأبدي الذي يحتويه أيضاً. ولا شك في أن هذه القدرة التي تحتوي زماناً فانياً وزماناً أبدياً دائماً هي قدرة خارجة عن الحلقات الزمنية.

وتمتاز الدائرة الزمنية العامة في آيات القرآن الكريم بأنها استطاعت أن تظهر حلقتين زمنيتين معاً في إطار حلقة زمنية واحدة، وهما حلقة الزمن الثاني وحلقة الزمن الثالث، وذلك من خلال وحدة تقابلية مجازية بين مفردتي (الحياة/ والموت) كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِ سَحَابًا فَسُقَّتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾^(١٠) إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (ميت/ فأحيينا) لا شك في أن المفردة الأولى (ميت) تنتمي إلى الحلقة الزمانية الثانية. والمفردة الثانية (أحيينا) تنتمي إلى الحلقة الزمانية الثالثة. ولكن هاتين المفردتين تتحققان في إطار الحلقة الزمانية الأولى، ويمكننا القول هنا إن هاتين المفردتين هما ظلال للحلقتين الثانية والثالثة، وقد جاء هذان

الظلال من خلال المعنى المجازي للتقابل، ولا شك في أن دوره في هذا البناء اللغوي كان لتقريب الصورة الحقيقية لإحداث الحلقة الزمانية الثانية (الموت) والحلقة الزمنية الثالثة (البعث)، وهذا ما يظهره السياق من خلال قوله (كذلك النشور)، ولعلنا ندرك هنا عمومية الامتداد الزمني في وحدة التقابل بين القريب (ميت) والبعيد (أحيينا به الأرض)، ونلاحظ في هذه الآية كيفية الامتداد الزمني بين المفردات من جهة كل مفردة في وحدة التقابل، وذلك أننا نجد الأفعال الماضية (أرسل/ وسقناه) و(أحيينا به الأرض) تنتمي إلى فاعلية واحدة هي من جهة الفاعل لفظ الجلالة (الله)، ونجد الفعل الحاضر (تثير) ينتمي إلى فاعلية (الريح)، وهو يختلف بزمانه المباشر الحاضر عنه في الأفعال السابقة الماضية، وكأما مجيء الأفعال الماضية في هذا السياق يكشف عن الافتراق الحقيقي بين طبيعة الحلقة الزمانية الثالثة، وطبيعة ظلها في هذا السياق، وذلك أن هذه الحالة لا تتصف بالزمان الماضي الذي يشير إلى دلالة الانتهاء والمحدودية، وإنما إلى زمان ممتد أبدي. ومن هنا يمكن أن ندرك بوضوح حقيقة البعد الزمني للمفردة (أحيينا) فالبعد الزمني ذو دلالة محصورة وفانية، وبهذا الإدراك تكون الآية الكريمة قد وضعت لنا دلالة دقيقة للتفريق بين الحلقات وظلها من خلال المجاز.

أما الدائرة الزمنية الثانية التي تقع في الحلقة الأولى، فهي دائرة الزمن الخاص، وأقصد بالزمن الخاص الزمن الذي يمتد على مساحة اليوم الواحد ليله ونهاره، وقد تجمعت مفردات كثيرة في طرفي تقابل الليل بالنهار مع اختلاف ألفاظها، فمفردات الليل، هي: العشي، والآصال، والأسحار، والبيات، وقبل طلوع الشمس، وتمسون، والظلمات، وغسق الليل، والرواح. أما مفردات

السنهار، فهي: الإصباح، والغداة، والفجر، والبكرة، والإشراق، وقبل الغروب، وتظهرون، والضحي، والنور، ودلوك الشمس.

وتمتاز الدائرة الزمنية هنا بأنها تأخذ طابع الانتشار في البناء اللغوي،

وحتى ندرك هذا الطابع نأخذ قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (الفجر/ والليل):

وذلك لأن موضوع الآية يتناول الصيام في إطار هذين الزمنين، ولكننا نلاحظ في الآية أن البعد الزمني ينتشر بدلالاته على كثير من مفرداتها. فالآية تبدأ بالمفردة (ليلة الصيام)، وتحتم الموضوع بالطرف الثاني من الوحدة التقابلية وهو (الليل)، وبين هاتين المفردتين يقع طرفان زمنيان يتصلان بالوحدة الأساسية أفصدهما (الخيطة الأبيض) و(الخيطة الأسود). ولا شك في أننا ندرك أن هذا البعد اللوي يحمل في طياته بعداً زمنياً للنهار الذي يتجلى في (الأبيض) والليل الذي يتجلى في (الأسود). وتتم حركة الزمن من خلال هذين البعدين في الآية الكريمة، وترتد مفردات مختلفة إلى قطبي الوحدة الأساسية فالمفردات (الآن) و(باشروهن) و(ابتغوا) و(كلوا) و(اشربوا) تقع في قطب الليل. وأما مفردتا (يتبين) و(أتموا)، فتقعان في قطب الفجر (النهار) ولا شك في أننا نلاحظ الدلالة الزمنية المباشرة التي تحملها هذه المفردات جميعاً؛ فالزمن الحاضر والماضي والأمر يقع في قطب

الفجر (النهار)، ويحمل الزمن الماضي في قطب الليل خصوصية الزمن المحصور الذي ينتهي بقدوم الزمن الحاضر للفعل (يتبين) الذي ينتهي إلى قطب الفجر، ويصبح الحد الفاصل بين الزمنين حول الخيط (الأبيض) و(الأسود). وبهذا الحد تنتهي فاعلية المفردات في الزمن، وتبدأ فاعلية المفردات (يتبين) و(أتموا) في قطب الفجر (النهار). ولا شك في أن هذا التابع يتم من خلال دورة معكوسة حسب ما يقتضيه موضوع الآية الكريمة من دورة النهار والليل في شهر رمضان وتفرز لنا الدائرة الزمنية في هذه الآية بعداً زمنياً آخر قطباه الإيجاب والسلب في (باشروهن) و(لا تباشروهن) ولكن هذا البعد يمتد خارج نطاق الدائرة الزمنية (الليل والنهار) المحصورة بين قطبيها، ويبقى ضمن دائرة الزمن المحصور بين بداية الشهر ونهايته، وذلك أن هذه الآية أجازت استمرار إحداث فعل المباشرة للنساء في فترة متقدمة من فترات الشهر، ومن ثم قطعت البعد الزمني لشهر الصيام في المدة الواقعة وقت الاعتكاف في المساجد. ومن هنا ندرك أن الزمن الأول (باشروهن) زمن محصور، في حين إن الزمن الثاني (لا تباشروهن) منفي لا يتحقق فيه فعل المباشرة.

وتكتسب الدائرة الزمنية الخاصة دلالة أخرى من دلالات الانتشار في البناء السياقي، وذلك من خلال تكرير مفردات الوحدة الأساسية للتقابل، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ ٧٢ ﴾ ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(١٢) في هذه الآيات وحدتان تقابليتان أساسيتان هما

(الليل والنهار). وقد تميز البعد الزمني لهاتين الوحدتين بقدرته على الانتشار من خلال مفردات تنتمي إلى طرف من أطرافهما، ونلاحظ أن الآيات بدأت في مفردة الليل، وانتهت بمفردة النهار في آيتها الأخيرة، وتجمع بين هذين الطرفين المفردات التي تبلور البعد الزمني؛ بحيث جاءت مفردة (بضياء) بعد الطرف الأول وهي تكشف عن علاقة تخالفية مع الليل، وهي تشير بمعناها إلى النهار، ثم يأتي السياق بكلمة (النهار) ويتبعه (الليل) ولا شك في أن هذا الأسلوب ذو دلالة تصعيدية للبعد الزمني؛ وذلك لأن البناء اللغوي هنا يتدرج من زمن إلى آخر ببدئه من الليل إلى النهار الذي جعله منتشرًا بين دفتي مفردة الليل من خلال لفظتي (بضياء) و(النهار سرمدًا)، ثم بعد ذلك يعود البناء اللغوي إلى الارتداد إلى مفردة الليل مرة أخرى، وتبلغ دلالة التصعيد الزمني قمته في الآية الأخيرة عندما أعادت جمع (الليل) بـ (النهار)، لتحدث علاقة التضاد بصورة مكثفة بعد أن كانت علاقة منتشرة على مساحة البناء اللغوي. إن هذا الامتداد في البعد الزمني وتكثيفه وحصره في السياق ينعكس على مفردات لغوية أخرى في السياق، وذلك أننا نجد صفة الامتداد في المفردات (سرمدًا) و(إلى يوم القيامة) و(لتبتغوا). وهذه المفردات كما ندركها تعطي صفة التوسع والحركة الدائبة، ونجد أيضاً صفة التكثف والانحصار في مفردات (لا تسمعون) و(تسكنون) و(لا تبصرون) و(لتسكنوا فيه) و(لعلكم تشكرون). إن هذه المفردات تعبر عن الحركة الساكنة التي تصل إلى نقطة الصفر، إذ تأخذ مقداراً زمنياً واحداً يتساوى مع نقطة الصفر، فالسكون هو الحركة المكثفة التي لا تمتد عبر مسافة الزمن، وكذلك الأفعال المنفية (لا تبصرون) و(لا تسمعون). والفعل المرفق بالترجي الذي يشي بعدم حدوث الشكر (لعلكم تشكرون) يشارك السكون في هذه النقطة؛ لأن النفي والترجي وصفان لعدم امتداد الأفعال عبر البعد الزمني.

البعد المكاني:

إن البعد المكاني هو البعد الثاني الذي يظهر في تقابلات آيات القرآن الكريم. وقد اتخذ هذا البعد في الوحدات التقابلية دلالات مختلفة غطت جميع الاتجاهات المكانية على المستويين العمودي والأفقي. ولكن هذه الاتجاهات كانت تقتصر معاً في البناء اللغوي أحياناً، وتفترق أحياناً أخرى. ولعل أكثر الأبعاد تكريراً في الوحدات التقابلية كان المستوى العمودي الذي تحقق من خلال بعدي الأعلى والأسفل. وقد اختلفت المفردات التي تنتمي إلى هذا البعد، فبعد الأعلى كانت مفرداته: السموات، وفوق، ومعروشات، والسقف، وعاليها، وفرعها، والنواصي. أما مفردات بعد الأسفل، فكانت: الأرض، وتحت، والقواعد، وسافلها، وموضوعة، وأصلها، والأقدام. وييدي المستوى العمودي في التقابلات امتداداً من نقطة مكانية تتركز في الأعلى إلى نقطة مكانية تتركز في الأسفل، وقد اتخذ هذا المستوى صفات الانتشار المكاني، فهو إما انتشار محصور، وإما انتشار ممتد واسع. وحتى ندرك هذين البعدين، نأخذ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣) إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (الأرض/ والسماء)، وتحرك بعض المفردات في إطار هذين البعدين، فمفردة (قراًراً) تشكل نقطة الارتكاز التي ترتبط بالبعد (الأسفل)، ومفردة (بناء) تشكل نقطة الارتكاز التي ترتبط بالبعد (الأعلى)، فالمستوى العمودي في هذه الآية يتحدد من خلال هذه المفردات، وينقطع التشكل المكاني بين مفردات هذه الآية عند هذا الحد. ولكن صفة الانتشار المحصورة في التقابلات القرآنية تتخذ طابعاً آخر وهو صفة التلاقي بين

نقطتي المستوى العمودي، كما في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٤﴾﴾ إن الوحدة التقابلية الأساسية في هاتين الآيتين هي (السماء والأرض) والمفردات (فتحنا) و(بماء منهمر) و(فجرنا) و(عيوناً) و(فالتقى الماء) تحدد نقطة الالتقاء بين بعدي المستوى (الأعلى والأسفل). وذلك أن المفردات (فتحنا) و(بماء منهمر) تشكل حركة ارتداد من الأعلى إلى الأسفل، وذلك لكونها نقطة كامنة تتصف بصفة (الأعلى) ثم عادت إلى نقطة الأسفل. ونلاحظ تشكل حركة الارتداد نفسها في المفردات (فجرنا) و(عيوناً) و(فالتقى الماء). وهي أن هذه المفردات أشارت إلى (الماء) الذي تحرك من نقطة المركز (الأسفل) إلى (الأعلى)، ويلتقي بعد ذلك نقطة الأعلى المتجهة من الأسفل. وهكذا يتشكل المستوى العمودي بصورة من تحرك النقطتين باتجاهين معاكسين لصفة كل نقطة، بحيث تصبح نقطة الارتكاز الأعلى سفلى ونقطة الارتكاز السفلى عليا، ولا شك في أن هذا التحرك في البناء اللغوي يقدم فاعلية مهمة في إحداث معنى التوحد بين بعدي المكان في المستوى العمودي، إذ تلاشت الأبعاد العمودية هنا، وأصبحت تشكل وحدة مكانية تغيب فيها الحدود.

وأما صفة الانتشار الممتد في البعد المكاني على المستوى العمودي فكما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أكلهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذُنُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٥﴾﴾ إن الوحدة التقابلية في هذه الآيات تكاد تكون

عائمة بغير حدود ثابتة؛ وذلك لأنها تتخذ طابع التداخل من جهة وطابع الاختفاء من جهة أخرى، ولكن التدقيق في الآيات يقودنا إلى أن الوحدة الأساسية فيها هي (أصلها/ وفرعها). فالموضوع الأساسي في الآيات الحديث عن الشجرة كونها طيبة وخبثية، ومن خلال هذه الوحدة تأخذ المفردات بالانتشار داخل البناء اللغوي، إن مفردة (أصلها) تشير إلى بعد نقطة الارتكاز المكاني الذي يشير إلى (الأسفل) وأما مفردة (فرعها) فتشير إلى بعد نقطة الارتكاز المكاني الذي يشير إلى (الأعلى)، ومن خلال هذين البعدين تبدأ مفردات البناء بالتشكل، ولذلك فإننا نلاحظ تكوين وحدات بنائية ثانوية مثل (السماء/ والأرض)، و(اجتثت/ وما لها من قرار). إن الوحدة البنائية الثانوية الأولى تقع في إطارها الوحدة الأساسية (أصلها/ وفرعها)، فالأصل ينتهي إلى الأرض، والفرع ينتهي إلى السماء، وأما الوحدة البنائية الثانية فإنها تتخذ طابعاً يختلف عن الوحدة الأولى وذلك من خلال علاقة الطرف الأول المثبت بالطرف الثاني المنفي، وهي تشكل نقطة حاسمة في إخفاء البعدين (الأعلى) و(الأسفل)، فقولته (اجتثت) انقطاع عن نقطة الارتكاز (الأسفل)، وقوله (ما لها من قرار) يعزز هذا الانقطاع، ويشير إلى اختفاء نقطة الارتكاز (الأعلى). ولا شك في أن البعد المكاني في هذه الآية يشير إلى التعليق بين (الأعلى) و(الأسفل).

ويأتي البعد المكان على المستوى الأفقي بتشكيل مهم بعد المستوى العمودي الذي لا يقل انتشاره أهمية عن العمودي في تقابلات القرآن الكريم، وذلك أننا نلاحظ أن التقابلات قد أخذت مسارات وحركات مختلفة الاتجاهات في هذا البعد، ويمكننا أن نسميه المستوى الأفقي الممتد الذي يتخذ من بعض الاتجاهات الأربعة مساحة للتحرك أو يتخذها جميعاً لحركته، وتبرز المساحة المكانية التي تتحدد بنقطة الانطلاق إلى الاتجاهات المتضادة في وحدات التقابل

الأساسية، بأهمية مميزة في بعدها المكاني، وقد جاءت وحدات تقابل هذه المساحة بمفردات هي: بين أيديهم، وخلفهم، ويمين، وشمال، والمشرق، والمغرب، ووجوههم، وأدبارهم، وظهورهم، وقبل، وبعده، وجنوبهم. وحتى ندرك طبيعة هذا البعد المكاني نأخذ قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(١٦) إن الوحدة الأساسية في هذه الآية هي (من بين أيديهم) و(من خلفهم). وهي تشير إلى اتجاهين متضادين (الأمام) و(الخلف) على الترتيب، ويشكل من تتحدث عنهم الآية (الكفار) نقطة الانطلاق إلى الاتجاهين، ويتخذ البعد المكاني لهذين الاتجاهين مساحة مكانية محصورة إذ يحدد هذا الانحصار ما جاء في البناء اللغوي من مفردات دالة عليه وهي (سداً) و(أغشيناهم) و(لا يبصرون) إذ إن هذه المفردات تشير إلى قصر المسافة بين نقطة الانطلاق وبين نهاية خط الاتجاهين، وذلك أن كلمة (سداً) هي التي تحدد نهاية كل اتجاه. وترفدها كلمتا (أغشيناهم) و(لا يبصرون) دلالة الانحصار في المسافة في كل اتجاه. والواقع أن هذا البعد المكاني يحمل في طياته جانباً آخر من الدلالة الاستدعائية تتصل بعملية المجاز الذي تشكل التقابل من خلالها، وذلك أن الآية الكريمة جاءت تمثل عدم قدرة الكفار على الهداية إلى الإيمان فهم قد عموا وابتعدوا عنه.

وقد يتكون في مثل هذا المستوى المكاني (الأفقي الممتد) بعد زمني يفرض نفسه من خلال البناء اللغوي ومعطياته الدلالية، كما في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾^(١٧) إن طبيعة البعد المكاني في هذه الآية تختلف عنها في الآية السابقة وإن كانت مفردتا وحدة التقابل الأساسية متشابهتين، وذلك أن الاتجاهين في

هذه الآية يأخذان صفة الامتداد اللامحدود. وتتلور هذه الصفة بربط وحدة التقابل بالبعد الزماني وبالفعل (يعلم) وذلك ألما تشير إلى علم الله عز وجل بالزمان الماضي الذي يتضمنه الطرف (ما خلفهم) وبالزمان الحاضر الذي يتضمنه الطرف (ما بين أيديهم) وهو بعد زماني ممتد لا محدود بوصفه واقعا في علم الله الأبدي. ومن هذه الزاوية يمكننا أن نتصور البعد المكاني الممتد الذي يوازي البعد الزماني.

وقد تناولت وحدات التقابل في آيات القرآن الكريم البعد المكاني على المستوى الأفقي الممتد بجميع اتجاهاته، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ^(١٨) لا شك في أننا نلاحظ أن الاتجاهات المكانية الأربعة قد وردت في هذه الآية وجميعها ينطلق من نقطة واحدة هي (الإنسان)، والأبعاد المكانية في هذه الآية هي (الأمام) متمثلة بـ(من بين أيديهم) و(الخلف) متمثلة بـ(من خلفهم) و(اليمين) و(الشمال).

وثمة مساحة مكانية أخرى تبرز في هذا المستوى وهي التي تتحدد بنقطة انطلاق ولكن إلى اتجاه واحد، وقد جاءت مفردات الوحدات الأساسية التقابلية هنا بألفاظ مختلفة، مثل: بعيد، وقريب، والدنيا، والقصوى، وحتى ندرك أبعاد هذا المستوى نأخذ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرُّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَقْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(١٩) إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الآية هي (الدنيا/ القصوى)، ويتحدد الاتجاه

المكاني في هذه الوحدة بالتحرك نحو جهة واحدة تنطلق من نقطة معينة وهي (العدوة)؛ أي الوادي. ولا شك في أننا ندرك بأن هذا الاتجاه يمتد بإطار محدد يبدأ من مفردة (الدنيا)، وينتهي إلى نقطة تتضمنها مفردة (القبوى). ويبدو أن المستوى المكاني في هذه الآية يتصف بصفة الانتشار في البعد المكاني، ويلتقي البعد الزماني. أما البعد المكاني في صفة الانتشار، فنجد فيه البناء اللغوي قد استخدم (الركب أسفل منكم)، وهذا الاستخدام يعطي حركة مكانية جديدة في الآية وهي المستوى العمودي الذي يتحدد بطرف واحد وهو (الأسفل). وبهذا الامتداد المكاني تكون الآية قد غطت مستويين أفقي وعمودي. ولكن صفة المستوى العمودي لم تكن ناتجة عن وحدة تقابلية كاملة، وإنما يمكن أن نعدها امتداداً للوحدة التقابلية الأساسية. وأما البعد الزماني، فإنه يتحدد بالوحدة التقابلية (ليهلك من هلك/ ويحيى من حي) وهي تمثل حلقتي الزمن الثاني (المتوسط) والأولى (الدنيا)، ويأخذ هذا البعد صفة الامتداد في مفردات البناء اللغوي، وهذه المفردات هي (تواعدتم) و(لاختلفتم) و(الميعاد) و(ليقضي) و(كان مفعولاً). وتتصل دلالة هذه المفردات بارتباطها بحلقة الزمن الأول، ولكن من الملاحظ على وحدتي التقابل المكانية والزمنية أنهما تشكلان بعداً متداخلاً نجد فيه أن البعد المكاني يحتوي البعد الزماني، وذلك أن أحداث الزمن الأول والزمن الثاني تتم من خلال حركة البعد المكاني نتيجة التقاء فريق المسلمين بالكفار في المكان (الوادي)، ومن خلال هذا الالتقاء يتحقق البعد الزماني لكل من الحلقتين.

وتتوجه الوحدات التقابلية الأساسية في القرآن الكريم إلى دلالة جديدة للمستويات المكانية وهي التقاء المستوى العمودي بالمستوى الأفقي. وقد جاء عدد من المفردات في الوحدات التقابلية، مثل: النفق، والسلم، والفراش، والبناء،

والمهد. وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَاتَّبِعْهُم بآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢٠) إن الوحدة التقابلية في هذه الآية تقع ضمن النمط المعقد الذي يتكون من أربعة أطراف متقابلة وهي (نفقاً/ الأرض سلماً/ السماء). إننا ندرك أن ثمة بعدين أساسيين في هذه الوحدة. الأول بعد المستوى العمودي الذي يتجسد في مفردتي (الأرض/ والسماء). والثاني بعد المستوى الأفقي - العمودي الذي يتجسد في مفردتي (نفقاً/ وسلماً). ولا شك في أننا نلاحظ أن البعد الثاني منبثق عن البعد الأول ومرتبطة به، وذلك أن مفردة (نفقاً) تتوافق مع المفردة (الأرض) ويتشكل المستوى الأفقي بربطهما معاً، وأن مفردة (سلماً) تتوافق أيضاً مع المفردة (السماء)، ويتشكل المستوى العمودي بربطهما معاً أيضاً. ومحل هذه الوحدة التقابلية يحس بأن المستوى الأفقي - العمودي فرع من المستوى العمودي بين (الأرض/ والسماء) وهو يشكل امتداداً حقيقياً لهذا البعد، ولعل الدلالة العميقة لتشكيل البعدين الأفقي والعمودي معاً في الآية الكريمة هي لإثبات عدم قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على هداية الكفار، ولو بحث في أسباب الهداية لهم في البعد المكاني على مستوييه العمودي والأفقي.

البعد الحركي:

إن البعد الحركي من الدلالات التي تفرزها وحدات التقابل في القرآن الكريم، ولا شك في أن هذا البعد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبعد المكاني، وهو يشكل امتداداً له على نحو من الأنحاء^(٢١). وذلك أن حقيقة الحركة تنطلق

أساساً من مكان ما ومن ثم تأخذ شكلها النهائي في الحيز المكاني. وقد وجدت أن البعد الحركي في تقابلات القرآن الكريم يمتد في مسارات أربعة: أولها الحركة الرأسية وهي حركة تتصف بامتداد مسارها إلى الأعلى أو إلى الأسفل. وقد جاء هذا البعد في عدد من الألفاظ التي تجسد نقطتي الأعلى والأسفل من مثل: يتزل، ويعرج، ويلج في الأرض، وسجدوا، وابلعي، وأقلعي، ونخسف، ونسقط، وغير ذلك. وقد تتحدد الحركة الرأسية بنقطة انطلاق في حركة نحو الأسفل وبنقطة أخرى تتجه بها الحركة نحو الأعلى، ويبدو أن هذا النوع من الدلالات في القرآن الكريم يتصف بالقدرة على الانتشار في نوعية الحركة المتكررة سواء إلى الأسفل أم إلى الأعلى، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿قَالَ

سَاءَ يَوْمِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾

إن الوحدة التقابلية الأساسية في هاتين الآيتين متعددة الأطراف وهي (يا أرض ابلعي/ ويا سماء أقلعي/ وغيض). ولا شك في أن هذه الأطراف تمثل مسارات رأسية تعتمد في أصلها على نقطة الانطلاق، فمفردة (ابلعي) تمثل الحركة إلى الأسفل منطلقة من مستوى سطح الأرض إلى باطنها، ومفردة (أقلعي) تمثل الحركة إلى الأعلى، لتنتهي عند نقطة الانطلاق وهي (السماء)، ومفردة (غيض) تمثل الحركة إلى الأسفل منطلقة من مستوى سطح الأرض إلى باطنها. إن هذه المسارات الحركية في الوحدة التقابلية تصور للمتلقي حركات رأسية متداخلة، فهي إلى الأسفل وإلى الأعلى ومن ثم إلى الأسفل، ولا تنحصر فاعلية هذه الحركات في الوحدة التقابلية، وإنما تنتشر في السياق الكلي لتخلق بعداً محايداً

للحركة بين الأعلى والأسفل، فالمفردات (سأوي) و(المغرقين) و(استوت) و(الجودي) تستمد أبعادها الحركية من هذه الوحدة، وذلك أن المفردة (سأوي) تمثل التحرك نحو الأعلى، ومن ثم تأتي المفردة (المغرقين) لتمثل التحرك نحو الأسفل وهي حركة معكوسة للحركة الأولى. ومن ثم تنشأ حركة جديدة متمثلة بالمفردتين (استوت) و(الجودي)، وهي الحركة إلى الأعلى، وذلك أن الاستواء على الجبل يتمثل بالصعود من الأسفل إلى الأعلى، وبهذا تصبح الحركة مشتركة مع حركة المفردتين الأولى والثانية، علاوة على اشتراكها في الوحدة التقابلية الأساسية، ولو رصدنا الحركة الرأسية في هاتين الآيتين لوجدنا أن الحركات إلى الأعلى بلغت ثلاث حركات، والحركات إلى الأسفل بلغت ثلاث حركات أيضاً، ولكن ما يميز هذه الحركات هو نقطة الانطلاق، وذلك أن (الأرض) و(الجبل/ الجودي) يأخذان خمس حركات، وأن (السماء) تأخذ حركة واحدة، ولا شك في أن ارتباط الحركات الخمس بـ (الأرض والجبل) يحمل أهمية خاصة في إحداث المعنى فـ (الأرض والجبل) هما من أصل واحد من جهة، وتمثلان نقطة الانطلاق من جهة أخرى. ولعل لتجمع الحركات في هاتين النقطتين دلالة في البناء اللغوي الذي يخاطب المتلقي وينقله من حركة إلى أخرى، ترتبط أصلاً بالأرض وبالجبل الذي يمثل صورة من صور الأرض، وذلك حتى يبين مدى ارتباطه بحركتها التي تأخذه كيفما شاءت، فلا تبدو له قدرة على التخلص منها، وأن مصيره مرتبط بها، ويتجلى هذا المعنى بالعودة إلى فاعلية الحركة التي تتصل بالسماء من خلال الفعل (أقلعي)، فهذا الفعل يمثل محور الآيتين الكريميتين، فإقلاع السماء عن إنزال الماء إلى الأرض فيه خلاص للأرض من الجزء الذي أنزل على أصحابها. فالسماء إذن هي محور الحركات، فإحداث الحركة إلى الأعلى من السماء ينتهي الجزء الذي نزل على أصحاب

الأرض، ولذلك جاءت الجملة (وقيل بعداً للقوم الظالمين) خاتمة للآيتين الكریمتین، إذ إن هذه الجملة تكشف عن فاعلية هذه الحركة الرأسية إلى الأسفل أو إلى الأعلى، فهي حركة فاعلة تطول بفعلها القوم الكافرين، وتنجي القوم المؤمنین، فالحركة الرأسية إذن في هاتين الآيتين تحكمت في الناس الذين وقعوا في نقطة الانطلاق (الأرض/ والجبل) دون أن تترك لهم قدرة على التحكم في هذه الحركة.

وثمة مستوى آخر للحركة الرأسية يتمثل باتخاذ نقطة انطلاق واحدة

لتجسد مسارين للأعلى والأسفل، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢٣) إن مفردات الوحدة الأساسية في هذه الآية تمثل لنا البعد الحركي الرأسي وهي (يلج في/ يخرج منها) و(يتزل من/ ويعرج فيها). ولا شك في أننا نلاحظ ارتباط هذه المفردات بالبعد المكاني (الأرض/ والسماء)، فالمفردتان (يلج في الأرض) و(يخرج منها) تمثلان مسار التحرك إلى الأسفل وإلى الأعلى على ترتيب المفردتين، ونقطة التقاء المسارين هي الأرض، وكذلك الأمر في مفردتي (يتزل من السماء) و(يعرج فيها) تمثلان مسار التحرك إلى الأسفل وإلى الأعلى على ترتيب المفردتين ونقطة التقاء المسارين هي السماء. ولعلنا نلاحظ تماثل المسارات في هذه الوحدة التقابلية، فهي تحدث حركة الأسفل وحركة الأعلى على الترتيب في البعد المكاني (الأرض/ والسماء). ولا بد أن لهذا البعد الحركي دلالة خاصة يضيفها على البناء اللغوي بشكل عام، وذلك أن هذه الحركة ترتبط بالفعل (يعلم) فالله سبحانه وتعالى يعلم المسارات الحركية التي تنطلق من

الأرض والسماء. ولا شك في أن لهذا العلم دلالة التحكم في هذه المسارات، ويدعم هذا المعنى ما جاء في نهاية الآية الكريمة (وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) فعلمه شامل وبصره للإنسان وما يجري في هذا الكون محيط وشامل أيضاً.

وثاني مسارات البعد الحركي هو الحركة الأفقية، وتتجسد هذه الحركة بالانتقال على مستوى أفقي إلى اتجاهات مختلفة إلى الأمام أو الوراء أو اليمين أو الشمال، أو جميع هذه الاتجاهات معاً، وتميزت دلالة البعد الحركي في تقابلات القرآن الكريم بأنها غطت المساحة الأفقية للبعد المكاني، وانعكست على المستوى البنائي للسياق ككل، ويتخذ البعد الحركي هنا صفات خاصة تكشف عن طبيعة التقابل الحركي المعكوس لنقطة انطلاق واحدة بحيث يتحلى في أعماق السياق بأنه حركة أفقية متواصلة كما في قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾^(٢٤) إن وحدة التقابل (أدخلني/ وأخرجني) تحدد لنا في هذه

الآية شكلية البعد الحركي الأفقي المعكوس الذي ينبثق من نقطة انطلاق واحدة، فقوله (أدخلني مُدْخَلَ صِدْقٍ) هي حركة عامة تشير إلى الاندفاع إلى الأمام لنقطة ما يحددها سياق الآية الكريمة، وقوله (أخرجني مُخْرَجَ صِدْقٍ) هي حركة عامة أيضاً تشير إلى الارتداد إلى الوراء من النقطة نفسها التي حددها السياق في الآية، ولكن حقيقة هذه النقطة تتحدد من خلال المعنى المتضمن في الوحدة التقابلية، وهي المعنى الزمني الذي يشير إليه كل طرف من طرفي التقابل. فالطرف الأول يشير إلى الانتقال من حلقة الزمن الأول إلى حلقة الزمن الثاني، وتنتهي هذه الحركة إلى الحلقة الثانية لتشكّل بالتالي نقطة الانتهاء للحركة، وأما

الطرف الثاني فإنه يشير إلى الانتقال من النقطة النهائية للحركة الأولى وهو الزمن الثاني إلى نقطة لانهائية وهي الزمن الثالث وبهذا تبدو الحركة الأفقية متواصلة تتجه اتجاهاً واحداً مختلطة بالبعد الزماني. ولا شك في أن البعد الزماني في هذا البناء يحل محل البعد المكاني الذي تجري، عادة، فيه الحركة الأفقية، ومن هنا تتكشف لنا خاصية البعد الحركي الأفقي الذي يتجسد من خلال وجهين متصلين به، وهما: البعد الزماني والبعد المكاني، حتى ليصعب على المحلل أن يفصل الأبعاد الثلاثة عن بعضها عند التدقيق في المعنى، وفي هذه الحركة الأفقية المتصلة تبدو لنا المعاني الأولية في حركتي الفعلين (أخرجني) و(أدخلني) المعكوستين ليستا حقيقتين، وإنما هما شكلان متغيران غير مستقري الأبعاد، ويتلونان بفاعلية السياق الكلي.

وتحمل لنا الحركة الأفقية دلالة أخرى من تشكيل حركة تتصف بثلاثة

أطراف متغايرة في الاتجاهات كما في قوله تعالى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ

تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿^(٢٥)﴾ إن وحدة التقابل في هذه الآية

تكشف عن الحركة الأفقية من خلال ثلاثة أطراف هي: (اسلك) و(تخرج)

و(اضمم) وكل طرف يحدد اتجاهاً معيناً في الحركة فالطرف (اسلك) هي حركة

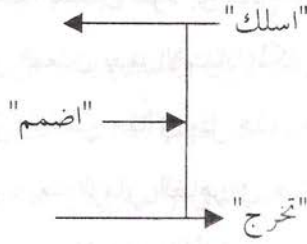
أفقية للأمام، والطرف (تخرج) هي حركة أفقية للوراء وهي معكوسة للحركة

الأولى، والطرف الثاني (اضمم) يعطي حركة مغايرة تماماً للاتجاهين (الأمام)

و(الوراء) في الطرفين الأول والثاني، وهي حركة تكشف عن محاولة جمع

الاتجاهين المعكوسين معاً وتوحيدهما. ويمكن أن نتصور مسار هذه الحركات في

الرسم الآتي:



فحركة الأمام في (اسلك) وحركة الورا في (تخرج) مجموعتان في الحركة الثالثة (اضمم). ولا شك في أن هذا البعد الحركي في السياق ذو دلالة خفية عميقة تنصب على صاحب هذه الحركة الأفقية وهو موسى عليه السلام، إذ إنه من خلال إحداث الحركة الأولى والثانية يصيبه الرهب والخوف. وحتى يتخلص من هذه الحالة النفسية لا بد له من أن يحدث الحركة الثالثة (اضمم) وبالتالي يخلص من حالته النفسية. وهذه الصورة تصبح الحركة بأطرافها الثلاثة ذات تأثير نفسي عميق يتخلص من أثر ما يمكن أن يحدثه الخوف.

وتتشكل الحركة الأفقية على مستوى اتجاهات مختلفة غير الورا والأمام، وهو المستوى العام الذي يجمع جميع الاتجاهات كما في قوله تعالى: ﴿وَالتَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ^(٢٦) إن الحركة الأفقية العامة تبدو من طرفي وحدة التقابل (جلاها، ويغشاها) وذلك أن الفعل (جلاها) فعل يشير إلى الحركة الأفقية الممتدة على جميع اتجاهات المكان، وأن الفعل (يغشاها) يشير أيضاً إلى الحركة الأفقية الممتدة على جميع الاتجاهات، ولكن من الملاحظ على هاتين الحركتين من الجهة الشكلية الظاهرة أنهما حركتان متعاكستان إذ إن الفعل الأول يربطه بالفعل الثاني يشير إلى كشف المكان بحركة ارتداد، وإبطال للحركة الثانية التي تشير في الوقت نفسه إلى حركة تقدم لتغطية المكان، ولكن

التدقيق في الدلالة، العميقة للفاعلين يقود إلى تماثل الحركتين على المستوى الأفقي، وذلك أن كل فعل من الفعلين يفيد الامتداد المكاني الأفقي بالمقدار الذي يفيد الفاعل الآخر، ومن المدهش حقاً في مثل هذه الحركة أن ترتبط بالبعد المكاني الخفي من جهة وبالبعد الزمني الظاهر في البناء اللغوي المتمثل في (النهار/والليل) من جهة أخرى. ولا شك في أننا ندرك البعد المكاني الخفي هنا، وهو أن هذه الحركة تتم على النقطة المكانية التي أشير لها في السياق بالضمير (الهاء)، ومن الأهمية بمكان أن ندرك أن البناء اللغوي قد اتكأ بإظهار البعد الحركي على البعد الزمني المتمثل في (النهار/والليل)، إذ إن تشكيل وحدة التقابل هنا بصورتها المعقدة يخرج لنا بنمط معقد ذي علاقات توافقية على المستوى الأفقي وعلاقات ضدية على المستوى العمودي والتقاطعي، فـ (النهار) هو محور الحركة الأول في (جلاها) و(الليل) هو محور الحركة الثانية في (يغشاها)، ومن هنا تكتسب الحركة الأفقي معنى البعد الزمني علاوة على اكتسابها معنى البعد المكاني.

وثالث مسارات البعد الحركي هو الحركة الموضعية، وهي حركة محددة المسار عرفها الدكتور محمد عبد المطلب في قوله: "تبدو الحركة مركزة في نقطة بعينها لا تتجاوزها إلى أي من الأبعاد السابقة"^(٢٧) وقد جاءت هذه الحركة في وحدات التقابل في القرآن الكريم، وقد تنوعت مفرداتها مثل: "مغلولة، وتبدو، وتخفوه، ومحونا، ويثبت، ويضيق"، وغير ذلك من المفردات، وتتصف فاعلية هذه الحركة بإضفاء التوترات النفسية على المتلقي، وبقدرتها على الانتشار داخل البناء اللغوي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَا إِنَّ أُمَّسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا ﴿٢٨﴾ إن هذه الآية تجسد لنا البعد الحركي الموضوعي في طرفين هما (بمسك/ أن تزولا). فالطرف الأول (بمسك) يشير إلى الحركة الموضوعية التي لا تنطلق إلى جهة ما من الجهات سواء أكانت رأسية أم أفقية، ويزيد السياق تركيزاً لهذه الحركة بالطرف الثاني (أن تزولا) الذي يفيد بارتباطه بالطرف الأول المنع من الزوال أو الحركة الرأسية أو الأفقية، وبهذا يكون الطرفان قد حققا البعد الموضوعي للحركة، ولكن من الملاحظ أن هذه الحركة تكتسب صفة الانتشار في البناء اللغوي، ويرافق هذا الانتشار توترات عميقة في المتلقي تنقله إلى حالة الخوف والرهبة، فالمفردتان (لئن زالتا) و(إن أمسكهما) هما حالتان متضادتان تنقلان الحركة الموضوعية إلى رأسية أخرى وذلك مشروط بعد تدخل الخالق عز وجل بإحداث الحركة الموضوعية، وإحداث هذا التضاد خارج وحدة التقابل تنقل المتلقي من حال الاطمئنان في العيش بالحركة الموضوعية التي يتحكم بها الله عز وجل إلى حال الخوف والرهبة في الحركة الرأسية الأخرى وذلك في حال جعل التحكم بـ(السموات) و(الأرض) لأحد غير الله عز وجل، ولذلك نجد أن البناء اللغوي ينتهي بجملة تتوافق والدلالة النفسية للحركة الموضوعية، وهي قوله (إنه كان حليماً غفوراً) فالله عز وجل لا يعجل العقوبة للمتلقي بتغيير الحركة الموضوعية لـ (السموات) و(الأرض) مع استحقاقهم لها؛ وذلك لأن مغفرته ورحمته واسعة تشمل من يتوب إليه في هذا الكون.

وثمة مسار آخر للبعد الحركي يكاد يجمع الحركات الثلاث السابقة من غير تحديد إطار لاتجاهاتها حيناً، وبتحديد اتجاهاتها مع المحافظة على تشكيلها الخاص حيناً آخر. ويمكن أن نسميه بالحركة الانشطارية. وهي حركة قد تجمع الحركة الرأسية والأفقية والموضوعية معاً في بعد واحد، والواقع أن مثل هذه الحركة لم تكن منتشرة في الوحدات التقابلية انتشار الحركات الثلاث السابقة،

وقد اختلفت مفردات هذه الحركة مثل: يتفطر، وتنشق، وفتقناها، وواجفة، واهترت. وحتى نتبين حدود هذا البعد نأخذ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقُرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا ﴿٢٩﴾﴾ إن الحركة الانشطارية تتمثل في الأطراف: (يتفطرن) و(تنشق) و(تخر الجبال هداً) لا شك في أننا ندرك أن حركة الفعل (يتفطرن) والفعل (تنشق) حركة متماثلة من خلال المعنى الذي يجمعها وهو الانشقاق، والواقع أن حركة الانشقاق قد تكون رأسية وقد تكون أفقية، وقد تأخذ المسارين معاً، ويشترك الفعل (تخر) في هذه الحركة، إذا ربطناها بالمفردة (هداً)، وذلك أن الحركة هنا تشير إلى توجه من الأعلى إلى الأسفل (رأسي). ومن ثم تشير إلى حركة أفقية باندفاع (الجبال) إلى الجهات الأفقية المختلفة. ولا شك في أن خصائص هذه الحركة هي خصائص انشطارية تسير على مساحات مختلفة من المسافات المكانية، ولكننا نلاحظ ظهور الأبعاد الرأسية والأفقية في المفردات المتقابلة.

ويمكننا أن ندرك عمق الحركة الانشطارية التي تغيب فيها الأبعاد الرأسية والأفقية والموضعية في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إن الحركة الانشطارية تبدو في وحدة التقابل (رتقاً/فتقناهما) وذلك من خلال تقابل الطرف الثاني بالطرف الأول، ونلاحظ هنا أن الحركة قد اتخذت بعدين الأول بعد الحركة الموضعي في (رتقا)، والثاني بعد الحركة الانشطارية في (فتقناهما)، وهذا يكشف عن أن الأصل في الحركة هنا الحركة الموضعية التي

تحولت إلى الحركة الانشطارية التي غابت فيها الأبعاد الرأسية والأفقية والموضعية. فالحركة الموضعية هي الأساس والأصل الذي تنشق منه الحركة الانشطارية، وتصف هذه الحركة بالفعل على إضفاء ظلالها على البناء اللغوي في الآية الكريمة. وذلك أننا نجد في قوله (وجعلنا من الماء كل شيء حي) صفة التركيب في كلمة (الماء) والتوزيع في (كل شيء حي) فالمفردة (الماء) يمكن أن ترتبط بالحركة الموضعية والتركيب (كل شيء) ينتج الحياة لكل ما ينتقل إليه. وهذا الترابط في الواقع يتم في أعماق البنية اللغوية للآية الكريمة.

وتتخذ الأبعاد الحركية في وحدات التقابل طابعاً خاصاً من خلال اجتماعهما في بنية لغوية واحدة، ويمكننا أن ندرك هذا الطابع في قوله تعالى:

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ وَخَسِبُكُمْ أَقْبَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلَّمْتُمْ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ^(٣١) إن البعد الحركي في هاتين الآيتين يرتبط ارتباطاً شديداً بالبعد

المكاني بحيث يبدوان متواصلين، ونلاحظ أن البعد الحركي يتجسد في المفردات (طلعت) و(تزاور) و(غربت) و(نقلبهم) و(بسط). فمفردتا (طلعت) و(غربت) تمثل الحركة الرأسية للشمس. ومفردتا (تزاور) و(نقلبهم) تمثل الحركة الأفقية، وذلك أن (تزاور) تشير إلى الحركة الأفقية التي تتحدد بتحريك الطرف الرأسي الأسفل للأشعة المنبعثة من الشمس، وتتخذ الاتجاهين المكانيين (اليمين) و(الشمال) لنجد المستوى الأفقي، والمفردة (نقلبهم) تشير إلى الحركة الأفقية

التي تتخذ البعد المكاني (أجساد أهل الكهف) مركزاً للحركة باتجاه الجانبين من الجسد. ولا شك في أن هذه الحركة الأفقية تختلف بطبيعة تركيبها من الحركات المتجهة إلى الأمام أو الورا؛ لأنها تتضمن الحركة المنحنية التي ترسم خطأً مائلاً يشكل حركة نصف دائرية، وأما المفردة (بسط) فهي تشير إلى الحركة الأفقية التي تتخذ مساراً مستقيماً على خلاف حركة الفعل (نقلبهم). من خلال هذه الحركات نلاحظ تواصل الأبعاد الرأسية والأفقية بالبعد المكاني (اليمين) و(الشمال) الذي يحدد نهاية خط كل حركة، وأمام هذا التواصل يصبح كل بعد منهما جزءاً لا ينفصل عن الآخر؛ بمعنى أن تحقيق أي بعد منهما لا يمكن أن يتم إلا بتحقيق البعد الآخر، والواقع أن البعد الحركي في هاتين الآيتين يشيع الحركة الدائبة في مفردات السياق، فصورة هؤلاء الأشخاص تبدو متحركة من خلال وحدة تقابلية خارجة عن البعد الحركي وهي (أيقاظاً/ ورقود)، فالطرف الأول يشير إلى الحركة الدائبة التي ترتبط بالنهار (اليقظة)، في حين أن الطرف الثاني (رقود) يشير إلى الحركة الموضوعية الساكنة التي ترتبط بالليل، ولا شك في أن طرفي هذه الوحدة يكشفان عن البعد الزمني في الأصل الذي يقع في الدائرة الزمنية الخاصة (الليل/ والنهار) من الحلقة الزمانية الأولى، وفي هذا التوجه في التحليل نرى تعانق البعد الحركي بالبعد الزمني، وتبدو فاعلية البعد الحركي أيضاً في قوله (لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فراراً وملئت منهم رعباً)، وذلك أن المفردات (وليت) و(فراراً) و(ملئت) مفردات تشيع فيها الحركة التي تتصل بالبعد الحركي الأفقي، وتنضاف إلى هذه الملاحظة قدرة البعد الحركي في هذه المفردات على التأثير في المتلقي، وذلك في خلق التوتر أمام قدرة الله عز وجل على الإحياء والإماتة من خلال الحركات الرأسية والأفقية والبعد المكاني (أهل الكهف).

إن الأبعاد الثلاثة المتقدمة تكاد تكون الإطار العام الذي يضم آيات القرآن الكريم وتقابلاتها، فمن خلالها تتشكل الأبعاد الدلالية المختلفة، وتحرك بعض السور القرآنية الكريمة بجميع تقابلاتها وسائر البناء اللغوي الذي يرافق هذه التقابلات، ونستطيع أن نكشف عن الأبعاد الثلاثة في سورة قرآنية من خلال تشابكها وتلاحمها في النص القرآني ولنأخذ (سورة الليل).

إن سورة الليل تحتوي على عدد من وحدات التقابل تراوحت بين البسيط والمعقد، ولكنها جميعاً تصب في إطار الأبعاد الثلاثة (البعد الزمني، والبعد المكاني، والبعد الحركي)، وتتخذ هذه السورة بناءً أسلوبياً متميزاً وهو أنها تعتمد على وحدة تقابلية أساسية تتصف بصفتين رئيسيتين: الأولى - أنها تحتوي على الأبعاد الثلاثة متداخلة، والأخرى - أنها تتصف بالقدرة على الانتشار والامتداد في هذه الأبعاد إلى وحدات تقابلية أخرى في النص القرآني. إن هذه الوحدة التقابلية هي (والليل إذا يغشى / والنهار إذا تجلّى)، إن هذه الوحدة تكشف عن البعد الزمني من خلال مفردتي (الليل / والنهار)، وهما تقعان في الدائرة الزمنية الخاصة من الحلقة الزمنية الأولى، وكما تكشف عن البعد الحركي من خلال مفردتي (يغشى / ويتجلّى) وهما مفردتان تشيران إلى حركة أفقية غير محددة الاتجاهات، وكل مفردة تشكل حركة مماثلة لحركة المفردة الأخرى، فـ (يغشى) يشير إلى تغطية المكان على المستوى الأفقي بشكل كلي، ومفردة (تجلّى) تشير إلى كشف المكان على المستوى الأفقي بشكل كلي أيضاً، فهما حركتان متساويتان تثبت إحداها عند غياب الأخرى، ويمكننا من خلال هاتين المفردتين أن نكشف عن البعد المكاني، وهو البعد الأفقي الذي تشكلت على وفقه الحركة الأفقية في هاتين المفردتين، وهو بعد يأخذ الاتجاهات الأفقية جميعها: الأمام، والخلف، والشمال، واليمين.

وقبل أن أتحدث عن قدرة هذه الوحدة على الانتشار والتوحد بالوحدات التقابلية الأخرى نرصد هذه الوحدات التقابلية، وذلك حتى تكون حاضرة في أذهاننا عند الحديث عنها، وهذه الوحدات هي:

- ١- "الذكر/ والأثني".
- ٢- "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى".
- ٣- "إن لنا للآخرة/ والأولى".
- ٤- "فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأشقى الذي يؤتي ماله يتزكى".

هذه أربع وحدات تقابلية تشكلت في النص القرآني بعد الوحدة التقابلية الأساسية. ولا بد هنا من أن نسير أغوار كل وحدة على حدة لاكتشاف أبعادها التي تتحرك من خلالها، وبالتالي نربطها بالوحدة الأساسية.

إن الوحدة التقابلية (الذكر/ والأثني) تخرج عن نطاق الأبعاد الثلاثة لتكون لنفسها محورا إضافيا للوحدات الأخرى، وسندع الحديث عنها لنعود إليه بعد الحديث عن الوحدات التقابلية الأخرى.

أما الوحدة التقابلية الثانية، فإنها تتحرك من خلال البعد الحركي والبعد الزمني في صورة متداخلة ومتشابكة، فالمفردة (أعطى) تشير إلى الحركة الأفقية الممتدة باتجاه واحد. والمفردة (اتقى) تشير إلى الحركة الموضعية التي تتركز في مكان ما، وتمتنع عن الانفصال عن مركزها إلى أية جهة أخرى، في الوقت نفسه نلاحظ ارتباط هاتين المفردتين بحلقة الزمن الأولى، وهما تحملان صفة الزمن المباشرة الماضي، وتشارك المفردة (صدق) في هذا البعد الزمني المباشر الماضي

الذي يقع في الحلقة الزمنية الأولى، ومن ثم تنتقل المفردات من الحلقة الأولى إلى الحلقة الثالثة بالمفردات (الحسنى) و(سنيصره) و(اليسرى) وهي مفردات تحمل السبع الزمني والسبع المكاني في طياتها، إذ إن (سنيصره) تقع في حلقة الزمن الثالث، وقد جاءت بإطار الزمن المباشرة المستقبل الذي يشير إلى معنى الدوام والاستمرار، وأما المفردتان (الحسنى) و(اليسرى)، فهما تحملان السبع المكاني الذي يشير إلى المستوى الأفقي المركزي، ولكنه يرتبط بالحلقة الزمانية الثالثة، بوصف هاتين المفردتين تشيران إلى (الجنة). وتأتي المفردات الأخرى في الطرف الثاني من وحدة التقابل لترسم الدلالات السابقة نفسها، فمفردة (بجل) تحمل في طياتها بعداً حركياً يشير إلى الحركة الموضوعية التي لا تتجه إلى أية جهة كانت، وفي الوقت نفسه تشير إلى السبع الزمني الماضي الذي يقع في الحلقة الزمانية الأولى، وتتبع هذه المفردة (استغنى) التي تشاركها في الحلقة الزمانية الأولى وفي بعدها الزمني الماضي، وتأتي المفردات (الحسنى) و(سنيصره) و(العسرى) لتشير إلى السبع الزمني في الحلقة الثالثة، ف (الحسنى) و(العسرى) مرتبطتان بالحلقة الثالثة بوصف الأولى (الجنة) والثانية (جهنم). وفي الوقت نفسه يشيران إلى السبع المكاني على المستوى الأفقي الموضوعي، ومفردة (سنيصره) تشير إلى الحلقة الثالثة متضمنة المعنى الزمني المباشر في المستقبل الذي يشير إلى الدوام والاستمرار، ونلاحظ أن هذه الوحدة التقابلية تنتج أبعاداً متماثلة من خلال علاقتها البنائية في السورة القرآنية.

أما الوحدة التقابلية الثالثة، فهي تشير في طرفيها إلى الحلقتين الثالثة والأولى فمفردة (للآخرة) هي الحلقة الثالثة، في حين أن المفردة (الأولى) تشير إلى الحلقة الزمانية الأولى.

وترتبط الوحدة التقابلية الرابعة بالوحدة الثالثة على المستوى البنائي، وتشير إلى الحلقتين الأولى والثانية، علاوة على إشارتها إلى البعدين الحركي والمكاني، فالمفردة (أنذرتكم) تقع في إطار البعد الزمني المباشر الماضي للحلقة الزمانية الأولى. وتتشرك المفردتان (كذب) و(تولى) في هذا البعد الزمني الماضي. وتتضمن المفردة (تولى) البعد الحركي الأفقي الذي يتخذ مساراً معاكساً لنقطة الارتكاز، إذ إنها حركة ارتداد إلى الوراء، وتشير المفردة (لا يصلها) إلى البعد الزمني الحاضر في الحلقة الزمانية الثالثة، وهي وإن كانت منفية إلا أنها تكون مثبته باعتبار البناء اللغوي الذي جاء في أسلوب الحصر؛ أي أن الأشقى هو الذي سيصلى هذه النار، ومفردة (النار) تشير إلى البعد المكاني على المستوى الأفقي الموضوعي الذي يرتبط بالحلقة الزمانية الثالثة. ويأتي الطرف الثاني من الوحدة التقابلية ليغير مجرى المفردات من حيث طبيعة البعد الزمني المباشرة، فمفردة (سيجنبها) جاءت بالزمن المباشر الحاضر غير المنفي كما كان في المفردة (لا يصلها) وفي الوقت نفسه يشير إلى البعد الحركي في مسار أفقي يشير إلى تجاوز البعد المكاني وهو (النار)، والفعالان (يؤتي) و(يتزكى) جاءا ليشير إلى البعد الزمني في الحلقة الأولى، وهما يحملان الزمن المباشر على خلاف المفردتين (كذب) و(تولى) في الطرف الأول، ولعل مجيء الفعلين في الحاضر مؤشر إلى أن هذين الفعلين من حيث المضمون يجسدان الفعل الدائم المستمر حتى يصل إلى الحلقة الزمانية الثالثة، ليأخذا مجراهما الطيب الزكي، ولعل في هذا الامتداد ارتباطاً بالمتلقي الذي يثار من خلال طرفي التقابل وينبه بالتالي إلى أهمية إحداث الفعلين (يؤتي) و(يتزكى). ومن ثم نلاحظ البعد الحركي على المستوى الأفقي في المفردة (يؤتي) الذي يشير إلى حركة في مسار متقدم إلى الأمام منطلقاً من مركز ما، وهذا على الضد من حركة المفردة (تولى) في الطرف الأول، وتبقى لدينا

مفردتان هما (الأشقى) و(الأتقى) تحتفظان بخصوصية أخرى كما كان في الوحدة التقابلية (الذكر/ والأنثى) وإن كانا يتضمنان البعد الزمني الذي يقع في الحلقة الأولى.

بعد هذه النظرة التفصيلية لوحدة التقابل نعود إلى محاولة الكشف عن كيفية تحرك الوحدة التقابلية الأساسية في هذه الوحدات. إن هذه الوحدة في الواقع تشكل طرفين مهمين في تحديد الإطار العام للنص القرآني بوحداته جميعاً، إذ يمكن أن نعد الطرف الأول (والليل إذا يغشى) دائرة أولى والطرف الثاني (والنهار إذا تجلّى) دائرة ثانية، بحيث تتجمع مفردات من النص حول كل دائرة منها. فإذا ما أخذنا الدائرة الأولى، فإننا نلاحظ أن المفردات الآتية تجتمع حولها وترتبط بها من زوايا متعددة، هذه المفردات هي: (بخل) و(استغنى) و(كذب) و(العسرى) و(أنذرتكم) و(ناراً تلظى) و(تولى) و(لا يصلاها). لا شك في أن هذه المفردات متعددة ومختلفة الدلالات على مستوى الأبعاد الثلاثة من جهة، وعلى المستوى النفسي للمتلقي من جهة ثانية. فمفردة (بخل) تشير إلى البعد الحركي الموضوعي علاوة على إشارتها النفسية التي ينفر منها المتلقي، وتصبح بمعناها مرتبطة بانتفاء الحياة وظلامها وضبايتها في النهاية، وهذه الحال تتشابه مع كلمتي (الليل) و(يغشى)، إذ إنهما يشيران إلى انتفاء الحياة من خلال الظلام الذي يدل على المكان في الأرض. كما أن مفردة (استغنى) تشير إلى المعنى نفسه؛ أي انتفاء الحياة بتفاعلها وامتدادها، فهذه الكلمة بمعناها المعجمي المباشر استغناء الإنسان الموصوف بها عن عبادة الله، والاستغناء هنا انكماش وتعطيل لحركة الإنسان وفعله تماماً كما هي الحال في ظلمة الليل إذا امتدت، وتشارك مفردة (كذب) بهذا المعنى أي تعطيل الحركة الإنسانية للفعل بوصف التكذيب رداً للعمل والحركة وإبقاء السكون وإبطال الفاعلية، وتأتي كلمة (العسرى)

لتكشف بوضوح عن دلالة المعنى الكامن في كلمة (الليل)، وذلك أنها تحمل معنى الضيق والانكماش تماماً كما يحدث في ظلمة الليل بالنسبة للمتلقى الذي يضيّق بظلمته. وتأتي مفردة (أنذرتكم) محاولة تنبيه الذين اتصفوا بالمفردات السابقة من هذه الظلمة التي يعيشون فيها ومن هذه الحياة المعطلة عن حركتها الحقيقية الممتدة إلى عبادة الله والتصديق على الإنسان في الحياة الدنيا، ومن ثم تأتي مفردة (تولى) لتجسد الدلالة العميقة لفعل الليل في النفس الإنسانية وهي الحركة الهروبية من كل ما هو مظلم. ولكنها حركة ارتدادية عكسية لا تؤدي إلى التغير المكاني؛ أي لا تحدث حركة إلى مكان جديد مختلف، ولكنها ترتد إلى المكان نفسه؛ أي إلى الظلمة نفسها، وتتجسد ظلمة الليل وضيق هذه الظلمة في المفردات (ناراً تلتطى) و(يصلها) بوصفها المثبت من خلال أسلوب الحصر، فالنار هنا تستوي مع ظلمة الليل الذي لا خروج من ضيقه، وذلك أن النار لا خروج من ضيقها وعذابها وسيتحقق في ذلك معنى الفعل (يصلها). هكذا إذن تحمل المفردات السابقة من وحدات التقابل الدلالة المعنوية للدائرة الأولى من الوحدة التقابلية الأساسية.

أما في الدائرة الثانية، فإننا نلاحظ أن المفردات التي ترتبط بها هي (أعطى) و(اتقى) و(صدق) و(الحسن) و(اليسرى) و(سجنها) و(يؤتي ماله) و(يتزكى). نلاحظ أن هذه المفردات تتضمن في دلالاتها دلالة (النهار) و(تجلى) وذلك أن مفردة (أعطى) تشير إلى حركة الامتداد والإشراق، وكذلك الأمر في (اتقى) التي تتضمن معنى الخشية والخوف والابتعاد عن كل ما يتخالف مع الشريعة الإسلامية وأخلاقها، فالتقوى أمر يحدث في حركة واضحة يحدد من خلالها الأمر الذي يخشى منه، والمفردة (صدق) تؤكد صفة فاعلية الحركة الإنسانية للفعل بوصف الصدق إحداث العمل والحركة التي تنطلق من مركزها

لتمتد إلى الأشياء مؤمنة ومعتقدة بها، وهذه الصفة ترتبط بصفة (النهار) وبصفة (تجلى) فالوضوح والانكشاف هو الأساس الذي يربطها بهما، وتأتي مفردتا (الحسنى) و(اليسرى) لتصنعا علاقة وطيدة بهذه الدائرة، فهما تشيران إلى معنى البهجة والسرور والنشاط والحركة الدائبة، وتشترك مفردتا (يؤتي ماله) و(ويتزكى) في هذا الجانب الحركي الممتد الذي يتوافق مع حركة النهار ووضوحه. بهذا تكون المفردات السابقة قد حققت معنى النهار والتجلي.

من هذا الربط بين كل دائرة ومفرداتها نستطيع أن ندرك قدرة كل دائرة على الانتشار والتوحد بجميع مفردات وحدات التقابلات الأخرى خارج الدائرتين في النص القرآني، ولا ينتهي هذا النص عند هذه العلاقة والدلالات وإنما يمتد تأثير الدائرتين إلى عناصر أخرى في السياق التي يمكن أن نعددها عناصر محايدة بالنسبة لوحدة التقابل، وذلك أن ثمة مفردات وتراكيب تقع خارج الوحدات وتشكل وفقاً للدائرتين، إذ إن أول ما يواجهنا في هذا النص هو وحدة التقابل (الذكر/ والأنثى) التي تحدثنا عنها سابقاً بأنها لا تندرج تحت التأثير المباشر للدائرتين، ولكننا نستطيع أن نفهم طبيعة العلاقة العميقة بين وحدات التقابل الأساسية وبينها من خلال السياق. فهذه الوحدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً في قوله: "إن سعيكم لشتى". فطرفا التقابل (الذكر/ والأنثى) يجتمعان على عبارة (سعيكم لشتى) وهذه العبارة تتضمن صفة البعد الحركي في مسار المستوى الأفقي الذي لا يتحدد باتجاه معين، فالمسارات والاتجاهات مختلفة غير محددة. فالإنسان سواء أكان ذكراً أم أنثى يتصف بهذه الحركة الدائبة، ويمكننا أن نوضح من هذه الدلالة طبيعة العلاقة بين الدائرتين في وحدة التقابل الأساسية وبين الوحدات الأخرى، وذلك أن وحدة (الذكر/ والأنثى) تشكل محور الدائرتين، وأن عبارة (سعيكم لشتى) تشكل الرابط الأساسي الذي يربط

الدائرتين معاً، وهذا نابع من انعكاس الدلالة الاستدعائية لكلمة (سعيكم) التي تقع في نطاق الحلقة الزمانية الأولى، وتقع في بعد حركي على مستوى أفقي فتكون الصفات بين الامتداد والانحسار، ويشير الضمير فيه إلى محور الدائرتين (الذكر / والأنثى) و(الأشقى / والأتقى). وأن مفردة (لشئ) تتضمن البعد المكاني الذي يظهر بمستويات مختلفة كما جسدها المفردات. ويأتي ختام النص القرآني في بنى لغوية محايدة تتمحور في علاقات متشابهة مع مفردات الوحدات التقابلية، وذلك أنها تستمد فاعليتها من الدائرتين الأساسيتين، فقلوه "وما لأحد عنده من نعمة تجزى" تشير إلى حركة الامتداد الارتدادي إلى الليل الذي يشكل غياب الوضوح والانكشاف لجميع الأبعاد المكانية والزمانية والحركية ويتصف بالضبابية المستمدة من ظلمة الليل، وقلوه "إلا ابتغاء وجه ربك الأعلى" يشير إلى حركة الامتداد التقدمي إلى النهار الذي يشكل الوضوح والتجلي لجميع الأبعاد المكانية والزمانية والحركية، ومن المدهش حقاً أن النص القرآني يجسد الفاعلية الغائبة والضبابية التي تنتمي إلى الدائرة الأولى، بحضور تجسيده للفاعلية المتحللية التي يختتم بها النص وذلك في قوله: "ولسوف ترضى" فهذا القول يتصل بالدائرة التي تكشف عن الإشراق والاستبشار، والنص في هذا الختام الذي لم يأت بصورته المتضادة يشير إلى حقيقة الدلالة للدائرة الأولى.

هكذا إذن نجد النص القرآني يعتمد على إحداث حركة المعنى والدلالات من خلال الأبعاد الثلاثة مشتركة ومتداخلة، ونجد أنه كذلك، يتصف في تكثيف الدلالة في وحدة تقابلية أساسية لتلقي بظلالها على سائر الوحدات التقابلية، والبنى اللغوية الأخرى فيه.

إن الأبعاد الثلاثة المتقدمة تكاد تكون الأرضية التي يمكن أن تنطلق منها أبعاد أخرى ذات صلة وطيدة بها، بحيث تتشكل وتبي العلاقات السياقية على

اختلاف مستوياتها المضمونة من خلالها، ولهذا فإن ما يأتي من أبعاد في الصفحات القادمة ما هي إلا انطلاق من حقيقة الأبعاد الثلاثة السابقة. وبوصولنا بالتقابل المعجمي إلى هذا الحد من التحليل والنظر في التقابلات القرآنية، لابد من محاولة رصد العلاقات السياقية القائمة بين مفردات وحدات التقابل، وبين مفردات السياق الأخرى؛ وذلك لأن السياق والعلاقات المتجاورة بين المفردات ذات قيمة أساسية في البناء الفني للنص القرآني. وقد أشار الدكتور محمد عبد المطلب إلى هذا الجانب في قوله: "وهنا نحاول أن ننظر في التقابل باعتبار العلاقة السياقية التي تربط الكلمة بما يجاورها، إذ إن هذه المجاورة قد تنقل التقابل من محور إلى آخر باعتبار ما يضاف إليه من الهوامش قد تتصل أحياناً بأبعاد كلية ذات صبغة اجتماعية أحياناً أو سياسية أحياناً أخرى، وهذا لا ينفي أبداً ما فيها من طابع حركي أو بعد زماني أو مكاني، ذلك أن تعدد الإشارات ماثل في بنية اللفظة إذا استخدمت فنياً، فضلاً عن الاستخدام الشعري، بل إن تعدد الإشارات يظل ماثلاً في بنية التركيب مما يجعل الدلالة في حالة تبادل جدلي بين الأفراد والتركيب"^(٣٢). فالكلمة داخل سياق النص الفني في غاية الأهمية، وذلك أنها تأخذ مكاناً مناسباً في البناء اللغوي بحيث يقيم علاقات وترابطات سياقية مع الكلمات الأخرى إذ يصبح من الصعوبة بمكان أن نفهم حقيقة مضمون هذه الكلمات بفصلها عن سائر كلمات السياق، فهي التي تعطي السياق المضمون الداخلي الذي يتصف بحركة المعنى النشيطة التي تنقل المتلقي بين معاني مختلفة تجتمع في شكل داخلي واحد، وقد أشار أ. ف. تشيتشرين إلى هذا الجانب في قوله: "تقوم الكلمة - من الزاوية الاستاتيكية - على تصميم داخلي معقد، ينطوي بناؤه الصوتي والمجازي والفكري على معان متباينة تنبثق من روابط الكلمات بعضها ببعض، يشكل بناء الكلمة الصوتي والفكري والمجازي وهذه الخلية أو تلك التي تنظفئ ثم تلتهب حياة الشكل الداخلي للكلمة"^(٣٣).

والواقع أن هذه المعاني المتباينة والمتضاربة التي تحدها الكلمة بارتباطها بالكلمات الأخرى في السياق تجتمع في وحدة متكاملة، بحيث لا تبدو فروق في المضمون بينها، وأن الذي يجمع هذه المتنابرات قدرة خارقة قادرة على أن تزيل التناقض والتنافر الظاهرين في بنية السياق، وقد تنبه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى هذا الجانب فقال: "وإنها لصنعة تستدعي جودة القرينة والحذق، الذي يلفظ ويدق، في أن يجمع أعناق المتنابرات المتباينات في ربة ويعقد بين الأجنبيات معاهد نسب وشبكة وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل إلا لأنهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة إيجاد الائتلاف في المختلفات"^(٣٤) فالكلمة إذن ذات أهمية خاصة لا نستطيع أن نبحث في معانيها خارجين عن نطاق السياق البنائي الذي ينظمها، ويبحث فيها الحياة والنشاط، ليكسبها مضموناً جديداً، علاوة على مضمونها المعجمي الذي يكتسب أهمية من خصوصية اللفظة نفسها، وقد نبه الدكتور عبد القادر الرباعي إلى مثل هذا الحرص على أهمية الكلمة وربطها بالسياق في قوله: "إن هذا كله يدفعنا ألا نفكر بعزل الألفاظ عن سياقها للنظر فيها- مفردة- ونحكم على صلاحيتها للشعر أم عدم صلاحيتها له. ويحفزها، مقابل ذلك، أن نفكر بالعلاقات الخفية، أو الروحية الداخلية التي تثير الكلمة لتلائمها بعلاقات أخرى تثيرها كلمة أخرى، وهكذا حتى نضع أيدينا على كل العلاقات المتشابهة داخل العمل. بهذا وحده نقرب من أن نرى القصيدة في مبناها ومغزاها، أو، بكلمة أخرى، نرى العالم كيف بنى فيها لحظة نظمها"^(٣٥). من هذا المنطلق يمكننا أن نبحث في وحدات التقابل الأساسية التي مهدت لها الأبعاد الثلاثة من خلال العلاقات السياقية لمفردات التقابل التي تتمحور داخل البناء اللغوي لإنتاج الدلالة.

يأتي البعد العقدي بعد الأبعاد السابقة بدور أساسي في النص القرآني؛ وذلك لأنه يشكل محوراً أساسياً لإنشاء أبعاد مرافقة أخرى، فالمضمون العقدي في القرآن الكريم هو الأساس الذي تتحرك من خلاله آيات الكتاب في معظمها، فالقرآن بناءً في قامت تقابلاته على اختلاف دلالاتها على بعد عقدي تتناول الفكرة أو الموضوع من منطلق العقيدة وتجليتها وتوضيحها للمتلقي حتى يكون القرآن الكريم رسالة واضحة توطد دعائم معاني العقيدة في نفس المتلقي، ولا شك في أن المساحة الواقعة، التي اتخذها البعد العقدي، في تقابلات القرآن الكريم قد تركت لنا كلمات أو مفردات مختلفة ومتعددة، ولكننا نستطيع أن نختزل هذه المفردات بإطار كلمتين قد تتسعان لجميع المعاني التي تحملها هذه المفردات، هذا الإطار هو (الإيمان/ والكفر).

ويتميز البعد العقدي في تقابلات القرآن الكريم بصفة التواصل والامتداد لإقامة علاقات متعددة بأبعاد أخرى تنشأ في إطار وحدات تقابل جديدة ذات صلة عميقة بالبعد العقدي. ولا شك في أن مناقشة البعد العقدي منفصلاً عن الأبعاد الأخرى يفقده دلالاته الأساسية التي اتخذها السياق القرآني، ولذلك فإن مناقشته ستكون من خلال الأبعاد الأخرى ذات الصلة المباشرة.

استطاعت وحدات التقابل في آيات القرآن الكريم المتضمنة البعد العقدي أن تتصل بعدد كبير من الأبعاد الأخرى، ويأتي أول بعد من هذه الأبعاد البعد الشعوري الذي تراوحت مفرداته بين الخوف والأمن، والحزن، والفرح، والضحك، والبكاء وغير ذلك من المفردات، ويتصل بهذا البعد الاجتماعي الذي تراوحت مفرداته بين الفساد، والصالح، والفسق، والجوع، والإساءة، والإحسان وما إلى ذلك، وحتى ندرك هذين البعدين في إطار البعد

العقدي نأخذ قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٣٦)، إن هذه الآية تقوم أساساً على معنيي (الإيمان/ والكفر)، وهما من صميم البعد العقدي الذي يتشكل فيهما، ولكن هذين المعنيين يتخذان صفة الانتشار في أبعاد دلالية أخرى في هذه الآية. ولا شك في أن البعد الأول الذي ينبثق عن البعد العقدي هو البعد الاجتماعي وذلك أن الكلمات (عملوا الصالحات) و(هم الفاسقون) تحدد طبيعة الحياة الاجتماعية في بعديها المتضادين بين الصلاح والفساد أو الفسق، ونلاحظ أن معنى الإيمان يتصل اتصالاً وثيقاً بطرف البعد الاجتماعي الأول، وهو الصلاح، وأن معنى الكفر يتصل أيضاً اتصالاً وثيقاً بطرف البعد الاجتماعي الثاني وهو الفسق أو الفساد. ولا شك في أن هذه الصلة الوثيقة بين البعدين تكشف عن أن البعد العقدي في طرفيه لا يتحقق إلا من خلال البعد الاجتماعي، وأن الكفر لا يتحقق إلا من خلال معنى الفساد والفسق الاجتماعيين. وتتواصل العلاقات السياقية في التبلور والكشف عن حقيقة البعد العقدي من خلال تدخل الصياغة القرآنية في تعميم قدرة البعد العقدي من طرف معنى الإيمان بأنها جعلت أصحاب هذا الطرف هم الخلفاء في الحياة الإنسانية على المستوى القيادي الذي يقود الناس جميعاً، من هنا جاءت المفردات (ليستخلفنهم في الأرض) و(ليمكنن لهم دينهم). ومن ثم يظهر لنا البعد الشعوري الذي يستمد وجوده ومعناه من الإيمان، وذلك أنه تجسد في طرفين هما (خوفهم/ أمناً) فمشاعر الأمن تحل محل مشاعر الخوف بحلول صفة الإيمان، وذلك أن الخوف الذي كان يكتنف أصحاب الإيمان زال عندما

تدخلت الذات الإلهية بأن جعلت هؤلاء أصحاب القيادة في الحياة بصفاتهم العقديّة والاجتماعية النابعة من الصلاح، فحل محلّه الأمن والطمأنينة، ومن ثمّ نلاحظ أن السياق القرآني في هذه الآية يحدث بناءً تركيبياً نابعاً من صميم البعد العقدي وهو الذي يتمثل في (يعبدونني/ ولا يشركون بي شيئاً) فهذا البناء جاء ضمن سياق منتظم ذي ترتيب خاص في البناء اللغوي، وذلك أنه جاء ضمن حديث الآية عن الإيمان من جهة، ومن جهة أخرى جاء ترتيباً بعد وحدة التقابل التي تتضمن البعد الشعوري، ولا شك في أن هذا التسلسل في البناء اللغوي ذو أهمية خاصة يكتسبها هذا البناء، وذلك أن تحقيق البعد الشعوري لمن يتصف بالإيمان مشروط بتكريس صفة الإيمان وتعميقها وعدم الاتجاه بالعقيدة إلى غير الله سبحانه وتعالى، حتى يكتسب أصحابها هذا البعد الشعوري، ومن المدهش حقاً أن البناء السياقي قد جاء بأسلوب الإيجاب والنفي، فالعبادة مثبتة والشرك منفي، لعل هذا الأسلوب يؤكد للمتلقي حقيقة البعد العقدي من جانب الإيمان، فالعبادة عموماً يمكن أن تكون على اتجاهين: اتجاه لعبادة الله سبحانه وتعالى، واتجاه آخر لعبادة غيره في الوقت نفسه، وحتى لا يبقى المجال عاماً للمتلقي جاء الطرف الثاني من التركيب يحدد معنى الطرف الأول بدقة، وذلك أن الطرف الثاني ينفي الاتجاه الثاني من العبادة، فالعبادة التي أرادها هذا البناء هي عبادة الله وحده دون غيره فلا يجوز أن يشرك بعبادته أحداً غيره، ومن هنا يمكننا أن نفهم طبيعة البعد العقدي في هذه الآية ونفهم صلته بالبعد الاجتماعي والبعد الشعوري.

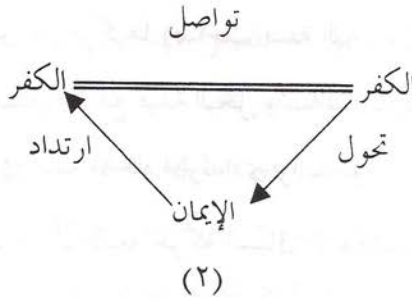
ويأتي البعد العقدي بعد آخر يتصل به اتصالاً وثيقاً وهو البعد الخُلُقي، والبعد الخُلُقي هو جانب مهم من جوانب إرساء معنى العقيدة في النفس الإنسانية التي ركز عليه القرآن الكريم من خلال تقابلاته، وقد تراوحت ألفاظه

بين الصدق، والكذب، والافتراء، والوفاء بالعهد، أو الوعد، والإخلاف به، ونقضه، وغير ذلك. وحتى ندرك هذا التواصل بين البعدين نأخذ قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِسْ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا يَكْتُمُونَ إِلَّا أَنْ أُغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ تَوَبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّكَ مِنْ فَضْلِهِ لَنْ نَصَّدَّقَنَّ وَلَنْ كُفُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَغْفِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٣٧﴾ إن هذه الآيات تأخذ إطاراً عاماً في البعد العقدي الذي يقع بين الارتداد عن الإيمان إلى الكفر، وبين دعوة المنافقين إلى الإيمان، وبعبارة أدق يقع في إطار الإيمان والكفر، نلاحظ من سياق هذه الآيات كيفية تشكيل البعد العقدي في مفرداته وتراكيبه، ومن الملاحظ أيضاً في السياق أن الذي بلور هذا البعد هو وحدات تقابل مختلفة تحمل في طياتها أبعاداً دلالية مختلفة، تراوحت بين البعد الخلقى، والبعد الزمني، والبعد الحركي. إن الوحدة التقابلية الأساسية في هذا السياق هي (كفروا/بعد إسلامهم) وهي وحدة تشير إلى حركة انعكاسية في البعد العقدي؛ بمعنى أنها اتجهت من الإيمان (الإسلام) إلى الكفر، وقد جسدت السياق هذه الحركة في نظام التركيب اللغوي لطر في التقابل كما يأتي:

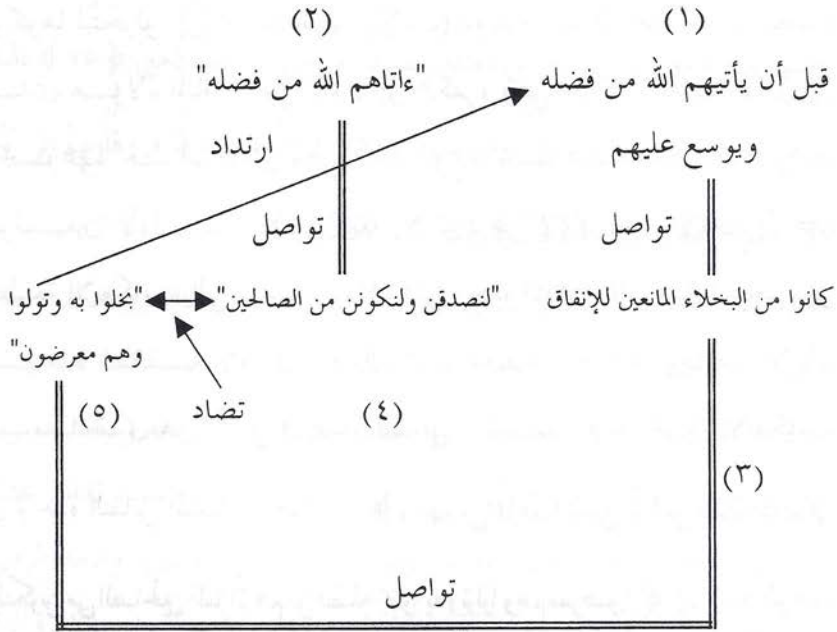
(٣)

(١)



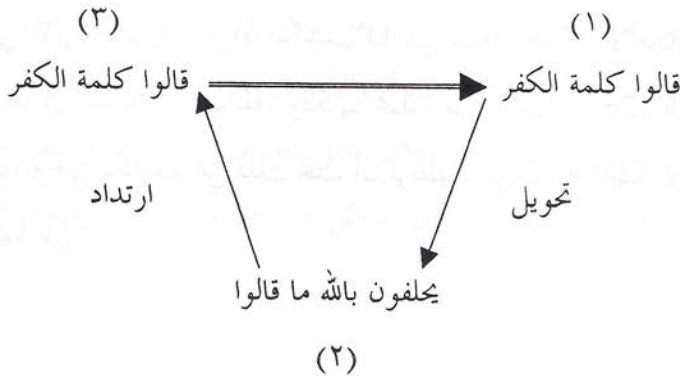
إن مفردة (الكفر) الأولى هي الأصل في حال هؤلاء المنافقين الذين تركوها ليتحولوا إلى المفردة الثانية (الإيمان)، وجاء السياق يغير الحركة العقدية لدى هؤلاء المنافقين من الإيمان إلى الكفر، وهي حركة ارتدادية تؤدي إلى رجوعهم لحالهم الأولى وهي الكفر، وبهذا يجسد السياق حال التواصل مع الوضعين الأول والثالث، أي بعد الارتداد عن الإيمان وقبل الإيمان، إن هذه الطبيعة الانعكاسية التي فرضها السياق على وحدة التقابل الأساسية تسحب إلى الوحدة التقابلية الأخرى ذات الدلالات الخلقية والحركية. وما هذا إلا لأن السبع العقدي هو الأصل في البناء السياقي. وتكشف هذه الحركة الانعكاسية في وحدة التقابل المتمثلة في قوله: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾ إن هذه الوحدة التقابلية ترصد أبعاداً دلالية من جهة، وترصد الحركة الانعكاسية من جهة أخرى، أما الأبعاد الدلالية فهي البعد المعيشي المتمثل في الصدقات والإنفاق والبخل، والبعد الخلقى المتمثل في الصلاح في الحياة الدنيا، والبعد الحركي المتمثل في (بخلوا) التي تشير إلى الحركة الأفقية الموضعية التي تقطع كل مسار خطي إلى أي اتجاه لتبقي الحركة متمحورة حول صاحب صفة البخل، ومتمثلة

أيضاً في المفردة (تولوا) التي تشير إلى الحركة الارتدادية المعكوسة على المستوى الأفقي التي تنطلق من مركزها (صاحب صفة البخل) إلى الورا، بحيث يتعانق هذا الاتجاه (الورا) مع صفة البخل وتساند المفردة (معرضون) المفردتين (بخلوا) و(وتولوا) في صفة الاتجاه الارتدادي والتمحور حول مركز الحركة. ويمكننا أن ندرك طبيعة حركة السياق الانعكاسية في وحدة التقابل كما يأتي:



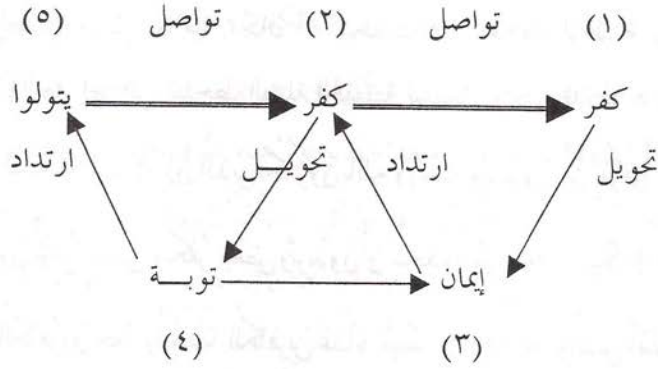
إن هؤلاء المنافقين قبل أن يوسع الله عليهم كانوا في حال من البخل، وكانوا مانعي الإنفاق في سبيل الله فقطعوا عهداً على أنفسهم بأنهم إذا ما آتاهم الله من فضله ليكونن من المتصدقين الصالحين، وقد حققت وحدة التقابل هذا المضمون بأن وسع الله عليهم رزقهم ولكنهم لم يفوا بالوعد الذي قطعوه على أنفسهم. وبهذا يكشف السياق بأن التركيب رقم (٣) في الرسم التوضيحي، يتواصل مع التركيب رقم (٤) بحركة تقدمية ليحقق بالتالي مطلب المنافقين، ومن ثم يكشف السياق عن علاقة متضادة تقوم بين التركيب رقم (٤) والتركيب رقم (٥)، ليثبت بالتركيب رقم (٥) حركة الارتداد وحركة التواصل في الوقت نفسه، أما حركة التواصل، فهي توصيل هؤلاء المنافقين صفة البخل الثانية بصفة البخل السابقة قبل التوسعة عليهم في التركيب رقم (٢). إن هذه الحركة الانعكاسية في هذه الوحدة التقابلية تتماثل مع الحركة الانعكاسية في الوحدة التقابلية السابقة، ولا ينحصر امتداد تأثير الحركة الانعكاسية في السياق عند هذه الوحدة التقابلية، وإنما يمتد إلى وحدة تقابلية أخرى سابقة على وحدة التقابل الأساسية، تتمثل هذه الوحدة في (يخلفون بالله ما قالوا/ولقد قالوا كلمة الكفر). فبنية الحركة الانعكاسية هنا تتمثل تماماً مع حركة الوحدة الأساسية كما في الرسم الآتي:

اتصال



إن السياق القرآني يثبت في هذا البناء إبطال ما ادعاه المنافقون بأنهم لم يقولوا كلمة الكفر وذلك كما يأتي: نقل السياق بطريقة النفي حلف هؤلاء على أنهم لم يقولوا كلمة الكفر، وذلك في الطرف رقم (٢) دون أن يثبت في البدء حقيقة قولهم؛ بمعنى أنهم تحولوا من إثبات قولهم كلمة الكفر التي ظهرت في الطرف رقم (١) وهي الأصل إلى نفيها عن أنفسهم وهذه الحركة ماثلة تماماً لحركة الوحدة التقابلية الأساسية، ثم تحرك السياق بحركة معاكسة لحركة التحويل، بأن أثبت أنهم (قالوا كلمة الكفر)، وذلك من خلال الإيجاب وتمثل هذا الإثبات في الطرف رقم (٣). وبإعادة السياق المنافقين إلى حقيقتهم يكون قد أحدث حركة تواصل انعكاسية تترد إلى الأصل في حال المنافقين وذلك يتمثل في العلاقة بين الطرفين (١/٣).

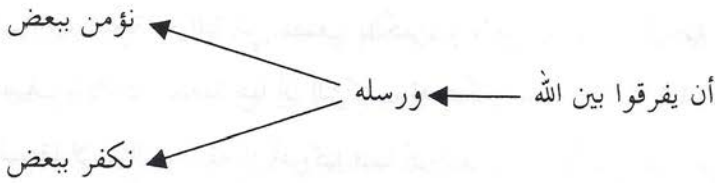
ويمكننا أن نتابع إحداثات وحدة التقابل الأساسية المبنية على البعد العقدي، لنلاحظ نشوء وحدات تقابلية تتضمن بعداً عقدياً وحركياً في الوقت نفسه، وبعداً آخر وهو البعد الزمني، ويمكننا أن ندرك البعد العقدي - الحركي في الوحدة (ليتوبوا - خيراً لهم/ يتولوا - يعذبهم الله) إن المفردة (يتوبوا) تكشف عن المعنى العقدي الذي يتضمنه، وذلك أن التوبة تتضمن معنى العدول عن الكفر إلى الإيمان، ويربط هذه المفردة بالمفردة (يتولوا) التي تشير إلى البعد الحركي الارتدادي إلى الوراء، تكشف لنا عن طبيعة الحركة الانعكاسية التي أدركناها في التقابلات السابقة، ولكنها مختلفة من حيث التركيب البنائي في السياق، وحتى تكشف عن ذلك يجب أن نربطها بالوحدة التقابلية الأساسية، وذلك كما يأتي:



إن الوحدة التقابلية الأساسية تتمثل في الأطراف (١ / ٢ / ٣) وهي تجسد الحركة المعكوسة كما تحدثت عنها سابقاً. ومن خلال الرسم للطرفين (٥/٤) وعلاقتها بالطرف (٣) نلاحظ الحركة الانعكاسية نفسها التي ظهرت في الوحدة التقابلية الأساسية، وذلك أن السياق بعدما أثبت ارتداد هؤلاء المنافقين إلى الكفر أحدث تقابلاً جديداً بدأ بالطرف (٤) وهو التوبة. والتوبة هنا ترد إلى معنى الإيمان في الطرف (٢) ولكن هؤلاء المنافقين بإعراضهم عن هذه التوبة يكونون قد أحدثوا حركة ارتدادية تنجهم نحو الطرف (يتولوا) ذي الرقم (٥)، وبتحقيق مضمون هذا الطرف يكونون قد أحدثوا حركة التواصل الارتدادية إلى الأصل وهو الكفر في الطرف رقم (٣) الذي يتواصل بالمثل مع الطرف (١)، ويمكن أن ندرك من هنا معنى وصفنا لـ (يتولوا) بأنها حركة ارتداد إلى الوراء. ويأتي ضمن هذه الحركة الارتدادية البعد الزمني الذي يتخذ صفة الحلقة الزمانية الأولى والثالثة من خلال (الدنيا/ والآخرة) وهي حركة محورية تجمع الأبعاد جميعاً في طرفيها، وذلك من خلال الفعل (يعذبهم) الذي يتصل ببعد جديد في السياق وهو البعد الجزائي الذي يشكل جزءاً مهماً من البعد العقدي في آيات القرآن الكريم.

ولعل من الأهمية بمكان أن نتحدث عن العلاقة الوطيدة بين البعد العقدي والبعد الجزائي لنلاحظ الصلة الحقيقية بينهما، وحتى ندرك هذه الصلة نأخذ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٨﴾ إن مسار الوحدة التقابلية الأساسية في هذا السياق يتخذ نمطاً بنائياً مختلفاً عنه في سياق الآيات السابقة للبعد العقدي، وهي تتحدد في طرفين هما (يكفرون/ وآمنوا)، من ثم تمتد هذه الوحدة بجذورها داخل السياق، لتنشئ وحدات تقابلية أخرى ذات صبغة عقدية، وبالتالي ينبثق منها بعد جزائي يترتب على كل طرف من طرفيها، أما الوحدات التقابلية ذات البعد العقدي، فهي (أن يفرقوا/ ولم يفرقوا) و(نؤمن ببعض/ ونكفر ببعض) ولكن من الملاحظ على الوحدة الأولى أنها تتوزع في طرفيها على طرفي الوحدة التقابلية الأساسية، فالطرف (أن يفرقوا) ينتمي إلى الطرف الأول (يكفرون) والطرف (يفرقوا) ينتمي إلى الطرف الثاني (آمنوا) ولا شك في أن كل طرف يحدد طبيعة مسلك أصحابه من حيث البعد العقدي، فأصحاب الطرف الأول الكافرون يحاولون أن يفرقوا بين رسل الله. أما أصحاب الطرف الثاني المؤمنون فهم على الضد من الكافرين لم يفرقوا بينهم، إذ يكشف عن الطبيعة الأساسية لأصحاب العقيدة الأولى وهي عقيدة الكفر فهم يتبعون التفريق أساساً لمنهجهم العقدي، ومن هنا نشأت وحدة تقابلية جديدة بنيت على أساس التفريق، وتتضمن البعد العقدي

وهي الوحدة التقابلية الثانية (نؤمن/ ونكفر). فالتفريق في السياق انعكاس عن مفهوم عقيدتهم بأنهم جزءوا الكل إلى جزأين: جزء ينتمي إلى الإيمان، وجزء ينتمي إلى الكفر. ولكن من الملاحظ على هذه الوحدة من حيث توزيع طرفيها أنها قد جاءت في صورة معكوسة في السياق إذ كان الترتيب في أصل الوحدة التقابلية الأساسية الكفر أولاً والإيمان ثانياً، في حين إن الترتيب هنا جاء بالإيمان أولاً وبالكفر ثانياً. لا شك في أن لهذا العكس السياقي في الآيات دلالة سياقية مهمة في كشف المسلك العقدي للكفار. ولو ذهبنا إلى التوصيل بين مفردات (أن يفرقوا) وبين طرفي الوحدة التقابلية هنا، لوجدنا هذه الدلالة السياقية، فنلاحظ أن السياق يسير بنا كما يأتي:



إن هذه التجزئة ذات صلة وثيقة بالمفردة (ورسله)؛ أي أن الإيمان أو الكفر يقع على جزء من مضمون هذه المفردة، فالمفردة في مضمونها تنقسم قسمين: القسم الأول- رسل يؤمن بهم الكفار، والثاني- رسل يكفرون بهم. ولكن مشروعية الرسل تستمد حقيقتها من صلتها السياقية بلفظ الجلالة (الله)، وذلك أن هؤلاء الرسل قد بعثهم الله إلى الناس. ومع أن هذه الحقيقة تمثل أمام الكفار إلا أنهم حاولوا أن يتخلصوا من قوتها بفعلهم التجزيئي، فأمنوا ببعضهم وكفروا ببعضهم الآخر، وذلك حتى يقنعوا أنفسهم بأنهم آمنوا بالرسل الحقيقيين من وجهة نظرهم؛ ولذلك يأتي السياق بتعليل هذه الحركة التفريقية

من وجهة نظر الكفار في قوله (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) فمسلكهم العقدي هذا يؤدي بهم إلى طريق وسط بين الكفر والإيمان، ولكن السياق لم يجعل الوحدة التقابلية هنا تكتمل على هذه الحركة التفريقية حتى لا تكون الصورة المعكوسة التي بدأت بالإيمان مشروعة ومقبولة، وإنما جاء بطرف آخر ينفي عنهم صفة الإيمان، وهو قوله أولئك هم الكافرون حقاً، فهذا القول هو الذي يحل الحركة المعكوسة، ويربر بدء وحدة التقابل بالإيمان، ولا شك في أن هذا القول هو نفي قاطع لصفة هؤلاء، وبهذا ترتد وحدة التقابل بصفة الكفر إلى الصفة الأساسية لهؤلاء الكفار، وبعد هذه الإحداثيات التقابلية في البعد العقدي، يأتي البعد الجزائي الذي يتمثل في طرفين هما (واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً/ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) فالعذاب نتيجة جزائية لمن يتصف بالكفر، والأجر والمغفرة والرحمة جزاء لمن يتصف بالإيمان، نلاحظ هنا أن التركيب قد عكس الحركة التفريقية التي كانت في التقابلات السابقة إذ أدركنا فيها أن التفريق في الأصل كان من صفات الكفار ولكن هنا تتغير الحركة من خلال مفردات البناء السياقي، لتصبح حركة التفريق من صفات المؤمنين في البعد الجزائي، لذا يجب علينا أن نلاحظ مفردات الجزاء في كل طرف، فمفردات الجزاء من جهة الكفار كانت (عذاباً) و(مهيناً). أما مفردات الجزاء من جهة المؤمنين، فكانت (أجورهم) و(غفوراً) و(رحيماً). إن مفردتي الجزاء للكفار تتخذان صفة الاحتواء بمعنى أن العذاب يحتوي في داخله معنى الإهانة، فهما وإن تبدوا مفردتين ولكنهما مكثفتان في معنى واحد. ولكن مفردات الجزاء للمؤمنين تتخذ صفة الافتراق والاستقلالية في المعنى. فالأجور هي معنى قائم بذاته والمغفرة أيضاً معنى قائم بذاته والرحمة كذلك الأمر قائمة بذاتها، ولا شك في أن صفة الاستقلالية هنا تشير إلى الحركة التفريقية.

نستطيع من خلال هذا العكس للحركة التفريقية أن نمسك بأطراف الدلالة في السياق التي تؤشر إلى أن ما فعله الكفار من تفريق أدى بهم إلى جزاء مكثف فيه إهانة لما صنعوه من التفريق في البعد العقدي، وأن ما فعله المؤمنون من عدم التفريق، في قوله (لم يفرقوا بين أحد منهم) أدى بهم إلى جزاء عظيم ممتد بين الأجر والرحمة والمغفرة. ولا شك في أن البعد العقدي في هذه الصورة يكون قد انعكس على البعد الجزائي بدلالته في السياق.

التخالف:

إن التخالف يستمد دلالاته الاستدعائية من تشكيل طبيعته التركيبية التي أشرت إليها في الفصل الأول. وهي القائمة على الدال الحاضر والدال الغائب، متمثلين في طرفيها المتبتين في البناء اللغوي اللذين يمثلان الدال الحاضر، وفي طرفين مقابلين لهما يمثلان الدالين الغائبين. ولا شك في أن هذا التركيب الخاص بالتخالف ينتج دلالات استدعائية مختلفة في نطها ومضمونها عن دلالات التقابل المعجمي الذي رأيناه في الصفحات السابقة.

إن أول دلالة تنتج في السياق القرآني نابعة من علاقة الدال الحاضر بالدال الغائب وواقعة في إطار (الخصوص والعموم) هذا الإطار الذي يتجسد في وحدة التخالف بشكل خاص، ويتجسد في البناء اللغوي بشكل عام. وقد ظهرت هذه السمة الشمولية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ وَيَرَاءَ يَوْمَئِذٍ وَقُفُوفًا كَانْتَبِهَتْ ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ

وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٩﴾ إن حركة الخصوص والعموم في هذه الآيات واضحة في البنية اللغوية، وذلك أن الآيات بدأت بـ(قال إني عبد الله) فهذا القول يكشف بدقة عن خصوصية عيسى عليه السلام من خلال ضمير المتكلم في (إني) الذي يمثل الانحسار نحو الذات وتحجيمها ليزيد هذا التحجيم خصوصية أخرى في قوله (عبد الله) فالعبد هو جزء خاص وصغير من شريحة كبيرة وواسعة هي جزء من عباد الله الذين يشكلون شريحة كلية كبيرة، ويمتد السياق هنا ليؤكد هذه الخصوصية في (آتاني الكتاب) فالكتاب الذي هو جزء من ملكوت الله سبحانه وتعالى يتزل على عبده هو عيسى الذي يمثل البعد الخامس بين خلقه سبحانه وتعالى، ومن ثم يأخذنا السياق إلى الشريحة الكلية أو العمومية في قوله (وجعلني نبياً) فالنبوة أعم من الفرد (النبى)، وهي معنى شامل لإرادة إلهية أَرادها الله في هذا الكون. ولكننا نلحظ التركيز على معنى الخصوصية في الأقوال السابقة من خلال تكرير ضمير المتكلم (الياء) المرتبط بـ (إني) و(آتاني) و(جعلني)، ثم ينتقل السياق إلى الحركة الخصوصية والعمومية نفسها في الآية الثانية، وذلك في قوله (وجعلني)، الذي يكشف عن الخصوصية في فعل التحويل (جعل) الذي يتحرك نحو العمومية المتمثلة في (مباركاً) فهذه الكلمة تكشف بنفسها عن معنى العمومية التي تصل إلى كلية الصفة المباركة في الحياة، ويجلي السياق هذه العمومية بأن جاء بتركيب يكشف عن البعد المكاني، وذلك في قوله (أين ما كنت) الذي يجعل المباركة عامة لا تنحصر في مكان ما. ومن ثم تعيد الآية هذه الحركة بين الخاص والعام في قوله (وأوصاني) التي تشير إلى الارتداد الخاص، ومن ثم تأخذ طابعاً جديداً في التعبير عن حركة الخاص في عملية التقسيم في قوله (بالصلاة) و(الزكاة) وهذا متعلق بالضمير (الياء) لا من حيث وقوع الفعل (أوصى) بل من حيث

علاقة المفعولية التي تربط بين الضمير وبين هذه المجرورات وكأما حركة الخصوص هنا تتجسد في المفعولية التي يفرضها السياق، ومن ثم تنتقل الآية إلى حركة العموم في التركيب (ما دمت حياً)، إذ إن هذا التركيب يجسد حركة العموم من خلال البعد الزمني الممتد في الكون. ومن ثم تعيد الآية التالية لها هذه الحركة مرة أخرى من الخاص إلى العام، إذ إن قوله (وبراً بوالدي) يجسد المعنى الخاص بربط البر بالوالدة التي تمثل خصوصية عيسى عليه السلام، وتنتقل الآية إلى العام من خلال الخاص في التركيب. (ولم يجعلني جباراً شقيماً) وذلك أن النفي في هذا التركيب أخرج ضمير المتكلم الذي يمثل الخاص من فعل التحويل إلى العام وأقصد هنا (جباراً شقيماً)، وقيل أن نأتي إلى وحدة التخالف الأساسية في السياق لا بد من رصد حركة الآيات السابقة في الرسم الآتي حتى ندرك البعد الحقيقي للخصوص والعموم فيها:

تحويل

الخصوص ← (العموم)

تحويل

الآية الأولى (١) "قال إني عبد الله ءاتاني الكتاب" ← "وجعلني نبياً"

تحويل

الآية الثانية (٢) "وجعلني" ← "مباركاً"

تجلية

"أين ما كنت" →

توصيل

(٣) "وأوصاني بالصلاة والزكاة" ← "ما دمت حياً"

قطع

(٤) "وبراً بوالدي" ← "ولم يجعلني جباراً شقيماً"

إن حركة الخصوص والعموم في هاتين الآيتين اتخذت صفتين: الأولى الصفة التكريرية لتركيب الآيتين، بحيث كررت العلاقة باتجاه واحد في كل تركيب من الخصوص إلى العموم. والثانية هي الاعتماد في توجه الخصوص نحو العموم على أكثر من علاقة كانت في التركيبين الأول والثاني فكما نلاحظ هنا فإن علاقة التحويل هي الأساس، ولكن علاقة التجلية رافقت التركيب الرابع، فهي علاقة القطع التي قد تصل إلى حد التضاد بين الخصوص والعموم من خلال المفردة (براً) و(جباراً) ولكن أسلوب النفي في هذا التركيب يجعل العموم يرتد إلى الخصوص ليؤكد معناه.

وتأتي وحدة التحالف الأساسية خاتمة السياق لتنقل حركة الخصوص والعموم من خلال مفردات تركيب الآية بشكل عام، وذلك أن هذه الآية بدأت بالتركيب (السلام علي) الذي يشير إلى حركة الخصوص متمثلة في السلام وفي الضمير الباء، وتتحدد حركة الخصوص في قوله (يوم ولدت)، وذلك أن الولادة هي معنى خاص في معنى الحياة، وينتقل السياق من هذا المعنى إلى تركيب آخر هو (يوم أموت)، والموت بالنسبة للولادة يجسد علاقة الخاص بالعام، وذلك أن العمومية أصلاً تكون بين الحياة والموت ولكن بإيراد كلمة (ولدت) تتحول العلاقة من الخاص إلى العام، والمدهش حقاً هنا أن تجسيد هذه العلاقة كان متحركاً في البعد الزمني بين الغائب والحاضر، فالغائب الذي يتحرك فيه الخصوص، والحاضر الذي يتحرك فيه العموم، ومن ثم يتحرك بنا السياق إلى حركة عمومية جديدة وهي في التركيب (ويوم أبعث حياً) ولكن هذه العمومية في علاقتها مع الخاص والعام في (يوم ولدت) و(يوم أموت) تكشف عن طبيعة مميزة تتصف بها هنا وهي طبيعة استيعاب الخاص والعام المحدودين بالعام اللامنتهي، فقوله (أبعث حياً) يمثل حركة العام في البعد

الزماني للحلقة الثالثة اللامنتهية. ومن ثم ينتهي السياق القرآني عند هذا الحد من تحرك الخاص والعام، وتجسد هذه الآية في حركة الخاص والعام ثلاث صفات تشترك منها صفتان مع الآيات السابقة، وتختلف في الصفة الثالثة، إذ إن صفتي الاشتراك، هما: الأولى- مثلت اتجاه حركة الخصوص نحو العموم، والثانية- جسدت علاقة التوصيل بين (السلام علي) وبين (يوم ولدت) وبين (يوم أموت) و(يوم أبعث حياً)، وأما الصفة الثالثة التي تفرق بها عن الآيات السابقة، فكانت صفة الاستيعاب التي تصل إلى درجة الاحتواء للخاص والعام.

وتتخذ وحدات التخالف في آيات القرآن الكريم توجهاً آخر في دلالاتها تنبع من إطار (الكل والجزء) هذا الإطار الذي ينسحب على بنية الآيات بصفات وخصائص تتشابه مع خصائص وحدة التخالف وصفاتها، وقد تجلت هذه السمة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(٤٠). إن هذه الآية تستمد بناءها الساقى من خلال علاقة الكل بالجزء، وذلك منذ بدايتها إلى أن تنتهي بوحدة التخالف الأساسية، فالبناء يطرح في البداية مفردتين متضامتين تصنعان فيما بينهما علاقة التخالف في إطار الكل والجزء، وهما (تراب) و(نطفة) إذ إن المفردة الأولى تشير إلى جنس المادة التي خلق الله منها الإنسان فالتراب جنس عام يتضمن معنى الكلية، أما المفردة (نطفة)، فهي تشير إلى جزء من كل عام، وهو الإنسان في صورته الكلية. والتقابل بين هاتين المفردتين مبني على هذه العلاقة، ولكن بالرجوع إلى بداية الآية الكريمة نلاحظ أنها بدأت بالتركيب (والله خلقكم) والخلق هي عملية كلية لا تتجزأ بمضمونها ويكشف الضمير (كم)

الذي يتعلق بعملية الخلق عن معنى الكلية، فالسياق في هذا الجزء من الآية بدأ بالكل وانتهى بالجزء. ولكن الآية تتجه بنا مرة أخرى إلى البعد المكاني في التركيب (ثم جعلكم أزواجاً) وهو بعد تحويل من الكلية المطلقة إلى التقسيم الواقع في إطار الكلية، وذلك أن الفعل (جعلكم) يشير إلى الكلية في أجزائها (أزواجاً). ومن ثم يتجه السياق وجهة أخرى معاكسة لحركة الكل إلى الجزء، وذلك بأنهما تحركت من الجزء إلى الكل من خلال وحدة تركيبية تدخل في علاقة السلب، وهي (ما تحمل ولا تضع إلا بعلمه) فـ(ما تحمل) و(لا تضع) تقعان في الإطار الجزئي بين الحمل والوضع، ولكن أسلوب السياق هنا لا يكمل حركة المعنى إلا بالأخذ بنهاية أسلوب الحصر، وذلك بأن التركيب (إلا بعلمه) ذو صلة قوية بالوحدة التركيبية، وهو يحدد توجه الإطار العام للكلية والجزئية. ولا شك في أننا نلاحظ معنى الكلية في هذا التركيب فعلم الله عز وجل هو حركة كلية تشمل كل بعد جزئي، وبهذا تكون الآية قد جسدت الحركة المعاكسة لإطارها، بحيث اتجهت في التركيب السياقي الثاني من الجزئية إلى الكلية، ويصل السياق في هذا التركيب إلى وحدة التخالف الأساسية التي تمثلت في (ما يعمر من معمر) و(ولا ينقص من عمره إلا في كتاب)، إن الطرفين في وحدة التخالف هنا هما الأول (ما يعمر) والثاني هو (ما ينقص)، ولا شك في أننا ندرك أن العلاقة بينهما هي علاقة الكلية (يعمر) والجزئية (ينقص). والحركة هنا حركة مخالفة لحركة التركيب السابق لهذه الوحدة. والتدقيق في العلاقة العميقة التي تربط طرفي الوحدة يقودنا إلى ملاحظة حركة (الإرحاء/ والشد) وذلك أن الطرفين يقعان في البعد الزمني الذي يمثل زمن الحياة الدنيا، فالتعمر في الحياة الدنيا هو مدة زمنية طويلة نسبياً بالقياس إلى عمر الإنسان في الأرض، والنقص في الحياة أيضاً مؤشراً إلى فترة زمنية قصيرة بالنسبة إلى التعمر.

ولكن الحركة الزمنية في هذين الطرفين تقع ضمن إطار الكلية والجزئية، وذلك كما يأتي: مفردة (يعمر) هي حركة امتدادية تشير إلى التوجه إلى الأمام لتنتهي عند نقطة معينة كما في الشكل الآتي:

"يعمر" ← × (نهاية حياة الإنسان)

والمفردة (ينقص) هي جزء من المفردة السابقة، هذا الجزء الذي يشكل اتجاهاً معاكساً لاتجاهها، بحيث تصبح الحياة أقصر منها في المفردة الأولى في صورة (الشد) إلى الطرفين وذلك كما يأتي:

الإرخاء (بعد النهاية)

"يعمر" ←

(بداية حياة الإنسان) — × (نهاية حياة الإنسان)

الشد للوراء (تقريب النهاية)

→ × → × → "ينقص"

فكل طرف من الطرفين يشكل حركة مخالفة لحركة الآخر فـ (يعمر) يمثل حركة (الإرخاء) بحيث يسمح بطول المدة الزمنية للاقتراب من نهاية الإنسان، وهذا يشكل إطاراً كلياً متسعاً في حين أن الطرف (ينقص) يمثل حركة (الشد) بحيث يجذب إليه نهاية الإنسان ويقربها في حركة مخالفة لحركة الطرف الأول، وهو في هذه الصورة يكون قد حقق العلاقة الجزئية في الطرف الأول. ومن ثم يأتي السياق من خلال أسلوب الحصر في حركة كلية أكبر تحتوي الإطار الكلي والجزئي في وحدة التخالف بالتركيب (إلا في كتاب)، فمفردة

الكتاب هي مؤشر إلى الإطار الكلي. ومن المدهش حقاً أن تنتهي الآية بتركيب يشير إلى الإطار الجزئي الصغير من خلال قوله (إن ذلك على الله يسير) فالحركة السابقة على هذا التركيب التي تراوحت بين الكلية والجزئية والتي توزعت بطرفيها وتعاكست وتداخلت ليست إلا حركات مصغرة أمام قدرة الله عز وجل، وهي سيرة الأحداث والفعل عليه.

ويتوجه التخالف في السياق إلى رصد دلالاته من خلال إطار (التشابه) بين أطراف الوحدات، ولعل الآية الكريمة الآتية توضح هذه الدلالة، يقول تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْنَجٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤١)، إن علاقة التشابه في هذه الآية تبدأ من طرفي التخالف (أشداء) و(رحماء) وذلك اعتماداً على تقابل الدال الغائب بالدال الحاضر، وينتج الدال الغائب من تقابله بالدال الحاضر في الطرف الأول (أشداء)، وعلى هذا فالدال الغائب الذي أعنيه هو (اللين)^(٤٢). ومن ثم ينتج هذا الغائب علاقة التشابه مع الدال الحاضر في الطرف الثاني (رحماء)، وذلك أن بين الرحمة واللين صلة قوية ناتجة عن أن اللين يسبب الرحمة، فالعلاقة إذن بينهما هي علاقة التشابه، وهذه العلاقة تنتج لنا حركة تكثيف في المعنى، وذلك أن معاني اللين متعددة وكثيرة، ولكن السياق في الآية يختصر هذه المعاني بمفردة واحدة هي (الرحمة). ومن هنا يبدو المعنى مكثفاً في الدال الحاضر، فالسياق إذن يبدأ بوحدة التخالف التي اعتمدت على محورين أساسيين هما: الأول الكفار والثاني المؤمنون الذي يتمثل في التركيب (بينهم). وقد توزع عليهما طرفا التخالف.

وينتج السياق علاقة مماثلة للعلاقة التي أنتجتها وحدة التخالف مع الدال الحاضر (رحماء)، وذلك من خلال التركيب (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً)، إن المعنى الخفي وراء الركوع والسجود وابتغاء الفضل وابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى ينبع من جانب الرحمة والسعي لهذا المعنى، فمفردات هذا التركيب تتواصل جميعاً لتصنع علاقة التشابه مع الدال الحاضر (رحماء) من وحدة التخالف، ومن ثم يذهب بنا السياق إلى تركيب يكشف معنى الشدة والرحمة الواردة في وحدة التخالف وهو (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وذلك أن العلاقات التي تنشأ في وجه المؤمن من السجود تجمع طرفين متخالفين: الأول يتجه إلى الشدة، وهو نابع من الألم الذي يحدثه السجود بالأثر على الوجه. والثاني نابع من اتخاذ هذا الألم طريقاً للوصول إلى نيل الرحمة والرضوان والفضل من الله تعالى. إن هذا المعنى يكشف عن أن السياق بعد أن فصل في طريقة ظاهرة علاقة التشابه بين الدالين (الشدة) و(الرحمة) أراد أن يجمعهما مرة أخرى بطريقة تحويلية، إذ إنه جعل الدال الحاضر (الرحمة) دالاً غائباً، والدال الحاضر (الشدة) دالاً حاضراً.

ولا يقف السياق عند هذا الحد من تأثير وحدة التخالف، وإنما يمتد ليجلي الصلة الحقيقية بين محوري التقابل (الكفار) و(المؤمنين) من خلال التركيب (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فنازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) إن هذا التركيب يكشف بدقة عن العلاقة بين المحورين، وهي علاقة قائمة على طرفي التخالف (الشدة) و(الرحمة)، وذلك كما يأتي: إن الساق يشير في هذا التركيب إلى بداية الآية الكريمة التي تضمنت التركيب (محمد رسول الله والذين معه) فهذا التركيب ينقسم قسمين، الأول: (محمد رسول الله). والثاني: (الذين معه).

وأمام هذين القسمين يمكن أن نرد التركيب السابق إليهما بأن نوصل قوله (كزرع) بقوله (محمد رسول الله)، وقوله (أخرج شطئه فتأزره) بقوله (والذين معه) ليصبح اتحاد (الزرع) بـ (شطئه) كاتحاد (محمد رسول الله) بـ (الذين معه) أي المؤمنين. ومن ثم يتدرج السياق إلى تحديد العلاقة بين المؤمنين والكفار في هذا التركيب من خلال قوله (يعجب الزراع) الذي يمكن أن نصله بالمؤمنين وقوله (ليغيظ بهم الكفار). فالعلاقة في هذا التركيب قائمة بين (المؤمنين) و(الكفار) على المفردتين (يعجب) و(يغيظ)، ومفردة (يعجب) تجسد معنى التعاون والتآزر بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المؤمنين، وهذا المعنى يقترب من معنى الرحمة الذي جاء في وحدة التخالف. وأما مفردة (يغيظ)، فإنها تجسد الوقوع السالب على الكفار من تعاون المؤمنين مع الرسول عليه السلام وتآزرهم، وهذا المعنى يقترب من حركة الشدة في التعامل مع الكفار، ومن هنا يمكن أن نلاحظ أن الآية الكريمة تتجه دائماً بالمؤمنين إلى المعاني المتضمنة الرحمة، ولذلك انتهت هذه الآية بالمعنى نفسه في التركيب (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) فالمغفرة والأجر العظيم ينسجمان مع معنى الرحمة التي بدأت بها الآية.

وتأتي علاقة (التقارب) في وحدات التخالف لتتشارك مع علاقة (التشابه) في إنتاج الدلالة التي تتجلى في السياق القرآني، ويبدو أن هذا الاشتراك بين العلاقتين صفة عامة للتخالف في غير آيات القرآن الكريم، وقد توفرت هذه الصفة في شعر الحدائث التي أشار إليها الدكتور محمد عبد المطلب، يقول: "وقريب من علاقة التشابه علاقة (التقارب)، إذ هي على المستوى الدلالي تؤدي نفس المهمة إلى يؤديها التشابه، مع توسيع دائرته لكي تستغرق جوانب كثيرة تنضاف إلى عملية المفارقة الناتجة عن التخالف، فيتحرك الذهن

ذهاباً وجيئة بين الطرفين الملحوظين صياغياً، ثم منهما إلى ما يقترب منهما ويدور في فلكهما، أو فلك أحدهما مما يثري اللغة الشعرية^(٤٣). ويمكننا أن

نلاحظ هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَتَأْوُوا بِغَضَبِ مَنْ أَلَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٤٤).

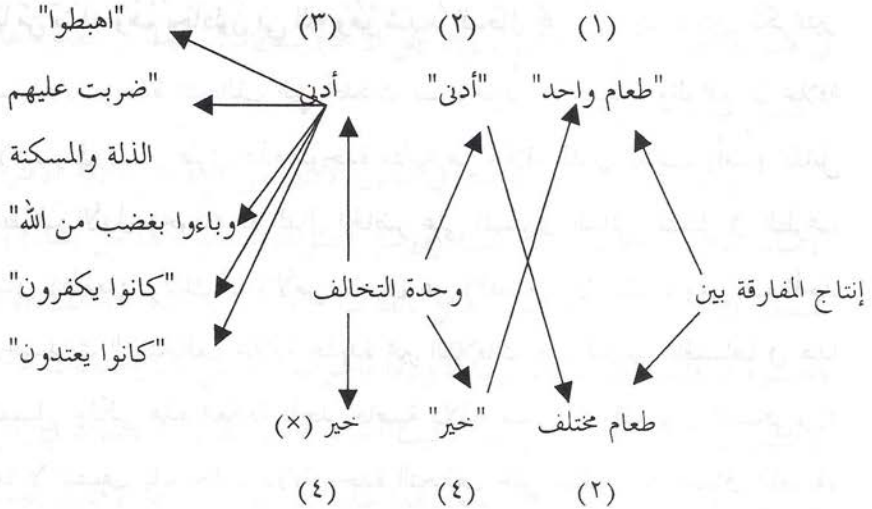
إن وحدة التخالف في هذه الآية هي (أدنى) و(خير)، وتحدد علاقة المقاربة بين الدال الغائب على المستوى الذهني، وهو (الشر) الذي يتقابل بالطرف (أدنى) وبين الدال الحاضر في بنية التخالف المتمثل في الطرف الثاني (خير)، وذلك أن الشر قريب من معنى الأدنى، ولا يتشابه به كما لاحظنا في الآية السابقة في علاقة التشابه، ولكن ثمة اختلافاً بين العلاقتين: التشابه في الآية السابقة والتقارب في هذه الآية يكمن في كيفية إنتاج الدلالة والموقع البنائي، إذ كانت وحدة التخالف السابقة تتخذ موقعاً متوسطاً في بنية السياق، ويبدو أن هذا الاختلاف ليس جوهرياً في كيفية إنتاج الدلالة، وذلك أننا نلاحظ في علاقة التقارب انتشاراً في السياق سواء في التراكيب التي كانت سابقة على وحدة التخالف، أو التي جاءت بعدها منذ بداية السياق، ونلاحظ أن ثمة مفارقة أحدثتها الآية الكريمة بين التركيب (لن نصبر على طعام واحد) و(ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها)، وذلك أن التركيب الأول يضع لنا فارقاً مع التركيب الثاني وهو رفض للطعام الواحد

وطلب لطعام مختلف، والمفارقة هنا في الموقف بين الطعامين، إذ يصبح الطعام الأول مرغوباً عنه والطعام الثاني طعاماً مرغوباً به، ويمكن أن نعت حركة المعنى هنا بالحركة التحولية من وضع إلى وضع جديد. ويجلي السياق هذا التحويل في التركيب (أستبدلون) وهو مؤشر إلى عملية إبدال الوضع القائم في طعام واحد إلى الوضع القائم في طعام جديد، والتركيب هنا مفرغ في أسلوب استفهامي يتضمن معنى الإنكار، ولعل هذا الأسلوب يجلي لنا عملية المفارقة التي تقوم على عدم الموازنة بين الموقفين (الطعامين)، بحيث نحس من هذا الأسلوب بأن الطعام الأول هو الذي يتصف بالأفضلية والقبول على الطعام الثاني، ولكن ما أراده المخاطبون هنا عكس الأفضلية في طريقة رفضها وعدم قبولها، وهنا يصل السياق إلى وحدة التخالف التي جاءت عاكسة طرفيها على أساس المفارقة بين الأفضل وغير الأفضل. إذ كان السياق في البداية قد طرح الطرف الأفضل (طعام واحد) ومن ثم طرح الطرف غير الأفضل (طعام متعدد) ولكن وحدة التخالف قلبت هذا الترتيب في طريقة عكسية فأوردت ما هو أقل أفضلية أولاً وما هو أفضل ثانياً. ولا شك في أن الفاعل الأساس في هذا القلب هو فعل التبديل في قوله (أستبدلون) الذي يجعل الطرف الأول قريباً منه ليحل محل الطرف الثاني المبعد، وكأنما السياق يجسد موقف المخاطبين هنا بأنهم قربوا (الأدنى) وأبعدوا (ما هو خير).

إن هذه البداية للسياق التي أوصلتنا إلى وحدة التخالف تذهب بنا إلى حركة جديدة في الدلالة بحيث تجسد موقف المخاطبين في التراكيب التالية لوحدة التخالف. وأول ما نواجهه هنا هو المفردة (اهبطوا) إن هذه المفردة تحمل اشتراكاً ظاهرياً يتفق مع الدال الحاضر (الأول) في وحدة التخالف وهي (أدنى) وذلك أنها تتفق معها من حيث البعدان الحركي والمكاني اللذان يشيران

إلى الأسفل، فمفردة (أدنى) تحدد موقعاً مكانياً يستقر في الأسفل، والمفردة (اهبطوا) تحدد الحركة إلى حال المخاطبين الذين انتقلوا من (الأعلى) الذي يجسد (الخير) إلى (الأدنى) الذي يفترق مع هذا الخير، ويزيد السياق توحداً بين الدال (أدنى) وبين التركيب على مستوى حركة المعنى في قوله (فإن لكم ما سألتكم) وسؤال هؤلاء هو التحول عما هو (خير) إلى ما هو (أدنى)، ولذلك كان الناتج في هذا التحول متضمناً في التركيب (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) فمفردات هذا التركيب تتوافق مع (الأدنى). ويأتي توافق (الأدنى) مع حال هؤلاء المخاطبين الذين (كانوا يكفرون بآيات الله) و(كانوا يعتدون).

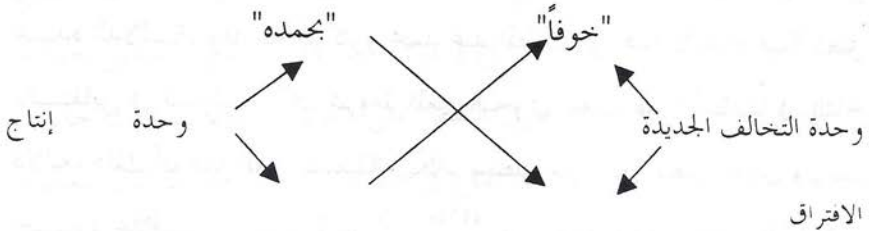
هكذا إذن كانت علاقة التقارب في هذه الآية تنتج دلالات متتابعة على مستوى السياق ككل، وقد اتخذت حركات مختلفة في الدلالة وفي النسق البنائي للسياق، ويمكن أن نوضح هذا الاختلاف في الرسم التوضيحي الآتي:



إن العلاقة التي تجمع البناء التركيبي بين ما ينتج المفارقة ووحدة التخالف هي علاقة انعكاسية تقاطعية بحيث تقاطع صلة الطرف (٣) بالطرف (٢) مع صلة الطرف (٤) بالطرف (١). من ثم نلاحظ اتجاه السياق بإنتاج دلالة جديدة ترصد لنا تراكيب تتصل بالطرف (٣) وهو (الأدنى) ومن ثم يحذف ما يمكن أن يتصل بالطرف (٤) وهو (خير). إن هذه الحركة في العلاقات لم تكن متوفرة في علاقة التشابه السابقة على المستوى البنائي وإن كان الالتقاء بين التشابه والتقارب على مستوى إنتاج الدلالة واضحاً.

وتكشف وحدات التخالف أيضاً عن علاقة أخرى مغايرة للعلاقتين السابقتين (التشابه والتقارب) وهي علاقة (الافتراق) بحيث تبدو هذه العلاقة بين الدال الغائب والدال الحاضر على المستوى المكتوب، ويمكن أن ندرك هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ^(٤٥). إن الآيتين الكريميتين تبدآن بوحدة التخالف التي تحددت بـ (خوفاً) و(طمعاً). والواقع أن علاقة الافتراق بين طرفي هذه الوحدة متأتية من علاقة الدال الغائب (أمناً) المقابل للطرف الأول (خوفاً) مع الدال الحاضر على المستوى البنائي المتمثل في الطرف الثاني (طمعاً). وذلك أن (الأمن) يفترق عن (الطمع) ولا يلتقيه، ومن هنا تأخذ وحدات التخالف علاقة جديدة غير العلاقات السابقة التي ناقشناها في هذا الفصل. ولكن هذه العلاقة تأخذ خاصية دلالية متميزة في المستوى السياقي، إذ إنها لا تتصف بانسحاب دلالة وحدة التخالف على سائر أبنية السياق اللغوية، وإنما هي تظهر في تراكيب وتختفي في تراكيب أخرى، ولعل هذه العلاقة تظهر

في التركيب (ويسبح الرعد بحمده) وفي التركيب (والملائكة من خيفته). وإذا ما وصلنا هذين التركيبين معاً، فإننا نجد علاقة الافتراق ناشئة بين (بحمده) و(خيفته)، ولعل نشوء هذه العلاقة متأة من العلاقة الأساسية بوحدة التخالف، ونستطيع أن نصل (بحمده) وبالطرف الثاني من وحدة التخالف (طمعاً)، ونصل (خيفته) بالطرف الأول منها (خوفاً) وفي هذا الاتصال على المستوى الدلالي نلاحظ أن السياق قد عكس الأطراف على المستوى البنائي كما يأتي:



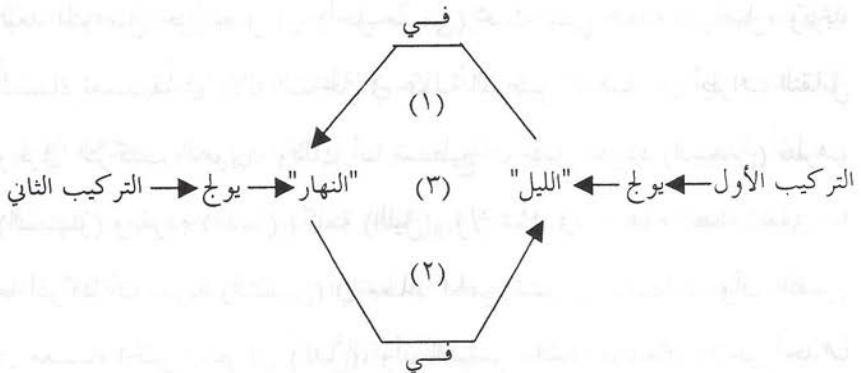
ولا شك في أن هذه العلاقة مؤشر إلى علاقة ذات حركة انعكاسية تقاطعية ضمن السياق، وتشارك علاقة الافتراق هنا مع علاقة التقارب في الآية في هذه الحركة الانعكاسية، وإن كل الاختلاف قائماً بينهما في القدرة على الانتشار في بنية السياق.

والسياق القرآني لم ينته في هاتين الآيتين من إحداث علاقة الافتراق الأساسية وإنما تظهر في التركيب (فيرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) ولا شك في أن هذا التركيب يتصل بالطرف الأول من وحدة التخالف، وهو (خوفاً). فالصواعق ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالخوف. وتنتهي هنا إحداثات علاقة الافتراق في السياق مع أن ثمة تراكيب أخرى فيه، ولكنها لم تشارك في إنتاج الدلالة على مستوى العلاقة، ولعل هذا متأة من طبيعة علاقة الافتراق نفسها التي تقوم بشكل عام على فصل الأشياء وإبعادها عن بعضها.

لقد كان البحث عن الدلالة فيما تقدم منصباً على وحدات التقابل ووحدات التخالف متمثلاً في علاقة الأطراف فيما بينهما على المستوى المعجمي أو على المستوى الذهني والمستوى المكتوب بين الدالات كما في التخالف، ورأينا كيفية انتشار الدلالة على المستوى السياقي في عناصره اللغوية، إذ كانت الدلالة تأخذ أبعاداً مختلفة تكاد تغطي البنية اللغوية. أما ما سنصنعه هنا أننا ننظر إلى التقابل والتخالف من خلال علاقتهما بالتركيب النحوي والمفردات المنظمة في سلوكه؛ وذلك لأن البنية النحوية تأخذ دورها في إنتاج هذه الدلالة. وقد نبه الدكتور محمد عبد المطلب إلى هذا الإجراء فيما يتعلق بالتقابل في قوله: "إن شروط المعنى النحوي تلعب دوراً أساسياً في إنتاج دلالته، ذلك أن هذا المعنى بتشقيقاته يكاد يسيطر على كل عنصر لغوي ويرسم حدود علاقته داخل التركيب"^(٤٦). ومن هذا المنطلق أناقش التقابلات والتخالفات في آيات القرآن الكريم.

إن أول دلالة منتجة من علاقة التركيب النحوي بوحدات التقابل والتخالف نواجهها في النص القرآني هي (التداخل)، ويمكننا أن ندرك طبيعة دلالة التداخل في الآية الكريمة الآتية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٤٧). إن هذه الآية تجسد أطراف التقابل في صورة التعدد الذي بلغ أربع مفردات هي: (الليل) وقد كررت مرتين، و(النهار) وقد كررت مرتين. ولكن دلالة التداخل لا تنبع أصلاً من هذه الأطراف كما كنا نراه في التقابل المعجمي، وإنما تنبع من مفردات البنية النحوية التي أكدت في كثير من معانيها هذا التداخل. وأول مفردة تحدد معنى التداخل هي (يولج) إن هذا الفعل يشير

إلى معنى الإدخال، فإذا ما ربطناه بطرفي (الليل/والنهار)، فإننا ندرك أن ثمة تداخلاً بين هذين الطرفين بحيث يتداخل (الليل) بـ(النهار)، وهذا هو المستوى الأول من دلالة التداخل، ولعل حرف الجر (في) يزيد الدلالة تجليةً وتوضيحاً، وذلك أنه يشير إلى دخول الطرف الأول (الليل) في الطرف الثاني (النهار) ويتوحد به بحيث لا نستطيع أن نجد فاصلاً حقيقياً بين الطرفين. ولكن العملية النحوية زادت الدلالة عمقاً في معنى التداخل بإحداث بنية لغوية جديدة هي (ويولج النهار في الليل)، فنحن نلاحظ أن التركيب النحوي في عناصره اللغوية قد كرر ما سبق في الفعل (يولج) وحرف الجر (في). ولكن المدهش حقاً هو عملية العكس في موقع طرفي التقابل على المستوى المكتوب بحيث جاء بـ (النهار) في الطرف الأول وبـ (الليل) في الطرف الثاني، وهذا الترتيب معكوس طرفي التقابل في التركيب الأول. ولا شك في أن إحداث مثل هذه العلاقة العكسية بين الأطراف تأكيداً لدلالة التداخل، بحيث يحل (النهار) في التركيب الثاني محل (الليل) في التركيب الأول، ويحل (الليل) في التركيب الثاني محل (النهار) في التركيب الأول، ولا بد أن هذا الحلول يشير إلى معنى التداخل الذي يصل إلى حد التوحد بين الأطراف، ويمكننا أن ندرك هذا التداخل في الرسم التوضيحي الآتي:



إن التركيب الأول يصل لطرفين في السهم المنحني رقم (١) بحيث تشير إلى توجه (الليل) نحو (النهار) ويتداخل فيه، والتركيب الثاني يشير إلى حركة معاكسة في السهم المنحني رقم (٢) بحيث يشير إلى توجه (النهار) نحو (الليل) ويتداخل فيه، وهذان التوجهان يشيران إلى دائرة التداخل بين الأطراف إذ يعزز حرف الجر (في) معنى هذا التداخل بحيث تصبح دائرة مكتملة يصعب فصل أجزائها عن بعضها بعضاً وقد أشرت إليه بالرقم (٣).

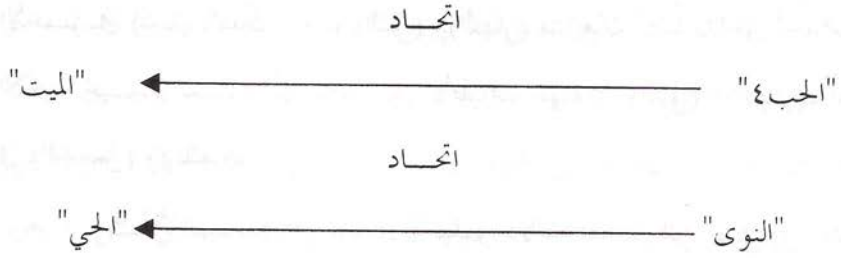
ومن ثم تنتشر دلالة التداخل في سائر عناصر التركيب اللغوي، وذلك أننا نلاحظ أن كلمتي (الشمس) و(القمر) تتوحدان على مستوى السياق من خلال المفردة (سخر) والتركيب (كل يجري إلى أجل مسمى). فالمفردة الأولى تجمع بين الشمس والقمر من خلال معنى التسخير، إذ إن هذا المعنى يهضم داخله هذين الطرفين ومن ثم يأتي التركيب ليكسبهما صفة واحدة وهي صفة الجريان (يجري) فكل واحد منهما يجري إلى أجل معلوم.

ونلاحظ أن تأكيد دلالة التداخل بين الوحدة التقابلية وبين التركيب اللغوي التالي لها ينبع من بعد زمني متواصل، وذلك أن وحدة التقابل مؤشر إلى معنى زمني متواصل بين (الليل) و(النهار)، وأن التركيب اللغوي ينبثق من هذا البعد المتواصل حتى يصل إلى (أجل مسمى) بحيث ينهي عملية التواصل، ويزيد البناء تعميقاً في دلالة التداخل في عملية التوصليل الذهنية بين أطراف التقابل وطرفي التركيب اللغوي، وذلك أننا نستطيع أن نصل مفردة (الشمس) بطرف (النهار) ومفردة (القمر) بكلمة (الليل)، ولا شك في أن هذه الصلة تتعمق إذا ما أدركنا أن مفردة (الشمس) في معناها الخفي تشير إلى (النهار). وأن (القمر) في معناه الخفي يشير إلى (الليل)، وأن الشمس والقمر متتابعان يلاحق أحدهما

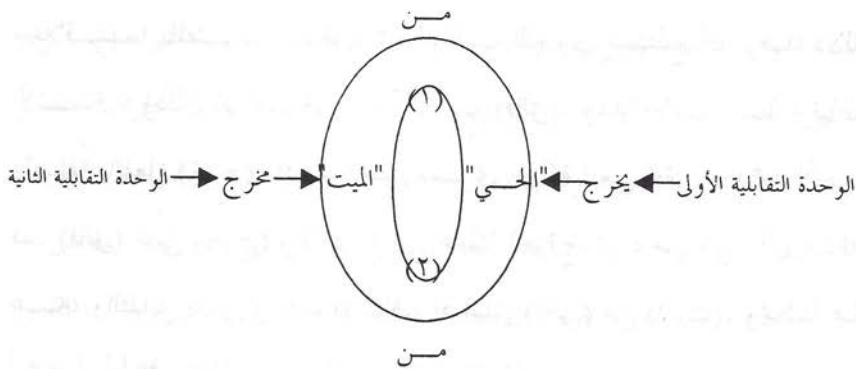
الآخر في المسار الفلكي، وأن (الليل) و(النهار) متتابعان أيضاً يلاحق أحدهما الآخر، بحيث لا نستطيع أن نفرص بين الأطراف سواء في (الليل) و(النهار)، أم في (الشمس) و(القمر).

ويأتي السياق في نهاية الآية ليعمق دلالة التداخل التي تصل إلى حد التوحد في التركيب (وأن الله بما تعملون خبير)، وذلك أن العلم يجمع أطراف التقابل والتركيب اللغوي، بحيث تتوحد هذه الأطراف تحت مظلة العلم، وينضاف إلى هذه الأطراف ما يعمله الإنسان في إطار الليل والنهار.

وتصل دلالة أخرى بدلالة التداخل وهي دلالة (الانبثاق) وقد حققت آيات القرآن الكريم هذه الدلالة من خلال التقابل والتخالف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَاِنَّهُ يُؤَفِّكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤٨﴾. إن وحدة التخالف تتحقق في هاتين الآيتين من خلال الطرفين (الحب/ النوى) ولكن هذه الوحدة متصلة اتصالاً وثيقاً بوحدة التقابل المتمثلة في الطرفين (الحي) و(الميت)، ومن خلال هاتين الوحدتين وعلاقتهما بالمفردات اللغوية في التركيب النحوي نستطيع أن نرصد دلالة الانبثاق، وذلك أن السياق قد بدأ بالاسم (فالق)، وهذا الاسم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفعل (يخرج)، إذ إنهما على مستوى حركة المعنى يحقق أحدهما الآخر، فـ (فالق) بمعنى (يخرج) والإخراج هي عملية إخراج شيء من شيء أي انبثاقه عنه، والتقابل يشير إلى هذا الانبثاق، إذ انبثق (الحي) من (الميت). ويمكننا هنا أن نصل أطراف التقابل والتخالف في الطريقة الآتية:



ف — (الحب) يتحد بـ (الميت) وذلك لقرب المشابهة بينهما من حيث إن (الحب) لا يشكل بعد حركة الحياة تماماً كما هو في (الميت). و(النوى) يتحد بـ (الحي) وذلك لقرب المشابهة بينهما: وذلك لأن (النوى) يشكل انتشار الحياة وانبثاقها من (الحب)، تماماً كما هو في (الحي). والعلاقة تتأصل بينهما إذا ما أدركنا أن السياق قد جعل (النوى) ينبثق من (الحب)، و(الحي) ينبثق من (الميت). ويؤكد حرف الجر (من) معنى هذا الانبثاق في ربطه بالفعل المحوري في التركيب النحوي (يخرج). وينطلق السياق إلى تصعيد معنى الانبثاق من خلال بنية تقابل تصنع علاقة معكوسة مع الوحدة التقابلية الأولى. وبنية التقابل التي أعنيها هي (مخرج الميت من الحي). ويمكننا أن ندرك هذه العملية في الرسم التوضيحي الآتي:



إن الوحدة التقابلية الأولى تحاول أن تظهر طرفين الأول (الحي)، والثاني (الميت)، بحيث يكون الطرف الأول طرفاً جديداً منبثقاً من الطرف الثاني (القديم) هو (الميت). وهذه إشارة إلى حذف الطرف الثاني في المستوى الذهني ليحل مكان الطرف الجديد، ومن ثم تحدث الوحدة التقابلية الثانية حركة عكسية لعملية حذف أحد الطرفين، وذلك أنها جعلت المفردة (الميت) طرفاً جديداً منبثقاً من طرف قديم محذوف هو (الحي)، وفي هذه الحركة تصنع التقابلات دائرة منقسمة قسمين كل قسم منهما ينحذف مرة ويثبت مرة أخرى بناء على علاقاته بإحدى وحدتي التقابل.

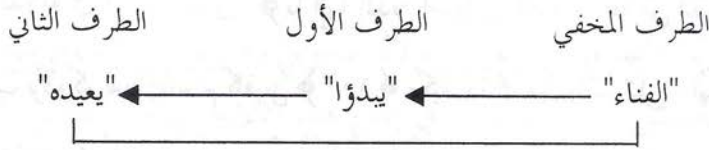
وتسيطر دلالة الانبثاق على السياق في الآية الثانية بطريقة جديدة تختلف عما ألفناه في الآية الأولى، وذلك من خلال فرض طرفين يبدوان متقابلين ولكنهما في الحقيقة يعملان في صورة منفصلة، الطرفان هما (فالق الإصباح) و(جعل الليل سكناً). إن الطرف الأول (فالق الإصباح) يصنع علاقاته على المستوى السياقي وعلى المستوى الذهني للمتلقي، أما على المستوى السياقي، فهو يتحرك من خلال اسم الفاعل (فالق)، وذلك أن هذا الاسم يجسد حركة الكشف والشق لنقطة ما ليصل بالتالي إلى كلمة (الإصباح)، وهذه النقطة تظل غامضة أو مجهولة إلى أن يتدخل الذهن ليكشف عنها من خلال ربط الإصباح بما يقابله ذهنياً وهو (الليل). وهذا الربط بين المستويين البنائي والذهني تصبح دلالة هذا الطرف واضحة وهي دلالة الانبثاق، إذ إنه يشير إلى انبثاق (الإصباح) أو الضياء من الظلام المتمثل في (الليل).

ولا شك في أننا نلمس هنا أن السياق قد كشف دلالة الانبثاق في طرف واحد على خلاف ما تقدم في وحدتي التقابل والتخالف اللتين كانت الدلالة فيهما مناسبة وممتدة.

ويقودنا الطرف الثاني إلى توجه آخر في إنتاج الدلالة، وذلك من خلال ربط الفعل (جعل) بالمفردتين (الليل) و(سكناً). إن الفعل (جعل) يعطي دلالة التحويلية في المعنى المعجمي. إذ تتحقق هذه الدلالة في اللجوء إلى المستوى الذهني لمقابل كلمتي (الليل) و(سكناً) وفي ربطهما بكلمة (الإصباح) ودلالاتها. إن المقابل الذهني لكلمتي (الليل سكناً) هي (النهار) و(حركة). وإذا ما ربطنا كلمتي (النهار) و(حركة) بمعنى (فالق الإصباح) نستطيع أن ندرك دلالة الانبثاق، وذلك أن (فالق) تشير إلى الحركة نتيجة معنى الانشقاق والكشف الذي يقابله معنى الستر والغطاء المرتبط بمعنى السكون (سكناً)، فـ (فالق) تتقابل مع (سكناً) و(الإصباح) تتقابل مع (الليل). وفي هذا الربط تصبح دلالة الانبثاق هي المحرك الأساسي لهذا الطرف، وذلك أن كلمة (سكناً) تشير إلى السكون المنبثق من كلمة (الليل).

وتنشئ وحدات التقابل في اتصالها بالبنية النحوية دلالة أخرى هي (التوصيل) وتنتج هذه الدلالة من سيطرة البنية اللغوية التي تقع خارج الوحدة التقابلية نفسها، بحيث تظهر اتصال الطرفين معاً، وحتى ندرك هذه الدلالة نأخذ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْى تُؤْفَكُونَ﴾^(٤٩). إن السياق جاء في أسلوب الاستفهام المتضمن معنى التوبيخ والتقريع وهو يتحرك خلال وحدة التقابل التي تكررت مرتين متمثلة في الطرفين (يبدءوا/ ويعيده). ويتميز هذا التقابل عن سابقاته من الوحدات بأنه يشترك مع البنية النحوية في إنتاج الدلالة، ولعل السبب في ذلك أنه يعتمد على فعلين يتحركان في مفعولين هما أساس نقطة التوصيل بين الطرفين، وذلك أن الفعل الأول (يبدءوا) يمتد بفاعليته نحو مفردة (الخلق) التي تمثل المفعولية، فبداية الخلق تشير إلى بداية إنشاء الحياة الإنسانية، بمعنى أنه يقع في إطار الحلقة الزمانية

الأولى، وهو يمثل معنى إنشاء الحياة الإنسانية من العدم، ويأتي الفعل الثاني (يعيده) الذي يمتد بفاعليته نحو الضمير المتصل (الماء) الذي يمثل المفعولية ويشير إلى إعادة الخلق مرة أخرى وهي الرجوع به إلى الحال الأولى في العدم. لا شك في أننا نلاحظ هنا أن الطرف الأول يصل (الخلق) بالطرف الثاني الذي يمثل نقطة التوصليل في الحال التي كانت قبل الطرف الأول (يبدءوا)، وذلك أن هذين الطرفين يعتمدان على طرف مخفي يتمثل في معنى الفناء، وفي هذا الطرف يمكن أن نتصور دلالة التوصليل، ويمكن أن ندركها في الرسم التوضيحي الآتي:



فالطرف الأول ينبثق أصلاً عن الطرف المخفي (الفناء) ثم يتصل بالطرف الثاني (يعيده)، وهذا الطرف بدوره يتصل بالطرف المخفي ليعيد عملية الخلق مرة أخرى، وتعمق دلالة التوصليل في هذه الوحدة بارتكازها على حرف العطف (ثم) الذي يدل على معنى الترتيب والتتابع في دلالة التوصليل ضمن إطار زمني متباعد الحدين. ولكن هذه الوحدة التقابلية بوقوعها ضمن أسلوب الاستفهام التوبيخي تكتسب صفة النفي لأية قدرة تستطيع أن تصنع مثل هذا الفعل، وذلك لتؤكد بوحدة تقابلية أخرى مماثلة للوحدة الأولى وهي تحمل دلالة التوصليل نفسها، وهذه الوحدة هي (قل الله يبدءوا الخلق ثم يعيده) وهي لا تختلف في دلالتها التوصليلية عن الوحدة السابقة، سوى أنها جاءت تثبت قدرة الله عز وجل على التوصليل بين الأطراف الثلاثة الطرف المخفي والطرفين الأول والثاني من وحدة التقابل، ويأتي أسلوب السياق ليؤكد صفة التوصليل من خلال التركيب الذي تنتهي به هذه الآية وهو (فأني توفكون) إن كلمة (توفكون)

تشير في معناها المعجمي إلى (تقبلون وتفصلون) والانفصال والانقلاب هنا يدلان على أن المخاطبين في هذا التركيب قد اتجهوا إلى غير الله وهو الباطل. والأسلوب الاستفهامي الذي يتضمن الإنكار على المشركين في قيامهم بحركة الانفصال عن الحق يثبت بطريقة ضمنية معنى التوصيل بين الحق وبين القدرة التي تجلت في وحدة التقابل.

ويعطي البناء اللغوي التقابلات في النص القرآني دلالة أخرى هي (التحويل). والتحويل هو انتقال الشيء من حال إلى أخرى، ويمكن أن ندرك هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٥٠). إن البناء اللغوي في هاتين الآيتين هو الذي يصل بنا إلى دلالة التحويل بارتباطه بطرف التقابل (إيمانكم) و(كافرين). ولعل العنصر اللغوي المهم في إنتاج هذه الدلالة هو الفعل (يردوكم) وهو يؤشر إلى تصيير المخاطبين (المؤمنين) في هاتين الآيتين من حال الإيمان إلى حال الكفر، والظرف (بعد) يؤكد هذه الدلالة؛ فهم بعد أن وصلوا إلى نقطة (الإيمان) تحولوا إلى نقطة جديدة هي (الكفر). ومن المدهش حقاً هنا أن دلالة التحويل في السياق الكلي تأخذ صفة التدرج حتى تصل إلى قمة التحويل، وذلك من خلال بداية الآية الأولى التي رصدت طرفين هما (الذين آمنوا) و(الذين أوتوا الكتاب). وذلك في ربط هذين الطرفين بالفعل (تطيعوا) الذي يقوم بدور التدرج في إنتاج دلالة التحويل؛ وذلك لأنه فعل يشير إلى معنى المطاوعة. والمطاوعة هي معنى من معاني التحويل؛ لأن في المطاوعة انتقالاً من حال إلى حال أخرى، ولهذا نجد أن هذا الفعل يرتبط ارتباطاً قوياً بالفعل الذي أنتج دلالة التحويل (يردوكم)، وتعمق هذه الصلة إذا ما أدركنا أن الآية

الكريمة قد ربطت الفعلين بجمليتي الشرط. الجملة الشرطية التي فعلها (تطيعوا) وجملة جواب الشرط التي فعلها (يردوكم)، فالفعلان إذن مرتبطان في تحقيق المعنى فالطاعة موصلة إلى الارتداد أي إلى التحويل، ومن ثم ينشئ التركيب النحوي علاقة جديدة مع الفعل الرئيس في إنتاج الدلالة (يردوكم) من خلال الآية الكريمة الثانية التي جاءت في أسلوب الاستفهام الإنكاري المتضمن معنى استبعاد حدوث دلالة التحويل التي محورها المؤمنون. وهذا الفعل هو (تكفرون) إذ إنه تحقق عند المؤمنين، فهو يشير بالتالي إلى التحويل والقطيعة واستبعاد صفة الإيمان عنهم.

وتتصل دلالة أخرى بدلالة التحويل وهي دلالة مزدوجة فيها التحويل والعكس معاً، ويشترك في إنتاج هذه الدلالة المزدوجة التقابل والتخالف، ويمكننا أن ندرك هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥١). إن هذه الآية الكريمة ترصد مجموعة من التقابلات والتخالفات تتألف من ثمانية أطراف، تتشكل في وحدتين رئيسيتين: الوحدة الأولى- تجمع التقابل والتخالف معاً وهي التي تتمثل في (الله ولي الذين آمنوا) و(والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت). وأما الوحدة الثانية، فهي وحدة تقابلية منبثقة من الوحدة الأولى، تتمثل في (يخرجهم من الظلمات إلى النور) و(يخرجوهم من النور إلى الظلمات).

إن الوحدة الرئيسة الأولى هي التي تنتج دلالة العكس من خلال ترتيب البنية اللغوية بين التقابل والتخالف، إذ إننا نلاحظ أن الآية الكريمة قد بدأت في لفظ الجلالة (الله) وجاء بعده (الذين آمنوا) ولكنها في الطرف الثاني من الوحدة

تعكس الترتيب فتبدأ بـ (الذين كفروا)، ومن ثم تأتي بـ (الطاغوت). ولا شك في أننا ندرك أن التقابل بين لفظ الجلالة (الله) و(الطاغوت) يقوم على المتخالف، وأن التقابل بين (الذين آمنوا) و(الذين كفروا) يقوم على التضاد، وفائدة هذا العكس يدخل في كيفية إنتاج دلالة التحويل في الوحدة التقابلية المنبثقة من الوحدة الرئيسة، ويتمثل إنتاج هذه الدلالة في العناصر اللغوية المرافقة لأطراف التقابل وهي (يخرجهم) و(من) و(إلى)، وذلك أن الفعل يشير إلى تصيير الطرف الأول (الظلمات) في معاونة حرف الجر (من) إلى الطرف الثاني (النور) في معاونة حرف الجر (إلى). ولكن هذه البنية اللغوية التي سيطرت على الجزء الأول من وحدة التقابل تسيطر على الجزء الثاني من هذه الوحدة بطريقة معكوسة، وأعني بهذا الجزء (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) فالفعل (يخرجونهم) يتساوى من حيث المعنى المعجمي مع الفعل السابق (يخرجهم)، ولكن البنية النحوية عكست توجه هذا الفعل عن توجه الفعل السابق، وذلك أننا نجد التركيب النحوي قد قدم الطرف الثاني من الجزء الأول ليصبح الطرف الأول في الجزء الثاني وآخر الطرف الأول من الجزء الأول ليصبح الطرف الثاني من الجزء الثاني، وفي هذا تكون البنية النحوية قد سيطرت على وحدة التقابل، وحولت الدلالة في الجزء الأول من معنى تحويل المؤمن من (الظلمات) إلى (النور) إلى معنى تحويل الكافر من (النور) إلى (الظلمات) وهذا التغيير في الدلالة كان تحت تأثير العكس الذي صنعتته البنية النحوية.

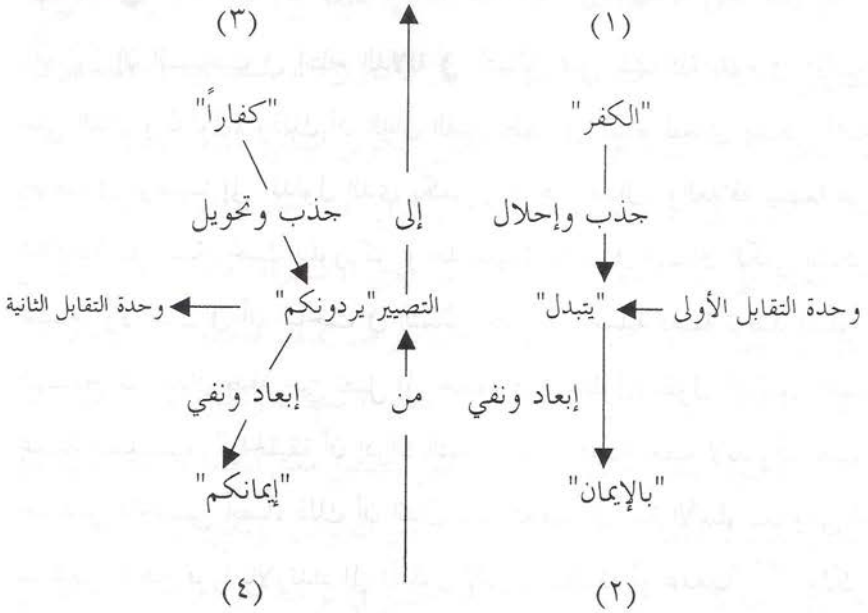
هكذا إذن نلاحظ أن علاقة العكس قد أسهمت إسهاماً كبيراً في إنتاج دلالة التحويل. ومن المدهش في ازدواجية الدالتين أننا نلاحظ البنية النحوية قد جعلت الترتيب منتظماً في الجزء الأول من السياق في قوله ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾

يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿ ولكنها في الوقت نفسه، عندما بدأت في عكس
 أطراف التقابل والتخالف في قوله ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ سحبت
 هذا العكس على سائر عناصر التقابل في قوله ﴿ يخرجونهم من النور إلى
 الظلمات ﴾ .

وتقترب دلالة أخرى من دلالة (التحويل) في النص القرآني وهي دلالة
 (الإحلال) والإحلال هو نفي لطرف وإنزال طرف آخر مكانه، ولكن العلاقة
 بين الدالتين تبقى قائمة لأن الأصل الذي يجمعهما هو معنى التصيير، وحتى
 ندرك هذه الدلالة بارتباطها بالدلالة الأولى نأخذ قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ
 تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
 السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨) ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَهَارًا حَسَدًا مِنْ
 عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥٢) . إن دلالة الإحلال تتجلى في الآية الأولى من خلال
 البنية اللغوية التي سبقت وحدة التقابل المتمثلة في الطرفين (الكفر) و(الإيمان)
 والعنصر الفاعل في إنتاج الدلالة هو الفعل (يتبدل)، والتبديل هنا يشير إلى
 حذف الطرف الثاني (الإيمان) وإحلال الطرف الأول (الكفر) مكانه. إذ يصبح
 (الإيمان) وكأنه حالة مبعدة، ويشغل (الكفر) الصفة الرئيسة في وحدة التقابل،
 وقد ارتبطت هذه الدلالة ارتباطاً نحوياً ودالياً بالتركيب التالي لوحدة التقابل،
 وهو (فقد ضل سواء السبيل). أما الارتباط النحوي، فهو يتمثل في أسلوب
 الشرط، إذ إن الفعل (ضل) مع حرف التحقيق (قد) يشكلان جواب الشرط

الذي يستقي معناه من جملة الشرط المتمثلة في فعلها (يتبدل) وفي وحدة التقابل الأساسية. وأما الارتباط الدلالي، فهو يتجسد في مدلولات فعل جواب الشرط المحقق (قد ضل) وفي مفعوله (سواء السبيل) وذلك أننا نلمس ارتباطاً في حركة المعنى بين (تبدل) و(قد ضل) وذلك أن الفعلين مؤشران إلى تحقيق معنى الإحلال أي إحلال الكفر محل الإيمان، فالتبديل في هذا السياق يصبح معادلاً للكفر كما هي الحال تماماً في الضلالة التي تعادل الكفر، وعلاوة على ذلك يصبح المفعول (سواء السبيل) مبعداً بفعل (ضل) تماماً كما كانت الحال بالنسبة لمفردة (الإيمان) بارتباطها في الفعل (يتبدل)، فدلالة الإحلال إذن نتجت عن البنية النحوية وامتدت إلى وحدة التقابل.

وتشكل الآية الثانية في ارتباطها بالآية الأولى صورة العلاقة بين دلالة الإحلال ودلالة التحويل، وذلك أن الآية الثانية تنتج دلالة التحويل من خلال البنية النحوية في عناصرها وربطها بوحدة التقابل المتمثلة في الطرفين (إيمانكم) و(كفاراً)، ولعلنا ندرك أن العنصر الرئيس في إنتاج هذه الدلالة هو (يردونكم) الذي يتضمن معنى الصيرورة من حال الإيمان إلى حال الكفر، ويرفده بإنتاج هذه الدلالة حرف الجر (من) والظرف (بعد) فهما فاعلان في إتمام عملية التحويل، وفي ربطنا أطراف التقابل في الوجدتين مع عناصر إنتاج الدلالة ندرك هذه العلاقة إدراكاً عميقاً، ويمكننا أن نوضح هذه العلاقة في الرسم التوضيحي الآتي:



إن الوحدة الأولى بعنصرها اللغوي (يتبدل) تكشف عن معنيي الجذب والإحلال مع الطرف (الكفر)، وفي الوقت نفسه يصنع العنصر اللغوي (يردونكم) في الوحدة التقابلية الثانية علاقة الجذب والتحويل مع الطرف (كفاراً). ونلاحظ أيضاً أن العنصر اللغوي في الوحدة الأولى يصنع علاقة الإبعاد والنفي مع الطرف (بالإيمان)، وفي الوقت نفسه يصنع العنصر اللغوي (يردونكم) في الوحدة التقابلية الثانية علاقة الجذب والتحويل مع الطرف (كفاراً) والإبعاد والنفي مع الطرف (إيمانكم)، ويجتمع العنصران في الوجدتين على معنى التصيير الذي ينقل الطرفين (بالإيمان) و(إيمانكم) ويحوّلها إلى الطرفين (الكفر) و(كفاراً)، بحيث تكون حركة المعنى هي التصيير من الطرفين (٢ / ٤) إلى (١ / ٣). وهذا الربط بين الوجدتين تجتمع دلالة الإحلال بدلالة التحويل.

التمائل:

إن البحث في إنتاج الدلالة في التماثل على المشاكلة يقوم في الأصل على الدال والمدلول، وذلك أن الدال الذي يظهر في البناء اللغوي يشكل أهمية خاصة في توصيلنا إلى المدلول الذي يكمن وراء هذا الدال، والعلاقة بينهما هي علاقة تبادلية، بحيث يبلور كل واحد منهما الآخر في السياق الكلي بشكل عام، ولا شك في أن الباحث في التماثل يحتاج إلى عملية ذهنية ترصد المدلول الناتج عن الدال بدقة حتى تصل إلى حقيقة هذا المدلول، يقول الدكتور محمد عبد المطلب: "والحقيقة أن إدراك التماثل عملية ذهنية خفية لا بد وأن يعينها حدس داخلي أيضاً، ذلك أن الدال يرد كعنصر في بنية الأسلوب، ومن ثم يشغل الذهن فوراً بالارتداد إلى المدلول لإدراك المطابقة أو عدمها"^(٥٣). ولكن العملية الذهنية المرافقة لهذا التماثل لا بد أن ترتبط بعنصر المرادف أو المجاز الذي ينبثق عنهما المدلول الذي يشكل الخلفية النهائية للدلالة في بنية التماثل، وذلك أن هذا التماثل في كثير من الأحيان يقوم على المشاكلة.

يأتي التماثل في النص القرآني بعدد من الدلالات أولاهما (التشارك). والتشارك ناتج دلالي يفرزه في بنية التماثل كل من الدال والمدلول، أما الدال، فهو الذي يتمثل في تشارك طرفي التماثل المتجاورين في الشكل الظاهر للفظ، وأما المدلول، فهو الذي يتمثل في حركة المعنى على المستوى الخفي التي يشترك فيها المدلولان في طريقة جزئية تتحول في النهاية إلى حركة معاكسة تتضمن معنى التماثل المضموني المعكوس بحيث يتجه كل طرف بالمعنى إلى الآخر، وبالتالي ينضم الشكل إلى المضمون ليحققا دلالة التشارك. ولعلنا ندرك هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴿٥٤﴾. إن الدالين في هاتين الآيتين هما (مستهزءون) و(يستَهزئ) ويشتركان في إنتاج الدلالة بناء على التكوين البنائي لهما، وذلك أن الدال الأول جاء في إطار الحقيقة، وأما الدال الثاني، فقد جاء في إطار المجاورة، وهما يسعيان إلى حركة معنى واحدة تتضمن معنى الاستهزاء. فالدال الأول تضمن معنى الاستهزاء بالذين آمنوا بأن يظهر الكفار لهم إيمانهم فاتخذوا هذا الإيمان لهواً ولعباً، وأما الدال الثاني، فهو يتضمن معنى الاستهزاء ولكن بتوجيه آخر غير توجيه الإظهار للعب واللهو، وإنما هو فعل يتضمن معنى المهانة والذلة الذي يقع على هؤلاء الكفار من خلال الاشتراك بين المدلولين. ولكن الأساس في تحوير المعنى الحقيقي للدالين، والمدلولين معاً يكمن في توجيه حركة المعنى إلى محوري الدالين، ذلك أن الدال الأول يوجه الاستهزاء نحو (الذين آمنوا)، في حين أن الدال الثاني يوجه الاستهزاء نحو الذين كذبوا واستهزءوا بالمؤمنين وهم (الكفار). نلاحظ هنا توجه حركة المعنى باتجاه معاكس يدور في حلقة متواصلة مكونة من ثلاثة أطراف متصلة، هي الكافر، ولفظ الجلالة (الله)، والمؤمنون، ويمكن أن نبين حركة المعنى والتواصل بين أطرافها كما يأتي:

إن الكفار في الأصل يتعاملون مع المؤمنين في الطرف الثاني، والعلاقة التي نشأت بين الطرفين هي علاقة الاستهزاء، وهي موجهة نحو الطرف الثاني (المؤمنين). ولكننا نلاحظ في البناء السياقي للآيتين أن معنى الاستهزاء لم ينتج من الطرف الثاني، وإنما كان ناتجاً من الطرف الثالث هو لفظ الجلالة (الله)، وهو معنى يرد به الله سبحانه وتعالى على الكفار بالمضمون نفسه الذي صنعه الكفار مع المؤمنين. نلاحظ هنا أن السياق (عطل) فاعلية الطرف الثاني من جهة الرد

على الكفار. ولكنه أعطى هذه الفاعلية للفظ الجلالة (الله)، ولا شك في أن هذا التعطيل لفاعلية المؤمنين مبني على الصلة التي تربط المؤمنين بخالقهم عز وجل، وهي صلة الإيمان. وذلك أن ليس على المؤمنين أن يردوا على الكفار بالاستهزاء، وبهذا تكون حركة المعنى قد وصلت إلى دلالة التشارك مع عكس اتجاهها إلى أصلها. إذ إن الاستهزاء خرج من الكفار ومن ثم عاد إليهم.

وتنتشر دلالة التشارك على السياق ككل في الآيتين مقسمة قسمين حسب تقسيم الدالين، وذلك أننا نلاحظ أن وحدة التماثل تتوسط السياق. وأن الدال المرتبط بالكفار قد جاء أولاً، والدال المرتبط بلفظ الجلالة قد جاء ثانياً، فإذا ما ربطنا البناء اللغوي السابق للدال به، فإننا نلاحظ تجسيد معنى الاستهزاء في هذا البناء، وهذا يتمثل في فعل الكفار بأنهم إذا ما لقوا المؤمنين، فإنهم يتظاهرون بالإيمان وإذا ما خلوا إلى أتباعهم، فإنهم يرجعون إلى كفرهم، وهذا المعنى يجسد مدلول الاستهزاء. وأما لو ربطنا البناء اللغوي الذي جاء تالياً للدال الثاني به، فإننا نلاحظ الملاحظة نفسها، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد زاد هؤلاء الكفار في ضلالهم وكفرهم تخبطاً وحيرة، بحيث لا يجدون مخرجاً من هذا الضلال والكفر، وذلك بطريق الإمهال والترك، وهذا المعنى يجسد حقيقة الاستهزاء بهم، وبهذا تكون دلالة التشارك قد انتشرت في السياق ككل.

وتتجلى دلالة أخرى في التماثل في إطار علاقة (التبادل). والتبادل يكون على مستوى المدلولين بحيث يتجه كل واحد منهما باتجاه واحد حتى يصعب الفصل بين اتجاهيهما؛ وذلك لأنهما يصلان إلى حد إكمال بعضهما بعضاً، وندرك هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَأَبْتَعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْأَلْنِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٥﴾. إن دلالة التبادل في هذه الآية تنبع من وحدة التماثل المتمثلة في الدالين (أحسن) و(أحسن)، وذلك أن المفردة الأولى تدل على إخراج الصدقات في الحياة الدنيا للفقراء وغيرهم من المستحقين. وأما المفردة الثانية، فتدل على الرزق الذي ينعم الله به على الإنسان في الأرض. إن هذين المدلولين سيران في حركة واحدة وفي اتجاه واحد، حتى إننا نستطيع أن نلمس صفة التبادل بينهما إذ إن المدلول الأول يكاد يغيب في صفة المدلول الثاني ويبدله هذه الصفة إذ لا نلاحظ فروقاً واسعة بينهما؛ وذلك لأنهما ينبعان من فاعلية العطاء للآخرين. وتتجسد صفة التبادل ليس على المدلول فحسب، وإنما على الدالين بحيث نستطيع أن نغير البنية اللغوية للتماثل من غير أن يحدث تغيير ملحوظ على الدالين. ذلك بأن نقدم الدال الثاني على الأول كأن نقول (وكما أحسن الله إليك أحسن). ولكن يظل لتقدم الدال الأول على الدال الثاني في السياق أهميته الخاصة من حيث الدلالة والوظيفة. وذلك أن بنية السياق قد طرحت منذ بدئها حركة المعنى (المدلول) للدال الأول وجعلتها ملازمة له. فالله سبحانه وتعالى يجعل صفة الإحسان في الحياة الدنيا تتجه اتجاهين: الأول نحو الفقراء والمحتاجين لهذا الإحسان. والثاني نحو نفسه حتى لا ينسى نصيبه من عطاء الله وفضله. ولا شك في أن تقدم دلالة الإحسان على الفقراء في السياق تكتسب صفة متميزة، وذلك في ربطها بالدال الثاني المرتبط بلفظ الجلالة (الله) فكل منهما يكمل الآخر، فالإحسان من الإنسان الغني إلى الفقير يتماثل مع الإحسان من الله الغني إلى الإنسان الفقير مع الفارق بين الخالق والمخلوق في معنى الغني والفقير. ذلك أن الإحسان الأول يشير إلى المخلوق، والإحسان الثاني يشير إلى الخالق. وتبقى صفة التواصل والإكمال بين المدلولين واردة على أساس أن الإحسان الذي يقدمه الله للإنسان هو إحسان ممتد بوساطة الإنسان الغني إلى

الإحسان المحتاج إليه، وفي حركة المعنى هذه يتم معنى إكمال المدلولين لبعضهما بعضاً. ومن ثم نلاحظ أن السياق يتجه توجهاً آخر من حيث ارتباطه بالمدلولين، وهو أنه جاء بتركيب بعد وحدة التماثل يشكل علاقة تخالف معها. وهذا التركيب يشير إلى نهي الإنسان عن تحويل ما لديه من رزق من جهة الإحسان إلى جهة الفساد في الأرض، ومن هنا نلاحظ أن دلالة التبادل تنحدر في أعمال حركة المعنى لتشير بالتالي إلى المؤشر الدقيق لبنية التماثل، وهذه الحركة تصنع فارقاً واضحاً بين معنى التبادل ومعنى التشارك الذي تحدثت عنه سابقاً.

ويكشف التماثل عن دلالة في إطار علاقة أخرى هي علاقة (المفارقة). والمفارقة تكون على مستوى المدلولين بحيث يتخذان نقطة بدء واحدة وهي تشارك دالهما في اللفظ، وينطلق كل مدلول من هذه النقطة باتجاه معاكس للآخر. وإدراك هذه العلاقة نأخذ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾^(٥٦). إن الآية الكريمة تقوم أساساً على المفارقة بين مدلولي وحدة التماثل التي تتجسد في الطرفين (تربصون) و(نحن نتربص) إذ إن هذين الطرفين يشكلان الدالين، ومن خلالهما يتحرك المدلولان باتجاهين متفارقين، بحيث نلاحظ أن الدال الأول (تربصون) يتوجه بمدلوله نحو التركيب (إحدى الحسينين). والحسينان هنا هما النصر والشهادة. فتربص هؤلاء المنافقين بالمسلمين إنما هو في وقوع المسلمين إما في النصر، وإما في الشهادة، ولكن حركة المعنى هنا تدور في فلكين متخالفين تماماً لا يلتقيان. الفلك الأول غائب في السياق. والفلك الثاني حاضر فيه. وذلك أن هؤلاء المنافقين يتربصون بالمؤمنين حتى يقعوا في الهلاك والموت في مفهومهم الذي يتعد عن المفهوم الإسلامي للموت في سبيل الله. وهذا هو الفلك الأول الغائب. وأما الفلك الحاضر، فهو ما صرحت به الآية الكريمة، ونعنته بـ (إحدى الحسينين).

وأما الدال الثاني (نحن نرتبص بكم)، فهو يصنع فلکاً واحداً يتضمن معنى الفلك الغائب، وهو الهلاك. والهلاك هنا يرتبط بالمنافقين. ولكن الهلاك هنا ينقسم قسمين: الأول هلاك بيد الله سبحانه وتعالى، إذ لا تكون للمؤمنين فاعلية بإحداثه. والثاني الهلاك أو القتل بأيدي المؤمنين أنفسهم. ويسمح البناء اللغوي هنا أن نوزع الأطراف الناتجة في المدلولين توزيعاً ترتيبياً، بحيث يكون القسم الأول من (الحسنين) وهو النصر يقابل (إهلاك الله لهؤلاء المنافقين). والقسم الثاني من (الحسنين) وهو الشهادة يقابل (إهلاك المؤمنين للمنافقين بقتلهم) ونلاحظ أن علاقة المفارقة في الآية كانت تتخذ نقطة بدء مشتركة بين مدلولي التماثل وهي الشكل الظاهر لطرفي الوحدة، ولكن هذه الآية أخذتنا إلى نقطة تكثيف لحركة المعنى في نهايتها عندما كررت وحدة التقابل مرة أخرى متمثلة في التركيب (فتربصوا إنا معكم متربصون) وهذا التكرير ينسحب على المدلولين أيضاً. وفي هذا يكون السياق قد أعاد الدلالة مرة أخرى. ولعل فائدة هذا الأسلوب هو تأكيد المدلول الحقيقي للآية.

ويبرز التماثل دلالة أخرى تقع في إطار علاقة (التطابق). والتطابق يتم على مستوى المدلول ولا يشترط فيه التطابق الشكلي وإن توفر في بعض وحدات التماثل، بحيث يكون المدلولان متطابقين من حيث حركة المعنى، وحتى ندرك هذه العلاقة نأخذ قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿ ١٠٩ ﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿ ١١٠ ﴾ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴿ ^(٥٧) . إن وحدة التماثل التي أثارنا علاقة التطابق هنا هي (سخرياً/ وتضحكون). وذلك على مستوى المدلول. فالسخرية في مدلولها القائم على

معنى الاستهزاء والإهانة تتطابق مع الضحك الذي يقوم مدلوله على الاستهزاء والسخرية والإهانة، فكل دال من الدالين يلتقي الآخر، ويتطابق معه في المعنى. ويبدو لي أن الدلالة في هذه العلاقة لا تمتد فاعليتها بنفسها إلى السياق. إلا من خلال إقامة علاقات متخالفة خارجة عن بنية التماثل كما في هذا السياق. ذلك أن السياق قد أورد في الآية الأولى السابقة على وحدة التماثل الحال التي اتصف بها المؤمنون وسخر منها المشركون وضحكوا، وهي عبادة الله والتوجه إليه بالدعاء للمغفرة والرحمة. ولا شك في أن العلاقة القائمة بين موقف المؤمنين وموقف الكفار في السياق تقوم على علاقة التخالف، بحيث يرى المؤمنون موقفهم صحيحاً وثابتاً، في حين أن المشركين يرون أن هذا الموقف يدعو إلى السخرية والضحك. ومن هنا يفرز السياق في الآية الثالثة الحقيقة المتضمنة في الأولى بأن الله قد استجاب دعاءهم وجعلهم من الفائزين. وهذا المعنى يقيم علاقة تخالفية أخرى مع موقف الكفار، وهذه العلاقة تصل إلى حد تعرية موقفهم من الحقيقة التي مارسها المؤمنون.

الخاتمة:

خلصت في هذه الدراسة إلى أن مفهوم التقابل ينطلق أصلاً من معناه اللغوي الذي جاء من عدد من المفردات وهي: المطابقة والتكافؤ، والتضاد والتناقض، والتخالف، وأن مفهوم التماثل ينطلق أيضاً من معناه اللغوي الذي جاء من المفردات الآتية: التكافؤ، والتشاكل، والتساوي. وانتهت من هذه المفردات إلى وضع مصطلح التقابل والتماثل. فتبعت هذين المفهومين عند اللغويين والنحاة، إذ وجدت أن هؤلاء قد أسهموا إسهاماً كبيراً في تناول المفهومين، ووجدت أن ثمة مصطلحات استخدمها هؤلاء للتقابل وهي المقابلة والتطبيق، والمطابقة، والمقلوب، ومحاور الأضداد، والتكافؤ واستخدموا مصطلحات أخرى للتماثل وهي المشاكلة، والجزاء، والتجنيس المعنوي، والتشاكل. وكان أبو علي الفارسي أول من أطلق مصطلح المشاكلة على التماثل كما ثبت من بعض الروايات. وبعد أن انتهت من اللغويين والنحاة المتقدمين الذين أسسوا للمفهومين وأظهروهما في صورة مستقرة اتجهت لإبراز مفهوم التقابل عند الفلاسفة. وقد وجدت أن الفلاسفة قد اتجهوا بالتقابل إلى عدد من القضايا هي: السلب والإيجاب، والتضاد، والتضاييف، والعدم والملكية، والتناقض، ووجدت أن هؤلاء الفلاسفة قد أسهموا في فهم التقابل في الدراسات البلاغية كسابقهم من اللغويين والنحاة.

وكشفت عن مفهوم التضاد عند أصحاب الدراسات البلاغية، وخلصت إلى أنهم أفادوا إفادة واضحة من مفهوم الفلاسفة للتقابل.

وتناولت في الدراسة مفهوم التقابل والتماثل عند أصحاب الدراسات البلاغية بالتفصيل إذ تبعت أهم الجوانب المتعلقة بهما وبدأت بقدماء بن جعفر لأن الصور البديعية عنده أخذت طابعاً علمياً مقنعاً وانتهت إلى فترة متأخرة

عند ابن معصوم. وقد فعلت هذا حتى أكشف عن حقيقة هذا المفهوم وعن طبيعة البناء التركيبي الذي اتخذه هؤلاء البلاغيون. وقد خلصت إلى أنهم قسموا التقابل عدداً من الأقسام هي: تقابل التضاد اللفظي والتضاد المعنوي، وتقابل السلب والإيجاب، وتقابل التخالف. ووجدت أن تقابل التضاد اللفظي لديهم يعتمد على مقابلة المفرد بالمفرد، وينقسم قسمين: الأول تضاد حقيقي، وقد برزت فيه قضيتان الأولى أن بعض أصحاب الدراسات البلاغية لم يضعوا شروطاً على التقابل بين المتضادين، والثانية أن بعضهم وضع شروطاً على التضاد من حيث تقابل الاسم بالاسم أو الفعل بالفعل وغير ذلك. ووجدت أن ليست هناك فروق جوهرية بين أصحاب الاتجاهين. وقد وصلت إلى فهم آراء هؤلاء البلاغيين من خلال تتبع أمثلتهم فوجدت أن ثمة عاملاً أساسياً في هذا النوع من التقابل في إبراز دوره الحقيقي، وهذا العامل هو المرادف الذي ينتج من العلاقة بين طرفي التقابل المجازي والحقيقي. وقد أخذ هذا المرادف دوره الفاعل في الطبيعة التركيبية في هذا القسم.

وكشفت أيضاً عن المفهوم الحقيقي للتضاد المعنوي من خلال أمثلة البلاغيين. وذلك بالحديث عن الطبيعة التركيبية التي اعتمدت على المرادف. وقد وجدت التضاد في طرفيه يعتمد على تقابل المفرد بالتركيب أو التركيب بالتركيب.

وكشفت أيضاً عن مفهوم تقابل السلب بالإيجاب. ووجدت أن البلاغيين حددوا هذا المفهوم من خلال ثلاثة اتجاهات هي: الأول تقابل النفي بالإثبات، والثاني تقابل النهي بالأمر، والثالث تقابل النفي بالنفي. وقد حددت الطبيعة التركيبية لهذه الاتجاهات التي اعتمدت أيضاً على المرادف في سبيل التوصل إلى نقطة التضاد بين الأطراف.

وتناولت في الدراسة تقابل التخالف. وقد وجدت أن التخالف ينقسم لدى البلاغيين قسمين: الأول ما كان بين المقابل والمقابل مناسبة. والثاني ما كان بين المقابل والمقابل بعد. ووجدت أن الطبيعة التركيبية للتخالف والتضاد المعنوي تلتقي في إطارها الخارجي، ولكنها تختلف عنها في أن التخالف يعتمد على التناسب لإنتاج الطرف المناسب لأحد طرفي التخالف في حين أن التضاد المعنوي يعتمد على المرادف في إنتاج ما يقابل الطرفين.

وانتهيت إلى أن البلاغيين نظروا إلى التماثل من خلال مفهوم المشاكلة، ووجدت أنهم نظروا إلى هذه المسألة من خلال إطار المصاحبة والمجاورة وكانوا ينظرون إلى المشاكلة من زاويتين: الأولى أنهم نظروا إليها من الجانب التحقيقي، والثاني أنهم نظروا إليها من الجانب التقديري. وقد كشفت عن الطبيعة التركيبية التي كانت تعتمد على المرادف والمجاز معاً لإنتاج دائرة التماثل الحقيقية.

وتناولت أيضاً أربعة مفاهيم متكاملة عند أصحاب الدراسات البلاغية وهم الزركشي والعلوي، ونجم الدين بن الأثير، وضياء الدين بن الأثير. إذ بينت أن هؤلاء قد نظروا إلى التقابل والتماثل نظرة متكاملة على خلاف أصحاب الدراسات البلاغية الآخرين.

وبعد ذلك انتهيت إلى أنه يمكن أن ينظر إلى التقابل والتماثل في المفهوم الكامل على أساس أن ثمة ثلاثة أقسام: إذ إن الذي يشير إلى أن كل متقابلين أو متماثلين يعتمدان على المفرد هو نمط بسيط، وأن الذي يعتمد على طرف مفرد وآخر تركيبى، أو على طرف تركيبى وآخر تركيبى هو نمط مركب، وأن الذي يعتمد على طرفين يحتويان المفرد المتعدد أو المفرد والتركيب في كل طرف هو نمط معقد.

وتناولت في هذه الدراسة تقابلات القرآن الكريم وتمائلاته من خلال هذه الأنماط الثلاثة. وقد وجدت أن القرآن يتحرك في هذه التقابلات والتماثلات في النمط الأول من خلال تقابل التضاد اللفظي، والتقابل المعنوي، وتقابل التخالف، والتماثل. ووجدت أنه يتجه بالتقابل البسيط إلى تقابل التضاد المعنوي إذ كثر هذا النوع من التقابل في آياته، وجاء بعده التضاد اللفظي، ومن ثم التخالف، وبعد ذلك التماثل. وقد أبرزت نقطة مهمة في إحداث العلاقة بين الطرفين المتقابلين أو التماثلين، وهي أن الطرفين في الآيات الكريمة يرتبطان إما برابط واحد وإما برابطين. ومن ثم توصلت إلى تحليل مواقع التقابل والتماثل داخل البناء الأسلوبي لآيات الكتاب العظيم إذ أظهر عدداً من أبنية التقابلات والتماثلات هي: التقابل أو التماثل المتقاطع مع السياق، والتقابل أو التماثل الذي يسبق السياق، والتقابل أو التماثل الذي يتوسط سياقين، والتقابل أو التماثل الذي يتداخل بسياقين، بحيث يبدو المماثل الأول أو المقابل الأول في بداية البناء ويأتي بعده السياق الأول ومن ثم المقابل الثاني أو المماثل الثاني، وبعد ذلك يأتي السياق الثاني. وأظهر أيضاً بناء آخر يكون فيه المقابل الأول متقاطعاً مع السياق الأول، والمقابل الثاني متقاطعاً في السياق الثاني.

ومن ثم وجدت القرآن يتوجه في تقابلاته وتمائلاته نحو النمط المركب من خلال تقابل التضاد المعنوي الذي توزع على نوعين: الأول تقابل المفرد بالتركيب أو تقابل التركيب بالمفرد. والثاني تقابل التركيب بالتركيب ومن خلال التماثل الذي أخذ شكلين أساسيين: الأول تركيبان يتماثلان في اللفظ والمعنى. والثاني تركيبان يتماثلان في المعنى حسب. وقد وجدت أن هذا النمط يأخذ أبنية أسلوبية مشابهة لبعض الأبنية السابقة في النمط البسيط هي: التقابل أو التماثل المتقاطع بالسياق. والمتقابلان المتداخلان في السياقين أو التماثلان

المتداخلان في السياقين أو المتقابلان المتقاطعان في السياقين، والتماثل المتقدم على السياق، والسياق المتقدم على التماثل، والتماثل المتوسط بين سياقين. وأبرز التقابل هنا بناء أسلوبياً مختلفاً عما جاء في البسيط وهو أن المقابل الأول يتقاطع بالسياق الأول، ومن ثم يأتي بعدهما المقابل الثاني، وبعد ذلك السياق الثاني. وجاء بناء آخر هو تقاطع المقابل الأول بالسياق الأول. وتقاطع المقابل الثاني بالسياق الثاني، ومن ثم ظهور سياق ثالث.

وقد وجدت أن القرآن الكريم كان يتجه نحو التماثل في النمط المركب أكبر من اتجاهه نحو التضاد المعنوي.

ووجدت أيضاً أن القرآن الكريم كان يتجه نحو النمط المعقد الذي يأتي في شكلين: الأول الشكل المتداخل ذو النسق الواحد وهو ينقسم إلى: تقابل التضاد اللفظي، وتقابل التضاد المعنوي، وتقابل التضاد اللفظي والمعنوي معاً، وتقابل التضاد اللفظي والتخالفي معاً، والتماثل، والتقابل اللفظي والتوافق، والتقابل المعنوي والتوافق، والتقابل المعنوي والتخالفي. وأما الثاني، فهو ذو نسقين وينقسم إلى: تقابل التضاد اللفظي، وتقابل التضاد المعنوي، وتقابل التخالف، والتماثل، وتقابل التوافق وقد جاءت الأبنية الأسلوبية لهذا النمط متشابهة مع الأبنية السابقة في النمطين البسيط والمركب، وكان القرآن الكريم يتجه إلى تقابل التضاد المعنوي أكثر من غيره، ومن ثم جاءت أشكال التداخل، وبعدها تقابل التضاد اللفظي، وبعد ذلك التماثل، ومن ثم التخالف.

ووجدت أن التقابلات والتماثلات أظهرت أربعة أبنية أسلوبية كانت أكثر وروداً في القرآن الكريم، هي: التقابل أو التماثل والسياق، والتقابل أو التماثل المتوسط بين سياقين، والتقابل أو التماثل المتقاطع مع السياق، والسياق والتقابل أو التماثل، وجاءت فيه سائر الأبنية بنسب قليلة.

وكشفت أيضاً عن تحرك التقابلات والتماثلات في محاور القرآن الكريم
الثلاثة: الإيمان، والكفر، والنفاق.

وقد جاء محور الإيمان بعدد من المباحث وهي: العقيدة التي اختلفت في
أنواعها أعداد التقابلات والتماثلات. إذ جاءت في النوع الأول وهو القدرة
الإلهية أكثر من غيره من الأنواع، ويأتي بعد ذلك الإيمان بالله وحده، ومن ثم
الإيمان بالملكية، وبعد ذلك الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم
الإيمان بالربوبية، ومن ثم الإيمان بالكتاب، وأخيراً الإيمان بوجوب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما المبحث الثاني، فهو العبادات، وقد اختلفت التقابلات والتماثلات
في أنواعه، إذ كانت تقابلات الصلاة أكثر تردداً، وجاء بعدها تقابلات الحج
ومماثلاته، ومن ثم الزكاة والصدقات، وبعد ذلك الصيام.

وأما المبحث الثالث، فهو المعاملات التي أفرزت عدداً من الأنواع كان
أكثرها تردداً الجهاد، ومن ثم جاء بعده الزواج والطلاق، والجنايات، والطعام،
والموارث، والحدود، والعقود، وأموال اليتامى، واليمين على التوالي.

وأما المبحث الرابع، فهو الآداب الذي تناول عدداً من الجوانب
كالأدب مع الله ومع رسوله الكريم، ومع النفس، ومع الوالدين، ومع الجار،
ومع المشركين، والأدب في دخول البيوت.

وأما المبحث الخامس، فهو الأخلاق، وقد تحدثت عن خلقي الرحمة
والتواضع. وتحدثت المحور أيضاً عن المؤمنين والإيمان. وتناول قسمين: الأول
الترغيب والترهيب، والثاني أحوال المؤمنين.

وكشفت عن أن محور الإيمان قد اتجه في تقابلاته وتمائلاته نحو العقيدة
ومن ثم اتجه إلى المؤمنين والإيمان، وإلى المعاملات، وبعدها إلى العبادات، ومن ثم
إلى الآداب وأخيراً إلى الآخرة.

وقد رصدت ألفاظ التقابل والتماثل من خلال معجم خاص في هذا
المحور وكانت ألفاظ الإيمان تأخذ أعلى نسبة فيها وبعدها ألفاظ الكفر.
ووجدت أن الحركة المعنوية في هذا المعجم توطد ركائز الإيمان ومعانيه في
النفس الإنسانية.

وتحدثت عن محور الكفر. وقد قسمته ثلاثة أقسام، الأول عناصر الكفر
الذي توزع على جوانب كثيرة هي: إثبات كفر الكفار، وتكذيبهم للرسول،
وتكذيبهم للكتب السماوية، وإنكارهم للآخرة وللبعث والحساب، وادعائهم
بما لم يأت به الله سبحانه وتعالى، وكانت التقابلات والتماثلات تتجه إلى إثبات
سائر الجوانب. وجاء بعد ذلك تكذيبهم للكتاب، وتكذيبهم للرسول، وإنكارهم
للآخرة والبعث والحساب، وافتراؤهم على الله بالأقوال على التوالي.

وأما القسم الثاني، فهو وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، وقد توجه
القرآن الكريم في تقابلاته وتمائلاته إلى وسيلة دلائل وجود الله ووحدانيته، ومن
ثم اتجه بعد ذلك إلى وسيلة إثبات علم الله، ومن ثم دعوة الرسل الكفار إلى
الإيمان، ومن ثم إثبات ملكية الله، وأخيراً إثبات ربوبية الله.

وأما القسم الثالث، فهو الكافرون والكفر. وقد توزع هذا القسم على
الترهيب والترغيب وعلى أحوال الكفار.

ويلاحظ السبـحـث أن القرآن الكريم يتوجه في عدد كبير من تقابلاته وتمثالاته نحو وسائل دعوة الكفار إلى الإيمان، ومن ثم إلى الكافرين والكفر، وأخيراً إلى عناصر الكفر.

ومن ثم بينت حركة المعنى من خلال المعجم اللفظي لمحور الكفر، فوجدت أن هذه الحركة تتجه بألفاظ الإيمان وبذلك يكون هذا المعجم قد كشف عن حقيقة هذا المحور بأنه يتجه لتبيان حال الكفر والكافرين.

وتحدثت عن محور النفاق الذي انقسم ستة أقسام إذ كان أكثرها تردداً قسم المنافقين والعقيدة، وجاء بعده قسم المنافقين وموافقهم من المؤمنين، وجاء قسم المنافقين بين الترهيب والترغيب، وكذلك قسم المنافقين والجهاد في سبيل الله، ومن ثم قسم المنافقين والعذاب، وأخيراً قسم المنافقين في الحياة الدنيا.

وقد بين المعجم اللفظي اتجاه هذا المحور نحو ألفاظ الكفر أكثر من ألفاظ الإيمان، وقد كشف عن حقيقة حركة المعنى في محور النفاق.

وتناولت تقابلات جاءت تجمع الإيمان والكفر وقد انقسمت ثلاثة أقسام: الأول يتعلق بتقابل معاني العقيدة بين المؤمنين والكفار. والثاني يتعلق بتقابل حال المؤمنين بحال الكفار في الحياة الدنيا، والثالث يتعلق بحال المؤمنين وحال الكفار في الآخرة. وقد أظهر القرآن الكريم هنا غلبة مفردات التقابل التي تتعلق بالمؤمنين على مفردات التقابل التي تتعلق بالكفار.

وتناولت أيضاً تقابلات جاءت تجمع الإيمان والنفاق. وقد توزعت على أربعة مجالات: الأول العقيدة، والثاني الجهاد، والثالث حال المؤمنين وحال المنافقين في الآخرة، والرابع جاء ليحذر المؤمنين من المنافقين. وقد أظهر القرآن الكريم أن المفردات تتصل بالإيمان أكثر من التي تتصل بالنفاق.

وقد تناولت معجم المفردات التي أفرزتها التقابلات والتماثل في السور
المكية والمدنية، ومن ثم أثبت المجموع الكلي لكل مفردة في القرآن تتصل بهذه
التقابلات والتماثلات. وقد كشف هذا المعجم عن توجه السور المكية إلى
استخدام ألفاظ الكفر أكثر من ألفاظ الإيمان. في حين أن السور المدنية كانت
تتوجه إلى استخدام ألفاظ الإيمان أكثر من ألفاظ الكفر. وأما التقابلات
والتماثلات بشكل عام فقد توجهت إلى استخدام ألفاظ الإيمان أكثر من
توجهها نحو استخدام ألفاظ الكفر.

وتناولت وظيفة التقابل والتماثل من خلال دورها في إنتاج الدلالة،
وقد أظهرت نوعين من الدلالة هما الدلالة التي كانت تنتج من أطراف التقابل
والتماثل في السياق، والدلالة السياقية التي كانت تعتمد على ما يفعله السياق في
أطراف التقابل أو التماثل. ومن ثم من خلال علاقتهما بالسياق تخرج هذه
الدلالة.

لقد أظهر التقابل عدداً من الدلالات هي: البعد الزمني الذي تحرك من
خلال حلقات ثلاث وهي: الحلقة الأولى (زمن الحياة الدنيا) والحلقة الثانية
(زمن الموت) والحلقة الثالثة (زمن الحياة الآخرة) وقد بين هذا البعد قدرته على
الانتشار داخل السياق. والبعد المكاني الذي ظهر على مستويات متعددة، هي:
المستوى العمودي من خلال بعدي الأعلى والأسفل. وعلى المستوى الأفقي
الممتد الذي يتحدد في نقطة انطلاق إلى جميع الاتجاهات أو إلى اتجاه واحد، وقد
أظهر التقاء المستوى الأفقي بالمستوى العمودي. وأظهرت التقابلات هذا البعد
بقدرته على الانتشار في السياق.

والبعد الحركي الذي أظهر الحركة الرأسية، والحركة الأفقية، والحركة
الموضعية، والحركة العامة التي تجمع الحركات السابقة.

والبعد العقدي الذي أظهر اتصالاً وثيقاً بأبعاد أخرى هي: البعد الخلفي،
والبعد الزمني، والبعد الحركي، والبعد الجزائي، وقد كانت هذه الأبعاد تتحرك
مع البعد العقدي في اتجاهات مختلفة منها الاتجاه المعاكس والاتجاه الموافق. وقد
أظهرت جميعاً الانتشار والامتداد في البناء السياقي.

وكشفت كذلك عن التخالف الذي أظهر عدداً من الدلالات من
خلال علاقة الدال الحاضر بالدال الغائب في إطار الخصوص والعموم، وهذه
الدلالة كشفت عن الامتداد داخل السياق. وظهرت أيضاً من خلال إطار الكل
والجزء، وإطار التشابه، وإطار التقارب، وقد نتجت أيضاً من خلال علاقتي
التشابه والتقارب معاً. وقد أظهرت الدلالات هنا تفاعلاً في السياق البنائي
وانتشاراً وامتداداً.

وعلى مستوى الدلالة السياقية فقد ظهرت دلالات مختلفة هي: التداخل
والانبتاق، والتواصل والتحويل، والتحويل والعكس معاً، والإحلال، وقد تميزت
هذه الدلالات بأنها نتجت من علاقة السياق بالتقابل من جهة ومن علاقة
طرفية من جهة أخرى. وأما التماثل، فقد كشف عن دلالات أخرى هي:
التشارك، والتبادل، والمفارقة، والتطابق، وقد تميزت هذه الدلالات في قدرتها
على الانتشار والامتداد.

هوامش الفصل الرابع

- ١- لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، (١٩٨٥م) ص ٨٠.
- ٢- انظر في مثل هذا المعنى قول د. أحمد محمد علي: "ليست القضية إلا قضية جمع بين متضادين وكفى، ولكنها قضية بناء المعاني وتجليتها في صورة تعبيرية معينة تكون أقدر على جلاء المعنى المراد من غيرها". دراسات في علم البديع، مطبعة الأمانة-القاهرة، ط ١، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص ٢٠. وانظر أيضاً قول د. أحمد مطلوب: "ولكن ليس معنى ذلك أن المطابقة حينما تأتي وحدها من غير ترشيح بفن آخر لا قيمة لها، بل لها قيمتها لأن التضاد نفسه يؤدي إلى إيضاح المعنى وتقريب الصورة". فنون بلاغية، دار البحوث العلمية - الكويت، ط ١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص ٢٧٥.
- ٣- بناء الأسلوب في شعر الحدائث، ص ١٥١.
- ٤- الحج: ٦٦/٢٢.
- ٥- المؤمنون: ١٦-١٢/٢٣.
- ٦- فصلت: ١٦/٤١.
- ٧- النحل: ٤١/١٦.
- ٨- التغابن: ٧/٦٤.
- ٩- الجن: ٢٦-٢٤/٧٢.
- ١٠- فاطر: ٩/٣٥.

- ١١ - البقرة: ١٨٧/٢ .
- ١٢ - القصص: ٧٣-٧١/٢٨ .
- ١٣ - غافر: ٦٤/٤٠ .
- ١٤ - القمر: ١٢-١١/٥٤ .
- ١٥ - إبراهيم: ٢٦-٢٤/١٤ .
- ١٦ - يس: ٩/٣٦ .
- ١٧ - الأنبياء: ٢٨/٢١ .
- ١٨ - الأعراف: ١٧/٧ .
- ١٩ - الأنفال: ٤٢/٨ .
- ٢٠ - الأنعام: ٣٥/٦ .
- ٢١ - بناء الأسلوب في شعر الحدائث، ص ١٦٥ .
- ٢٢ - هود: ٤٤-٤٣/١١ .
- ٢٣ - الحديد: ٤/٥٧ .
- ٢٤ - الإسراء: ٨٠/١٧ .
- ٢٥ - القصص: ٣٢/٢٨ .
- ٢٦ - الشمس: ٤-٣/٩١ .
- ٢٧ - بناء الأسلوب في شعر الحدائث، ص ١٦٥ .
- ٢٨ - فاطر: ٤١/٣٥ .
- ٢٩ - مريم: ٩١-٨٩/١٩ .

- ٣٠- الأنبياء: ٣٠/٢١.
- ٣١- الكهف: ١٧/١٨-١٨.
- ٣٢- بناء الأسلوب في شعر الحدائث، ص ١٨٥.
- ٣٣- الأفكار والأسلوب، ترجمة: د. حياة شرارة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق-بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية". دون تاريخ، ص ٥١.
- ٣٤- أسرار البلاغة، صححه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ص ١٢٧.
- ٣٥- البديع الشعري بين الصنعة والخيال، مجلة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب، جامعة اليرموك، اربد-الأردن، المجلد الثالث، العدد الثاني، سنة (١٩٨٥م)، ص ٣١.
- ٣٦- النور: ٥٥/٢٤.
- ٣٧- التوبة: ٧٣/٩-٧٧.
- ٣٨- النساء: ١٥٢/٤-١٥٠.
- ٣٩- مريم: ٣٠/١٩-٣٣.
- ٤٠- فاطر: ١١/٣٥.
- ٤١- الفتح: ٢٩/٤٨.
- ٤٢- انظر: الطراز، ج ٢/ص ٣٨٥.
- ٤٣- بناء الأسلوب في شعر الحدائث، ص ٢٤٦.
- ٤٤- البقرة: ٦١/٢.

- ٤٥ - الرعد: ١٣/١٢-١٣.
- ٤٦ - بناء الأسلوب في شعر الحدائة، ص ٢٧٤.
- ٤٧ - لقمان: ٢٩/٣١.
- ٤٨ - الأنعام: ٩٦-٩٥/٦.
- ٤٩ - يونس: ٣٤/١٠.
- ٥٠ - آل عمران: ١٠١-١٠٠/٣.
- ٥١ - البقرة: ٢٥٧/٢.
- ٥٢ - البقرة: ١٠٩-١٠٨/٢.
- ٥٣ - بناء الأسلوب في شعر الحدائة، ص ٣٢٣.
- ٥٤ - البقرة: ١٥-١٤/٢.
- ٥٥ - القصص: ٧٧/٢٨.
- ٥٦ - التوبة: ٥٢/٩.
- ٥٧ - المؤمنون: ١١١-١٠٩/٢٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: طبع بمصلحة المساحة، وتم ترتيبه وتجليده بمطبعة الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

أ- المصادر:

١- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-بيروت، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢- أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مطبعة دار الكتب-القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧٣م.

٣- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٤- الإشارات والتنبهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني. تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة-القاهرة، بدون تاريخ.

٥- إصلاح المنطق، لابن السكيت، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر،

وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، سنة ١٣٧٥

هـ-١٩٥٦م.

٦- إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد

صقر، دار المعارف-القاهرة، ط٥، دون تاريخ.

٧- أنوار التترييل وأسرار التأويل المعروف (بتفسير البيضاوي)، ناصر الدين

أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مؤسسة

شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ.

٨- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم

المدني، حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان-

النجف الأشرف، ط١، سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٩- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح:

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢،

دون تاريخ.

١٠- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني

محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة-القاهرة، ط٢،

دون تاريخ.

١١- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث-القاهرة، ط٣، سنة

١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٢- البصائر النصيرية في علم المنطق، زين الدين عمر بن سهلان الساوي،

تحقيق: المرحوم الشيخ محمد عبده، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح،

بميدان الأزهر بمصر، ومطبعة الصاوي بالقاهرة، دون تاريخ.

١٣- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرحه

ونشره: السيد أحمد صقر، دار التراث-القاهرة، ط٢، سنة ١٣٩٣

هـ-١٩٧٣م.

١٤- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي

الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الجمهورية

العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دار إحياء التراث

الإسلامي، القاهرة، سنة ١٣٨٣هـ.

١٥- التعليقات، لابن سينا، حققه وقدم له: الدكتور عبد الرحمن بدوي،

الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

١٦- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني

الخطيب، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي،

بيروت-لبنان، دون تاريخ.

١٧- تلخيص ما وراء الطبيعة، لابن رشد، تحقيق: الدكتور عثمان أمين،

شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي-القاهرة، سنة ١٩٥٨م.

١٨- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،

سنة ١٩٨٧م.

١٩- جوهر الكتر، تلخيص كتر البراعة في أدوات ذوي البراعة، نجم الدين

أحمد ابن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: الدكتور محمد زغلول

سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية-مصر، دون تاريخ.

٢٠- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي،

تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحلیم النجار، والدكتور

عبد الفتاح شلبي، مراجعة محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب،

ط٢، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- ٢١- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق
 ودراسة: أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية
 العراقية، دار الرشيد للنشر، سنة ١٩٨٠م.
- ٢٢- الحلة السيرا في مدح خير الوري، لابن جابر الأندلسي، تحقيق: علي
 أبو زيد، عالم الكتب-بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٢٣- الحماسة البصرية، البصري، تصحيح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب-
 بيروت، سنة ١٩٦٤م.
- ٢٤- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة
 والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، دون تاريخ.
- ٢٥- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار
 المعارف بمصر، ط٣، دون تاريخ.
- ٢٦- ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وحققه:
 مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلي، دار المعرفة
 للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دون تاريخ.
- ٢٧- ديوان البحري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، ط،
 دون تاريخ.

٢٨- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وحققه: الدكتور محمد يوسف

نجم، دار الثقافة، بيروت-لبنان، سنة ١٩٦٢م.

٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، والألوسي

البغدادي. عني بنشره وتصحيحه: المرحوم محمود شاكر الألوسي

البغدادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٤، سنة ١٤٠٥هـ-

١٩٨٥م.

٣٠- سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعد بن سنان الخفاجي

الخلي، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد

علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر- القاهرة، سنة ١٣٨٩هـ-

١٩٦٩م.

٣١- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى

بن زيد الشيباني ثعلب، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب سنة

١٣٦٣هـ-١٩٤٤م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة-بيروت، الدار

القومية للطباعة والنشر-القاهرة، دون تاريخ.

٣٢- الصاحي، لأبي الحسن أحمد بن فارس زكريا، تحقيق: السيد أحمد

صقر، طبع بمطبعة البابي الحلبي وشركاه-القاهرة، دون تاريخ.

٣٣- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري،

تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، الشركة اللبنانية للموسوعات العربية-

دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٤- الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإيجاز، يحيى بن حمزة

بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، أشرفت على مراجعته وضبطه

وتدقيقه جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية،

بيروت-لبنان، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٥- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني،

تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر-بغداد،

منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سنة ١٩٨١م.

٣٦- العبارة (ضمن كتاب الشفاء، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن

سينا)، تحقيق: محمود الخضيري، تصدير ومراجعة: الدكتور إبراهيم

مدكور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-القاهرة، دون تاريخ.

٣٧- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)،

بهاء الدين السبكي، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر،

١٩٣٧م.

٣٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق

القيرواني، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل - بيروت،

دون تاريخ.

٣٩- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ضبطه وحققه: حسام الدين

القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٠- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لشمس الدين أبي عبد

الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم إمام الجوزية، بإشراف لجنة

تحقيق التراث، مكتبة الهلال - بيروت، دون تاريخ.

٤١- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، لأبي الطاهر محمد بن حيدر

البغدادي، تحقيق: الدكتور محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ط ١

سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٢- قواعد الشعر، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: الدكتور

رمضان عبد التواب، دار المعرفة - القاهرة، سنة ١٩٦٦م.

٤٣- الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم، والسيد شحاته، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، دون

تاريخ.

٤٤ - كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، عني بنشره: إغناطيوس كراتشكوفسكي،

دار المسيرة- بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٥ - كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب

العلمية-طهران، بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، سنة ١٣٠٦هـ.

٤٦ - كتاب التعليقات ابن سينا، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بدوي، الهيئة

المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

٤٧ - كتاب الجدل، لأبي نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف

بالفارابي، تحقيق وتقديم وتعليق: الدكتور رفيق العجم، دار الشروق،

بيروت، سنة ١٩٨٦م.

٤٨ - كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن

سهل العسكري، حققه وضبطه: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٩ - كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق:

الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي دار الرشيد

للنشر، سنة ١٩٨٢م.

٥٠- كتاب المبين (ضمن كتاب: الفيلسوف الآمدي)، لأبي الحسن، علي

بن أبي بن محمد بن سالم التغلبي المشهور سيف الدين الآمدي، دراسة

وتحقيق: الدكتور عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، ط١، سنة

١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥١- كتاب المقولات وضمن كتاب الشفاء- قسم المنطق، تحقيق: الأب

جورج قناتي، محمود الخضيري، أحمد فؤاد الأهواني، سعيد زايد،

مراجعة د. إبراهيم مدكور، القاهرة، ١٩٥٩م.

٥٢- الكشاف، عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي

القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، سنة ١٣٩٧هـ-

١٩٧٧م.

٥٣- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى

الحيني الكفوي، قابله على نسخة خطية: الدكتور عدنان درويش،

ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سنة

١٩٨٢م.

٥٤- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت، دون تاريخ.

- ٥٥- المثلث، لابن السيد البطليوسي، تحقيق ودراسة: صلاح مهدي علي
الفرطوسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٥٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدم له
وحققه وعلق عليه: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار
مُهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دون تاريخ.
- ٥٧- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق:
مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط ١ سنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- ٥٨- مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب
القزويني (ضمن: شروح التلخيص)، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي
وشركاه، ١٩٣٧م.
- ٥٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ودار
صادر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، دون تاريخ.
- ٦٠- معالم الكتاب ومغامم الإصابة، القاضي عبد الرحيم بن علي بن شيث
القرشي، عني بتحقيقه وضبطه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب
العلمية- بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦١ - معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

٦٢ - معترك الأقران في إيجاز القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الفكر العربي، دون تاريخ.

٦٣ - معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ط٢، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٦٤ - مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن فارس بن أبي بكر محمد بن السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٥ - المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف الرباط - المغرب، ط١، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦٦- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم

وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار المغرب الإسلامي - بيروت، ط

٢، سنة ١٩٨١م.

٦٧- مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، تحقيق: الدكتور حسين عبد

اللطيف، طرابلس، جامعة الفاتح، سنة ١٩٨٢م.

٦٨- الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد

البحثري، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري، حقق

أصوله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، سنة

١٢٦٣هـ - ١٩٤٤م.

٦٩- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن: شروح التلخيص)،

لابن يعقوب المغربي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - بمصر،

١٩٣٧م.

٧٠- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة والإلهية، للشيخ الرئيس أبي علي

الحسن ابن سينا، على نفقة الرحالة محيي الدين صري الكرددي، مكتبة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

٧١- نقد الشعر، لأب الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد

عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط ١، سنة

١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٧٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراقات

وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية

العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ.

٧٣- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور

بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، سنة ١٩٨٥م.

٧٤- الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: الدكتور فخر

الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، سورية، ط ٤، سنة ١٤٠٧هـ-

١٩٨٦م.

٧٥- يتيمة الدهر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي

النيسابوري، تحقيق: المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،

بيروت، ط ٢، سنة ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

ب- المراجع:

- ٧٦- أثر النحاة في البحث البلاغي، الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة، دون تاريخ.
- ٧٧- الأفكار والأسلوب، أ. ف. تشيتشرين، ترجمة: الدكتور نجاة شرارة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق- بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، دون تاريخ.
- ٧٨- الإيمان، أركانها، حقيقته، نواقضه، الدكتور محمد نعيم آل ياسين، مجهول دار النشر، ط٤، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٧٩- البديع الشعري بين الصنعة والخيال، الدكتور عبد القادر الرباعي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، جامعة اليرموك، اربد- الأردن، المجلد الثالث، العدد الثاني، سنة ١٩٨٥م.
- ٨٠- بناء الأسلوب في شعر الحدائثة (التكوين البديعي)، الدكتور محمد عبد المطلب، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.
- ٨١- الجملة الخبرية في ديوان جرير، الدكتور عبد الجليل العاني، منشورات آمال الزهاوي، بغداد، الباب الشرقي، سنة ١٩٨٦م.

- ٨٢- حركة المعنى في شعر المتنبي بين السلب والإيجاب، الدكتور عز الدين إسماعيل (ضمن كتاب: المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس) وقائع مهرجان المتنبي الذي أقامته وزارة الثقافة والفنون العراقية في بغداد، من ٥-١٠ تشرين الثاني ١٩٧٧م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، سنة ١٩٧٩م.
- ٨٣- دائرة التكرار في شعر مصطفى وهي التل، الدكتور محمد عبد المطلب، بحث مقدم لمهرجان عرار الأول للإبداع، نيسان ١٩٨٩م، الأردن- اربد، جامعة اليرموك.
- ٨٤- دراسات بلاغية ونقدية، الدكتور أحمد مطلوب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، سنة ١٩٨٠م.
- ٨٥- دراسات في علم البديع، الدكتور أحمد محمد علي، مطبعة الأمانة- القاهرة، ط ١، سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٨٦- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق- بيروت، ط ٢، سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٨٧- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط ٤، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

٩٤- مباحث في علوم القرآن، الدكتور صبحي الصالح، دار العلوم

للملايين، ط٣، سنة ١٩٨١م.

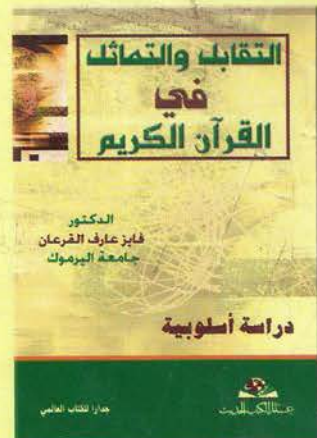
٩٥- الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، الدكتور عبد الكريم

حسن، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط

١، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

KANSO PRINTING
JORDAN - AMMAN - 962 79 664206

التقابل والتماثل في القرآن الكريم



عَمَلُ الْمَكْتَبِ الْحَدِيثِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

إربيد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفاكس: ٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٦٢ + خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٠٧٩
صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)
الموقع على الإنترنت

www.almaktaba.com

جدارا للكتاب العالمي

للنشر والتوزيع

عمان - العبدلي - مقابل جوهرة القدس
خليوي: ٧٩٥٢٦٤٣٦٣ - ٠

22